

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المؤتمر العلمي الدولي السنوي السابع
لكلية الشريعة

”التعليم الشرعي وسبل تطويره“

كتاب أوراق المؤتمر
جامعة النجاح الوطنية، نابلس

فلسطين 2017

رعاة المؤتمر

مصنع الراجح للمنظفات الكيماوية



هيئة الأعمال الخيرية الإماراتية



تنويه

الأوراق العلمية الواردة في هذا الكتاب، بكل ما تحويه وتتضمنه من آراء واقتباسات وتوثيقات وصياغات وسواها، هي على مسؤولية أصحابها الشخصية بشكلٍ تامٍّ ومطلقٍ، وليست بأي حالٍ على مسؤولية الجامعة أو القائمين على المؤتمر أو اللجنة العلمية التي لا تتحمل أية مسؤولية قانونية أو فكرية أو فنية عن أي شيءٍ تتضمنه هذه الأوراق، وهي أوراق للعرض في المؤتمر ولم يتم تحكيمها لأغراض النشر في دوريات محكمة.

اللجنة العلمية للمؤتمر

المحتويات

كشف الأوراق البحثية مرتبة حسب
الحروف الابتيئية للباحثين

- 13 العلوم الشرعية وتطوير طرق تدريسها، أميمة رزاق
- 30 المدارس الشرعية ومعايير الجودة وسبل النهوض بها وتطويرها ، إبراهيم بويطل
- 15 العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة وأهميتها لطالب العلم الشرعي، إسرائ لافي
- 61 توظيف المنهج الاستقرائي في تدريس الفقه الإسلامي في كليات الشريعة، إباد جبور
- 78 المدارس الشرعية .. ضرورتها في المجتمع والعمل على النهوض بها، بشار أبو زهرة
- 96 الوقف وأثره في دعم التعليم الشرعي وتطويره، تحرير حماد
- 113 الوقف الإسلامي في فلسطين وأثره في دعم التعليم الشرعي وتطويره، حسين الدراويش ، وسيم شولي
- 138 العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة وأهميتها لطالب العلم الشرعي، خباب الحمد
- 167 وسائل التكنولوجيا الحديثة وأهميتها لطالب العلم الشرعي، خوله أبو مريم
- 187 الوقف وأثره في دعم التعليم الشرعي وتطويره، رويدة المشني
- 203 التحديات التي تواجه كليات الشريعة وطلبتها وسبل مواجهتها، سرين صعيدي
- 217 السمات المنشودة في طلبة كليات الشريعة، سمير عواودة
- 234 السنن الإلهية وعلم الاجتماع الإسلامي، سوسن حجازي
- 842 الوقف الإلكتروني ودوره في جودة التعليم الشرعي، عبد القادر مهاوات، محمد ببوش
- 268 الوقف التعليمي وأثره في دعم التعليم الشرعي وتطويره، عبد الكريم بنانيل
- 295 دور طالب العلم الشرعي في محاربة الفكر المتطرف وبيان سماحة الإسلام، فاطمة داود
- 903 الوسائل التعليمية مفومها أنواعها أهميتها معيقاتها في تدريس العلوم الشرعية، كامل بشارت
- 320 العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة، لين دويكات
- 333 تطوير مناهج التعليم الشرعي والخطط الدراسية لكليات الشريعة، ماجد صقر
- 343 الصعوبات التي تواجه كليات الشريعة والحلول المقترحة، محمد الشريفة
- 350 دور كليات الشريعة في إعداد الداعية القادر على مواجهة الغزو الفكري، محمد أبو ناموس
- 368 أسلوب التدريس من السلوك العفوي إلى الفعل الواعي، محمد لفرم
- 382 القدوة الحسنة لدى مدرس التربية الإسلامية ودوره في غرس القيم، إبراهيم سماره
- 193 الوقف والزكاة وأثرهما في دعم التعليم الشرعي وتطويره، مصطفى سويطات
- 403 تطوير مناهج التعليم الشرعي لكليات الشريعة في فلسطين، معتصم كميل
- 411 نشر المقالات العلمية المحكمة من قبل طلبة كليات الشريعة، يوسف كليبي، يمان صليح

شكر وعرافان

تتقدم أسرة كلية الشريعة بالشكر والعرافان لكل من أسهم في إنجاح هذا المؤتمر،

- وفي مقدمتهم أصحاب الأوراق العلمية،
 - وأعضاء اللجان التحضيرية والعلمية والخدمائية والطلابية للمؤتمر،
 - وسائر دوائر الجامعة التي وفرت الاحتياجات اللازمة للمؤتمر،
 - ورُعاة المؤتمر، لما وفروه من دعمٍ ماليٍّ للمؤتمر،
 - ومديرية اوقاف نابلس بوزارة الاوقاف،
 - والسيدة امل ابو صالح لجهودها في المتابعة والاتصال - مختبر حاسوب الشريعة
 - والسيد عبد الهادي جواربه على اعمال المونتاج والتصميم لكتاب المؤتمر والمطبوعات
 - ومثل ذلك لكل من اسهم في انجاح هذا المؤتمر
- فجزى الله الجميع خيراً ونفع بكم.

كلمة رئاسة الجامعة

أ.د. ماهر النتشة، القائم بأعمال رئيس الجامعة

السادة القائمون على هذا المؤتمر المحترمون، السادة الباحثون الأكارم، الحضور الكرام

يسرني ان أرحب بكم في جامعة النجاح الوطنية أيما ترحيب. ويسعدني أن نلتقيكم لنحبي فعاليات هذا المؤتمر الدولي لكلية الشريعة، الذي يتعدد للبحث في سبل تطوير التعليم الشرعي أسوة بسائر العلوم في فلسطين، وبما يلي حاجة المجتمع ويمكننا من استيعاب التغيرات العالمية المعاصرة، وبما يعود بالفائدة الكبيره على العملية التعليمية والطلبة.

الاخوة الكرام

إن مما تفتخر به جامعة النجاح هو سعيها الدائم للتميز وتطوير أدائها وبرامجها وادواتها التعليمية وهو ما جعل الجامعة في مقدمة الجامعات على مستوى الوطن والمنطقة كلها بل وتحظى بالاحترام العالمي العام.

وكم يشرفنا هذا التنافس الايجابي بين كليات الجامعة في تطوير الذات والصعود نحو الأفضل دائماً، وهو ما ينعكس على الطلبة بالفائدة الكبيرة ويزيد في الإقبال على الجامعة والإلتحاق بكلياتها وبرامجها.

والعلوم الشرعية لا تقل أهمية عن سائر العلوم الأخرى وهو ما يستدعي منا جميعاً أن نضافر الجهود لإحداث نقلة هائلة في مناهج التعليم ووسائلها، بل وفي تنقية المادة العلمية التي نقدمها لطلبتنا حتى تعكس الأصالة والتسامح والحنيفية التي جاءت الشريعة عليها من أول يوم من غير زيادة أو نقصان أو تحريف.

وفي الختام .. نتمنى لمؤتمركم النجاح والتوفيق، وللباحثين أن يخرجوا بتوصيات عملية جادة نحو التقدم والتطوير ودوام الرقي والتميز واتقدم بالشكر لكل من اسهم في الاعداد لهذا المؤتمر ممثلاً لكلية الشريعة والشكر الجزيل كذلك للباحثين وللداعمين للمؤتمر. وتحياتي لجميع الحضور.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،



كلمة عميد كلية الشريعة رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر

د. جمال زيد الكيلاني

الحمد لله رب العالمين خلق الإنسان في أحسن تقويم، وصلى الله على سيدنا محمد إمام المرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعده،

فإن علوم الشريعة، هي من أهم العلوم وأقدسها، وهي تستحق منا كل جهدٍ لتطويرها، حتى تتناسب مع عظمة هذا الدين الذي هو كلمة الله تعالى للبشرية جمعاء وحتى تكون في أرقى صورة وأبهى حُلّة، ومع الإستفادة من كل التجارب الإنسانية الجادة في هذا الصعيد.

من اجل ذلك كان اختيار كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية لمؤتمرها السنوي الدولي السابع في تطوير التعليم الشرعي والنهوض به أسوة بسائر العلوم الأخرى، وهو الذي ينعقد بمشاركة أكثر من عشرين باحثاً وباحثة من عدة دول عربية ومن مختلف جامعات ومؤسسات الوطن.

وبهذه المناسبة أتقدم بالشكر لكل من أسهم في إنجاح هذا المؤتمر مادياً أو علمياً أو إدارياً بدءاً من إدارة الجامعة ودائرة العلاقات العامة ومروراً بالزملاء الباحثين وانتهاءً بالأخوة في اللجنتين التحضيرية والعلمية متمنياً لهذا المؤتمر أن يحقق أهدافه وأن يخرج بتوصيات فاعلة تُسهم في تطوير التعليم الشرعي في فلسطين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللجنة التحضيرية والعلمية للمؤتمر

- د. جمال الكيلاني، عميد كلية الشريعة (رئيس المؤتمر واللجنة التحضيرية)
- د. ناصر الدين الشاعر (رئيس اللجنة العلمية)
- أ. د. محمد الشريدة (عضواً)
- د. عبد الله أبو وهدان (عضواً)
- د. عودة عبد الله (عضواً)
- د. ايمن الدباغ (عضواً)
- د. جمال حشاش (عضواً)
- د. محسن الخالدي (عضواً)
- د. محمود ارشيد (عضواً)
- د. حسن خضر (عضواً)
- د. أحمد شرف / وزارة الاوقاف (عضواً)

تقديم من اللجنة العلمية للمؤتمر

تتقدم اللجنة العلمية بالشكر والتقدير لفرسان المؤتمر أصحاب الأوراق العلمية لهذا المؤتمر على ما تقدموا به من إسهاماتٍ علميةٍ تُثري المؤتمر وتُسهم في تطوير التعليم الشرعي. كما تتقدم اللجنة العلمية بالشكر والتقدير لمديرية أوقاف نابلس بوزارة الأوقاف لما كان لهم من دورٍ في التحضير للمؤتمر وإنجاحه.

وبخصوص الأوراق العلمية الواردة في هذا الكتاب، فهي كما وصلت من أصحابها الأفاضل دون تدخلٍ بمحتواها وبالأفكار والاجتهادات المعبرة عن آراء أصحابها الباحثين. لأجل ذلك أعلننا بأن الأوراق العلمية الواردة في هذا الكتاب، بكل ما تحويه وتتضمنه من آراء واقتباسات وتوثيقات وإحالاتٍ، بل وصياغات لغوية وفنية، وسواها، هي على مسؤولية أصحابها الشخصية بشكلٍ تامٍّ ومطلقٍ، وليست بأي حالٍ على مسؤولية الجامعة أو الكلية أو اللجنة العلمية والتحضيرية.

وقد انحصر دورُ اللجنة العلمية في فحص مدى مناسبة البحث الذي يصلنا لموضوع المؤتمر ابتداءً، ثم في اختصاره إن كان طويلاً ولم يكن صاحبه قد اختصره بنفسه. فقد نحذف ما ليس له علاقة بموضوع المؤتمر، وقد نحذف المراجع التي لا تتعلق بالموضوع مبقيين على المراجع المتخصصة بالمخدرات دون سواها قدر الإمكان. كما أننا حذفنا كثيراً من التكرارات الواردة بين الأبحاث حتى لا يتضخم الكتاب ويملّ القارئ من التكرارات التي فيه. وكنا غالباً ما نختصر أو نحذف المواد التي لا تتعلق بعنوان البحث ومعها اقتباساتها ومراجعها التي لا علاقة لها بموضوع المؤتمر. وقد نجري أحياناً بعض التصويبات اللغوية والطباعية والتنسيقية على المادة. وما عدا ذلك، يبقى كل شيء كما وضعه الباحث ذاته. والهدف من ذلك كله: تجويد الكتاب وخدمة قارئيه من جهةٍ، والإبقاء على جوهر الأوراق العلمية معبرةً عن آراء أصحابها من جهةٍ أخرى. والله وليُّ التوفيق والسداد.

معالي د. ناصر الدين الشاعر

الاوراق العلمية



العلوم الشرعية وتطوير طرق تدريسها "علم الدعوة ومناهجها نموذجا"



إعداد الأستاذة: أميمة رزاقى*

* مواليد 1989 بسطيف ، طالبة دكتوراه- باحثة - تخصص دعوة وثقافة إسلامية ، جامعة

الأمير عبد القادر قسنطينة- الجزائر.

مقدمة

الدعوة إلى الله من أهم الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه، لأنها في حد ذاتها مهمة الأنبياء والمرسلين، توارثها المسلمون عنهم وأصبحت لهم سمة بارزة ينفردون بها عن غيرهم من الأمم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، بالإضافة إلى كونها فرض كفاية وجب القيام بها على الوجه المنوط بها، يحمل مشعلها فرقة من المسلمين العالمين العارفين المتفهمين في الدين، مصداقا لقوله تعالى ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ التوبة / 122، هذه الفرقة المسلمة المكلفة بحمل مشعل الدعوة والصدح بها في العالمين، إعادةً لبعثه بين المسلمين وإحيائه، وكذا إيصاله لغير المسلمين والصدح به بينهم على بينة وحجة وبرهان؛ يحصل به الإدراك التام للعقل بما تدعو إليه، لكي يتحقق ذلك فيها يجب أن تكون على قدر كبير من اليقين والحماس والوعي، والمعرفة بالوظيفة التي ستقوم بها، تتزود بعلم الدعوة التي تدعو إليها على بصيرة.

ويعتبر علم الدعوة ومناهجها من أهم العلوم الشرعية، ولكنه علم ناشئ لم تتضح معالمه ولم تضبط مصطلحاته بعد، بالرغم أن المكتبة الإسلامية تزخر بالمصنفات والمألفات العالية الجودة في موضوع الدعوة، ولكن علم الدعوة كعلم قائم بذاته لم ينل الحظ الوافر من ذلك، فقد كان من الواجب الإهتمام به ليتوافق مع متطلبات العصر ومقتضيات الحياة العامة؛ نظرا للأهمية التي يكتسبها كونه العامل الأساسي في الحفاظ على الدين بين معتنقيه ونشره بين غيرهم. الأمر الذي جعل الباحثين والعلماء يتوقفون عنده باعتباره ضرورة لصيرورة الدعوة إلى الله.

خاصة وأن معيار نجاح الدعاة إلى الله يتوقف على مدى تحصيلهم للعلوم وتزودهم بها، هذه العلوم والمعارف التي توقظ همهم وتحبب عقولهم وتسمو بأفكارهم وترقّي بمستواهم؛ ما يجعلهم أعلى كعبا وأوسع ثقافة وأفتح فكرا، وأدق فهما، ولكن لا يتم ذلك إلا بتطوير مناهج تدريس هذه العلوم، وخاصة تلقين وتدريس علم الدعوة في حد ذاته بما يكيّفه مع أليات الحياة الراهنة ومقتضيات الشريعة، خاصة مع ظروف اصطدام حملة هذا العلم بالتيار العلماني التخريبي المتمكن في كل النواحي، الأمر الذي يفرض تطوير أساليب تدريس العلوم الشرعية، ومنها علم الدعوة ليتوافق مع متطلبات العصر.

نظرا للأهمية التي يكتسبها علم الدعوة والتحديات التي تواجه حامله، فقد لقي إهتماما كبيرا من الباحثين والعلماء والمفكرين مؤخرا، الذين هبوا للبحث في طرق تطوير أساليب تدريسه وتلقيه لحامله، فتنوعت الآراء واختلفت؛ لحماية الأمة من الإنزلاق في غيابات المتاهات التي

يجرّها إليها التيار العلماني التغريبي، والأنظمة الهدامة التي استهدفت التعليم في بلداننا العربية الإسلامية وخاصة العلم الشرعي.

ولتفادي هذه المخاطر والوصول بعلم الدعوة إلى المستوى المطلوب استدعت الضرورة أعداد أبحاث ودراسات للتوعية والتوجيه، ووضع خطط للعمل المنظم للبرقي بأساليب تدريس علم الدعوة لِحَمَلَتَه، وهذا ما جعل جامعة النجاح الوطنية تشرف على إدارة مؤتمر العلم الشرعي وسبل تطويره، كمبادرة سنتها لنفسها خدمة للأمة والدين والوطن، الأمر الذي جعلنا نقف وقفة تأمل ثم اجتهاد للبرقي بأساليب تدريس علم الدعوة، ولتقليل من المعوقات الخارجية التي أصبحت تقف في وجه العلم الشرعي، من خلال أعداد هذا البحث الذي حاول إيجاد أرضية جيدة تعنى بتطوير أساليب تدريس علم الدعوة حيث تضمن عنصرين هما: مفهوم علم الدعوة ونشأته وأهميته، والثاني تطوير طرق وأساليب تدريس علم الدعوة. وذلك للإجابة على السؤال التالي: كيف يمكن تطوير أساليب تدريس علم الدعوة ومناهجها لتتماشى مع روح العصر؟.

وقد تفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة وهي :

- ما مفهوم علم الدعوة في اللغة والاصطلاح؟
 - ما مفهوم علم الدعوة كمركب لفظي؟
 - متى نشأ علم الدعوة وما أهميته؟
 - كيف يمكن تطوير أساليب تدريس علم الدعوة؟
- وللإجابة على هذه التساؤلات تم ضبط الخطة التالية :

خطة البحث:

مقدمة

1- مفهوم علم الدعوة ونشأته وأهميته.

1-1 العلم لغة.

1-2 العلم اصطلاحا.

1-3 الدعوة لغة.

1-4 الدعوة اصطلاحا.

1-5 تعريف المركب اللفظي: علم الدعوة.

1-6 أهمية علم الدعوة ونشأته.

2- تطوير أساليب تدريس علم الدعوة.

2-1 ربط علم الدعوة بالعلوم الأخرى .

2-2 استعمال الوسائل التقنية الحديثة في تدريس علم الدعوة .

2-3 إعادة انتاج المعرفة في علم الدعوة

2-4 تجديد الدراسات الدعوية في ضوء الدراسات الحديثة

الخاتمة

مفهوم علم الدعوة ونشأته وأهميته

تعد عملية ضبط مفاهيم الدراسة من أهم الخطوات المنهجية ، لما يترتب على الخلط في المفاهيم من أخطاء في النتائج والتحليلات ، ومن المفاهيم التي يجدر بنا ضبطها بدقة في هذه الدراسة هي : - العلم - الدعوة - وعلم الدعوة .

العلم لغة:

1 . ورد في لسان العرب العلم: نقيض الجهل، عَلِمَ علماً وعُلِمَ هو نفسه، ورجل عالم وعليمٌ، من قوم علماء فيهما جميعاً¹.

2 . العلم مصدر علم، وهو إدراك الشيء بحقيقته²، قال تعالى: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾ المجادلة / 11 .

ويعرفه الجرجاني بأنه : " الإعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال: الحكماء هو حصول صورة الشيء في العقل، وقيل العلم إدراك الشيء على ما هو به، وقيل العلم صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات"³. إذا يطلق العلم في اللغة على المعرفة، يقال: علمت الشيء، أي: عرفته، ومنه فالعلم هو المعرفة الصحيحة المجزوم بها التي يحصلها الإنسان .

العلم اصطلاحاً:

1 . العِلْمُ هو مجموعة ومنظومة من المعارف المتجانسة والمتناسقة التي يعتمد في الحصول عليها على المنهج علمي دون غيره، أو مجموعة المفاهيم المتكاملة المترابطة التي نبحت عنها وتتوصل إليها بواسطة البحث العلمي⁴.

1- محمد ابن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، دت ن، ج12، ص417، مادة (علم).

2- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط3، إصدار مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1998م، ج2، ص360.

3- علي بن محمد السيد الجرجاني، معجم التعريفات، ت: محمد السيد المنشاوي، ط1، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دت ن، ص130.

4- طارق محمد، تعريف العلم، تاريخ النشر: 2015/08/18م، <http://mawdoo3.com>، تاريخ التصفح: 2017/05/31م.

2. هو المعرفة التي تؤخذ عن طريق الملاحظة والتجربة والاستنتاج¹.

3. وعليه فإن العلم يتعدى مجرد الإدراك الحسي للأحداث والظواهر بعيدا عن الترتيب المنطقي، إلى تكوين سلسلة متسقة منطقيا يعتمد عليها في التوصل إلى القوانين أو الفرضيات النظرية.

مفهوم الدعوة لغة : من خلال البحث في القواميس والمعاجم اللغوية عن معنى الدعوة انتقينا ما يلي :

1. جاء في لسان العرب : دعا الرجل دعواً ودعاء : ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانا أي صحت به، واستدعيته، فأما قوله تعالى ﴿ يدعون من ضره أقرب من نفعه ﴾ الحج / 13، فإن أبا إسحاق ذهب إلى أن يدعو بمنزلة يقول، والدعاء: واحد الأدعية، وأصله دعاو، لأنه من دعوت والدعاة : قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، وأدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله تعالى، وكذلك المؤذن².

2. وورد في كتاب ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني : الدعاء هو النداء والاستغاثة مثل قوله تعالى ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ النور / 63. والمسألة مثل قوله ﴿ قالوا ادعوا لنا ربك ﴾ البقرة / 86. أي سله، والدعاء إلى الشيء الحث على قصده ﴿ قال رب السجن أحب إلى مما يدعوني إليه ﴾ يوسف / 33. والرفعة والتنويه مثل قوله ﴿ لا جرم أنما تدعوني إليه ليس له دعوة ﴾ غافر / 43. وأصلها للحالة التي عليها الإنسان نحو القعدة أو الجلسة³.

*المتتبع والمستقرئ لأهم المعاجم وقواميس اللغة العربية قديمها وحديثها يكاد يجدها مجمعة على كلمة الدعوة التي أصل جذرها (دع / دع و) تستعمل في اللسان العربي للدلالة على المعاني الآتية : التسمية، النداء، الصياح، الصراخ، الطلب، الحث، السوق، الجر، والإظطرار، كما يستعمل العرب تلك الكلمة فيما هو لازم بعض تلك المعاني ؛ كالدلالة على : الاجتماع، والانتساب، والتتابع.

وقد لخص ابن فارس كل المعاني اللغوية التي يدل عليها الفعل (دعا) فقال : "المدال والعين

1 - سامح عاطف الزين، الإسلام وثقافة الإنسان، ط9، الدار الإفريقية العربية، لبنان، 2002م، 132.

2 - ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 14، ص 258، 259.

3 - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ط1، دار القلم-دار الشامية، دب ن، 1430هـ/2009م، ص315.

والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء إليك بصوت يكون منك¹، وجميع مشتقات هذا الفعل لم تخرج في مدلولاتها اللغوية عن هذا المعنى أي إمالة السامع إلى الداعي بصوت (كلام) يصدر منه.

2-4 تعريف الدعوة اصطلاحاً :

تعددت التعريفات وتنوعت ولكننا لم نقف على تعريف جامع مانع للدعوة ؛ وذلك راجع إلى أن كلاً عرفها إما حسب أهدافها أو أساليبها أو الغاية منها ومن التعريفات التي أوردناها مايلي :

1. عرفها ابن تيمية بقوله الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ هِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ، بِتَضَدِّيقِهِمْ فِيمَا أُخْبِرُوا بِهِ وَطَاعَتِهِمْ فِيمَا أَمُرُوا، وَذَلِكَ يَتَّصِنُ الدَّعْوَةَ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَصَوْمَ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتِ، وَالدَّعْوَةَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ².

2. ويعرفها الغزالي بأنها: برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم ، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين³.

3. وعُرفت بأنها ”دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعا، تجدد على يد محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، كاملا وافيا لصالح الدين والآخرة⁴.

4. أما محمد عطية شعبان فيعرفها بأنها: ” العلم الذي يعرف به كافة المحاولات والأساليب المتعددة الرامية إلى تبليغ الدعوة إلى الناس بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق⁵.

ويتضح من خلال هذه التعاريف أن ابن تيمية تناول الدعوة بمعنى رسالة الإسلام وأركان الإيمان، دون تفصيل لفحوى الرسالة أو الهدف الذي تقوم عليه الدعوة الرامية إلى تبليغ الإسلام، أو المنهج المتبع والأساليب التي تستند إليها والقائمين عليها. أما الشيخ الغزالي فهو يرى أن الدعوة ليست ممارسات مؤقتة أو عابرة دون تخطيط بل هي برنامج شامل لكل المعارف والنخطط لتبصير

1- ابن فارس، المقاييس في اللغة ، ت: شهاب الدين أبو عمرو، دط، دار الفكر، بيروت، 1994م، ص-ص 356-357، مادة (د و ع).
2- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية- السعودية، 1416هـ/1995م، ج15، ص157
3- محمد الغزالي، مع الله ، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دت ن، ص12.
4- عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده، ط3، دار التدمرية، د ب ن، 1424هـ/2004م، ص20.
5- عطية محمد مصطفى شعبان، منهج الإسلام العلمي في دعوة الرسل، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، القاهرة، 1418هـ/1997م، ص03.

الناس الغاية من خلقهم، وكيف يتحقق سيرهم ثم ثبوتهم على طريق الرشد، كما شمل تعريف الغازالي أهداف الدعوة وغاياتها . أما التعريف الثالث فيتضح من خلاله أن المقصود بالدعوة هو المعنى الشامل والذي يقصد به الإسلام كدين اختاره الله لعباده من آدم عليه السلام، إلى محمد صلى الله عليه وسلم. في حين تناول مفهوم عطية شعبان الدعوة على أنها وسيلة لنشر الدين، واشتمل على المنهج والأهداف والرسالة .

وخلاصة ما نخرج به من هذه التعاريف الاصطلاحية للدعوة هو: أولاً عدم اتفاقها في معنى محدد للدعوة فهناك من نظر إليها على أنها الدين الإسلامي عموماً، وهناك من اعتبرها وسيلة لإيصال رسالة الإسلام، في حين نجد أن هناك من اعتبرها تبليغ وبيان لما جاء به دين محمد صلى الله عليه وسلم ، ونظر إليها البعض الآخر على أنها جهد مبذول أي تعليم وتعلم.

1-5 مفهوم المركب اللفظي علم الدعوة:

لفظ علم الدعوة مركب لفظي يتكون من (علم) و(دعوة) ،ويمكن القول أنه العلم الذي يخدم دراسة الدعوة إلى الله من جوانب عديدة كمفهومها وحكمها وأهميتها وأهدافها ووسائلها وأولوياتها وغيرها ، ومن التعريفات التي أوردها أهل الإختصاص للمركب اللفظي علم الدعوة انتقينا ما يلي :

1. يعرفه البيانوني بأنه: "مجموع القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه".¹
2. ويعرف علي بن نايف الشحود علم الدعوة بأنه: "علم يبحث في كيفية الدعوة إلى الله ، دعوة صحيحة واعية معتمدة على دراسة فنون الشريعة المختلفة ، وعلوم أخرى كالإدارة وعلم الاجتماع وعلم النفس ، وغيرها ولذا فهو علم مهم وواسع وشامل ودقيق".²
3. " هو علم بقواعد وأحكام وأسباب وآداب يتوصل بها إلى تمام تبليغ الإسلام للبشر عامة، وتعليم وتربية المستجيبين كافة، وتحقيق التمكين لهذا الدين"³.

يتضح من التعريفات التي أوردها أن البيانوني ركز على القواعد والأصول التي يبلغ بها الإسلام للناس ثم يعلم ثم يطبق في حياتهم، أي يقوم على ثلاث مراحل إيصال الرسالة ثم

1- أبو الفتح البايوني، المدخل إلى علم الدعوة، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان، 1415 هـ/1995م، ص19.

2- علي بن نايف الشحود، الخلاصة في فقه الدعوة، ط1، دار المعمور، ماليزيا ، 1430هـ/2009م، ص05.

3- محمد يسري، مبادئ علم أصول الدعوة ، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1426هـ، ص16.

تعليمها للمستجيبين لها ثم تطبيقهم لها. أما علي بن نايف الشحود فقد ركز في تعريفه على ارتباط هذا العلم بالدعوة الصحيحة إلى ما أمر به الله تعالى، على بينه ووعي وتعمق في دراسة العلوم الشرعية، وغيرها من العلوم الأخرى. في حين يلاحظ على التعريف الثالث أنه اقتصر على العلم بالأحكام والآداب دون التطرق للأصول والمنهج. شأنه شأن البيانوني الذي يفتقر تعريفه إلى ذكر منهج الدعوة والذي يعتبر ركنا من أركان هذا العلم.

4. تعريف إجرائي لعلم الدعوة: ويمكن تعريف علم الدعوة بأنه "العلم الذي يختص بكيفية الدعوة إلى دين الله تعالى (الإسلام) من خلال معرفة عميقة بأصول ومنهج وفقه الدعوة".

1-6 نشأة علم الدعوة وأهميته :

نشأة علم الدعوة: إن تحدثنا عن نشأة الدعوة فهي مهمة الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام إلى الخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي قام بين الناس داعيا الخلق إلى الله تعالى على حجة وبرهان، يتلو عليهم آي القرآن ويعلمهم الكتاب والحكمة، ثم تبعه في ذلك الصحابة الكرام والتابعين ومن تبعهم بهدى وإحسان إلى يومنا هذا، حيث كانت الوظيفة الأولى للمجتمعات والدولة الإسلامية هي الدعوة إلى الله تعالى باعتبارها سر وجود هذه الدولة وبها يحفظ استمرارها وقيامها، فكان المجتمع المسلم بكل وحداته وأجزائه مجتمعا دعويا يعمل لصالح الدعوة لله تعالى، ولكن الظروف التي مرت بها الدول المسلمة والأزمات المتتالية التي منيت بها أنشأت جيلا غفل عن القيام بواجب الدعوة، إن لم نقل أضاعه علما وعملا، الأمر الذي دعى إلى: "استيقاظ بعض المسلمين من غفلتهم ومعرفتهم لعظيمة مصيبتهم، فاجتهدوا في النهوض بدعوتهم فكانت هناك محاولات فردية وجماعية، وتعددت في سبيل ذلك الاجتهادات العلمية والعملية، وانبثقت الحاجة الجديدة إلى وجود علم يعرف بعلم الدعوة، يعتمد على فهم الكتاب والسنة ويقوم على سنن النبوة الطاهرة، والخلافة الراشدة، ويستنير بالتجربة الطويلة الرائدة لرحلة الدعوة على مدى العصور والأزمان، ويعود بالمسلمين إلى وظيفتهم التي أخرجوا بها للناس؛ قال تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ آل عمران / 111.

وهو ما يعني أن نشأة علم الدعوة كانت نتيجة لظروف دفعت بأفراد وجماعات للاجتهاد في سنه، إدراكا منهم للخطر المحدق بالأمة، فحذوا في ذلك حذو الرعيل الأول من الصحابة والخلفاء الراشدين الذين نهلوا من أعظم مورد وهو القرآن الكريم، وكذا نبع الحكمة المحمدية الصافي.

1- أبو الفتح البايوني، المرجع نفسه، ص 24.

فكتب حول الدعوة الكاتبون والدعاة ما كتبوا ، وقدموا لخدمة هذا العلم ما قدموا ، حتى قامت باسم الدعوة منظمات ومؤسسات ، وعرف بها أفراد وجماعات ، وأصبحنا في عصر صارت فيه الدعوة علما من العلوم المتعددة ، له مؤسساته التعليمية ، ومناهجه الدراسية¹.

إذا في خضم هذه الاجتهادات والمؤلفات والمصنفات قدم لهذا العلم الكثير ، فأصبحت الدعوة علما كغيره من العلوم . قائم بذاته له مؤسسات ومناهج خاصة به كباقي العلوم الشرعية الأخرى السابقة له ؛ كعلم الفقه والأصول والحديث وغيرها .

” وبرزت الحاجة إلى هذا العلم ملحة ، نظرا لما يكتنف العمل الدعوي الحالي من غموض في بعض مفاهيمه ، وخلل واضطراب في بعض أصوله وقواعده ، ومعانات كبيرة من قصور مناهجه ، وخطأ أساليبه وضعف وسائله . ولا يزال هذا العلم ناشئا ، وبحاجة ماسة إلى تأصيل موضوعاته ، وتحديد مصطلحاته ، وتصحيح تطبيقاته ، وما إلى ذلك شأن أي علم ناشئ².

أهمية علم الدعوة :

دراسة أي علم من العلوم تؤدي إلى ترقية مشاعر الفرد ، وتنمي مداركه ، وتفتح أحاسيسه وتصلق مواهبه ، وتزيد في حركته ونشاطه الفكري ، فيؤدي كل ذلك إلى إحداث تفاعل ذاتي داخل النفس التي تتلقى هذا العلم وتقوم بتلك الدراسة مما يجعلها تنطلق إلى آفاق جديدة ، وتحصل على معارف وحقائق علمية لم تكن قد عرفتتها من قبل ، نقول : إذا كان هذا كله يمكن أن يطبق على أي علم يتلقاه الإنسان ، فكيف به إذا كان هذا العلم المتلقى وهذه الدراسة التي يقوم بها تتعلق بعلم وثيق الصلة بكيان الفرد وشخصيته الإسلامية³ ، ألا وهو علم الدعوة إلى الله تعالى ، وقد أجملنا أهمية دراسة علم الدعوة في مجموعة من النقاط وهي :

- يجب أن تتحقق في الداعية صفة العلم اليقيني بما يدعو إليه وما يأمر به من معروف وما ينهى عنه من منكر ، وأن يكون ذو دراية كافية بالأساليب التي يستخدمها في دعوته وبالعلوم التي تفيده في ميادينها ، وذلك لا يتأتى له إلا من خلال دراسة علم الدعوة كعلم قائم بذاته ، يختص بكل ما يتعلق بالدعوة كرسالة في حد ذاتها ، أو بالداعي أو المدعو وحتى الأسلوب والوسيلة التي تتحقق بها الغاية من الدعوة .

- إن لم يكن الداعي إلى الله تعالى محصنا بالعلم الكافي الذي يتلقاه خلال دراسته لعلم

1- أبو الفتح البيانوني ، المرجع السابق ، ص 25.

2- أبو الفتح البانوني، المرجع السابق ، ص 25.

3- علي بن حسن علي القرني، من مفاهيم ثقافتنا الإسلامية، ص 03 . <https://faculty.psau.edu.sa>، تاريخ التصفح : 2017/05/28م

الدعوة راسخ القدم فيه ، فقد يعتمد على أدلة باطلة في دعوته ، والتي تحدث ضررا كبيرا عليه وعلى المدعويين ، كما أن مسالة غير العالم المتخصص في علم الدعوة قد تفضي إلى الفتوى بغير علم وهو ما يؤدي إلى الضلال .

• يبين علم الدعوة طريقة الرسل في الدعوة ، وكيف كانوا يدعون ويوضح السبيل الأمثل في الدعوة إلى الله تعالى ، ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾ الأنعام / 90¹ .

• كما يبين هذا العلم كيفية ممارسة الدعوة قولاً وعملاً .

• علم الدعوة سبب لبقاء الدعوة واستمرارها ، والدعوة سبب لحفظ الشريعة وبقائها . وبالتالي فغياب أحدهما يفضي إلى غياب الثاني .

• يؤصل علم الدعوة للعالمين أن الدعوة إلى الله تعالى رحمة بنفسها ، ولن تكون سببا للرحمة ما لم تتصف بهذه الصفة في ذاتها ، ولذا قال الله تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ الأنبياء / 107 . ويتضح ذلك في معالم منهج الدعوة وفي قواعد فقهها للذنان يؤصلهما علم الدعوة إلى الله تعالى² .

• علم الدعوة من أعظم أسباب هداية الدعاة وثباتهم على الحق ، وذلك لارتباطه الوثيق بمصادر التلقي التي ينطلق منها الدعاة في دعوتهم وهي القرآن والسنة ، إذ هما أصل أصول الدعوة التي بينها هذا العلم ، ويجب على الدعاة التمسك بها في فروع الموسومة بأصول الدعوة إلى الله تعالى³ .

• كما يوسع علم الدعوة من مدركات الداعية ويقربهم إلى الله تعالى ؛ لأنه يؤصل عندهم العمل بما يدعون إليه اقتداء بالأنبياء والمرسلين ، ويقوم علم الدعوة بجزء ومعالجة الخلل الدعوي الذي يقع فيه بعض الدعاة ، لأن النهل من هذا العلم يبين للداعية المقال والفعل المناسب لكل مقام من خلال إكسابه ثقافة دعوية تعينه في مجال دعوته .

• علم الدعوة إلى الله تعالى يورث للدعاة الطمأنينة الدعوية ، إذ يبين لهم المنهج الرباني في الدعوة إلى الله تعالى ، فلا تختلط عليهم المناهج المحدثه ، والطرائق المبتدعة ، فعلم منهج

1- محمد بن سعد بقنة الشهراني، علم الدعوة إلى الله تعالى حقيقته وأهميته، -دراسة تأصيلية- رسالة مجستار- قسم الثقافة والدعوة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى ، السعودية، 1433هـ/2012م، ص389.

2- محمد بن سعد بقنة الشهري، المرجع نفسه ، ص390.

3- محمد بن سعد بقنة الشهري، المرجع نفسه ، ص392.

الدعوة الذي يعتبر أحد فروع هذا العلم الجليل يجعل الدعوة يسيرون على خطا ثابتة في دعوتهم من غير تأثر بكل من ابتعد عن المنهج الصحيح¹.

2 - تطوير أساليب تدريس علم الدعوة :

ربط علم الدعوة بالعلوم الأخرى : إن علم الدعوة إلى الله تعالى لن يؤتي ثماره ، ولن تتحقق نتائجه إلا إذا ارتبط ارتباطا وثيقا بالعلوم والمعارف حيث ينهل منها الداعية ، ومن خلال جماع هذه العلوم ، تتولد لديه الثقافة الواسعة والإلمام بقضايا أمته ومشاكل عصره ، وتكون لديه القدرة على استمالة المشاعر ، واستنهاض الهمم وذلك بالحجج الدامغة ، والبراهين الساطعة والأدلة القوية ، المتسلحة بحسن المنطق وسلامة التعبير وروعة الأداء² ، وهو ما يطلق عليه بالتكامل المعرفي القائم على ربط أي علم من العلوم بالمعارف والعلوم الأخرى ، ” ولأن علم الدعوة مرتبط بالعلوم الأخرى ارتباطا وثيقا كارتباط الرأس بالجسد ، فالعلوم المختلفة والمعارف المتنوعة ، هي روافد التعريف بالإسلام ، وشرح أحكامه ودعوة الناس إليه ، فهي وسيلة لأسمى غاية ، وأشرف عمل قال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾ فصلت / 33³ ، وذلك لأن الداعي إلى الله سبحانه وتعالى يجب أن يكون عالما عارفا ملما بالعلوم الأخرى التي تفيده في ميدان الدعوة . يطلع عليها ويسبر أغوارها ويقف على موضوعاتها لتتوسع مداركه ومعارفه ومن هذه العلوم ما يلي :

- علوم اللغة العربية : من العلوم اللازمة الربط بعلم الدعوة ؛ لأن اللغة العربية لغة القرآن التي نزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم ، ويرتبط بعلم اللغة العربية كل فروعها من علم النحو والصرف والبلاغة والمفردات وغيرها .
- علم أصول الفقه : يعرفه علماء الأصول من المالكية والحنفية والحنابلة بأنه القواعد التي يوصل البحث فيها إلى استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية ، أو هو العلم بهذه القواعد⁴ ، وهو كذلك من العلوم المهمة الواجب ربطها بعلم الدعوة لأنه يساعد الداعية على فهم النصوص الدينية وعلى استنباط الأحكام الشرعية والحكم عليها ، ومعرفة مراتب أدلة الشرع . لذلك لا غني للدعاة عن الوقوف على قواعده والتعرف على الأئمة والفقهاء الذين وضعوا أسسه كالإمام أبو حنيفة والشافعي رحمهم الله .

1 - محمد بن سعد بقنة الشهري، المرجع نفسه ، ص393.

2 - أصول الدعوة وطرقها، جامعة المدينة العالمية، ج 1، 2013م، ص25.

3 - أصول الدعوة وطرقها المرجع السابق ، ص23.

4 - وهبة الزحيلي، أصول الفقه ومدارس البحث فيه، ط1، دار المكتبي، دمشق، سوريا، 2000م 1428-هـ، ص09.

• علم آداب البحث والمناظرة : يعد من العلوم الوثيقة الصلة بعلم الدعوة ، فلقد خلق الله بني آدم متفاوتين في الفهم والذكاء ، مختلفين في اللهجات واللغات ، متميزين في الإدراك ، قال الله تعالى ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ الروم /22. وهذا الاختلاف يستلزم تنوع طرق الاقناع العقلي والتأثير القلبي ، لذا وضع علماء المسلمين قواعد البحث والمناظرة وآداب المحاور والمجادلة ، وقعدوا لها الأسس والضوابط ، وأنشؤا هذا العلم ، حيث تضمن الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها المتجادلون ، ويبنوا من خلاله الجدل المحمود والجدل المذموم ، والدعاة إلى الله في حاجة ضرورية للوقوف على قواعد هذا العلم لأنهم قد يتعرضون خلال دعوتهم لبعض القضايا ، ويواجهون بعض المناظرين ذووا التيارات العلمية والنزعات الإلحادية¹. الذين يمتلكون قدرة على الجدل والمناظرة من خلال الأدلة المؤصل لها تاريخيا عبر الاستشراق وغيره من العلوم.

• علم النفس : عرّف علم النفس على أنه الدراسات العلمية للسلوك ، وأنماط التفكير، وجوانب الشخصية ، من أجل التوصل إلى فهم ومعرفة سلوكيات البشر وتفسيرها، والتنبؤ بها من أجل التحكم فيها، وكما يعتبر من العلوم المهمة التي برزت في العصر الحديث ، حيث إنه كان علماً بسيطاً في القديم²، وهذا العلم لا يتنافى ولا يتعارض مع تعاليم الإسلام ، ومعرفة الداعية بهذا العلم تجعله أكثر وعياً بقضايا الأمة كما تمكنه من أن يتصدى لعلماء الغرب الذين يجنحون بهذه العلوم ويتحدون بها سنن الفطرة وهدي الوحي السماوي ، خاصة وأن الداعية في عصرنا هذا يصطدم كثيرا بالعلمانيين والتغريبيين الضليعين والمتمكنين في هذا الميدان.

• دراسة المواد العلمية والكونية : إن علم الكونيات وغيرها من العلوم التطبيقية لذو صلة وثيقة بعلم الدعوة ، وعلى الداعية أن يتعرف على الآيات التي تتناول سنن كونية أو ظاهرة فلكية ، لتكون من موضوعات دعوته ، يدعم بها حديثه ويوطد بها استدلالته³.

ومن العلوم المهمة الواجب ربطها بعلم الدعوة أيضا إجمالاً دون تفصيل ، علم العقيدة الإسلامية المتعلقة بالبحث في الأسماء والصفات والوجود والوحدانية ، وعلم الفقه المتعلق بالأحكام الشرعية ، وعلوم القرآن الكريم المتعلقة بالنزول والناسخ والمنسوخ ، وعلوم السنة النبوية المطهرة

1- أصول الدعوة وطرقها ، المرجع السابق ، ص30.

2- سمر حسن سليمان، مفهوم علم النفس وأهميته وأهدافه، تاريخ النشر 2016/08/25 ، 20 ، <http://mawdoo3.com/>، 2017/08/20م.

3- أصول الدعوة وطرقها ، المرجع نفسه ، ص36.

، وعلم التاريخ و المغازي الذي يهتم بأحداث الماضي الذي كتبه أبناء الأمة منذ نزول الوحي على سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فهذه العلوم الشريفة كلها عميقة الصلة بعلم الدعوة إلى الله تعالى ، كما وجب ربطها به ربطاً وثيقاً لأنها جوهرية تكوين عقلية الدعاة ، ويتحقق ذلك بالإطلاع على أمهات المصنفات في هذه العلوم .

2-2 استعمال الوسائل التقنية الحديثة في تدريس علم الدعوة :

إن الاستفادة بمستجدات العصر في الوسائل ، والأساليب وتكوين الدعاة وكيفية التعامل الأمثل مع الأفراد والجماعات من الضرورات الواجبة شرعاً في الإسلام ، لأن التنافس الفكري والتقاء الحضارات ، وظهور كل فريق بكل جديد يظهر ذاته ويحاول جذب الآخرين إليه ، مع تنوع الصور وتعدد المغريات يحتم الاستفادة بكل مخترع جديد في إطار المشروعية الإسلامية¹ . وهو ما يحتم استعمال التقنية والوسائل الحديثة في تدريس علم الدعوة وتلقيه وللتغلب على الصعوبات وللإطالة سنتحدث هنا عن أهمية التعليم الإلكتروني لطلاب علم الدعوة .

التعليم الإلكتروني ” وهو التعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكاته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة وآليات بحث ومكتبات إلكترونية ، وكذلك بوابات الأنترنت سواء كان عن بعد أو في الفصل الدراسي ، والتعليم الإلكتروني مفهوم تدخل فيه الكثير من التقنيات والأساليب² ويمكن إسقاط المواضيع التي يتناولها علم الدعوة على هذه الوسيلة ؛ من تاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها ، خاصة وأن المواد التعليمية المصاغة في برامج ومناهج علم الدعوة المذكورة سابقاً تتسم ” بغبلة الجانب النظري على الجانب التطبيقي الأمر الذي يجعل تحويل المحتوى التعليمي فيها إلى مواد تعليمية حديثة تتلاءم مع التعليم الإلكتروني أمراً يتسم بشيء من الصعوبة البالغة ، إضافة إلى ما يتعلق بهذا من حقوق الطبع و النشر³

ثم إن استعمال التعليم الإلكتروني في تدريس علم الدعوة يسهم في تدريب الدعاة ” على أسس الحوار والتحليل المنطقي والترتيب والتسلسل العلمي ، والاهتمام الفائق بثقافة الطالب وإطلاعه على مختلف المستجدات العلمية والاجتماعية كجزء من شروط خلق الأرضية السليمة للاجتهد والرأي السديد ، فضلاً عن تعليمهم أدب الحوار وقبول الآخر ، وعدم التعصب للرأي الشخصي أو

1- تاريخ الدعوة والدعاة، جامعة المدينة العالمية، 2009م، ص437

2- رقية طه العلواني، تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات باستخدام التعليم الإلكتروني ، مادة أحكام الأسرة نموذجاً، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة البحرين ص 1.

3- رقية طه العلواني، المرجع السابق، ص04.

المذهبي ، فطلاب التعليم الإلكتروني لا يقتصر دورهم على الوصول إلى المقررات فقط ، بل يتعدى إلى المشاركة والتعليق وإبداء الرأي في كل القضايا المطروحة ، وكذا زيادة المصادر العلمية للمواد الدراسية كما ونوعاً¹.

2-3 إعادة إنتاج المعرفة في علم الدعوة :

إن المقصود بإعادة إنتاج المعرفة في علم الدعوة لا يعني إحداث قطيعة معرفية مع الفكر التقليدي أو الموروث الديني والثقافي في مجال الدعوة إلى الله تعالى ، ثم إنشاء معرفة حديثة قائمة على العلم والعقل الحديثين ، كما هو معروف عند الغربيين والحدائثيين ، وإنما المقصود به هنا إنتاج معرفة دينية جديدة في قالب يناسب حاجات الفرد الاجتماعية والثقافية والتعليمية والدينية الإسلامية ، وفي صورة تساعد كل فرد على اتخاذ القرارات السليمة التي تلائمه .

كما يتم ذلك من خلال توجيه كل الدراسات والبحوث لتشخيص المشكلات التي تواجه علم الدعوة في العصر الحالي على مستوى كل العلوم التي هي موضوع علم الدعوة؛² بحيث يشمل موضوع علم الدعوة جميع المسائل العلمية والقواعد والأصول التي يتوصل بها الداعية إلى القيام بدعوته حق القيام ، وهي جميع ما يدرسه طالب علم الدعوة من موضوعات علمية ، أو مواد دراسية ليحصل ذلك العلم² يقوم بهذه الوظيفة المؤسسات الدعوية والوزارات المتخصصة في هذا المجال ومراكز وفرق البحث التي تكون البيئة الحاضنة والمناخ المناسب لإنتاج هذه المعرفة حيث ؛³ إن إنتاج المعرفة الحديثة ، إنتاج العلم والتكنولوجيا والعلوم الاجتماعية ، يحصل في إطار أو مجال مؤسسي محدد يتألف من "جماعات علمية" Scientific Communities مقامها الرئيسي في الجامعات ومراكز البحوث العلمية Research Centers وينمو وينضج في مناخ علمي تسوده حرية الفكر والقول ، ويؤتمن فيه الدعم المالي الكامل . أما استهلاك المعرفة استعمالها اجتماعياً فيتم من خلال أجهزة الدولة المختصة من ناحية ، وبواسطة المؤسسات والبنى المستقلة داخل المجتمع المدني من ناحية أخرى.³

ثم إن حيوية ونشاط إنتاج المعرفة في علم الدعوة يرتبط بشكل أساسي بوجود باحثين ومتخصصين في علم الدعوة وفروعها ، وهم النخبة من أساتذة الجامعات وطلبة الدراسات العليا الذين يمثلون القوة الضاربة والأكثر عدداً والأعلى كفاءة والأقرب وظيفياً في المجال الدعوي ،

1 - رقية طه العلواني ، المرجع نفسه، ص-ص 05-06.

2 - محمد أبو الفتوح البايانوني ، المرجع السابق، 35.

3 - هشام شرابي ، انشاء المعرفة العلمية واستهلاكها في المجتمع العربي المعاصر حقائق وآمال، تاريخ النشر 2000/04/25 م، aharchives.

alhayat.com، تاريخ التصفح: 2017/06/12 م.

فيقومون بإنشاء المعرفة ونشرها لدى الجيل الصاعد. كل ذلك من أجل مواجهة تحديات العصر. ومن مواضيع علم الدعوة التي ينبغي إعادة إنتاج المعرفة فيها مايلي :

1. مناهج الدعوة : وهو موضوع يتناول خطط الدعوة ونظمها المرسومة لها.
2. أساليب الدعوة: وهو موضوع يتناول بيان كيفية تطبيق مناهج الدعوة.
3. وسائل الدعوة: وهو موضوع يتناول دراسة ما يستخدمه الدعاة وما يحتاجون إليه في سبل دعوتهم
4. مشكلات الدعوة وعقباتها: وهو موضوع يقف بالداعية على المشكلات والعقبات التي تعترض طريق الدعوة وسبل معالجتها ، سواء كانت العقبات داخلية أو خارجية¹.

ومن هنا تظهر الحاجة إلى إعادة إنتاج المعرفة ، إذ أن لكل عصر وسائله وأهله وقضاياه ، التي تتميز عن شتى العصور، مما يستدعي آراءً وفتاوى تناسب زمانهم ومكانهم وحالهم ، حتى لا يحصل انفصام بين الشخصية وعصرها ، خصوصا مع المستجدات التي ظهرت فهي خير دليل على ضرورة اجتهاد المجددين لمسايرة روح العصر، وقضاياه ، وإيجاد موقع يلائم الشخصية المسلمة ، في خضم هذا الزخم من المتغيرات السريعة ، التي تطرأ على العالم ، ويقول ابن قيم الجوزية : " من أفتي الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل ، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم ، على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتاب واحد من كتب الطب"².

2-4 تجديد الدراسات الدعوية في ضوء الدراسات الحديثة :

يقصد بتجديد الدراسات الدعوية إعادة صقلها وصياغتها في إطار يناسب الزمان والمكان والجماعات القائمة عليها -الدعاة- والجماعات المتلقية لها- المدعوون- . حيث مما لا يختلف فيه اثنان هو أهمية التجديد في الحياة عموما ، وفي الدراسات الدعوية خصوصا في كل عصر ، لموازاة طبيعة الحياة والناس في كل فترة ، وهذا من منطلق حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها﴾³ ، لهذا نجد التاريخ الإسلامي يعج بصفحات المجددين ، الذين حفظ الله بهم دينه ، والمتأمل في الحديث يتبادر في ذهنه التغيير

1 - محمد أبو الفتح البيانوني، المرجع السابق ، ص-ص 35-36.

2 - منقول عن موقع عدلان عطية: تجديد الخطاب الدعوي في المرحلة القادمة، <http://www.alukah.net>، تاريخ التصفح : 2016/01/15م.

3 - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي: سنن أبي داود، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم 4291) د ط، المكتبة العصرية، بيروت، د ت ن ج، ص 109.

الذي يطرأ على الأمة وأحوالها بين كل فترة وأخرى، مما يستدعي وجود المجددين الذين يجددون ويدرسون المتغيرات، ويمحصونها فيأخذون كل ما يفيد الأمة وينقونها من كل درن طالح يقود إلى تحطيمها،” فالحديث تضمن في ثناياه الإشارة إلى ما يطرأ على حياة الناس بمرور الزمن في العصور المتعاقبة، مما يستدعي الحاجة إلى التجديد“¹.

وتجديد الدراسات الدعوية عموماً يكون بتكييفها مع الحياة الراهنة ومتطلبات العصر، حيث يشمل التجديد الوسائل الدعوة ومناهجها وأساليبها وغيرها مما يجوز فيه اجتهاد أئمة العلم الراسخين، والأمور المرتبطة بظروف متنوعة وأوضاع متعددة ومؤثرات مختلفة، في حين يجب الثبات على الأصول العقائدية والتشريعية والمعايير والقيم الأخلاقية التي دلت عليها النصوص الشرعية قرآناً وسنة.

فمتى كانت الدراسات الدعوية تلامس وتحاكي إنسان اليوم، وقتها فقط ستجد تفاعلاً، ومادامت الدراسات الدعوية السائدة اليوم لا تقوم بهذه المهمة، فهذا سبب كاف لإعادة تجديدها، لترجع الدعوة إلى الله فعالة كما كانت عليه في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ كانت تركز على حل مشاكل الناس ومحاكاة واقعهم ومناقشة قضايا عصرهم، لهذا لاقت نجاحاً ورواجاً نتج عنه الإنسان الواعي بأمتة وعصره آنذاك.

الخاتمة :

وفي ختام هذا البحث يجدر الإشارة إلى أهم ماتم التوصل إليه :

1. إن علم الدعوة هو قواعد وأصول يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس ثم تعليمهم إياه، ثم تطبيقه في واقع حياتهم وفق منهج محدد وفقه عميق بالدعوة وأصولها.
2. نشأ علم الدعوة نتيجة لمجموعة من الظروف والأزمات التي مرت بها الدولة الإسلامية، دفعت بالبعض إلى الإجهاد في النهوض بدعوتهم من خلال التقعيد لهذا العلم، معتمدين في ذلك على الكتاب والسنة .
3. إن لعلم الدعوة أهمية بالغة بالنسبة للداعي والدعوة في حد ذاتها، فهو يحصن الداعية بالعلم الكافي ويفتح ذهنه وينمي مداركه؛ كما يبين طريق الرسل في الدعوة ويؤصل لها بأنها رحمة للعالمين

1- محمد بن شاكر الشريف، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، ط1، مكتبة الملك فهد، دب ن، 2004م، ص15.

4. من أساليب تطوير تدريس علم الدعوة :

- أ. ربط علم الدعوة بالعلوم الأخرى باعتبارها روافد ينهل منها الداعية تزوده بالثقافة الواسعة والبراهين الساطعة والحجج الدامغة.
- ب. استعمال الوسائل التقنية الحديثة في تدريس علم الدعوة وذلك استفادة من مستجدات العصر، خاصة التعليم الإلكتروني بتقنياته وأسابيبه وما يتيح للمتعلم من تركيز على الأفكار المهمة، وزيادة في المصادر العلمية.
- ت. إعادة انتاج المعرفة من الأساليب المهمة في تطوير تدريس علم الدعوة، إذ به تنتج معرفة علمية في قالب يناسب حاجات الفردي يقوم على ذلك النخبة من أهل الإختصاص.
- ث. ينبغي تجديد الدراسات الدعوية في ضوء الدراسات الحديثة؛ من خلال إعادة صقلها وصياغتها في ايطار يناسب الزمان والمكان والجامعات القائمة عليها والمتلقين لها.

قائمة المراجع الخاصة:

1. أبو الفتح البايانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1995م.
2. أصول الدعوة وطرقها، دط، جامعة المدينة العالمية، دب ن، 2013م.
3. تاريخ الدعوة والدعاة، دط، جامعة المدينة العالمية، دب ن، 2009م
4. عطية محمد مصطفى شعبان، منهج الإسلام العلمي في دعوة الرسل، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، القاهرة، 1418هـ- 1997م
5. علي بن نايف الشحود، الخلاصة في فقه الدعوة، ط1، دار المعمر، ماليزيا، 1430هـ/2009م.
6. محمد بن شاكر الشريف، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، ط1، مكتبة الملك فهد، السعودية، 2004م.
7. محمد يسري، مبادئ علم أصول الدعوة، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1426هـ.
8. محمد بن سعد بقنة الشهراني، علم الدعوة إلى الله تعالى حقيقته وأهميته، -دراسة تأصيلية- رسالة مجستار- قسم الثقافة والدعوة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1433هـ/2012م.
9. رقية طه العلواني، تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات باستخدام التعليم الإلكتروني، مادة أحكام الأسرة نموذجاً، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة البحرين. <http://econf.uob.edu.bh>، تاريخ التصفح: 2017/06/12م
10. عدلان عطية: تجديد الخطاب الدعوي في المرحلة القادمة، <http://www.alukah.net>، 2016/01/15م.



(المدارس الشرعية ومعايير الجودة وسبل النهوض بها وتطويرها)



إبراهيم حسن علي بويطل*

*إبراهيم حسن علي بويطل

التحصيل العلمي : علوم القرآن والدراسات الاسلامية / جامعة القدس - ابو ديس / 2005
الوظيفة الحالية : مدرس المواد الشرعية في مدرسة ذكور البيرة الشرعية

المقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بالعلم والتعلم وجعلنا من أمة اقرأ، والصلاة والسلام على معلمنا الأول وأسوتنا وقائدنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد،،،

مشكلة البحث:

لم يزل التعليم في الدول العربية يعاني من غلبة الكم على الكيف ومن عجز فادح عن مواجهة متطلبات عصر جديد - أخص خصائصه ثورة المعلومات التي غيرت أساليب الإنتاج وأنماطه، ونظراً لأن عالمنا المعاصر يمتدج بالوان وأنواع عديدة ومعقدة من التحديات لتحسين نوعية التعليم، لذلك كان لزاماً علينا وضع فلسفة جديدة لتطوير التعليم تهدف إلى إدخال مفهوم الجودة الشاملة وإعادة النظر في النظام التعليمي برمته وتكييفه ليتوافق مع عصر المعلومات وذلك لعدة أسباب لعل من أهمها: التحديات العلمية والتكنولوجية والاقتصادية والطلب الاجتماعي المتزايد على التعليم، والحاجة إلى توظيف الموارد المتاحة وتحقيق التنمية المستدامة والتغير في نمط الحياة. ومن هنا بات الهدف الأكبر للنظم التعليمية ليس تقديم تعليم لكل مواطن بل التأكد على أن التعليم يجب أن يقدم بجودة عالية¹

” لذلك فقد بادرت دول كثيرة إلى تشكيل الفرق العلمية واللجان المتخصصة بعضها جاء بقرارات عليا أو بإشراف البرلمانات أو المجالس النيابية من أجل تشخيص كفاءة الأنظمة التعليمية ومدى قدرتها على إنتاج جيل من المؤهلين لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل، جيل قادر على استيعاب المتغيرات يملك من المعارف والمهارات والقدرات العقلية والذهنية والسلوك الحضاري والالتزام القيمي ما يجعله قادراً على الإنتاج والإضافة والنجاح في عالم التنافسية الدولية، وقادراً في الوقت نفسه على التعلم مدى الحياة والتكيف مع المتغيرات المرتبطة بالتقدم التكنولوجي والمتطلبات الإدارية والفنية المتجددة، وقادراً على المساهمة في رقي المجتمع والنهوض بأفراده من الناحية الدينية والثقافية والمهنية والسلوكية والأخلاقية“²

إن التعليم الذي تنشده الأمة اليوم هو الذي يجمع بين العلم والتكنولوجيا وحرارة الإيمان

1- 1 - ابراهيم محمد ابراهيم: ورقة عمل جودة التعليم في مواجهة التسرب والامية

htm.12/https://www.ecwronline.org/arabic/rep/2005

2- العيسى: أحمد ، إصلاح التعليم في السعودية بين غياب الرؤية السياسية وتوجس الثقافة الدينية وعجز الإدارة التربوية، دار الساقى

- بيروت، ط1، 2009م

والاستعداد لحمل وتبليغ رسالة الإسلام ضمن معايير تعبر عن عمق الانتماء والإخلاص والصدق والأمانة وهذا يشمل جميع عناصر المنظومة التعليمية.

لذلك جاء هذا البحث ليجيب على الأسئلة التالية :

1. ما معوقات التطوير؟
2. هل التطوير ضرورة ذو أهمية ؟
3. ما معايير جودة المدرسة الفعالة ؟
4. ما معايير جودة التعليم في المنظور الإسلامي ؟

أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق الأهداف التالية :

- الكشف عن معوقات التطوير
- بيان أهمية التطوير وضرورته
- بيان معايير جودة المدرسة الفعالة
- الكشف عن جودة التعليم في المنظور الإسلامي

أهمية البحث :

1. اقتراح تصور لتحسين النظام التعليمي ليتلاءم مع مفهوم إدارة الجودة الشاملة وذلك في ظل الثورة المعلوماتية والتكنولوجية .
2. إفادة صانعي القرارات على كيفية تحسين العملية التعليمية وتطبيق إدارة الجودة الشاملة .
3. اتساع قاعدة المستفيدين من البحث (الطلاب - المعلمين - مطورو المناهج - المخططون لتطوير التعليم - صانعو القرارات)

منهجية البحث :

اعتمد الباحث المنهج الوصفي الذي يعتمد على تحليل مفهوم الجودة الشاملة ومتطلبات ومعايير استخدامه في التعليم العام وفي المدارس الشرعية من خلال المنظور الإسلامي لجودة التعليم ووضع تصور مقترح لتحسين وتطوير مدخلات النظام التعليمي وذلك من أجل الحصول على أهم مخرج للنظام التعليمي وهم الطلاب 0

ولا يمكن أن يتحقق ذلك كله بدون قيادات مؤثرة على مستوى الإدارة العليا في المنظومة التعليمية وعلى مستوى المدارس في الوقت ذاته.

وعليه يأتي هذا البحث لترتسم معالمه ضمن فصول خمسة كما يلي:

الفصل الأول: معوقات في وجه التطوير

الفصل الثاني: هل التطوير ضرورة ذو أهمية؟

الفصل الثالث: معايير جودة المدرسة الفعالة

الفصل الرابع: معايير جودة التعليم في المنظور الإسلامي

الفصل الخامس: النتائج والتوصيات

ثم سرد أهم المصادر والمراجع

هذا فإن كان من توفيق فمن الله وكرمه ومنه على عبده الفقير، وإن كان من زلل فمني ومن الشيطان سائلاً المولى العفو والمغفرة والأوبة فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، والله غالب على أمره.

الفصل الأول

معوقات التطوير¹

التطوير والتغيير من سنن الله في الحياة، فهي في تغير وتطور متسارع، تطور في عالم المادة وتطور في عالم المعرفة وتطور في وسائل التواصل بين الأفراد والمجتمعات.

وفي ظل هذا التطور الهائل والسريع يأتي السؤال الذي يفرض نفسه اليوم:

هل يبقى التعليم الشرعي ومؤسساته كما هو في مناهجه وأدواته ووسائله؟

هل يبقى التعليم الشرعي الذي نشأ في ظل غياب وسائل الاتصال ومحركات البحث هو

الملائم اليوم؟

هل مخرجات التعليم التي نشأت في عصر بساطة التعاملات المالية والأوضاع السياسية

والاجتماعية قادرة على تقديم حلول ملائمة؟

1- الدويش: د. محمد عبد الله، كتاب الأمة، تطوير التعليم الشرعي حاجة أم ضرورة ص-33 ص64 بتصرف، دار الكتب القطرية- الدوحة، ط1، 2013م-1434هـ

فإذا كان التطوير بهذه الأهمية، وإذا كان التعليم الشرعي ومؤسساته بحاجة إلى التطوير، فلم يتردد المهتمون بشأنه في تطويره والارتقاء به رغم حرصهم عليه؟

إن حرص القائمين والمهتمين بشأن العلم الشرعي على نشره وعلى تقديمه بأفضل صورة أمر لا جدال فيه، وليس بحاجة إثبات، لكن ثمة عقبات ومعوقات تمنع هذا الشعور أن يتحول إلى واقع عملي ينتج عنه تطوير المنظومة التعليمية الشرعية، ومن هذه المعوقات والعقبات ما يلي:

المعوقات المالية: حيث إن التطوير يكلف أموالاً طائلة تنفق في النواحي التالية:

- إقامة المباني المدرسية المتطورة، التجهيزات، الكتب المدرسية وكتاب المعلم والكتيبات المصاحبة، المكتبات الشاملة، الأنشطة والخدمات، زيادة الرواتب والحوافز المادية للقائمين بالعملية التعليمية، البحث والتجريب، المعوقات المادية: وتشمل: المباني المدرسية، الأجهزة والمعدات والوسائل
- المعوقات البشرية: وتتركز فيما يلي:

- ندرة الخبراء والمتخصصين، الإدارة المدرسية، توفير الأعداد الكافية من المعلمين كماً ونوعاً، عوامل أخرى على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أولاً: عوامل سياسية وأجندة خارجية تحت مسمى محاربة الإرهاب والتطرف الإسلامي ما نشأ حالة من الجمود وإخماد أصوات كثير من المهتمين بشأن المدارس الشرعية والمناهج تريد العمل على النهوض والتطوير والتجديد.

ثانياً: ضعف التقويم العلمي لواقع التعليم الشرعي والمنهاج على وجه الخصوص، حتى إن المبادرات المتواضعة في تقويم المناهج لم تعد سوى حبراً على ورق وقد كنت شخصياً في ورشتين من هذه المبادرات والحوارات والنقاشات.

ثالثاً: الاستسلام للواقع المتمثل بالطريقة التقليدية السائدة، ويعبر عن ذلك خالد الصمدي وعبد الرحمن حللي بالقول: (... والناظر حتى في الأدبيات المؤطرة لطرق تدريس علوم الشريعة لا يجدها تخلو من الإشارة إلى نمط واحد تركز خطواته على قراءة النص وشرح مفاهيمه الرئيسية ثم استخراج مضمونه وتحليل عناصره ثم تقويم الفهم والحفظ بالاستظهار والأسئلة الشفوية المباشرة، ومعلوم أن مثل هذه الطريقة لا يمكن أن تخلق الدافعية للتعلم، كما لا تنمي مهارات وقدرات لدى المتعلم تمكنه من استثمار النص الشرعي المدروس في مواقف تعليمية خارج بيئة

1- الوكيل: حلمي أحمد، تطوير المناهج، ص210، دار الفكر العربي- القاهرة، ط1، 2005م-1425هـ.

الفصل الدراسي، ولا يستطيع نقل آثار هذا التعلم إلى سلوكه¹

رابعاً: قلة المقبلين على طلب العلم الشرعي ما يجعل القائمين على مؤسسات التعليم الشرعي الركود والجمود والتكاسل وأخذ جانب الإحباط بانعدام الفائدة المترتبة على منهجية التطوير المرجوة ومدى جدوى ضخ الأموال على ذلك.

1. ولعل هذا الضعف من قلة المقبلين يتمثل ضمن بعض التصورات الآتية:

2. الخوف من محاربة المنتسبين لهذا العلم الشرعي خاصة الاحتلال الصهيوني.

3. قلة فرص العمل لخريجي الشريعة.

انصراف كثير من المتميزين والنابهين والجادين والنابعة عن هذا النوع من العلوم نظراً لأن الفرص المرتبطة بسوق العمل أكثر في التخصصات العلمية المهنية والتطبيقية، وهي شكاوى كثير من القائمين على التعليم الشرعي ليس فقط في فلسطين وإنما في كثير من الدول الإسلامية والعربية، وإن كان هناك بعض حالات من التميز لدى بعض المتقدمين للتعليم الشرعي إلا أن ذلك استثناء يؤكد القاعدة ولا ينفیها، لهذا ترى أن ذوي العلامات المتدنية هي المستشيرة في حقول التخصصات الشرعية ما يوجد بيئة ضعيفة غير محفزة على تعلم فاعل أو فقدان التنافس الإيجابي المحفز للمتميزين رغم ندرتهم.²

4. ”لعل من سلبيات التعليم الشرعي المتخصص أنه لا يوفر للطالب فرص تغيير مساره المهني والوظيفي في المستقبل ما يقود الطالب إلى الكليات الشرعية والعلوم الإنسانية في الجامعات، بينما لا تمنحهم فرصاً واسعة في الكليات العلمية والطبية والهندسية والالكترونية والتكنولوجية بسبب ضعف تأهيلهم في العلوم الطبيعية واللغات والرياضيات.

ومعلوم أن قطاعات العمل الحديثة تتيح المجال لشغل الوظائف المرموقة -للأسف أنها تعتبر مرموقة وفق العرف والعادات والتقاليد والشريعة دونها - لأصحاب التأهيل الجيد في التخصصات العلمية، بينما لا يليق للمتخرجين من التخصصات الشرعية إلا ميدان التعليم ومجالات أخرى محدودة لا يمكنها استيعاب الأعداد الملتحقة بالتعليم الشرعي بكافة تخصصاته علاوة على قلة

1- الصمدي، خالد، وحلي، عبد الرحمن، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص75، دار الفكر - دمشق، 2007م، د.ط.

2- دويش، تطوير التعليم الشرعي حاجة أم ضرورة، ص120-121 بتصرف.

الرواتب رغم قلة الخريجين مقارنة مع غيرها من التخصصات.¹

خامساً: تضخيم المخرجات على أن التعليم الشرعي القائم خرج نماذج متميزة من أهل العلم، كما يصف ابن عاشور ذلك فيقول رحمه الله: ”ومن العجيب أن من يشعر بخلل الأحوال وخطر التزام المسير على النهج المتَّبَع، فيدعوه نصحه إلى إيقاظهم، يجد قبل كل شيء طوائف تنسبه إلى سوء المقصد وتناظره بأن هذا المنهج قد أوصل أسلافنا إلى أعلى مرتقى من النجاح وأنه أنجب أساطين للعلم طبقت شهرتهم الآفاق“²

”وهذا الاعتراض له وجاهته ولا يسوغ إهماله وتجاهله ولكن يمكن أن تسجل عليه الملاحظات الآتية:

• إن القول بالحاجة للتطوير لا ينفي وجود مخرجات إيجابية، فما المانع من شركة تجارية تحقق أرباحاً تصل إلى 10% تعمل على تطوير أدائها لتصل أرباحها 20%، فهل من المنطق الاعتراض على هذا التطوير؟! وكذا التعليم الشرعي لو تم تطويره ألا يمكن أن تكون مخرجاته أكثر تميزاً؟

• هل مخرجات التعليم الشرعي وصلت إلى قدر من الاكتفاء لا يمكن أن ترتقي إلى ما هو أفضل؟

• فوجود المخرج المتميز للتعليم الشرعي لا يعني بالضرورة غياب الحاجة إلى التطوير.³

سادساً: ومن المعوقات أيضاً كما يرى العيسى⁴ ثلاثة عوامل رئيسية:

1. مرتبط بالرؤية السياسية العليا للنظام التعليمي.
2. مرتبط بثقافة متجذرة في المجتمع تخاف من الجديد وتخشى التحديث وتشكك في نتائج الدراسات والتقارير التي تحذر من تدهور النظام التعليمي وتخلفه.
3. فهو مرتبط بعجز الجهاز الحكومي المركزي المشرف على النظام التعليمي عن إدارة عمليات الإصلاح بذكاء وإرادة ومرونة، وذلك بسبب ضخامته وبيروقراطيته، مما جعله غير قادر على خلق آليات التطوير والتجديد من الداخل، وكذلك في التعامل الذكي والإيجابي مع تأثيرات العاملين الأوليين الذين قد يعيقان مسيرة التطور والتحديث.

1- العيسى، مرجع سابق، ص-25 26 بتصرف.

2- ابن عاشور، الطاهر، أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي، ص104، دار سحنون ودار السلام للنشر- تونس، ط2، 1428هـ.

3- دويش، تطوير التعليم الشرعي، ص-40 41، بتصرف.

4- العيسى، مرجع سابق، ص-71 72.

الفصل الثاني

هل التطوير ضرورة ذو أهمية ؟

حين نتحدث عن تطوير التعليم الشرعي، فإن عدداً غير قليل من المهتمين بالتعليم الشرعي والمؤسسة برمتها يرون أن التطوير إنما هو جانب تحسيني، ولو ارتقت أهمية قليلاً فإنها ستقف عند مستوى الحاجة.

والحقيقة غير ذلك، لأن مجال التطوير المأمول والمنتظر ليس مجرد شكلية ووسائل فحسب، إنما هو جميع عناصر المنظومة التعليمية بما فيها الأهداف والمحتوى والطرق والأبنية إلى آخر مكونات التعليم وعملياته بما لا يغير الحقائق الشرعية أو يلبس الباطل ثوب الحق أو يتجاوز منهج أهل السنة وقواعدهم في الاستدلال.

كما أن عملية ومعايير التطوير المراد ليست مجرد إذهب الملل أو التشويق، إنما هي تتضمن توسيع دائرة المستهدفين بالتعليم الشرعي وتجاوز كثير مما يعوق الناس عن التعلم.

فالتطوير يراد منه ما يلي¹:

1. تجويد مخرجات التعليم الشرعي من الناحية النوعية والإسهام في تخريج عناصر قادرة على إنتاج المعرفة وتقديم الحلول للمشكلات المعاصرة.
2. بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة المتكاملة بما يتناسب مع أدوارها في المجتمع، وتتمثل هدي الإسلام وأخلاقهم وسمتهم وتعطي مرآة حسنة وصورة إيجابية عن أهل العلم.
3. تطوير القدرات الشخصية لخريجي التعليم الشرعي في التفكير والإقناع وإدارة الذات... الخ مما ينعكس على ثقافة طلبة العلم ونمط حياتهم وأسلوب إدارتهم لبرامجهم ومشروعاتهم.
4. تنمية الفاعلية الشخصية وزيادة القدرة على التأثير وتحسين أدوات التعامل مع مختلف المواقف السياسية والاجتماعية والفكرية... الخ.
5. يقول ابن عاشور: "... فالتعليم الصحيح إذن يرمي إلى إنشاء أرقى أصناف الناس من كل متمرس بالأشغال والأعمال أو رُزق المواهب الحسنة ورغب في سلوك خير السبل وشغف بالمعرفة وامتاز بحب الواجب والتعقل"².
6. إعادة بناء الثقة بين الناس والعلماء وبناء جسور القدوة، كما يؤكد ابن باديس في قوله: "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءؤهم... ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم..."

1- الدويش، مرجع سابق ص152-153، العيسى، مرجع سابق ص106-107

2- ابن عاشور، مرجع سابق ص17

ونعني بالتعليم: التعليم الذي يكون به المسلم عالماً من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويقتدون به فيه¹

7. إن التطوير يهدف إلى ضرورة الاهتمام والاعتناء بفكرة التكامل بين القيم والمعارف من جهة وبين علوم الدين وعلوم الدنيا من جهة أخرى.²

8. ”تدعيم الهوية الثقافية للمجتمع ومسايرة التطورات المعاصرة لتلبية متطلبات التنمية ومواجهة تحديات العولمة.

9. تعويد الطلبة على استخدام أسلوب التفكير العلمي والناقد وتنمية مهارات التفكير والاختيار بين البدائل ومواجهة المواقف والمشكلات واتخاذ القرارات والحلول المناسبة.

10. تنمية الثروات البشرية وبناء القدرات الذاتية في المجال العلم والتكنولوجيا ومهارات الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وفق منظور إسلامي.

11. تشجيع الطلاب على المشاركة والمناقشة وحرية التعبير والتعبير عن الذات بدل الطريقة التقليدية المبنية على التلقين والحفظ وحدها.

12. تشجيع الطلبة على الابتكار والبحث وإنتاج وتوليد المعرفة واستخدامها.

13. تشجيع الطلبة على اتخاذ القرارات الشخصية الفردية منها والجماعية .

14. تشجيع الطلبة على العمل الجماعي والتعاوني والتخطيط وتنفيذ وإدارة المشروعات الصغيرة والإنتاج.

15. تحقيق مستوى جودة متميز للطلاب المتخرجين من مراحل التعليم العام³.

من هنا فإن إصلاح مناهج علومنا الإسلامية وتطوير المدارس الشرعية اليوم هي الأمل الوحيد المتبقي لتمكين امتنا من استعادة عافيتها واستئناف دورها الريادي القيادي.

إذ بإصلاح هذه المناهج بكل منظومتها التعليمية والمؤسسية يمكن إعداد جيل قادر على تحقيق الآمال شريطة أن تستند على معايير شرعية وطريقة علمية رشيدة مدركة لأبعاد التحديات الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وقادرة على الارتقاء بها وتطويرها تطويراً يواكب العصر ويمكن النشء من التمثل لمقررات الدين الحنيف وقيمه الثابتة تمثلاً يجعله فاعلاً مشاركاً ومعتدلاً في سلوكه وتصرفاته بعيداً عن جميع أشكال التطرف والتزمت والتعنّت والإفراط

1- الدويش، مرجع سابق، ص154 بتصرف

2- سانو، أ.د. قطب مصطفى، كتاب الأمة: مناهج العلوم والمتغيرات العالمية، ص160، دار الكتب القطرية- الدوحة، ط1، 2014م-1435هـ

3- انظر: ملخص المؤتمر العلمي الأول لكلية التربية النوعية (تطوير مناهج التعليم) - جامعة المنصورة في الفترة 12-13 / إبريل/ 2006م، ص298.

والتفريط.¹

وحين نعي العلاقة بين مناهج التعلم وبيئته وبين صياغة الشخصية وبنائها ندرك أن تطوير التعليم الشرعي والمدارس الشرعية ضرورة وليس حاجة أو تكميلاً.

الفصل الثالث

معايير جودة المدرسة الفعالة

مفهوم المدرسة الفعالة:

”هي مدرسة تعلم الطلاب المهارات والمعارف الأساسية وتكسبهم الاتجاهات الإيجابية المتعلقة بالمواطنة، وتتعامل معهم دون تمييز، وتكفل لهم جميعاً فرص تعليمية متميزة ومتكافئة، وتنطلق من أن جميع التلاميذ يمكنهم أن يتعلموا كل ما يقدم لهم، والوصول إلى درجة الإتقان والتميز... وهي التي تهدف في كل أنشطتها التربوية إلى تحقيق مبدأ التعلم للتميز والتميز للجميع² قادرة على تحقيق الرؤية المستقبلية للتعليم في ضوء معايير الجودة الشاملة.

أما مصطلح معايير جودة المدرسة الفعالة فأفضل تعريف جامع أعتمده في هذا البحث ما ذهب إليه الدكتور الخميسي: ”بأنها جملة المواصفات والشروط المتفق عليها سلفاً من قبل الهيئات المعنية والمعبرة عن جودة وكفاءة مختلف عناصر المنظومة المدرسية بمدخلاتها (البشرية والرمزية والمادية) وعملياتها (تربوية، تعليمية، إشرافية، تقييمية، اجتماعية،... الخ) ومخرجاتها (معرفياً، مهارياً، ووجدانياً) وبيئتها (المادية والاجتماعية) بما يسمح بقياس مدى جودة المدرسة، وسبل تطوير هذه الجودة والارتقاء بمستواها³.

مكونات المدرسة الفعالة⁴

الأهداف	الطلاب	التقويم	الخدمات التربوية
الإدارة المدرسية	البرامج الأكاديمية	المناهج	مشاركة الآباء
المدرسون والأفراد العاملون	التمويل والإدارة المالية	المبنى المدرسي	المشاركة المجتمعية

1- سانو، مرجع سابق، ص 161

2- وزارة التربية والتعليم، المعايير القومية للتعليم في مصر، المجلد الأول، 2003م، ص17

3- الخميسي، أ.د. السيد سلامة، معايير جودة المدرسة الفعالة في ضوء منحى النظم (رؤية منهجية) ورقة عمل في اللقاء السنوي الرابع

عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن) - القويم (28- 29 ربيع الآخر 1428 هـ)، ص 6

4- <https://almasrawia.ahlmontada.com/download.forum?id=7>

مجالات ومعايير الجودة للمدرسة الفعالة

يتبنى الباحث منهجياً معايير الجودة للمدرسة الفعالة بشكل عام والتي اعتمدها مشروع إعداد المعايير القومية للتعليم في جمهورية مصر، وهذه الرؤية جاءت بعد استفاضة في البحث والقراءة والاستقصاء من خلال مواقع عدة ومراجع، فلم تخرج دائرة كثير من الباحثين والمؤتمرات والندوات عن هذه الوثيقة وهذه المعايير والمؤشرات سوى نظم الأسلوب ونسق التقنين، وهذا الاعتماد لهذه المعايير كما يرى الخميسي "عبارة عن جهد علمي عربي انطلق من طبيعة الواقع التربوي العربي وقد استفاد من الأدبيات والتجارب العالمية في هذا الشأن"¹، ولكني رأيت الاختصار بأقصى درجاتها بسرد المجالات والمعايير دون التطرق للمؤشرات رغم أهميتها والسبب يعود لقلّة صفحات البحث المعتمدة في هذا المؤتمر، ويمكن للجهات المعنية الاستزادة وذلك من خلال تحميل الملف لهذا المشروع الكبير من وثيقتين - رائعتين تستحقان التطبيق والتنفيذ - بالرجوع إلى الشبكة العنكبوتية (الانترنت)² وهذه المعايير يمكن دمجها مع معايير الجودة من منظور إسلامي والتي سأطرق إليها بشكل عام ومختصر أيضاً للسبب سالف الذكر في فصل تال بإذن الله .

خصائص المدرسة الفعالة:

المجال الأول: الرؤية والرسالة للمدرسة.

المجال الثاني: المناخ الاجتماعي للمدرسة

المجال الثالث: التنمية المهنية المستدامة.

المجال الرابع: مجتمع التعليم والتعلم.

المجال الخامس: توكيد الجودة والمساءلة.

المجال الأول: الرؤية والرسالة للمدرسة

المعيار (1): وجود وثيقة واضحة وصادقة تعبر عن رؤية ورسالة المدرسة .

المعيار (2): قدرة المدرسة على تحقيق متطلبات الكفاءة الداخلية في رؤية المدرسة ورسالتها.

المجال الثاني: المناخ الاجتماعي للمدرسة

المعيار (1): التنمية الخلقية لدعم وبناء معتقدات وقيم إيجابية .

1- الخميسي، مرجع سابق، ص 10.

2- للاستزادة انظر <downloadfile>https://hrdiscussion.com</downloadfile> وزارة التربية والتعليم، المعايير القومية للتعليم في مصر، المجلد الأول، 2003م، ص17

وانظر <files>https://kenanonline.com</files> وثيقة معايير ضمان الجودة والاعتماد لمؤسسات التعليم قبل الجامعي (وثيقة الثانوي العام) الإصدار الثالث 2010/2011م - 1431هـ - 1432هـ

وانظر، الخميسي، مرجع سابق ص-10 ص17

المعيار (2): الأنشطة المدرسية الداعمة للسلوك الإيجابي .

المعيار (3): التنظيم المدرسي الداعم لتحقيق الجودة .

المعيار (4): دعم تربوي يتيح فرص التعلم ويحقق التميز للجميع .

المعيار (5): تعاون الأسرة مع المدرسة .

المعيار (6): قيادة مدرسية فعالة .

المجال الثالث: التنمية المهنية المستدامة

المعيار (1): التقويم الذاتي المستمر للأداء المهني ..

المعيار (2): استثمار الفرص المتاحة للنمو المهني .

المعيار (3): التزام العاملين بأخلاقيات المهنة .

المجال الرابع: مجتمع التعليم والتعلم

المعيار (1): الرؤية التكاملية للمناهج والنشاط المدرسي لتحقيق مفاهيم مشتركة بين العاملين

والتلاميذ والمجتمع المحلي .

المعيار (2): الأخذ بمفهوم التقويم الحقيقي الأصيل .

المعيار (3): تمركز الأنشطة التعليمية حول التلميذ .

المعيار (4): استخدام تكنولوجيا التعليم والمعلومات في العملية التعليمية .

المجال الخامس: توكيد الجودة والمساءلة

المعيار (1): إدراك المدرسة لأهمية التقويم الشامل الذاتي والخارجي ومشاركة جميع العاملين

بالمدرسة والطلاب والمجتمع المحلي فيه .

المعيار (2): إدراك العاملين بالمدرسة لأهمية المحاسبية بما يحقق رؤية المدرسة ورسالتها .

المعيار (3): قيام المدرسة بعمليات جمع وتحليل البيانات للتخطيط والإعداد لبرامج التطوير

المدرسي .

وبعد عرض المجالات السابقة والعبرة عن خصائص المدرسة الفعالة، والمعايير الفعالة،

والمعايير التي يعبر واقعياً عن كل مجال فإنه تجدر الإشارة إلى أن هذه المعايير تبقى اجتهادات بشرية

وان كانت علمية وتربوية لكنها تبقى قابلة للنقد والتجديد والتطوير وحتى تلك اللحظة المرجوة

نحورؤية مستقبل أفضل وأمن للمنظومة التعليمية برمتها يبقى الأمل أن تعمل الجهات المسؤولة

بهذه المعايير أو على الأقل الاستفادة منها وأخذها بعين الاهتمام .

الفصل الرابع

معايير جودة التعليم في المنظور الإسلامي¹

بداية لا بد من العلم بأن القرآن الكريم والسنة النبوية قد حثا على طلب العلم والتعلم والتعليم فهو مقرون بالإيمان وفريضة وعبادة يؤجر عليها منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. قوله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)²
2. قوله تعالى: (هو الذين بعث في الأميين يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)³
3. قوله صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)⁴
4. قوله صلى الله عليه وسلم: (مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به ، كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه)⁵

أما محاور هذا الفصل فهي كما يلي:

أولاً: مفهوم جودة التعليم في الإسلام:

ارتبط مصطلح الجودة في الإسلام بمفردات ومفاهيم أخرى ذات علاقة ألا وهي الإحسان والإتقان، وبالإجمال يمكن القول بأن الجودة تعني: إجادة العمل، والإتقان درجة عالية في الجودة، والإحسان مرادف للإتقان غير أن الأخير أخص من حيث الدلالة لكونه يتضمن حذق الشيء والمهارة في أدائه وإحكامه، ويبقى الإحسان هو الأصل الذي ينبثق عنه فعل الصواب وجودة العمل وإتقانه بصفته قيمة روحانية إيمانية دافعة محفزة لكل عمل يحبه الله عز وجل ويرضاه.

1- وهنا أود أن أنوه للقارئ وكل من يريد الاستفادة والإبحار في هذا الفصل والاستزادة بإمكانه أن ينظر في دراسات وأبحاث ثلاثة هي: زاير أ.د. سعد علي و صبري، أم.د. داود عبد السلام، التأصيل القرآني لجودة التعليم، مجلة كلية التربية الأساسية-جامعة بابل، العدد-8/ تموز/2012م، ص-277 ص296

أبو دف، أ.د. محمود خليل، جودة التعليم في التصور الإسلامي: مفاهيم وتطبيقات، بحث مقدم لمؤتمر الجودة في التعليم العام الفلسطيني كمدخل للتميز المنعقد بتاريخ 30-31/10/2007م
شاهين، د. محمد، و شندي، د. إسماعيل، جودة التعليم من المنظور الإسلامي، ورقة علمية قدمت لمؤتمر " النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني"، جامعة القدس المفتوحة- رام الله الفترة 3-5/7/2004م

2- سورة المجادلة: آية 11

3- سورة الجمعة: آية 2

4- أخرجه ابن ماجه في سننه: رقم224

5- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، كتاب العلم والسنة والحديث النبوي، رقم2492، شركة النور- يربنالا/ فلسطين، ط1، 1425هـ- 2004م

وأما الجودة في التعليم مهما تنوعت تعريفاتها إلا أنها تضم ثلاثة جوانب أساسية:

1. جودة التصميم: وتعني تحديد المواصفات والخصائص التي ينبغي أن تراعى في التخطيط للعمل.
2. جودة الأداء: وتعني القيام بالأعمال وفق المعايير المحددة.
3. جودة المخرج: وتعني الحصول على منتج تعليمي وخدمات تعليمية وفق الخصائص والمواصفات المتوقعة.

وعليه فإن جودة التعليم من منظور إسلامي: عبارة عن ترجمة احتياجات وتوقعات المستفيدين من العملية التعليمية إلى مجموعة خصائص محددة تكون أساساً في تصميم الخدمات التعليمية وطريقة أداء العمل من أجل تلبية احتياجات وتوقعات المستفيدين وتحقيق مرضات الله عز وجل.

ومن خلال ما سبق يتضح ما يأتي:

1. أن مفهوم الجودة في التعليم ليس حديثاً، وإنما هو قديم ومسبق من خلال حث الإسلام على الإحسان في العمل قال تعالى: (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)¹، وإتقانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)².
2. تضمن مفهوم الجودة العملية التعليمية بكل عناصرها وتفصيلها في صورة مدخلات ومخرجات والغرض الأساس منها تحسين المنتج من خلال توفير الإمكانيات المتاحة وتوظيفها ضمن خطة مدروسة.
3. الحكم على جودة العمل والأداء يتم في ضوء معايير محددة.
4. ارتباط الجودة بمتطلبات سوق العمل واحتياجاته.
5. يتطلع الفرد المسلم - وهو يسعى إلى تحقيق الجودة العالية في المنتج التعليمي - إلى إرضاء الله عز وجل من خلال التزام ما أمر به وحث عليه ولا يتعارض هذا مع الاستجابة لاحتياجات وتوقعات سوق العمل وتحقيق الفائدة والنفعة للمسلمين، عملاً بالتوجيه النبوي الشريف: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس)³.

وفي ضوء ما سبق فإنه يمكن تعريف جودة التعليم بأنها: عملية تستهدف تحقيق منتج تعليمي عالي الجودة من خلال توفير المدخلات اللازمة والعمل على تحسينها بما يحقق الأهداف المنشودة وفق معايير محددة، ويكفل تلبية حاجات سوق العمل، ويكون الدافع الأساس لذلك كله هو

1- سورة البقرة: آية 195.

2- صححه الألباني، كتاب البيوع والكسب والزهد، رقم 1216.

3- صححه الألباني، كتاب الأدب والاستئذان، رقم 209.

الحرص على إرضاء الله عز وجل .

ومن الجدير ذكره في هذا المقام، أن تجويد التعليم وتحسينه بما يكفل تميز المنتج هي عملية طموحة ومستمرة لا تتوقف، ذلك أن الفرد المسلم مطلوب منه تسديد الأعمال بصورة دائمة يهبها الله عز وجل، ويتضح ذلك من خلال التوجيه النبوي الشريف: (سدودا وقاربوا)¹

ثانياً: محفزات جودة التعليم في التصور الإسلامي:

أ. الحث على العمل الصالح:

حث القرآن الكريم في كثير من آياته على العمل الصالح ومن ذلك قوله تعالى: ” وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا “⁽²⁾،

فالعمل الصالح في الإسلام يتصف بالشمول والتنوع وهو لا يقتصر على جلب الخير النافع وإنما يتعداه إلى محاربة الشر الضار، والعمل الصالح يحتاج إلى إعداد وتربية وتدريب على أدائه وتوفير مؤسساته .

والعمل الصالح كذلك ينبغي أن يكون أخلاقياً وناجحاً، فإذا كان أخلاقياً وغير ناجح لا يجلب منفعة ولا يدفع ضرراً وإذا كان ناجحاً وغير أخلاقي، فإنه يجلب ضرراً وإذا اجتمع الاثنان فيه كان عملاً نافعاً غير ضار.

ب. الحث على الإحسان في العمل:

إن شمولية المنهج الإسلامي وتغطيته لكل جوانب الحياة الإنسانية، واكبتها دعوة الإسلام الإنسان إلى الإحسان في كل عمل يقوم به وارتبط الجزء بالنسبة للإنسان بكيفية العمل والأداء ”إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا“⁽³⁾

ت. التأكيد على إتمام العمل وإكماله على أفضل وجه:

ولإخراج المنتج التعليمي على أتم وجه وأكمل صورة، لا بد من توافر منظومة من القيم الإسلامية لدى العاملين في حقل التعليم وهي بدورها باعثة ومشجعة على ذلك، ويمكن إجمال أبرزها فيما يأتي:

1. إخلاص العمل لله عز وجل:

1- الألباني: كتاب الطهارة والوضوء، رقم 2393.

2- سورة فصلت، آية: 33

3- (الكهف، آية: 7)

ومن ذلك قوله عز وجل: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ" (1)، وفي موضع آخر يرغب القرآن الكريم المؤمنين بإخلاص العمل لله عز وجل "فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" (2).

وبناءً عليه أضحت الحاجة ماسة، إلى إحياء مفهوم التعبد بالعلم في مؤسساتنا التعليمية بكل مراحلها، لأن غياب روح التضحية من أجل العلوم والمعارف، كان نتيجة انحسار روح التعبد بالعلم لخدمة عباد الله ودينه، وبذلك تحلف المسلمون اليوم في الناحية العلمية والتقنية .

2. التزام الأمانة في أداء الأعمال:

وصف الله عباده المؤمنين بقوله: "وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ" (3). واعتبر (ابن حجر) أن إتمام المعلم لعمله على أكمل وجه وأتم صورة من الأمانة العلمية .

3. استشعار المسؤولية تجاه الأعمال:

ومن الأمور التي يسأل عنها الإنسان يوم القيامة، العلم الذي يحمله، كما جاء في حديثه صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم؟" (4) د . توجيه المسلم إلى التماس العلم النافع:

ومقياس العلم النافع ليس ذلك الذي نراه في الفلسفة البرجماتية، مركزاً على الناحية المادية في الحياة، وإنما هو العلم الذي يصب في مصلحة الأمة وإقامة الدين، ويحذر المولى سبحانه وتعالى من ترك ما فيه خير والأخذ بالأدنى "قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ" (5) هـ . تدني نوعية التعليم المعاصر في بلاد المسلمين:

من قواعد المنهج الإسلامي في تربية العقل على الاهتمام بالكيف قبل الكم، فليست الكثرة بالضرورة دليلاً على القوة والأصالة وقد جاء في محكم التنزيل "كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" (6)

و . تشجيع الإسلام للتجديد والتطوير:

وقد جاء الاقتران في كتاب الله العزيز بين الإيمان والصلاح كما جاء في قوله تعالى: "فَمَنْ أَمَنَ

1 - (البينة، آية: 5)

2 - (الكهف، آية: 110)

3 - (المؤمنون، آية: 8)

4 - الألباني: كتاب الفتى وأشرط الساعة والبعث، رقم 2690

5 - (البقرة، آية: 61)

6 - (البقرة، آية: 249)

وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (1)

ثالثاً: معايير الجودة المتعلقة بالعملية التعليمية كما يراها علماء التربية المسلمون:

- أ. معايير جودة المحتوى: وتتلخص بما يلي:
 1. أن يؤدي المحتوى التعليمي إلى خشية الله عزوجل وليس مجرد حفظ المعلومات.
 2. أن يعزز كريمة الأخلاق مع إثراء المعلومات.
 3. تقديم الخبرات العملية المفيدة.
 4. احتواؤه للمادة العلمية الصحيحة والدقيقة.
 5. اشتماله على ما يمتع النفس ويدخل السرور إليها.
 6. مراعاة التدرج في المعلومات
- ب. معايير جودة المقرر الدراسي: وتتلخص بما يلي:
 1. احتواؤه على العلم النافع المفيد.
 2. الإيجاز ووضوح التعبير قدر الإمكان.
 3. الدقة في اختيار البراهين.
 4. دقة وصحة المعلومات المتضمنة في الكتاب.
 5. حسن الخط وجماله.
- ج. معايير جودة التحصيل: وتتلخص بما يلي:
 - د. معايير جودة طريقة التدريس: وتتلخص بما يلي:
 1. اعتمادها على التخطيط المحكم.
 2. تركيز المعلم حديثه على موضوع درسه وعدم الاستطراد في مواضيع جانبية من شأنها تشتيت انتباه التلاميذ.
 3. تهيئة المتعلمين للدرس.
 4. حسن الإلقاء.
 5. مراعاة الرفق بالمتعلم وعدم تحيله أكثر من طاقته.
 6. تأكيدها على استخدام الحواس.
 7. اعتمادها على الحوار.
 8. الاهتمام بالممارسة والتطبيق وعدم الإغراق في التعليم اللفظي.

1 - - (الأنعام، آية: 48)

9. يتيح الفرص للمتعلم لاستخدام أساليب المنهج العلمي .

10. التنوع في الأساليب بما يلائم الموقف التعليمي .

هـ. معايير جودة المذاكرة لدى المتعلم: وتتلخص بما يلي:

1. المواظبة المسبقة على الدروس

2. اغتنام الوقت الصالح للمطالعة

3. الانتباه والتركيز

4. التكرار الواعي لما تم حفظه .

و. معايير جودة المبنى الدراسي: وتتلخص بما يلي:

1. وجودها في مكان آمن وهادئ.

2. توافر الناحية الجمالية .

3. اكتمال المرافق الخدماتية اللازمة .

4. سعة المبنى

ز. معايير الجودة المتعلقة بإدارة الصف: وتتلخص بما يلي:

1. توافر الهدوء وقت الدرس

2. توافر المناخ النفسي والاجتماعي .

3. ممارسة الاتصال اللفظي وغير اللفظي .

4. مراعاة الدقة في إجابة الأسئلة .

5. إدارة وقت الدرس بكفاءة .

رابعاً: مقومات جودة التعليم وأليات ضمانها في التصور الإسلامي:

أ. الإعداد الجيد للمعلم قبل التصدر

ب. اختيار أصحاب الكفاءة وفق معايير محددة .

ج. استدامة النمو المهني لدى العاملين

د. التعاون والعمل بروح الفريق

هـ. التزام مبدأ الشورى وتبادل الرأي

و. استعمال التحفيز

ز. التقويم المستمر للأداء

ح. تفعيل جهاز الرقابة والمحاسبة

ط. الاستبقاء على الهمة العالية

الفصل الخامس

نتائج وتوصيات الدراسة

النتائج:

بناء على كل ما سبق نستطيع الاستنتاج بأنه لا بد من السبق والمصارعة إلى ميلاد وإحياء نظام تعليمي أكثر جدوى وفاعلية يليق بتاريخ الحضارة الإسلامية في ريادتها وقيادتها وانتسابها لخير البشرية سيدنا ومعلمنا وأسوتنا محمد صلى الله عليه وسلم، والتركيز في هذا التجديد والتطوير لمحور عملية التغيير المتمثلة في الطالب ليكون كما كان الرعيل الأول جيلاً متميزاً فريداً من نوعه من خلال تفاعله ومشاركته بصورة حيوية يحسن فيها التعامل مع التطورات التكنولوجية والمعلوماتية مسخرة في خدمة الأمة ونافعاً في بيئته ومجتمعهم كل ذلك وفق معايير الجودة الشاملة في التعليم أنفة الذكر.

التوصيات:

1. تشجيع المبادرة الذاتية لتجويد التعليم وتطويره، في مؤسساتنا التعليمية من منطلق الإحساس بالمسئولية والاعتماد في ذلك على التمويل الذاتي ما أمكن.
2. تعزيز القيم الإسلامية، المحفزة على تجويد العمل، إخلاص العمل لله عز وجل، الأمانة في أداء الأعمال، التفكير الناقد، التعاون من أجل الصالح العام.
3. إحياء مفهوم التعبد لله عز وجل بالعلم لدى المتعلمين والمعلمين في جميع مراحل التعليم.
4. زيادة الإنفاق على قطاع التعليم بكل مكوناته ومنظومته.
5. استعمال أساليب عملية في التدريس وعدم الإغراق في التعليم اللفظي.
6. تعزيز الانتماء إلى المؤسسات التعليمية والولاء الصادق لمهنة التعليم.
7. تدريب المعلمين على إجراء الأبحاث العلمية الميدانية لتقويم العملية التعليمية واكتشاف أوجه القصور فيها ومن ثم العمل على تطويرها وضبط جودة التعليم في المؤسسات التعليمية.
8. تدريب القيادات التعليمية في كل المواقع على مفاهيم إدارة الجودة الشاملة وأساليب تطبيقها وتشكيل فرق لضبط الجودة في المدارس والمعاهد والجامعات.
9. إعادة النظر في المقررات الدراسية، من خلال إجراء دراسات تقييمية لها وفق معايير علمية.
10. مراجعة برامج إعداد المعلمين والعمل على تحسينها بما يتلاءم مع طبيعة العصر

وتحديات الانفجار المعرفي والتقدم التكنولوجي الهائل .

11. معالجة ظاهرة الانطفاء لدى كثير من المعلمين والعمل على تحسين الأوضاع المعيشية لهم بما يكفل شحذ همهم.

12. تأكيد ضرورة توفير المناخ النفسي والاجتماعي في مؤسساتنا التعليمية والقائم على الحب والاحترام المتبادل والعلاقة الدافئة بين المعلمين والمتعلمين من جهة وبين الرؤساء والمرؤوسين من جهة أخرى.

13. اختيار العاملين الأكفاء في كافة المواقع التعليمية وفق معايير محددة تتضمن اختيار الأنسب والأصلح.

14. تعزيز ثقافة الحوار البناء وتبادل الرأي والمشورة بين العاملين في حقل التعليم.

15. التحفيز المستمر للعاملين المجددين والمتقنين لأعمالهم والحريصين على تطوير المؤسسة التعليمية.

المراجع الخاصة

1. ابراهيم محمد ابراهيم: ورقة عمل جودة التعليم في مواجهة التسرب والامية. <https://www.htm.12/ecwronline.org/arabic/rep/2005>
2. ابن عاشور، الطاهر، أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي، دار سحنون ودار السلام للنشر - تونس، ط2، 1428هـ
3. أبو دف، أ.د. محمود خليل، جودة التعليم في التصور الإسلامي: مفاهيم وتطبيقات، بحث مقدم لمؤتمر الجودة في التعليم العام الفلسطيني كمدخل للتميز المنعقد بتاريخ 30-31/10/2007م
4. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، شركة النور- بيرنابالا/فلسطين، ط1، 1425هـ- 2004م
5. الخميسي، أ.د. السيد سلامة، معايير جودة المدرسة الفعالة في ضوء منحى النظم (رؤية منهجية) ورقة عمل في اللقاء السنوي الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن) - القصيم (28-29 ربيع الآخر 1428 هـ)
6. الدويش: د. محمد عبد الله، كتاب الأمة، تطوير التعليم الشرعي حاجة أم ضرورة بتصرف، دار الكتب القطرية- الدوحة، ط1، 2013م-1434هـ
7. زاير أ.د. سعد علي و صبري، أ.م.د. داود عبد السلام، التأصيل القرآني لجودة التعليم، مجلة كلية التربية الأساسية-جامعة بابل، العدد/8 تموز/2012م
8. سانو، أ.د. قطب مصطفى، كتاب الأمة: مناهج العلوم والمتغيرات العالمية، دار الكتب القطرية- الدوحة، ط1، 2014م-1435هـ
9. شاهين، د. محمد، و شندي، د. إسماعيل، جودة التعليم من المنظور الإسلامي، ورقة علمية

- قدمت لمؤتمر ” النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني“، جامعة القدس المفتوحة- رام الله
الفترة 3-5/7/2004م
10. الصمدي، خالد، وحلبي، عبد الرحمن، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، دار الفكر-
دمشق، 2007م، د.ط.
11. العيسى: أحمد ، إصلاح التعليم في السعودية بين غياب الرؤية السياسية وتوجس الثقافة
الدينية وعجز الإدارة التربوية، دار الساقى - بيروت، ط1، 2009م
12. ملخص المؤتمر العلمي الأول لكلية التربية النوعية (تطوير مناهج التعليم) - جامعة
المنصورة في الفترة 12-13 / ابريل / 2006م
13. وثيقة معايير ضمان الجودة والاعتماد لمؤسسات التعليم قبل الجامعي (وثيقة الثانوي العام
(الإصدار الثالث 2011/2010م - 1431هـ/1432هـ <https://kenanonline.com>files>
14. وزارة التربية والتعليم، المعايير القومية للتعليم في مصر، 2003م. <https://hrdiscussion.com>downloadfile>
15. الوكيل: حلمي أحمد، تطوير المناهج، ص210، دار الفكر العربي- القاهرة، ط1، 2005م [https://
almasrawia.ahlamontada.com/download.forum?id=7](https://almasrawia.ahlamontada.com/download.forum?id=7)



العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة وأهميتها لطالب العلم الشرعي



إعداد الباحثة:
إسراء خضر لافق (غنيومات)*

*حاصلة على بكالوريوس في الهندسة الكهربائية- فرع حاسوب، وعضو في نقابة المهندسين الأردنيين، وحاصلة على ماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة. عملت في البحث والكتابة، في مجالات متعددة تتصل بالإعلام والعلوم الاجتماعية، وأعمال الأرشفة، وإنتاج الأفكار والحلول.

مدخل

تمثل العلوم الإنسانية والاجتماعية اليوم حقلاً واسعاً خصباً للدراسة والاستثمار في فهم الواقع والسلوك الإنساني، وسلوك المجتمعات، بمجالاتها المتنوعة كعلم الاجتماع وعلم الاجتماع السياسي وعلم النفس وعلم النفس السياسي والاجتماعي وعلم السلوك وغيرها، ولأن الدارسين والعاملين في مجال العلم الشرعي أكثر صلة مع المجتمعات والناس وطبائعهم المركبة، والحاجة للاحتكام إليهم في فهم شؤون دينهم؛ تغدو الحاجة ماسة لطالب العلم الشرعي لكي يعمل على فهم هذه العلوم، والتي تؤثر بدورها في تطوير الأداء، وزيادة مساحة الوعي، وإحسان توظيف الوسائل الحديثة في خدمة الوعي والتغيير القائم على القيم والمبادئ بما يحفظ المجتمع أمام كل التحديات التي تعترضه.

فما هي العلوم الإنسانية والاجتماعية؟ وما أهميتها في حياة المجتمعات؟ وكيف يمكن أن تفيد دارس العلم الشرعي؟

أولاً: تعريف العلوم الإنسانية والاجتماعية وصلتهما ببعضهما:

تشير التعريفات المختلفة إلى ارتباط هذا النوع من العلوم بالإنسان والمجتمع معاً، وبالعودة إلى قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية تُعرّف العلوم الإنسانية بأنها (نظم تختص بدراسة الحياة الإنسانية أو السلوك الإنساني أو التجربة الإنسانية على مستوى الأفراد والجماعات وتشمل الموسيقى والفن، ويمكنها معالجة مسائل خارجة على نطاق العلم مثل القضايا الميتافيزيقية والأخلاقية وتقابل العلوم الطبيعية)¹.

فيما عُرّف العلم الاجتماعي بأنه (الدراسة التي تهتم بالإنسان والمجتمع، يستعمل المصطلح للإشارة إلى تطبيق المناهج العلمية لدراسة مشكلة العلاقات الاجتماعية المعقدة وصور التنظيم التي تتيح للأفراد العيش معاً في المجتمع)².

ومعظم التعريفات تشير إلى أن العلوم الاجتماعية ترتبط بدراسة المجتمعات والعلاقات في داخلها، بدءاً من الفرد إلى سلوكه إلى المجتمع وعلاقته به وعلاقة الأفراد معاً، وصولاً إلى الحركات

1- د.مصلح الصالح، الشامل - قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، صفحة 261، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م

2- المصدر السابق، صفحة 506.

الاجتماعية، سواء في نطاق محدد أو نطاقات واسعة^{1 2 3 4}.

يمكن القول أن العلوم الإنسانية تختص في دراسة وتفسير السلوك والثقافة البشرية⁵، بينما تبحث العلوم الاجتماعية في العلاقة بين منشأ السلوك وتكونه وأثاره وعلاقته في الماضي والحاضر والمستقبل، كما يهتم المتخصصون في العلوم الاجتماعية (بتفسير السلوك البشري والحالات النفسية والتنبؤ بمسارها المستقبلي)⁶، فيما يهتم الإنسانيون (بفهم ردود أفعال البشر على الأحداث والوقائع والمعاني التي يسبغها البشر على خبراتهم باعتبارها دالة للثقافة والحقب التاريخية).

من العلوم التي تنتمي إلى العلوم الاجتماعية: علوم الإنسان، والاقتصاد، والجغرافيا، والقانون، والعلوم السياسية، والدراسات الإعلامية، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والعلاقات الدولية، والسياسة الاجتماعية، بينما تنتمي إلى العلوم الإنسانية⁷ كل من: اللغويات وتطور اللغة، والأدب، والتاريخ، والفلسفة، والأخلاق، والنقد، والفقه، ومقارنة الأديان، والفن، وغير ذلك مما اتصل بالنشاط الإنساني في العموم.

ثانياً: أهمية العلوم الإنسانية والاجتماعية في حياة المجتمعات وتنميتها وتطويرها:

لكل علم من العلوم منهجية وطريقة للاختبار والتحقق من الأسئلة البحثية المقصودة، إلا أن بعض العلوم تدرس ما تركز عليه بمعزل عن كل الظروف المحيطة ودون إيلاء السياقات التاريخية والثقافية والأخلاقية⁸ اهتماماً مؤثراً فيها؛ فيما العلوم الإنسانية والاجتماعية تُعنى بالبحث في العلاقات بين المصطلحات ذات الدلالات اللغوية⁹.

ولكل نوع من العلوم الإنسانية والاجتماعية أهمية لا يمكن عزلها عن بعضها وحيز البحث هو الإنسان والمجتمع، أما من كتبوا في أهمية هذه العلوم لم يجاوزوا ثلاثة أطر:

1- <https://campaignforsocialscience.org.uk/about-us/social-sciences>

2- <https://www.merriam-webster.com/dictionary/social%20science>

3- <http://www.learnersdictionary.com/definition/social%20science>

4- <http://www.dictionary.com/browse/social-science>

5- <http://what-are-the-humanities/12/http://4humanities.org/2014>

6- جيروم كيغان، ترجمة: د. صديق محمد جوهر، الثقافات الثلاث، صفحة 22، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1435هـ - 2014م

7- <https://www.units.miamioh.edu/technologyandhumanities/humanitiesdefinition.htm>

8- جيروم كيغان، مصدر سابق، صفحة 20، بتصرف.

9- جيروم كيغان، مصدر سابق، صفحة 20.

الأول: البحث في الماضي، والاستلهام منه ما يعين على فهم نشوء وتطور المجتمعات ومن قبلها الإنسان.

الثاني: إدارة الواقع (الحاضر) في محاولة لاستثمار خلاصات أمس، وتوظيف أدوات اليوم، وتقليص الفجوة الحضارية.

الثالث: الانشغال بالمستقبل، فتكون دراسة الماضي، وإدارة الحاضر لأجل تحقيق اقترباً أمثل مما قد يكون عليه المستقبل، سواء باستحداث أدوات جديدة أو توقع لتغير في السلوك الإنساني مرهوناً بتأثره بنشاطه ونشاط المجتمعات وما تحدّثه بقية العلوم، وهي من جهة أخرى محاولة لضبط الآثار الجانبية - إن وجدت - في إطار حماية المجتمعات، وحماية الإنسان نفسه.

وحيث تستخدم كل المجتمعات رموزاً خاصة بها سواء كانت رسوماً أو حروفاً أو قوانين أو مصطلحات، فهذا يجعل أهل العلم الواحد ضمن بوتقة واحدة، ويسهل التعرف إلى النوع من خلال الرمز أو الدلالة، وبما أن اللغة يملكها كل إنسان، فيمكن جعل العلوم الإنسانية أرضية مشتركة يلتقي عليها الجميع²، ومن هنا تعيننا على فهم الآخرين من خلال ثقافتهم وتاريخهم. تساعدنا دراسة العلوم الإنسانية على تحديد ما هو مهم في حياتنا الخاصة وكيف يمكن أن نجعلها أفضل، ومن خلال الاطلاع على الثقافات والمعارف تزودنا بالضابط لنقرر ما ينسجم مع تراثنا وتاريخنا في ضوء الإجابة على صوابيتها من عدمه، كما تساعدنا في مواجهة التحديات التي تعترضنا معاً على مستوى الأسرة والمجتمع والأمة³.

كما يمكن من خلال العلوم الإنسانية ممارسة أدوار نقدية مختلفة؛ بتنبيه المجتمع إلى متناقضاته التي يمارسها بقصد أو غير قصد، ورصد طرق التعبير عن الأمزجة والتيارات البارزة في المجتمع، وتقصي التغيرات التي تطال القضايا الثقافية؛ فقضية أمس ليست أولوية اليوم، وما يكون مهمّاً اليوم يغدو هامشياً غداً، وتسهم في مجابهة العضلات الأخلاقية في المجتمعات، إلى جانب توثيق الأحداث التي تتحكم في مصير البشر في حقبة تاريخية ما أو الأحداث التي توجه دفة الأمور في حياة الناس والمجتمع⁴، وما لا تصلحه مؤسسة؛ تصلحه كتب وروايات وفنون.

أما العلوم الاجتماعية⁵ فتساعد على استخدام أمثل للخيال في تصور ما قد يكون عليه

1- جيروم كيغان، مصدر سابق، الصفحات 22 - 34، بتصرف، وانظر: 136 - 138.

2- https://chass.ucr.edu/why_hass/WhyHumanities-Link.pdf

3- <https://www.units.miamioh.edu/technologyandhumanities/humanitiesdefinition.htm> بتصرف

4- جيروم كيغان، مصدر سابق، صفحة 288، بتصرف.

5- <https://campaignforsocialscience.org.uk/news/10-reasons-why-you-need-social-science>

المستقبل، إضافة إلى تحليل ونقد ما يجري؛ فهي وإن كانت تساعد في فهم عواقب وتطبيقات التقنيات الحديثة التي تؤثر على الطريقة التي نعيش بها؛ فإنها تقدم مجموعة من القضايا الأخلاقية والقانونية والاجتماعية، كمثّل: تقنية زراعة الأنايب.

كما لها أهمية في فهم الجوانب الاقتصادية والأزمات المختلفة، وموازنة القرارات المختلفة سواء الحكومية أو الفردية، ومحاولة التأثير فيها أو تغييرها، حتى يوضع الإنسان في السياق الصحيح ضمن وجوده في دائرة الكون في حلقة النشاط الإنساني وأثاره المختلفة.

وتسهم العلوم الاجتماعية في فهم أمثل من خلال تصميم الحلول الأنسب لما اتصل بالجوانب الصحية والرفاهية والأمنية، في البيت أو العمل أو المجتمع، وفي بعض الأحيان عند تحريك الإنسان إلى دور الفاعل والمبادر يصبح مساهمًا في إرساء ذلك، فهو ليس مادة بحث فقط، بل مشارك في التغيير والتحسين والتنمية والنهوض، وهو هدف تسعى إليه العلوم الاجتماعية لتغيير العالم نحو الأفضل، فيما اتصل أيضًا بالتعليم، وحقوق الإنسان، والسياسة، وغيرها.

أما على مستوى الفرد فإنها تسهم في توسيع آفاقه في مختلف القضايا مدار البحث في مجتمعه، والمجتمعات المحيطة به، وتؤثر على طريقة النظر للأشياء، وتقدم طرقًا جديدة لفهم الأشياء المحيطة، ولفهم ذات الإنسان لنفسه، فالتقنيات الحديثة ينشأ عنها سلوكيات حديثة تغني مباحث علم الاجتماع بأنواعه وبأشكال شتى، كما تنمي التفكير النقدي، وهذا النوع من العلوم يوجهنا إلى اختلاف طرق التفكير بين النظرة الشمولية أو الجزئية تجاه القضايا المختلفة للوصول إلى فهم أفضل أو حلول أنجع.

ثالثًا: حاجة طالب العلم الشرعي للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وماذا تضيف إليه:

تعرف علوم الشرع بأنها (ما يحتاجه الشخص في نفسه ومعاملته من فقه وأصوله وحديث وتفسير وعقائد وما تتوقف عليه كبحر ولغة وصرف وبيان ومعان)¹، فتتولى اللغة بيان المبهم والتوصيف الدقيق للمعنى الظاهر أو الملتبس، وتزود العلوم الشرعية دارسها بالمصادر والاهتمامات التي تبحث فيها وهي تشمل نواحي الحياة، وتختص أيضًا بالفرد والمجتمع صغر أو كبر، في عملية تنظيم شاملة كلية، وليس بالضرورة تفصيلية، فالتفصيل متروك لكل زمان ومكان بما يناسبه وهذا ما يبحثه الفقه وأصوله، وبهذا يزود العلم الشرعي صاحبه بملكة الفهم والتحليل والتصوير والنقد، وهي ملكات تتسع ما اتسع أفق الباحث وعلمه وثقافته.

1- محمد بن أحمد عيش، منح الجليل شرح مختصر الخليل، الجزء 3، صفحة 137، دار الفكر، بيروت، لبنان، بلا طبعة، 1409هـ -

ويشير ابن خلدون¹ في مقدمته إلى أن العلوم على صنفين: علوم حكيمية فلسفية والتي يهتدي الإنسان إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها بمداركه البشرية حتى يقف على الصواب من الخطأ فيها، ويسميتها أيضًا علومًا عقلية² غير مختصة بملة، بل تستوي كل الملل في مداركها مباحثها كعلم المنطق، والنظر في المحسوسات أو النفس، والعلم الإلهي، وعلوم المقادير كالهندسة والموسيقى وغيرها من علوم تُصنف اليوم وفقًا لمادة بحثها بين علوم إنسانية أو اجتماعية أو طبيعية، وعلوم³ نقلية يأخذها عمن وضعها ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، وهو هنا يشير إلى أهمية امتلاك الإنسان عقلية ذات نظرة كلية، تعي القياس وما اتصل بالعلم الشرعي من علوم كما سبق تعريفه.

وبالنظر إلى صنوف العلوم واشتباكها؛ فلا يمكن التعامل معها ككتل منفصلة، فلا بد من ترسيخ مبدأ تكامل المعرفة⁴ والذي يشكل أحد سمات المنهج المعرفي الإسلامي، لتزول الحواجز بين المعرفة الدينية والمعرفة الواقعية.

وفي سياق القيم والدين؛ يشير عبد الوهاب المسيري⁵ إلى عودة للاهتمام بالقيم والمنظومات الثقافية والمعرفية وعلاقتها بمناهج العلوم، وذلك بعد مرور زمان على تجريد العلوم الإنسانية والاجتماعية من دراستها مرتبطة بمنظوماتها المختلفة، وهذا أسهم في تنامي الإدراك بأن القيم تؤثر في إدراك الواقع، وتزوده بأدوات هامة في الفهم والتفسير، كما تنامي المد الديني، والذي جعل العديد من الباحثين يعيد النظر في الدين كمصدر للمعرفة العلمية ومنبع للمفاهيم النظرية، ودفع باتجاه ظهور فكرة أسلمة المعرفة.

بالنظر إلى ما سبق يمكن طرح سؤال: فيم يحتاج طالب العلم الشرعي العلوم الإنسانية والاجتماعية؟

كل نوع من العلوم يضيف جديدًا للإنسان، وباشتباك المعرفة تولد معارف جديدة، تسهم إما بترسيخ فكرة أو إنضاجها أو توسيع أفقها؛ فمثلًا دراسة التاريخ تزودنا بخلاصات التجارب، والعبر المستفادة، وتعين على إصدار الفتاوى وفقًا لما تصدره التجارب السابقة وما ينسجم مع توفر شروط تغيير الفتوى، ومن علماء المسلمين الذين جمعوا إلى علمهم الشرعي التاريخ: الطبري، وابن

1- عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: د. حامد الطاهر، مقدمة ابن خلدون، ص 524، بتصرف، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1425هـ - 2004م.

2- ابن خلدون، مصدر سابق، ص 592، بتصرف.

3- ابن خلدون، مصدر سابق، ص 525، بتصرف.

4- علي القرشي، الغرب ودراسة الآخر أفريقيًا نموذجًا، ص 137، بتصرف، كتاب الأمة، الإصدار 96، 1424هـ - 2003م.

5- عبد الوهاب المسيري، مقال العلوم الإنسانية والطبيعة البشرية، نشر على الجزيرة: 2006/04/27، بتصرف، goo.gl/RzuWRQ

كثير، وابن خلدون، ويقاس على ذلك ببقية العلوم.

وحتى يتمكن الفقيه وطالب العلم الشرعي من الفصل فيما يستجد في واقع حياته فهو بحاجة للمعرفة من خلال الوسائل المتاحة، خاصة وأن هذه المعارف لا تقف في شكلها وبنيتها، كعلوم السياسة والاقتصاد والإعلام، وكذلك فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية وما اتصل بالأسرة، مثلاً: كمسألة أطفال الأنابيب من آباء في سجون الاحتلال، قضية مدار خلاف يلزم في النظر إليها دراسة التكيف الشرعي من خلال معطيات متعددة ترتبط بطرفي القضية وأحوالهما وما تقتضيه المصلحة، فيما يدرأ عنهما وعن المجتمع المفسدة المحتملة، إلى غير ذلك مما يراعى في النظر إلى هذه القضية وغيرها، وبما يختلف معه الحكم باختلاف حكم السائل أو الحالة، وهذا مما جعل الشافعي صاحب فقه في مصر يختلف عنه في العراق.

ومن خلال العلوم الإنسانية والاجتماعية يمكن أن يحيط الطالب الشرعي بفهم أفضل لسلوكيات الناس ومنشأ ثقافتهم والمؤثرات المختلفة عليهم، وأيضاً اهتماماتهم المتغيرة وكيف يمكن أن تكون مدخلاً للتأثير عليهم للأفضل أو لتوجيههم، مما يجعل فرص التواصل مع الناس بكفاءة أعلى، بعيداً عن اعتبار أن دارس الشريعة إنسان منغلق غير مطلع، ولا يستطيع الحديث إلا في الحلال والحرام فقط، ويمكن النظر وتطوير ما جاء به ابن القيم، والغزالي، وابن الجوزي مثلاً. وهذا يندرج على فهم الحركات الاجتماعية أيضاً؛ المطلوبة منها والاحتجاجية والسياسية، وأسباب انبعاثها، وكيفية تشكيل موقف منها بالنظر لمآلات الأمور، وبالربط مع الظروف التي تتقاطع معها.

كلما زادت معارف الإنسان أمكنه التشبيك بينها بطريقة إبداعية؛ تخرج منه الجديد دوماً، وقادر على الفصل بين المعرفة كعلم والوسائل الناتجة عنه، وشكل توظيف هذه الوسائل، ومن ثم آثارها في المجتمع، هنا يأتي دور طالب العلم الشرعي في هذا ليس كمستهلك كبقية الناس، فهو دماغ ضابط، يملك التوجيه، لا المنع، والضبط لا الحرمان، ولو أنه انعزل عن الناس، وجعل ما وصلت إليه وسائل التواصل اليوم، يفقد مدخل هاماً في تحقيق الألفة مع الناس الذين يفضلون من يمس حاجاتهم، ويحدثهم بوسائل ولغة عصرهم، كمثل وسائل التواصل الاجتماعي، والهاتف الذكي، وغير ذلك من تقنيات حديثة.

تسهم العلوم الإنسانية والاجتماعية أيضاً مع اتساع الممارسة الفردية لطالب العلم الشرعي، وغنى التجارب، وتراكم الخبرات في رفع وعي العقل بإمكاناته ومشكلاته الخاصة، كما تزوده

بالحصول على رؤية كلية تحيط بالقضايا والموضوعات المختلفة¹.

إلى جانب ذلك يسهم النظر في العلوم المختلفة في امتلاك عقلية نقدية، لا تسلم لما يخضع للتجريب، والبحث، والتحليل، والاستنباط، مما يجعل أفق النظر واسعاً، ويفتح باباً للاجتهاد في الكثير مما اتصل بحياة أحاد الناس وجماعاتهم، وما اتصل بشكل تنمية المجتمعات وفقاً للتصور الكلي الذي يحفظ الضروريات الخمس، كما يحرر صاحبه من الانقياد لتصوراته المسبقة، مما يعني مزيداً من البحث، وقبول الأفكار للتمحيص والتحقق، بعيداً عن سلطان آراء الناس وأهوائهم، فيتحرر العقل ولا يستسلم لآفات التعميم والاختزال وغير ذلك من أوجه قصور التفكير.

إن النظر في مختلف العلوم انطلاقاً من معرفة إسلامية أصيلة يسهم في حماية المجتمع من الانحراف، والتحلل من القيم، ويرفع من اتصال الناس بخالقهم أولاً، ويعمق الثقة بالعلم وبإمكاناته في توفير حياة أفضل.

رابعاً: كيفية توظيف العلوم الإنسانية والاجتماعية من قبل طالب العلم الشرعي:

يمكن لطالب العلم الشرعي أن يفيد من مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية²، خاصة الأدوات المستخدمة في الحصول على البيانات وتحليلها، كالمقابلة والاستبيان، والتعامل مع الإحصاء، سواء كان يجري التعاطي معها يدوياً أو باستخدام برامج تقنية حديثة توفر تحليلاً شاملاً لكل ما يمكن الوصول إليه من بيانات، ووفقاً لما يُحدد لها من معايير، والتي تُعرض أخيراً في أشكال مختلفة تظهر الثوابت والمتغيرات؛ فيمكنه أن يستخدم ذلك في النظر لقضايا المجتمع إن أراد العمل على الإصلاح أو توفير معلومات دقيقة لاتخاذ إجراءات نحوها.

تتوفر بعض البيانات من خلال سجلات المحاكم الشرعية، ومن خلال مراكز كالجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، والذي يمكن أن يتسع ليشمل الكثير من التفاصيل، والتي بدورها يمكن أن تزود الطالب الشرعي بمعلومات وافرة حول مجتمعه، وإن أتقن عمليتي التحليل واستخلاص النتائج؛ يمكنه أن يستفيد من ذلك في عدة مجالات بدءاً من خطبة الجمعة، مروراً بالدراسات البحثية في الجامعات ودور الإفتاء، وليس انتهاءً بانسجام التوجهات الشرعية مع حاجات المجتمع وفرضها أو محاولة تحقيقها من خلال الحكومات والمؤسسات المختلفة.

1- عبد الكريم بكار، تشكيل عقلية إسلامية معاصرة، ص103، بتصرف، دار الأعلام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الرابعة، 1433هـ - 2012م.

2- أبو بكر أحمد باقادر، وآخرون، مدخل لتكوين طالب العلم في العلوم الإنسانية، ص108، بتصرف، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2013م.

بعض الممارسات الاجتماعية والقضايا الحديثة لا يمكن أن نجد لها بيانات موجزة ولكن تعتمد على الرصد والملاحظة؛ كقضايا الاتصال والتواصل وما ينشأ عنها؛ مثل: مواقع التواصل وعمليات الابتزاز، والإسقاط الأخلاقي والأمني، ولا يتأق النظر فيها من خلال حادثة واحدة وصلت إليه، ولا يمكنه من خلالها تعميمها على عموم المجتمع، كما لا يمكنه الاستهانة بها، فيلزمه التحقق والتقصي، بالتعاون مع مؤسسات تابعت هكذا نشاطات، إلى جانب التتبع والملاحظة، وتوسيع أفق التفكير في الممارسات المختلفة؛ فالناس لا تقبل فكرة قطع العلاقة مع وسيلة دون اختبارها، ولهذا محاولة ضبط وترشيد الممارسات لا تتأق دون اطلاع وممارسة وتحليل وتقييم ثم الخروج بموقف.

وأيضاً يستفيد من العلوم الاجتماعية في تحديد الأولويات فهل معدلات الطلاق في مجتمعنا مثلاً عالية أم طبيعية؟ فالإجابة على هذا السؤال لا تأتي من الملاحظة الشخصية التي ستتأثر بعوامل شخصية، بل يلجأ للإحصائيات ويقارنها مع سنوات سابقة أو بلدان أخرى، وبعدها يقرر إن كانت ظاهرة مقلقة يجب تحذير المجتمع منها أم بمستويات طبيعية وبالتالي يبحث عن أولويات أخرى.

النتائج:

تتقاطع العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الشرعية بمادة البحث بين الأفراد والمجتمعات، وبتأثير القيم الأخلاقية، والأبعاد التاريخية لسياقات البحث، وإن اختلفت في جوانب الاهتمامات الرئيسية في مادة البحث، وفي مصادر البحث، إلا أن العلوم الإنسانية والشرعية تتقاطع أيضاً بالمصادر من حيث شكلها في اعتماد النصوص مادتها، ويمكن أن يفيد كل أصحاب علم من مناهج البحث لدى العلم المقابل.

السؤال عن أهمية العلوم الإنسانية والاجتماعية لدارس العلم الشرعي، يصلح أن يُسأل بالعكس عن أهمية العلم الشرعي لدارسي العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذا علمنا حجم الملكات التي توفرها العلوم الشرعية لدارسيها إن تقاطعت مع القدرات الفردية العالية، فإذا أراد دارس العلم الشرعي فهمًا لواقعه أكبر واتصالاً به أعمق؛ فهو بحاجة لأن يمتلك فنون البيان جنباً إلى جنب مع التاريخ والنفوس والاجتماع والسياسة والاقتصاد، وسنن المجتمعات، وسنن الكون، وفهم حركة الحياة العامة وتأثيرها على النفس والسلوك والمجتمع.

والأهم هو امتلاك أدوات العصر، وإعادة إنتاج الدراسات وتجديد العلوم دون الوقوف عند ما

انتهت إليه، وإعادة النظر بالقضايا المختلفة من خلال الجمع بين مناهج العلوم يضعنا أمام عدة خيارات: فإما الخروج بذات النتيجة، أو تحسين النتيجة، أو الإتيان بنتيجة جديدة مختلفة عما سبقها، وهذا يخدم جهود التنمية والنهضة.

التوصيات:

حتى يستفاد من العلوم المختلفة فلا بد من إدراك حاجة كل علم للآخر، في تكاملية تسهم في رفعة المجتمع، وحتى يتحقق ذلك فلا بد من:

1. إطلاق أكاديمية بحثية تعنى بعلاج قضايا محددة مثلاً: مجتمعية وإعلامية، أو فكرية وسياسية، بروح تكاملية بين العلوم المشتركة.

2. توفير مكتبة إلكترونية جامعة لكل الدراسات التي تناولت البحث في العلاقات بين العلوم خاصة ما تناول الجوانب الشرعية من نواح اجتماعية وإنسانية أو العكس، والاستفادة منها في رصد الثغرات التي لم تعالج بعد، حتى تكون مرجعاً لمقترحات علمية للبحث.

3. تخصيص جائزة علمية في المجال البحثي أو الأدبي الذي يعالج قضايا أخلاقية واجتماعية أو فكرية أو نفسية على مستوى كليات الشريعة والعلوم الإنسانية، من خلال تشكيل فرق بحث علمي متعددة الهويات العلمية.

4. عقد مناظرات أو نشاطات بالاشتراك بين كليات الشريعة وكليات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهذه تخدم كسرا الحواجز النفسية بين طلبة الكليات قبل الحواجز العقلية.

5. بما أن الطلبة يتهيّبون عناوين (مناهج البحث) فيمكن إنتاج مواد فيلمية علمية أو كرتونية تبسط الحديث حول مناهج البحث العلمي لكل علم، ثم كيف يمكن أن يستفيد كل علم من منهج الآخر، أو ما يمكن أن نسميه برمجة، رسم تسلسلي يعين على بسط الطريق للباحثين والراغبين في تنمية الروح البحثية لديهم.

المراجع الخاصة:

1. أبو بكر أحمد باقادر، وآخرون، مدخل لتكوين طالب العلم في العلوم الإنسانية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2013م.
2. جيروم كيغان، ترجمة: د. صديق محمد جوهر، الثقافات الثلاث، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1435هـ - 2014م.
3. عبد الكريم بكار، تشكيل عقلية إسلامية معاصرة، دار الأعلام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الرابعة، 1433هـ - 2012م.
4. عبد علي القريشي، الغرب ودراسة الآخر أفريقيا نموذجاً، كتاب الأمة، الإصدار 96، 1424هـ - 2003م.
5. الوهاب المسيري، مقال العلوم الإنسانية والطبيعة البشرية، نشر على موقع الجزيرة: 2006/04/27.



توظيف المنهج الاستقرائي في تدريس الفقه الإسلامي في كليات الشريعة



إعداد: د. إياد عبد الله سليمان جبور*

* يحمل درجة الدكتوراه في الفقه الإسلامي وأصوله، وباحث في فقه المصارف الإسلامية، يعمل أستاذا مساعدا في كلية الدعوة الإسلامية / قلقيلية، وشغل رئيسا لقسم التربية الدينية في مركز المناهج الفلسطيني، وخبير في بناء المناهج للتعليم الشرعي والتعليم العام، منسق الفريق الوطني لإعداد الخطوط العريضة لمناهج التعليم الشرعي، وللمناهج التربية الإسلامية في فلسطين، وهو منسق ومؤلف في كتب التعليم الشرعي والتعليم العام، وله اسهامات في ميدان اللغة تأليفا، وتحريرا.

تقديم

الحمد لله رب العالمين، خالق الإنسان، ومعلمه البيان، والصلاة والسلام على نبي الأمة
ورسول الرحمة محمد معلّم الخير، وعلى من تبعه بإحسان، وبعد

يعدّ الفقه الإسلامي ثمرة فهم الوحي السماوي بأصليه القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد
تعدّدت المدارس الفقهية، وتنوعت المذاهب، فكان من نتاج ذلك تعدّد الآراء في المسائل الفرعية.
والاختلاف الفقهي في مسائل الفروع سمة من سمات المرونة في الفقه الإسلامي، وفيه دلالة
على احترام الإسلام للعقل البشري، ففي تنوع النصوص الشرعية من حيث قطعيتها ثبوتها،
ودلالاتها، وظنيتها ميدان رحب للمجتهد؛ ولأنّ طلاب العلم الشرعي بشكل عام، والمتخصصين
منهم في الفقه الإسلامي بشكل خاص تصدّوا لتعلّم أصوله وفروعه، كان من الأهمية بمكان أن
يحرص القائمون على كليات الشريعة على تطوير أدوات العلم، وأساليبه، ووسائله بما يسهم في
تحسين مستوى طلاب العلم الشرعي، والرقى بمستوى استيعابهم لأصول الفقه وفروعه، وفي هذا
السياق جاءت هذه الورقة البحثية؛ لتسلّط الضوء على الاستقراء كواحد من أهم الموضوعات في
الاستدلال الفقهي، والذي أولاه الأصوليون اهتماماً بالغاً في استنباط القواعد الأصولية، والفقهية،
والأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية، مركزاً على الجانب العملي في الموضوع والمتمثّل في
توظيف الاستقراء كمنهج تدريسي لطلبة الفقه الإسلامي في كليات الشريعة.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من موضوعه المرتكز إلى توظيف الطريقة الاستقرائية في تدريس الفقه،
كواحدة من أهم مسالك الاستدلال التي اعتمدها جمهور الأصوليين، والفقهاء في استنباط
الأحكام الشرعية، ما يربط الطالب بأصول العلم، وينمي فيه ملكة الاستدلال، والمعالجة،
ويطوّر قدرته على التأميل، ويعينه على ربط الفروع بالأصول.

مشكلة البحث:

ثمة تفاوت في استخدام طرق التدريس، وتنوعها بين من يتصدّون لتعليم الفقه في كليات
الشريعة، ولا شك أن في التنوع إفادة بليغة بكسر النمطية في إيصال المعرفة، وارتباطا بسياق
الحالة ثمة تفاوت في اكتساب طلبة الفقه الإسلامي لمهارات الاستدلال، بل ضعف في اكتساب
القدرة على مناقشة الآراء الفقهية، والموازنة بينها، وترجيح بعضها على بعض، ما يطرح تساؤلاً:
هل في توظيف الطريقة الاستقرائية حلٌّ لمثل هذه الإشكالية؟ وهل سيسهم المنهج الاستقرائي في
تطوير قدرات الطلاب على الاستدلال، ومناقشة الآراء، والتأميل لمسائل الفقه؟

أهداف البحث:

- يهدف البحث في توظيف المنهج الاستقرائي في التدريس إلى ما يأتي:
- تسليط الضوء على الاستقراء كمسلك من مسالك الاستدلال عند الأصوليين الفقهاء.
- عرض نماذج من الأحكام والمسائل، التي عالجها الفقهاء واستنبطوا أحكامها بالاستقراء.
- طرح فوائد المنهج الاستقرائي في التدريس، ومحاسنه.
- عرض مجالات الاستفادة من المنهج الاستقرائي في التدريس.
- تسليط الضوء على محاذير توظيف المنهج الاستقرائي في التدريس، وكيفية تجاوزها.
- تصميم بعض النماذج الإيضاحية التوظيفية للاستقراء.
- عرض النتائج، والتوصيات التي توصل إليها الباحث للإفادة منها في تطوير التعليم الشرعي في كليات الشريعة.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي في عرض عناصر البحث وبيانها، والربط بين المقدمات والنتائج، وطرح المشكلات وتصور الحلول، واعتمد على أسلوب النَمْذجة في إيضاح بعض الجوانب التطبيقية في الموضوع محلّ البحث.

ويبقى البحث في الاستقراء موضوعاً قديماً جديداً، فقد كثرت الحديث عنه في كتب الأصول والمقاصد، واهتمت بعض الدراسات الحديثة بموضوع أساليب التدريس ومناهجه¹، وفيما يتعلّق بالاستقراء فقد غلب على الدراسات النمط التعميمي المجرد، والذي تمثّل ببيان الاستقراء كمسلك من مسالك الاستدلال، ويتميّز هذا البحث بالتركيز على الجوانب التوظيفية التطبيقية للاستقراء في التدريس.

وقد قسّم الباحث موضوع بحثه في أربعة مباحث:

1 - من ذلك: رسالة دكتوراة: الزهر، محمد أيمن، الاستقراء ومجالاته في العلوم الشرعية، إشراف الدكتور حمزة حمزة، قسم الفقه وأصوله/ كلية الشريعة - جامعة دمشق، 2013م. ودراسة أخرى تطرقت لمناهج التدريس بشكل عام: صادقي، مصطفى، منهج تدريس الفقه دراسة تاريخية تربوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فرجينيا/ الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1433هـ- 2012م، 50-54. رستم، محمد بن زين العابدين، دور الكليات الشرعية في إعداد المفتي والباحث المتميّز في القضايا الفقهية المعاصرة، كلية الآداب بني ملال المغرب، بحث محكّم حمل بتاريخ 2017/6/7م عن الرابط:

<http://www.csi.qu.edu.sa/Collegevents/m-fatwa/researches/Documents>

المبحث الأول: الاستقراء مفهومه، ومشروعيته.

المبحث الثاني: المنهج الاستقرائي مجالاته، وخطواته.

المبحث الثالث: فوائد المنهج الاستقرائي، ومحاذيره، وعلاجها.

المبحث الرابع: أمثلة تطبيقية، ونماذج إيضاحية.

ثم كانت خاتمة البحث مجموعة من النتائج والتوصيات، قدّمها الباحث في حدود ما خلص إليه بحثه.

المبحث الأول: الاستقراء مفهومه، ومشروعيته:

المطلب الأول: تعريف المنهج الاستقرائي:

مركبٌ من مفردتين: المنهج، والاستقرائي، فالمنهج في اللغة الطريق الواضح¹، والاستقراء تتبع الجزئيات².

أما في اصطلاح أهل التخصص فالتعريفات للمنهج كثيرة ومتنوعة، تتوافق وتختلف وفق ما يريده الباحث في بحثه³، والتعريف للمنهج محلّ البحث كما يراه الباحث: الطريق الذي يسلكه العالم للوصول للحقائق⁴.

وأما الاستقراء، فتعريفات الأصوليين له لم تختلف في مضمونها، بل ربما تكون متوافقة في صياغتها البنوية في كثير من الأحيان، ويستخلص من تعريفاتهم أن الاستقراء: تتبع الجزئيات للوصول إلى حكم كلي⁵. وبذلك يمكن تعريف المنهج الاستقرائي بالطريق الذي يسلكه العلماء في تتبع الجزئيات للوصول إلى حكم كلي يمثّل الحقيقة المبحوث عنها.

وقد يكون الحكم المستنبط بالاستقراء قطعياً، أو ظنياً، بناء على نوع الاستقراء المستند إليه،

1- أنيس، إبراهيم وزملاؤه، المعجم الوسيط، ط2، دت، ج2، 957.

2- المعجم الوسيط، ج2، 722.

3- للاطلاع على تعريفات أخرى أنظر: صادقي، مصطفى، منهج تدريس الفقه دراسة تاريخية تربوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فرجينيا/الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1433هـ- 2012م، 54-50.

4- صادقي، مصطفى، منهج تدريس الفقه، 50.

5- لأمدى، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، غاية المرام في علم الكلام، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، دت، 45، 46. القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، الذخيرة، (المتوفى: 684هـ)، تحقيق محمد حجّبي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1994م، ج1، 151. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م، 41. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي- عمان، ط1، 1414هـ - 1994م، ج8، 6.

فإذا كان الاستقراء تاما، بمعنى تتبع الجزئيات المرتبطة به جميعها، كان ما خلص إليه الأصولي، أو الفقيه قطعيا، بشرط أن يشمل الاستقراء الجزئيات جميعها، ويكون ثبوت الحكم للجزئيات المستقرأة قطعيا¹، فإذا لم يتحقق ذلك وكان تتبع مجموعة من الجزئيات المرتبطة بالحكم، كان الاستقراء ناقصا، والحكم ظنيا، وهذا ما يطلق عليه الاستقراء التعليلي².

المطلب الثاني: مشروعية الاستقراء:

من القرآن الكريم: قوله تعالى: **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ³**

بمعنى ألم يتتبعوا أحواله 4 منذ نشأته إلى أن بلغ من العمر أربعين، فيعرفوا من جزئيات حياته أنه ليس بمجنون، وقوله تعالى: **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ⁵**

بمعنى أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الأشياء طفلا صغيرا، ثم غلاما يافعا، ثم رجلا مجتمعا، ثم كهلا، ثم هو يعيده من بعد فنائه وبلاه، كما بدأه أول مرة؟⁶

وقوله تعالى: **وَكَلَّا نَقْصُصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ⁷**، أي أنك وقومك تخضعون لسنن خضعت لها رسل سابقون وأقوامهم، فاعتبروا بذلك⁸.

من السنّة النبوية: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: **”لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك، فلا يضرّ أولادهم“⁹**.

- 1- . التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مراجعة الدكتور رفيق العجم، بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1996م، ج1، 172، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، متن جمع الجوامع مع شرح الجلال المحلي وحاشية البناني وتقرير الشربيني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ- 1998م، ج2، 533. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان-مصر، ط1، 1417هـ/ 1997م، ج1، 19.
- 2- . الغزالي، المستصفى، ج1، 55. الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، دار الكتب العلمية -بيروت، ط1، 1420هـ- 1999م، 362. ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج4، 419.
- 3- . الأعراف، 184.
- 4- . الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبة للثقافة الإسلامية - جدة، د.ت، ج1، 429.
- 5- . العنكبوت، 20.
- 6- . الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000م، ج20، 20.
- 7- . سورة هود، 120.
- 8- . د. نعمان جفيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، دار النفائس - الأردن، ط1، 1435هـ/ 2014م، 231.
- 9- . مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، حديث رقم 1442، باب جواز الغلة، ج2، 1066.

والغيلة أن يجامع الرجل زوجته وهي ترضع، ومن معانيها أن ترضع المرأة طفلها وهي حامل، وكانوا يعتقدون أن ذلك يضر الولد¹، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يحكم بمنع الغيلة؛ ثبتت عدم الضرر بتتبع أحوال الروم وفارس وما اشتهر من أحوالهم في مس النساء غيلة دون أن يضر ذلك أولادهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَوْ كَانَ ذَلِكَ ضَارًّا صَرَّ فَارِسَ وَالرُّومَ"².

المطلب الثالث: حجية الاستقراء:

اتفقت كلمة الفقهاء، واختلفت في حجية الاستقراء بناء على نوعه، فالاستقراء عندهم نوعان:

الأول - الاستقراء التام: وهو إثبات الحكم الكلي لثبوته في جميع الجزئيات.

ويمكن التمثيل له بالطهارة في الصلاة، فهي شرط بلا خلاف، فقد ثبت بالاستقراء التام، وتتبع الصلوات فرضها ونفلها، فوجد أنها لا تصح بغير طهارة، فكان الحكم قطعياً باشتراط الطهارة في الصلاة³.

الثاني - الاستقراء الناقص: وهو إثبات الحكم الكلي لثبوته في بعض جزئياته.

وأمثلته في فروع الفقه كثيرة منها: الخلاف في أقل مدة للحيض وأكثرها، وأكثر مدة الحمل وأقلها.

وقد اختلف العلماء في حجية الاستقراء الناقص، ومحل النزاع بين الفريقين قائم على اختلافهم في إفادته للظن، أو الشك، والفريق الأول ذهب إلى أن دلالة الاستقراء الناقص ظنية، وقالوا بحجيته في الاستدلال، لأن الظن يستند إليه في الحكم، وغالبية الأحكام تقوم على غلبة الظن، وقد أخذ بهذا الرأي جمهور الأصوليين من المذاهب الأربعة⁴.

الفريق الثاني: ذهب إلى القول باحتمالية إفادته للشك، فتردد قولهم في رفضه مطلقاً، أو قبوله مطلقاً، والمتتبع لأقوالهم في المسألة يلخصها بجملة واحدة: إن الاستقراء الناقص حجة إذا أفاد الظن، ولا يعتد به في الاحتجاج إذا أفاد الشك، وقد نسب هذا الرأي للحنفية، والرازي من

1 - النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2، 1392م، ج10، 16.

2 - النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج10، 17.

3 - الشاطبي، الموافقات، ج1، 413، 2، 513. ج8، 6. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتب، ط1، 1414هـ - 1994م، ج6، 8.

4 - ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1423هـ - 2002م، ج1، 95. ابن مفلح، أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أصول الفقه، تحقيق: د. فهد بن محمد السدحان، مكتبة العبيكان، ط1، 1420هـ / 1999م، ج4، 1449.

الشافعية، وبعض الحنابلة¹، وابن حزم الظاهري².

يقول ابن حزم: "فمن ذلك شيء سماه الاوائل "الاستقراء" وسماه أهل ملتنا "القياس" فنقول وبالله تعالى التوفيق: إن معنى هذا اللفظ هو أن تَتَّبَعَ بفكرك أشياء موجودة يجمعها نوع واحد، وجنس واحد، ويحكم فيها بحكم واحد، فتجد في كل شيء من أشخاص ذلك النوع، أو في كل نوع من أنواع ذلك الجنس صفة قد لازمت كل شخص مما تحت النوع، أو في كل نوع تحت الجنس أو في كل واحد من المحكوم فيهم، إلا أنه ليس وجود تلك الصفة مما يقتضي العقل وجودها في كل ما وجدت فيه، ولا تقتضيه طبيعة أن تكون تلك الصفة فيه ولا بد، بل قد يتوهم وجود شيء من ذلك"³

ويقول الفخر الرازي: "الاستقراء المظنون هو إثبات الحكم في كل ثبوته في بعض جزئياته مثاله: قول أصحابنا في الوتر: إنه ليس بواجب؛ لأنه يُؤدى على الراحلة، ولا شئ من الواجب يؤدي على الراحلة، أما المقدمة الأولى فثابتة بالإجماع، وأما الثانية فنثبتها بالاستقراء، وهو أننا رأينا القضاء، وسائر أصناف الواجبات لا تؤدي على الراحلة، حَكَمْنَا على كل واجب بأنه لا يؤدي على الراحلة، وهذا النوع لا يفيد اليقين؛ لأنه يحتمل أن يكون الوتر واجبا بخلاف سائر الواجبات في هذا الحكم، ولا يمتنع عقلا أن يكون بعض أنواع الجنس مخالفا لحكم النوع الآخر من ذلك الجنس، وهل يفيد الظن أم لا؟ الأظهر أن هذا القدر لا يفيد إلا بدليل منفصل، ثم بتقدير حصول الظن وجب الحكم بكونه حجة"⁴، وبذلك يتبين أن الرازي يرى الاستقراء حجة بشرط إفادته الظن.

وبصرف النَّظَر عن تفصيلات القول بالرفض، إلا أن الفقهاء جميعهم أخذوا بالاستقراء في استدلالاتهم، ما يقود إلى القول: إن الخلاف في المسألة لم يكن خلافا جوهريا، بل شكلي.

ومن أمثلة ذلك حكمهم في أقل مدة للحيض، وأكثرها بتتبع النصوص الدالة عليه، وتتبع أحوال النساء⁵

1- ابن قدامة، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ج1، 95. ابن مفلح، أصول الفقه، ج4، 1449.
2- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق: إحسان عباس، دار مكتبة الحياة - بيروت، ط1، 1900م، 163.
3- ابن حزم، التقريب لحد المنطق، مرجع سابق، 163.
4- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، المحصول، تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418 هـ - 1997 م، ج6، 161.
5- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين، البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1420 هـ - 2000 م، ج1، 623، 624. ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد الجماعلي، المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة، ط، ج1، 225، 226.

المطلب الرابع: علاقة المنهج الاستقرائي بالفقه:

موضوع الفقه الإسلامي أفعال العباد، وتصرفاتهم من حيث ما يتعلّق بها من حكم شرعي، والحكم على أفعال العباد، وتصرفاتهم يقتضي تتبع الجزئيات للوصول إلى الحكم استناداً إلى غلبة الظن، ومن هنا فإن الفقهاء يرون أن الاستقراء اللازم في مثل هذه الحال هو الاستقراء التعليلي (الناقص)¹.

وهل يشترط تتبع الأدلة الجزئية جميعها للوصول إلى الحكم؟

يرى الباحث أن لا ضرورة لتتبع الأدلة جميعها للوصول إلى حكم في المسألة محلّ البحث، بل يكفي أن يتحصل للمستقرئ حدٌ يفيد غلبة الظن في الدلالة على الحكم، وهذا مذهب الأصوليين الذين اکتفوا بتتبع بعض الجزئيات دون أكثرها².

المبحث الثاني: المنهج الاستقرائي مجالته وخطواته:

المطلب الأول: مجالات المنهج الاستقرائي في تدريس الفقه الإسلامي:

يمكن توظيف الاستقراء في تدريس طلبة الفقه الإسلامي في مجالات عدّة وفق ما يرتئيه أستاذ المادة، بما يتيح له تنفيذ خطته الفصلية بفاعلية في الوقت المخصّص لها، ومن مجالات ذلك:

المجال الأول: المحاضرة: والمحاضرة وإن كانت أسلوباً من أساليب التدريس³ فالطلاب الجامعيون يستخدمونها للتعبير عمّا يطلق عليه في التربية الحصة الصفية، والمحاضر في قاعة التدريس قد ينوع في طرائق التعليم وأساليبه، وقد يغلب على تدريسه نمط واحد من ذلك، ومن الأساليب الشائع استخدامها أسلوب المحاضرة، والحوار والمناقشة، والإلقاء، والمناظرة، وأوراق العمل، وغير ذلك مما هو معروف ومألوف، غير أن المنهج الاستقرائي في التعليم محدود الاستخدام كطريقة، ونمط يمكن أن يحقّق نجاحاً في استنهاض قدرات الطلاب ومهاراتهم، وتعدّ المساقات الفقهية ميداناً رحيباً لاستخدام هذا الأسلوب، ما يقتضي من الأستاذ الأكاديمي جهداً

1- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م، 41. لقرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، الذخيرة، (المتوفى: 684هـ)، تحقيق محمد حجّي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1994م، ج1، 151.

2- الزركشي، بدرالدين محمد بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، ضبط محمد محمد تامر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/ 2000م) ج4، ص321؛ الأسنوي، شرح الأسنوي على منهاج الوصول في علم الأصول للبيضاوي مطبوع مع شرح البدخشي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ/ 1984م) ج3، 180. السبكي، متن جمع الجوامع مع شرح الجلال المحلي وحاشية البناني، ج2، ص535؛ الزركشي، البحر المحيط، ج4، ص321؛ ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج2، 535. ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى، شرح الكوكب المنير، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد (الرياض: مكتبة العبيكان، 1413هـ/ 1993م) ج4، 419.

3- الحريري، رافدة، طرق التدريس بين التقليد والتجديد، دار الفكر- عمّان، ط1، 1430هـ/ 2010م، 54.

متميزاً في توظيفه، لا سيما أن مراجع المساقات الفقهية، وإن تضمنت الاستدلال بالاستقراء، إلا أنها في غالبها، تعتمد على عرض الآراء الفقهية للمذاهب، مع أدلتها، ومناقشة الأدلة، أما المنهج الاستقرائي، فيقتضي الانطلاق بتتبع الأدلة للمسألة الواحدة، وما يرتبط بها من تفصيلات، ومن ثم مناقشتها والخروج بحكم شرعي، ولا ضير بعدئذٍ من ذكر الآراء الفقهية في المسألة، ما يرسخ في عقلية الطالب قواعد الاستدلال وأصوله، فيتبين حقيقة الاختلاف بين المذاهب الفقهية، بصورة عملية تجريبية.

المجال الثاني: الأوراق التدريبية (أوراق العمل): تستخدم أوراق العمل في التدريس لأغراض متعدّدة، منها: التقويم، والتغذية الراجعة، والتطبيق، والتحليل، وغير ذلك، وفي تدريب الطلاب بطريقة المنهج الاستقرائي يمكن توظيف أوراق العمل، فيكلف الأستاذ طلابه بمسألة فرعية، ثم يطلب منهم تتبع ما يتعلّق بالمسألة من أدلة شرعية، لمناقشتها والخلوص للحكم الشرعي فيها، ويمكن إعداد نموذج خاص، كالنموذج المقترح في هذا البحث، أو ما يحقّق الغاية المرجوة مما يرتئيه الأستاذ من نماذج يعدها لذات الغاية، وتخصّص مجموعة من المحاضرات، أو جزء من مجموعة من المحاضرات لمناقشة هذه الأوراق.

المجال الثالث: الأوراق البحثية: يلاحظ على مجمل الطلاب النفور من الأبحاث الفصلية، بل قد يلجأ بعضهم إلى أصدقاء يأخذ منهم أبحاثاً أعدت في فصول سابقة، أو اللجوء إلى الشبكة العنكبوتية لاستخراج أبحاث جاهزة، وقسم منهم يعدّ البحث بنفسه ويبدل جهده في ذلك، وفي منهج الاستقراء يمكن توظيف المجموعات البحثية، بدلا من التكليف بالبحث الفردي، فتتشكل مجموعة فرق بحثية من الشعبة المستهدفة، ويكلفوا، أو يختاروا موضوعاً فرعياً، توزّع فيه المهام بينهم، ويوجهون إلى إعداد البحث بالطريقة الاستقرائية، بجمع الأدلة من مظانها في كتب السنن والأصول، والقواعد الفقهية، وكتب الناسخ والمنسوخ، وكتب التعارض، وغير ذلك مما يخدم البحث، وتعرض كل مجموعة بحثها وتناقشه أمام الطلاب¹.

المجال الرابع: الرسائل العلمية ومشاريع التخرّج: ويقتضي ذلك رصد العناوين المناسبة لمثل هذه الأبحاث وينبغي أن تكون المسائل البحثية في الدراسات العلمية، ومشاريع التخرّج جزئية حتى يتمكن الطالب من تتبع أكبر عدد ممكن من الأدلة، ودراسة المسألة دراسة مستفيضة تستند إلى تتبع الأدلة واستنباط الأحكام، هذا من جانب، ومن جانب آخر لا بد من تعديل معايير التحكيم العلمي لمثل هذا النمط من الأبحاث، ليتواءم مع الطريقة البحثية الاستقرائية، فلا يكون التركيز

1- الحريري، طرق التدريس بين التقليد والتجديد، 54

حينئذٍ على مقدار ما يجمع الطالب من آراء فقهية في المسألة، وكيفية مناقشتها، بل يمكن التركيز على معايير أخرى مثل: شمول الأدلة واستفاضتها، وتنوعها، وقدرة الطالب على الاستدلال، وبيان الحجّة وقوتها، ومنهج الطالب في معالجة التعارض، وغير ذلك مما يرصده المختصون من معايير تتناسب مع طبيعة البحث.

المطلب الثاني: خطوات المنهج الاستقرائي، وضوابطه:

حتى يتسنى تنفيذ الطريقة الاستقرائية في التعليم والاستدلال، لا بد من التدرج بخطوات واضحة، ومسالك بينة، للوصول إلى الحكم الشرعي في المسألة، والالتزام بضوابط علمية.

أولاً: خطوات المنهج الاستقرائي:

1. تصوّر المسألة المراد دراستها واستنباط الحكم لها، بمعرفة حقيقتها، ومفهومها، وصورها، والتواصل مع أهل الاختصاص في الوصول إلى الحقائق الثابتة حولها.
2. تحديد مواقع تتبع الأدلة من مصادر ومراجع، وسيكون ميدان البحث في آيات الأحكام، ومتون السنّة، وشروحها، وكتب أصول الفقه، والقواعد الفقهية، ولا بأس من الرجوع إلى بعض كتب الفقه عند الحاجة، لا سيما للاطلاع على مسائل الإجماع.
3. جمع الأدلة اللازمة، من قرآن كريم، وسنة نبوية، وقياس، وإجماع، وبالمجمل الأدلة النقلية والعقلية. وكلما زاد عدد الأدلة المستقرأة كلما زادت قوة الاستدلال، وقوة العلم الذي يفيد الاستقراء، وهو ما عبّر عنه ابن عاشور بـ "مقدار فيض يناهض الأدلة ونضوبها، وبمقدار العثور عليها واختفائها"¹
4. تصنيف الأدلة الشرعية حسب نوعها، من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والأمر والنهي والإخبار.
5. الحكم على الأدلة الشرعية من السنّة النبوية من حيث الصحة، والحسن، والضعف، والرد.
6. إزالة التعارض بين الأدلة إن وجد، سواء بالجمع بينها، أو بردّ الاستدلال، أو بالحكم بالتنوع، أو ملاحظة الناسخ والمنسوخ إن وجد، أو المتقدم والمتأخر، أو غير ذلك من سبل إزالة التعارض.
7. النظر في دلالات الألفاظ من حيث قطعيتها، وظنيتها، لمعرفة إفادتها للحكم في المسألة المقصودة (محل البحث).

1- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، البائز للنتاج العلمي، ط1، 1998م، 156.

ثانياً: ضوابط الاستقراء:

- حسن الاستدلال بالنص الشرعي بالنظر إلى قطعيته وظننيته من جهة الثبوت والدلالة، ويعين على ذلك الاطلاع على مظان القطعي والظني من مصادر ومراجع، لمعرفة مراتب النصوص، وما يعين على فهم دلالاتها من معرفة بالعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك مما هو مفضل في كتب المتون والشروح، والأصول والقواعد.
- الموضوعية في العرض والنقد، فلا يحرص الدارس على حشد الأدلة التي تساند رأيه، بل يعرض بحيادية تامة كل ما يتوصل إليه من أدلة في المسألة، ويناقش وينقد ويحلل بذات الموضوعية والحيادية.
- وضع أكثر من فرضية للنتيجة، والسير باتجاه إثبات كل فرضية بطريقة علمية منهجية ثابتة تضمن الوصول إلى الحكم بتجرد تام عن الذاتية.
- الإلمام بمناهج الترجيح، والتي منها كثرة الأدلة، وقوتها وضعفها، ووضوحها وإبهامها، وعامها وخاصها، والتعارض بين النصوص.
- حفظ قدر العلماء ومكائنتهم، فلا يتجرأ عليهم بقول أو همز أو لمز، لمجرد استخلاص حكم عارض به بعضهم.

المبحث الثالث: فوائد المنهج الاستقرائي، ومحاذيره وعلاجه:

ما من طريقة للتعليم تحظى بمثالية مطلقة، ولا يمكن القول: إن منهج الاستقراء هو المنهج الأوحى في تدريس الفقه، بل هو واحد من كل يتكامل بمجموعه ليعطي نتيجة مثلى، فثمة فوائد للاستقراء- بلا شك- وثمة محاذير أو عقبات، لكنها تبقى في حدود ما يمكن تجاوزه، وعلاجه.

المطلب الأول: فوائد المنهج الاستقرائي:

- إن توظيف منهج الاستقراء في التدريس يعود على طلبة الفقه بفوائد عديدة، منها:
- استثارة القدرات العلمية الكامنة عند طلاب العلم الشرعي، فكل طالب يكمن داخله قدرات، وإن تفاوتت لكنها بحاجة إلى استثارة، وتحريك، وفي تتبع الأدلة ومناقشتها، والتمرس على الاستدلال، والاستنتاج، وفق ما تمّ بيانه من خطوات وضوابط كفيل بتنشيط الطالب، وتفعيله وإثارة دافعية التنافس لعرض الأفضل.
 - التعرف إلى طرائق استنباط الأحكام الشرعية، وذلك أن طالب العلم لن يقتصر دوره على

نقل الفقه، بل لا بد أن يتمرس في مسالك استنباط الأحكام، فعلماء، وفقهاء العصر هم طلاب الأُمس، وتبقى حاجة الأمة للعلماء الفقهاء قائمة.

- التَعَرَّف إلى أسباب الاختلاف الفقهي وأصوله، وفي ذلك توثيق لصلة الطالب بالعلماء، وتأكيد على حفظ هيبتهم، وتحصين من الوقوع في شرك الفكر الذي يعتبر الخلاف الفقهي ظاهرة سلبية.
- تنمية الملكة الفقهية عند طالب العلم الشرعي وتحفيزه على تتبع الأدلة ومناقشتها واستخلاص الحكم النهائي في المسألة، وفي ذلك كسر لأنماط التقليد، والحفظ المجرد، ووسائل المعرفة المحدودة.
- التدرّب على التعامل مع الوقائع ونوازل الأحداث، وما يستجد من أعراف وعادات؛ لأن حركة الحياة في تجدد دائم، وما يستجد من مسائل ليس له حدٌ، ما يستوجب إعداد جيل من أهل العلم يتصدى لدراسة النوازل والمستجدات، واستخلاص أحكامها.
- إدراك سعة الشريعة الإسلامية، وقيامها على أساس رفع الحرج والضييق والمشقة، ويظهر ذلك عندما يجد الطلاب أنفسهم أمام أحكام متعدّدة في مسألة واحدة رغم وحدة الأدلة المستقرّة.

المطلب الثاني: محاذير التدريس بالطريقة الاستقرائية، ومعالجتها:

- تشتيت الطلاب إذ لم يكن المحاضر متمكناً من الموضوع، ويواجه ذلك بالاستعداد المسبق، ويسهله رسم الخطة بعناصرها التفصيلية منذ بداية الفصل الدراسي، ما يعطي المحاضر الفرصة للإحاطة بالمسائل المراد تدريسها بالاستقراء.
- تفاوت قدرات الطلاب في الاستفادة من الطريقة، وبالتالي ظهور نتائج ضعيفة في استنتاج الأحكام، ويعالج بإعادة بناء المجموعات البحثية بتوزيع يستوعب أنماطاً متعدّدة من القدرات يفيد منها الطالب في تجاوز قصوره، مع إحكام تدريب الطلاب على المنهج الاستقرائي.¹
- الحاجة إلى وقتٍ كافٍ، يقول الإمام الشاطبي: ” وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى تَأَمُّلٍ وَاسْتِبْصَارٍ وَفُسْحَةٍ زَمَانٍ يَسَعُ ذَلِكَ ”²، ويعالج ذلك بتنويع المادة بأن يُطرح جزءٌ من المسائل في المنهاج المكتوب مناقشاً بالطريقة الاستقرائية، ويوظف جزءاً آخر للتمرس على استخدام الاستقراء بأوراق عمل، أو أوراق بحثية.

1- حَسَن، د. داود بن درويش، محاضرات في طرائق تدريس التربية الإسلامية، د. ن، 1431هـ/ 2010م، ط3، 60-62.

2- الشاطبي، الموافقات، ج5، 406.

المبحث الرابع: مثال تطبيقي، ونماذج إيضاحية:

المطلب الأول: مثال تطبيقي للاستقراء:

أوردت كتب الفقه والأصول أمثلة عديدة لما استنتجه العلماء من أحكام شرعية بطريقة الاستقراء، مثلنا لها إجمالاً في مقدمة هذا البحث، ونعرض هنا لمثال توضيحي لمنهج الاستقراء، وقد مثل الدكتور جغيم لمسائل في الاستقراء مقتبسة من موافقات الشاطبي إرسالاً بلا أدلة أو مناقشة¹ ونعرض هنا مثالا واحداً مسنوداً بالأدلة والنظر:

حكم قتل النفس: الأدلة الشرعية المتعلقة بقتل النفس كثيرة، ومتنوعة، نعرض لمجموعة منها بيانا للطريقة الاستقرائية في استخلاص الحكم، ومن خلال تتبع الأدلة نجد أنها لم تأت على نسق لفظي واحد بل جاءت على ضروب:

1. النهي المباشر: وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَطْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا²، وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا³
2. التحريم المباشر، أو نفي الحل: - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: " فإن الله حرم عليكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، إلا بحقها"⁴. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا يَجِلُّ دَمٌ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا يَأْخُذِي ثَلَاثٌ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الرَّأْيِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ"⁵
3. ترتيب عقوبة أخروية: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا⁶. وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل، والمقتول في النار"⁷
4. ترتيب عقوبة دنيوية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُصِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ⁸.
5. قرن القتل بالكفر: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: " لا تَرَجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا،

1 - جغيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارح، 262، 263.

2 - الإسراء، 33.

3 - النساء، 29.

4 - صحيح البخاري، باب الخطبة أيام منى، حديث 1742، ج 2، 172.

5 - صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: "إن النفس بالنفس"، حديث 6878، ج 9، 5.

6 - النساء، 93.

7 - صحيح البخاري، باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا، حديث 31، ج 1، 15.

8 - البقرة، 178.

يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ¹

6. قرن القتل بالشرك: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُنْعَمًا²"

7. المبالغة في تقبيح القتل وتشنيعه والتنفير منه: - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
" لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم"³

8. نفي الإيمان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ"⁴

استقراء حكم قتل النفس:

- النصوص من حيث قطعية الثبوت انقسمت قسمين: الأول قطعي الثبوت، وهو الآيات القرآنية الكريمة، والثاني ظني الثبوت، وهو الأحاديث النبوية الشريفة.
- والنصوص بقسميها تصلح للاستدلال، القرآن لقطعية ثبوته، والحديث لاتفاق جمهور الفقهاء والأصوليين على حجية خبر الواحد، والعمل به⁵.
- نصوص السنة النبوية المذكورة كلها من حيث الرواية صحيحة، كما هو مبين في التخريج.
- من حيث الدلالة، فالنصوص الشرعية السابقة منها ما هو قطعي الدلالة على المعنى المستفاد منه، ومنها ما هو ظني، فقولته تعالى: " ولا تقتلوا " قطعي الدلالة على النهي، غير أنه ظني الدلالة على ما يفيد النهي من تحريم أو كراهة، وألفاظ نفي الحل في الأحاديث ظنية الدلالة لاحتمالها التحريم أو الكراهة، وألفاظ التحريم قطعية الدلالة على إفادة التحريم.
- النهي عن قتل النفس في الأدلة السابقة يفيد التحريم دون الكراهة؛ لا لإطلاقه فحسب، بل لعدم وجود قرينة تصرفه إلى الكراهة، ووجود قرائن وأدلة تؤكد دلالته على التحريم،

1- صحيح البخاري، باب الانصات للعلماء، حديث 121، ج1، 35.

2- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت، باب في تعظيم قتل المؤمن، حديث 4270، ج4، 103.

3- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، السنن الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط3، 1424 هـ - 2003 م، باب تحريم القتل من السنة، ج8، 42. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، في كتاب صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتبة الإسلامي، دت، ج2، 905.

4- البيهقي، السنن الكبرى، ج10، 5. وذكره الألباني، محمد ناصر الدين، في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، 1415 هـ - 1995 م، ط1، ج1، 278.

5- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف، التبصرة في أصول الفقه، تحقيق د. محمد حسن هيتو، دار الفكر - دمشق، ط1، 1403 م، 368. السرخسي، أصول السرخسي، ج1، 298. عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي، دت، ج2، 379.

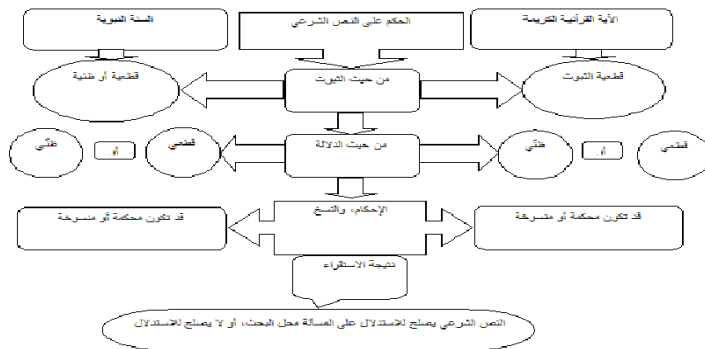
وهي من خلال الأدلة السابقة: ترتيب العقوبة الأخروية، والعقوبة الدنيوية على القتل، وقرن القتل بالكفر، والشرك، والمبالغة في تقبيح القتل وتشنيعه والتنفير منه، ونفي الإيمان عن القاتل.

هذا الحكم العام لقتل النفس، أما إباحة قتل النفس بالحق فتفهم عموماً من بعض النصوص المستقراء، ومعرفة تفصيلها بحاجة إلى استقراء بقيّة من نصوص شرعية، كآيات القصاص، وأدلة الحدود، وغيرها.

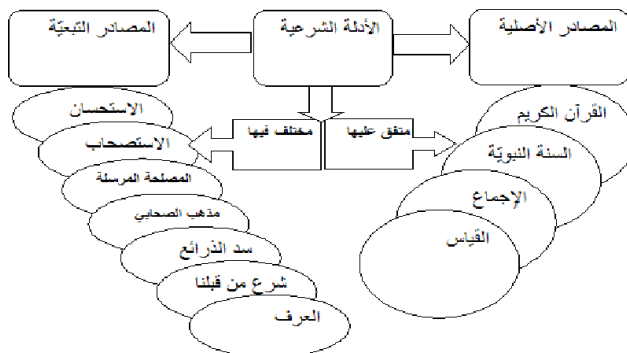
المطلب الثاني: نماذج إيضاحية للمنهج الاستقرائي:

وهي عبارة عن نماذج تلخّص خطوات ومسالك الاستقراء والتتبع، ويمكن للمحاضر تطويرها، بما يخدم شرح المنهج الاستقرائي:

النموذج الأول: نموذج إيضاح عام: ويهدف إلى تعريف الطالب بإجراءات التعامل مع النصوص بعد استقراءها، وللخروج إلى الحكم في المسألة المستقراء.



النموذج الثاني: نموذج الأدلة الشرعية الأصلية والتبعية: ويهدف إلى تعريف الطالب بتصنيفات الأدلة، للتنبه إلى التصنيف في أولويات الاستدلال.



النتائج والتوصيات

النتائج: توصل الباحث في بحثه إلى مجموعة من النتائج يلخصها فيما يأتي:

- الاستقراء طريق في الاستدلال سلكه جمهور الأصوليين والفقهاء، والمقصود منه هنا الطريق الموصل إلى الحكم الشرعي بطريق التتبع.
- المنهج الاستقرائي الناقص يقوم على غلبة الظن، وهو ميدان البحث في تطوير التدريس.
- المنهج الاستقرائي منهج أصولي، وظفه الفقهاء المجتهدون في استنباط الأحكام، ومن الممكن أن يستخدمه الطلاب تدريجاً على استنباط الأحكام، وتنمية لمهارة الاستدلال.
- يمكن توظيف الاستقراء في تدريس الفقه في أكثر من مجال كالمحاضرة، والبحث، وأوراق العمل، والرسائل الجامعية.
- لا بد للمستقري من تمرس وتدريب، بالترام ضوابط الاستقراء، والتدرج بخطواته، لسلامة الوصول إلى النتيجة.
- للاستقراء فوائد جمة تعود على طالب الفقه، ما يسوقه إلى تنمية ملكة الاستدلال، واستثارة القدرات الكامنة.
- للاستقراء محاذير، غير أنها تبقى في دائرة السيطرة، وممكنة التجاوز والعلاج.
- الأمثلة التطبيقية خير وسيلة لإيضاح المنهج الاستقرائي.
- النمذجة أسلوب إيضاحي يمكن اللجوء إليه في تدريب الطالب على مهارة الاستقراء.

التوصيات:

ينصح الباحث كليات الشريعة من خلال ما توصل إليه من نتائج في بحثه بما يأتي:

- إدخال الطريقة الاستقرائية في التدريس كواحدة من الطرائق التي من شأنها أن تسهم في تحسين مستوى طلبة الفقه الإسلامي.
- تشكيل لجان متخصصة لتصميم نماذج من وحدات دراسية في مناهج التدريس مصممة على المنهج الاستقرائي.
- تحفيز البحث اعتماداً على المنهج الاستقرائي، سواء من خلال الأبحاث والرسائل الجامعية، أم من خلال أوراق العمل.
- استخدام أسلوب النمذجة كوسيلة إيضاحية لمفهوم المنهج الاستقرائي، ما يقتضي الاجتهاد في تصميم نماذج متميزة في شرح الطريقة والتدريب عليها.

المراجع المساعدة

بالإضافة إلى القرآن الكريم، والمصادر الأصيلة في علوم القرآن الكريم، والسنة النبوية، والفقه والأصول، فقد استخدم الباحث المراجع الآتية:

1. -ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، البصائر للانتاج العلمي، ط1، 1998م.
2. -أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، د. ت.
3. -الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، 1415 هـ - 1995 م
4. -الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، د. ت.
5. - الحريري، رافدة، طرق التدريس بين التقليد والتجديد، دار الفكر- عمان، ط1، 1430هـ- 2010م.
6. -الزهر، محمد أيمن، الاستقراء ومجالاته في العلوم الشرعية، إشراف الدكتور حمزة حمزة، قسم الفقه وأصوله/ كلية الشريعة - جامعة دمشق، 2013م.
7. <http://www.csi.qu.edu.sa/Collegeevents/m-fatwa/researches/Documents-->
8. -جغيم، نعمان، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، دار النفائس- الأردن، ط1، 1435هـ./ 2014م.
9. -حلس، د. داود بن درويش، محاضرات في طرائق تدريس التربية الإسلامية، دن، 1431هـ/ 2010م، ط2.
10. -رستم، محمد بن زين العابدين، دور الكليات الشرعية في إعداد المفتي والباحث المتميز في القضايا الفقهية المعاصرة، كلية الآداب بني ملال المغرب، بحث محكم حمل بتاريخ 2017/6/7م عن الرابط:
11. -صادقي، مصطفى، منهج تدريس الفقه دراسة تاريخية تربوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-فرجينيا/ الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1433هـ- 2012م.



المدارس الشرعية .. ضرورتها في المجتمع والعمل على النهوض بها



إعداد : أ. بشار مدحت أبو زهرة*

* بشار مدحت أبو زهرة، إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

مشرف أكاديمي في مدرسة أكاديمية القرآن الكريم

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على المعلم الأول، الهادي البشير، والسراج المنير، أخرج الناس من ظلمات الجهل والغواية، إلى نور العلم والهداية. وبعد : فهذا بحث متواضع بعنوان :

(المدارس الشرعية .. ضرورتها في المجتمع والعمل على النهوض بها)

يهدف البحث إلى إبراز أهمية المدارس الشرعية في المجتمع، وضرورة زيادة الرعاية والاعتناء بها، من أجل المحافظة على وجودها وبقائها شامخة تؤدي رسالتها السامية، ودورها الفاعل في التربية الإسلامية والتنشئة الصالحة. كذلك جاء هذا البحث ليكون حافزا لمجتمعنا ودافعا له من أجل إنشاء المزيد من هذه المدارس، للذكور وللإناث، وفي كل محافظة من وطننا الغالي، بعد نقل خبرات المدارس القائمة إلى أكثر من مكان لتعم الفائدة، وتتحقق الغاية. ثم يهدف البحث إلى المساهمة في وضع بعض الأفكار العملية التي من شأنها النهوض بهذه المدارس، وتطوير أدائها، وتنمية مواردها وقدراتها وعطائها، لتكون الرائدة بين كل المدارس، وطلبتها في الطلعية بإذن المولى جل وعلا.

وهذا كله يحتاج إلى تضافر الجهود والتعاون المشترك بين كل شراخ المجتمع، من مؤسسات حكومية وأهلية، وكذلك من جميع أبناء هذا الوطن، لا سيما علماء الشريعة وأهل التربية، وكذلك كل الغيورين على أبنائهم وبناتهم، وأخص أهل الفضل والإحسان الذين يسارعون إلى دعم المشاريع البناءة والخيرة، لتعزيز المواطنة الصالحة، ومن ثم المحافظة على الوطن العزيز.

ولأخفي الألم الكبير الذي دعاني للمشاركة في هذا المؤتمر وتقديم بحثي، وهو ما حصل قبل عدة سنوات، إذ تم إيقاف التعليم الشرعي في المدرسة الإسلامية في مدينة نابلس، (لقلة عدد المنتسبين وضعف الإقبال)، تلك المدرسة التي كانت النواة الأولى للمدارس الشرعية في فلسطين، وكم والله تألمت لذلك في حينه، مما دعاني للحديث عنه في إحدى خطب الجمعة آنذاك، بعد أن دعوت المصلين بناء على تعليمات وزارة الأوقاف في إحدى خطب الجمعة لتسجيل أبنائهم في المدارس الشرعية، وبالتالي دعوتهم للتسجيل في فرع التعليم الشرعي في المدرسة الإسلامية، ففاجأني أحد المصلين بعد الصلاة وقال لي: كيف تدعونا لذلك وقد تم إغلاق هذا الفرع في المدرسة؟ فصعقت للخبر، وبعدها تأكدت من صحته تكلمت عنه في الخطبة اللاحقة، ليس انتقاصا لقدرة المدرسة، فهي مدرستي التي أفتخر بأني أحد طلابها وخريجها، ولا طعنا في القائمين على رعايتها، فهم يبذلون جهودا لا يستهان بها، ولكن كيف لمدينة كبيرة وعريقة في فلسطين المباركة، نابلس

عش العلماء وعاصمة الشمال، ومركز التجارة، النواة الأولى في التعليم الشرعي .. كيف يغلق فيها هذا الباب؟؟؟ فأحببت أن أجدد هذه الصرخة في هذا المؤتمر، الذي يشارك فيه ثلثة من أهل العلم وأصحاب القرار ورجال البلد من المحسنين الخيرين، ليس من أجل إعادة فتح الفرع فحسب، بل من أجل بناء مدرستين شرعيتين واحدة للذكور وأخرى للإناث في مدينة رائدة كانت وستبقى هي السباقة للخير والبذل والعطاء بإذن الله عزوجل.

ولئن كان هذا ألمي لإعادة المفقود، فهو ألمي لنحافظ على الموجود، ونزيد منها بدعم أهل الكرم والجد، ونعمل على تطويرها ونهضتها بلا حدود.

هذا وقد جعلت بحثي مشتملا على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: هدف البحث، وسبب كتابته، وخطته.

المبحث الأول: أهمية التعليم الشرعي فترة الطفولة.

المبحث الثاني: واقع المدارس الشرعية في فلسطين.

المبحث الثالث: المدارس الشرعية .. أهميتها وحاجة المجتمع إليها. وقد قسمته إلى مطلبين هما:

المطلب الأول: أهمية التعليم الشرعي.

المطلب الثاني: حاجة المجتمع إلى المدارس الشرعية.

المبحث الرابع: النهوض بالمدارس الشرعية. وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: معوقات الإقبال على المدارس الشرعية.

المطلب الثاني: أسباب عدم انتشار المدارس الشرعية.

المطلب الثالث: تطوير المدارس الشرعية والنهوض بها.

الخاتمة: والتي اشتملت على توصيات هذا البحث.

وأخيرا فإن وفققت فهذا من فضل الله تعالى علي، وإن أخطأت أو قصرت فهذا مني وأستغفر

الله سبحانه، وأسأله التوفيق والسداد.

والله الهادي إلى سواء السبيل

المبحث الأول: أهمية التعليم الشرعي فترة الطفولة.

لا شك أن تعليم الطفل وتربيته على العقيدة الصحيحة، والحلال والحرام، والأخلاق الفاضلة، له أثره الكبير في بناء الشخصية السليمة، والمواطنة الصالحة في المجتمع، فيغدو ذا علم بالحقوق والواجبات، ليقف عند حدوده فلا يتعدها، ويستشعر مسؤولياته فلا يقصر بها، ويكون أبعد عن الانزلاق في مهاوي الفساد والضلال، فنحميه من الأفكار الدخيلة، ونخصنه من السلوك المشين، بل ينشأ على حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ، وحب آل بيته والصحابة الكرام رضوان الله عليهم، والصالحين من العلماء والعباد والفاحين، أصحاب السيرة الحسنة، والخلق النبيل، والهمم العالية، ما يبعث فيهم الاقتداء للاهتداء.

ولا ريب أن تعليم الطفل وتربيته مسؤولية الآباء والأمهات أولاً، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾¹، فهذا أمر من الله عز وجل بأن يبذل المسلم جهده في إصلاح نفسه وأهله حتى ينجو وأهله من النار. قال علي رضي الله عنه: قوله تعالى: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا يقول: "أدبهم وعلّمهم"². وقال سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾³ وقال عز وجل: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾⁴، وهنا يوصي الله عز وجل الوالدين بأبنائهم ليقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية، فيعلمونهم ويؤدّبونهم، ويكفونهم عن المفسد، ويأمرونهم بطاعة الله وملازمة التقوى على الدوام، فالأولاد عند والديهم موصى بهم، فإما أن يقوموا بتلك الوصية، وإما أن يضيعوها فيستحقوا بذلك الوعيد والعقاب.⁵

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: (إن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش فيه، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدّب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة مربيه والقيم عليه).⁶

وقد وردت أحاديث نبوية عديدة تؤكد على تحمل الوالدين للمسؤولية في تربية وتعليم أبنائهم،

1 - الآية (6) من سورة التحريم.

2 - مختصر تفسير ابن كثير، (522/3).

3 - الآية (132) من سورة طه.

4 - الآية (11) من سورة النساء.

5 - تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (166/4) بتصرف.

6 - إحياء علوم الدين (72/3).

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته" 1. فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على مسؤولية الوالدين عن أولادهما، تربية وتعلima وتهذيبا وتقويما؛ ولذا ينبغي عليهم الأخذ بأيدي أبنائهم إلى برا الأمان، وبث معاني الإيمان، وتعليمهم القرآن، وطيب الخلق وحسن الفعال. وبالتالي يسمو دور الأب ولا يقتصر على توفير المطعم والمشرب والمسكن والملبس، بل يتعداه إلى ما يحفظ عليهم دينهم وخلقهم، ويرتقي بهم إلى أعلى درجات العلم النافع في دنياهم وآخرتهم. وروى أبو داود في سننه بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: "مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها" 2. وورد عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع" 3. وجاء عن الرسول ﷺ أنه قال: "ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن" 4، فهذه الأحاديث كلها تبين مسؤولية الوالد تجاه أبنائه، فعليه أن يتقي الله ويحسن تربيتهم، فهم أمانة في عنقه، وعليه أن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ومن أهم المعروف ربطهم بالمساجد وحلقات تعليم القرآن، وربطهم بالصحة الصالحة، الذين يدلونهم على كل خير ويحذرونهم من كل شر. ولقد حرص السلف على تربية أبنائهم، وكانوا يتخذون لهم المربين المتخصصين في ذلك، وأخبارهم في ذلك كثيرة.

ولاشك أن للتربية أثر كبير في صلاح الأولاد؛ فالأولاد يولدون على الفطرة، ثم يأتي دور التربية في المحافظة على هذه الفطرة أو حرقها؛ قال رسول الله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه" 5. فالولد الصغير أمانة عند والديه، إن عوداه الخيرا عتاده، وإن عوداه الشرا عتاده:

وينشأ ناشئُ الفتيانِ منّا *** على ما كان عودُهُ أبوه

وما دان الفتى بحجى ولكن *** يعلمه التدين أقربه

ولا شك أن الولد في صغره أكثر استقبالا واستفادة للتربية:

قد ينفخ الأدبُ الأولادَ في صغرٍ *** وليس ينفعهم من بعده أدبُ

1 - الجامع الصحيح = صحيح البخاري - (893).

2 - صحيح سنن أبي داود - (495) - حسن صحيح.

3 - سنن الترمذي (1951) - حديث غريب.

4 - سنن الترمذي (1952) - غريب مرسل.

5 - الجامع الصحيح = صحيح الإمام البخاري - (1385).

الغصونُ إذا عدلتها اعتدلت *** ولا يلينُ ولولينتُهُ الخشب

جاء في الموسوعة الفقهية: "اتفقوا على أنه يجب على الولي تأديب الصبي لترك الصلاة والطهارة، ولتعليم الفرائض ونحو ذلك، وذلك بالقول إذا بلغ سبع سنين، وبالضرب إن لزم لإصلاحه إذا بلغ عشرة"¹. وجاء فيها أيضا: "على الآباء والأمهات وسائر الأولياء تعليم الصغار ما يلزمهم بعد البلوغ، فيعلم الصغير ما تصح به عقيدته من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، وما تصح به عبادته، ويعرفه ما يتعلق بصلاته وصيامه وطهارته ونحوها، ويعرفه تحريم الزنا واللواط والسرقه وشرب المسكر والكذب والغيبة وشبهها، كما يعلم أنه بالبلوغ يدخل في التكليف، ويعرف ما يبلغ به. وقيل هذا التعليم مستحب، ونقل الرافعي عن الأئمة وجوبه على الآباء والأمهات، وهذا ما صححه النووي"².

ويأتي بعد دور الوالدين في المسؤولية الحاكم أو الدولة، فالدولة تملك مقومات وإمكانات عديدة في مجالات التربية والتعليم والتثقيف وبتش الوعي، من مدارس وجامعات ومراكز تعليمية أخرى، ووسائل إعلام، ومراكز ثقافية... فلا بد للدولة في خططها التربوية والتعليمية أن تضع نصب أعينها أهدافا تربوية سامية، تستند إلى روح الشريعة الإسلامية الغراء، تسعى لتحقيقها من أجل تربية صالحة وتنشئة سليمة.

وكذلك فإن دور المجتمع لا يقل شأنًا عن الدولة والأسرة، من خلال التعاون على كل بروخير، يعود أثره الطيب على أفراد هذا المجتمع، وإن رياض الأطفال التي يملكها أشخاص من أبناء هذا المجتمع تعتبر أولى المحاضن التربوية والتعليمية التي يتوجه إليها أطفالنا، وبالتالي ينبغي أن يتواصل ويزداد إشراف وزارة التربية والتعليم العالي على هذه المدارس والمحاضن المهمة والحساسة والخطيرة في بناء شخصية الطفل، بما يحقق ذلك الإشراف معطيات أفضل وثمرات أكثر نضجا، ليس فحسب بالمواصفات العامة، بل لا بد من اعتبار كبير للدين الإسلامي الحنيف في غرس القيم الإسلامية السامية، ليكون البذر سليما، والغرس صوابا، ومن ثم ثمار يانعة طيبة، في محضن أسس على التقوى من أول يوم. وبناء عليه ينبغي أن يعظم أصحاب هذه الرياض والمدارس الأمانة التي بين أيديهم، والدور الملقى على كاهلهم، حتى لا يألوا جهدا في تحمل المسؤولية وأدائها بما يرضي الله تبارك وتعالى. ولا ريب أن المسؤولية تتعدد، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته.

1 - الموسوعة الفقهية (ج 10/ص20).

2 - الموسوعة الفقهية (ج 13/ص11).

المبحث الثاني: واقع المدارس الشرعية في فلسطين.

تعتبر المدارس الشرعية في فلسطين إحدى منارات العلم التي تضيء سماء وأرض وطننا الحبيب، وهي تنشر الهدى والرشاد، وتغرس الحب والخير والتسامح والإخاء، وستبقى بإذن الله يضح عبيرها في مجتمعنا بعقب الدين والأدب، والعلم والإبداع، جنباً إلى جنب في بساتين مراكزنا العلمية الأخرى.

إن هذه المدارس الشرعية في فلسطين تشرف على غالبها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، وتنتشر في عدة محافظات، والمدارس الموجودة في محافظات الشمال هي¹:

الرقم	المحافظة	مدارس للذكور	مدارس للإناث	الجهة المشرفة
1-	القدس	ثانوية الأقصى الشرعية للذكور	الثانوية الشرعية للبنات	وزارة الأوقاف الإسلامية/الأردن
2-	نابلس			
3-	الخليل	المدرسة الشرعية الثانوية للذكور	المدرسة الشرعية الثانوية للبنات	الجمعية الخيرية الإسلامية
4-	رام الله والبيرة	ذكور البيرة الشرعية الثانوية		وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
5-	بيت لحم			
6-	قلقيلية	ذكور قلقيلية الشرعية الثانوية	إناث قلقيلية الشرعية الثانوية	وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
7-	طولكرم	ذكور طولكرم الشرعية الثانوية	إناث طولكرم الشرعية	وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
8-	جنين	ثانوية جنين الشرعية		وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
9-	سلفيت			
10-	طوباس			
11-	أريحا			

ومن خلال الجدول أعلاه يتبين لنا أن عدد المدارس الشرعية (10) مدارس، منها (6) مدارس تشرف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية. ويظهر لنا أن خمس محافظات لا يوجد فيها أي مدرسة شرعية: (نابلس/بيت لحم/سلفيت/طوباس/أريحا)، مع العلم أن محافظة نابلس انطلقت منها نواة المدارس الشرعية، ولكن للأسف الشديد فقد تم إغلاق الفرع الشرعي فيها لضعف إقبال الطلاب على هذا الفرع.

1 - مصادره هذه المعلومات من لقاءات إذاعية وتلفزيونية لمسؤولين في التعليم الشرعي بوزارة الأوقاف (أ. محمد جهاد الكيلاني، أ. هاني خضر). المعلومات المتوفرة عن المدارس في محافظات الجنوب عام 2011 بوجود مدرستين شرعيتين، وربما زاد عددها الآن.

المنهاج المقرر:

1. يبدأ التعليم الشرعي من الصف السابع وحتى العاشر كمرحلة أولى، بعدها يخير الطالب بالاستمرار بالتعليم الشرعي أو غيره.
2. المنهاج للصفوف (السابع إلى العاشر) نفس المنهاج المقرر في مدارس وزارة التربية والتعليم، ويضاف إليه بعض المواد الشرعية في المواد التالية: (القرآن الكريم/الحديث النبوي/الفقه/السلف)، وهو منهاج أردني قديم يتم حالياً دراسة تجديده.
3. المنهاج للصفين (الحادي عشر والثاني عشر) له مسار مستقل في التعليم الشرعي، وهو منهاج فلسطيني خاص أعد حديثاً من قبل علماء وأهل الاختصاص، بنفس عدد الحصص المقررة للفروع الأخرى بما يتناسب مع التخصص.

* تم في العام الدراسي 2012 م إقرار التوجيهي الشرعي كفرع من فروع الثانوية العامة في فلسطين، إذ أصدرت وزارة التربية والتعليم العالي قراراً توصي فيه الجامعات الفلسطينية بمعاملة خريجي التعليم الشرعي من الثانوية العامة كغيرهم من خريجي الثانوية من فرع العلوم الإنسانية.

الخدمات الجليلة التي توفرها الوزارة للمدارس الشرعية:

تقوم وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالإنفاق على المدارس الشرعية، حيث توفر الوزارة الخدمات الآتية :

1. التدريس المجاني، فالطالب لا يدفع أية أقساط مدرسية.
2. توفير جميع الكتب المدرسية (المقررة في وزارة التربية).
3. توفير الحقائب والكراسات والقرطاسية للطلاب والطالبات.
4. تأمين المواصلات لجميع الطلاب والطالبات ذهاباً وإياباً.
5. دراسة مجانية للبيكالوريوس في كلية العلوم الشرعية لقليلية لمن ينهي الثانوية العامة الشرعية في مدارس الأوقاف بنجاح.

المبحث الثالث: المدارس الشرعية .. أهميتها وحاجة المجتمع إليها.

لا شك أن العلم كنز عظيم، يعلم قدره كل لبيب وعاقل، ويزيد قدره هذا العلم وفضله إن كان في تعلم دين الله والتفقه فيه، ذلكم هو العلم الشرعي الذي يصلح الدنيا والآخرة.

والعلم الشرعي أصبح له عدة مؤسسات تعنى به دراسة وتديسا، ومنها المدارس الشرعية، وهذه المدارس لها أهمية كبيرة، وأصبحت الحاجة ماسة إليها في المجتمع، ويمكن توضيح ذلك في هذين المطلبين:

المطلب الأول: أهمية التعليم الشرعي: ويتجلى ذلك في عدة جوانب أبرزها:

1. التعليم الشرعي فريضة: وفريضته دائرة بين فريضة العين وفريضة الكفاية على التفصيل الذي ذكره العلماء، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾¹، وهذه الآية جمعت مطلبين: التعلم والتعليم، فكان من خصائص هذه الشريعة، توسيع الآفاق الفكرية، وتهيئة العقل البشري، والحض على طلب العلم، بل جعلته فريضة، فبلغت الأمة الإسلامية درجة من الحضارة العلمية لم تبلغها آنذاك أمة غيرها 2. وكذلك استدل العلماء على فرضية العلم الشرعي بقول الرسول ﷺ: " طلب العلم فريضة على كل مسلم"³، وغير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة.

2. التعليم الشرعي فضيلة: ويظهر ذلك جليا من قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾⁴، وقوله جل وعلا: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾⁵.

وكذلك أكدت على هذا الفضل أحاديث نبوية شريفة، منها قول الرسول ﷺ: " وإن العلماء ورثة الأنبياء"⁶، وأيضا قوله ﷺ: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه"⁷، وقوله ﷺ: " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"⁸. وغيرها من الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على فضل التعلم والتعليم الشرعي.

1 - الآية (122) من سورة التوبة.

2 - أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص (59).

3 - صحيح الجامع الصغير وزيادته (3914)، حديث صحيح.

4 - الآية (11) من سورة المجادلة.

5 - الآية (9) من سورة الزمر.

6 - صحيح سنن الترمذي (2682).

7 - الجامع الصحيح = صحيح الإمام البخاري - (5027).

8 - الجامع الصحيح = صحيح الإمام البخاري - (71).

3. إن التعليم الشرعي يورث الخشية في قلوب المتعلمين والعلماء، وطالب العلم الشرعي يطلع على أسرار الآيات القرآنية والفيوضات الربانية، ويتلمس آيات الإعجاز في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وكل ذلك يقربه من ربه سبحانه، فيزداد إيمانه وتزداد خشيته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾¹.

4. التعليم الشرعي يمكننا من القيام بالواجبات والعبادات على بصيرة، فقد أمرنا الله سبحانه بأن نتعلم عقيدتنا الصحيحة القائمة على التوحيد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾²، وأمرنا رسول الله ﷺ أن نتعلم أحكام الصلاة فقال: ” صلوا كما رأيتموني أصلي“³، وقال عن تعلم مناسك الحج: ” لتأخذوا مناسككم“⁴، وغير ذلك من العبادات التي لا تقبل إلا إذا كانت صوابا وخالصة لله تعالى، وصوابها يتطلب من المسلم أن يتعلم أحكام دينه، ويعلم الحلال والحرام، وما يباح له وما لا يباح.

5. إن التعليم الشرعي رافع ودافع نحو التفوق، قال جل وعلا: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُ اللَّهُ﴾⁵، ولقد أثبتت عدة دراسات على طلاب تحفيظ القرآن الكريم أنهم من أكثر الطلاب ذكاء وفطنة وتميزا⁶.

مما سبق يتبين لنا أهمية التعليم الشرعي، وما ينبغي علينا القيام به في الحرص على تحصيل هذا العلم لما يحققه من سعادة لنا في الدارين الدنيا والآخرة، ولما يترتب عليه من القيام بالواجبات الشرعية، وأنه ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب.

المطلب الثاني: حاجة المجتمع إلى المدارس الشرعية:

لا شك أن المجتمع في أمس الحاجة إلى هذه المدارس وخاصة في عصر يعج بالفساد والانحراف، وتبرز أهمية وضرورة وجود هذه المدارس في مجتمعاتنا للأسباب الآتية:

1. إن المدارس الشرعية تشكل حصانة للعقل والقلب، وضمانة حقيقية للشخصية السوية، فهذه المدارس تغرس في طلابها العقيدة الإسلامية الصحيحة المنبثقة من

1 - الآية (28) من سورة فاطر.

2 - الآية (19) من سورة محمد.

3 - الجامع الصحيح = صحيح الإمام البخاري- (6008).

4 - صحيح مسلم (1297).

5 - الآية (282) من سورة البقرة.

6 - الذكاء وعلاقته بحفظ القرآن الكريم ”دراسة مقارنة“-نرمين نعيم العقاد-رسالة ماجستير./ موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز

العلمي-التأثير المذهل للقرآن على الإنسان.

الكتاب والسنة، وتبني في نفوسهم الاعتزاز بهذا الدين والتمسك بمبادئه، وبالتالي تقي المجتمع من المعتقدات الكفرية الباطلة، وتحميه من الانحراف الفكري الإلحادي واللااديني والتكفيرى و...، لا سيما في هذا العصر الذي تشن فيه حرب شعواء على الإسلام وأهله للنيل من عقيدتهم، وحملات إعلامية شرسة تستهدف عقول الشباب وفكرهم، لحرفهم عن الدين، أو لزعزعة ثقتهم به، الأمر الذي يتطلب جهودا كبيرة موحدة لمواجهة هذا العداء السافر.

2. أنها محضن تربوي يقوم على المحافظة على القيم والأخلاق والسلوك، بتدريسها السيرة النبوية وأخلاق وشمائل النبي ﷺ الأسوة الحسنة ذي الخلق العظيم، وكذلك سير الصحابة والصالحين رضوان الله عليهم، فهذه المدارس تبني في طلابنا وطلباتنا كل خلق حسن وأدب جم، وبالتالي فإنها تحصن الأبناء من الانزلاق في الفساد والرذيلة، وتبعدهم عن كل عادة قبيحة، وتنبأ بهم عن كل سلوك مشين، كيف لا وهي التي تعزز فيهم أخلاق المصطفى ﷺ الذي كان خلقه القرآن؟ فتغرس في نفوسهم الإخلاص والصدق والأمانة والعفة، وتنمي فيهم الإيثار والحب والتسامح، وعماد تربيته مخافة الله وخشيته في السر والعلن، وحب الخير للغير، وكف الشر عن الخلق، واجتناب الإثم والعدوان، لذلك فإن هذه المدارس الشرعية تحمي المجتمع من انتشار الفواحش والمنكرات والمخدرات، وتقي أبناءه من العداوات وجرائم القتل والسراقات، وتكون درعا واقيا من هذه الآفات.

3. المدارس الشرعية تعد طلابها للمرحلة الجامعية في كليات الشريعة الإسلامية، وهو إعداد ضروري وتأسيس مهم لبناء متين، أسس على التقوى من أول يوم، في تعليم مبادئ الشريعة الإسلامية (القرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه، والسيرة والسلف)، ليكمل الطالب مسيرة تعليمه الشرعي لا ليبدأ، وينطلق بقوة لا بضعف. والأمل المنشود أن يتخرج علماء أفاض، وفقهاء جهابذة، ودعاة تصدع بالحق، ورسول هداية للخلق، ويكونوا نبراساً يهتدى ويحتذى بهم.

4. إن المدارس الشرعية تشكل رافدا عظيما لإثراء وتعزيز وتمكين الثقافة الشرعية لغير المتخصصين بالعلوم الشرعية، للقيام بالواجبات والطاعات على بصيرة كما سبق ذكره. بالإضافة إلى ما يرافق رسالة هذه المدارس من تقوية عرى الإيمان في قلوب هؤلاء ليكونوا الأمناء والأوفياء لأمتهم وأوطانهم، وهذا يعتبر إنجازا كبيرا في المجتمع بما يحقق المواطنة الصالحة.

5. المدارس الشرعية هي صمام أمان من ذوبان الشخصية الإسلامية، بما يحفظ لها ثقافتها

وحضارتها من الانجراف وسط أمواج من العولمة والتغريب والاستشراق، ووسط انتشار المدارس الأجنبية في مجتمعاتنا، التي تغيّر ثقافتها تعاليم الإسلام الحنيف، فما تقوم به المدارس الشرعية من تمسيك النشء بالأصول (القرآن والسنة)، لهو طريق الصلاح، وفيه الفلاح للمجتمع، قال ربنا سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾¹.

6. المدارس الشرعية يعتبر وجودها تحدٍ حقيقي للوضع الراهن الذي تعيشه مجتمعاتنا من التيه والفساد، وما يترتب عليه من بلاء وشقاء، واحتلال وفقر وقهر، لبعث الناس عن دينهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾²، فتأتي هذه المدارس لتعيد البوصلة إلى وجهتها الصحيحة، ليعود لها عزها ومجدها، مع كتاب ربنا قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾³. أي شرف لك ولقومك⁴.
7. إعداد وتخريج دعاة مسلمين على قدر من المسؤولية، لما تدرسه المدارس الشرعية من مواد شرعية، يضاف إليها مادة أساليب الدعوة في الصف الحادي عشر، وما يرافقها من تطبيق عملي في الوعظ والإرشاد والخطابة وتدريب الطلبة على ذلك في المساجد، ليصبح الطالب قادرا على الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

المبحث الرابع: النهوض بالمدارس الشرعية.

إن المدارس الشرعية بحاجة ماسة إلى العمل على تطويرها والأخذ بأسباب النهوض بها، لا سيما أن عددها قليل في محافظات الوطن، كذلك الإقبال على التسجيل بها ضعيف جدا وخاصة في المحافظات الشمالية (الضفة الغربية). وقبل الحديث عن تطويرها لا بد من معرفة المعوقات والأسباب التي تحول دون انتشارها والإقبال عليها، وذلك من باب التشخيص لوضع الحلول والعلاج، وهو ما سنبينه في المطالب الثلاثة :

المطلب الأول : معوقات الإقبال على المدارس الشرعية :

1. ضعف فرص العمل لخريجي الكليات الشرعية وعدم استيعاب جميع أو معظم الخريجين، وبالتالي أدى ذلك إلى انصراف كثير من المتميزين عن هذا التعليم؛ نظرا لأن

1 - الآية (170) من سورة الأعراف.

2 - الآية (124) من سورة طه.

3 - الآية (44) من سورة الزخرف.

4 - مختصر ابن كثير (290/3).

الفرص المرتبطة بسوق العمل أكثر في التخصصات التطبيقية، وتلك التخصصات متاحة للمتميزين باعتبار تحصيلهم وقدراتهم، وأن كثيرا ممن يتجهون للتعليم الشرعي في بلادهم، أو في الدول العربية ليسوا هم الأكثر تميزاً¹.

2. تدني الرواتب للأئمة والوعاظ والخطباء مقارنة برواتب أقرانهم في المراكز الحكومية الأخرى، وفي الأغلب لا يؤمن لأصحابها العيش الكريم، وهؤلاء الخريجون بشر لهم طموحاتهم وتطلعاتهم.

3. الظروف السياسية في بعض البلدان، من استدعاء أو ملاحقة أو اعتقال لأهل الدين، وكذا صعوبة التوظيف لهم... ناهيك عن ضعف الاستقرار والأمان الوظيفي.

4. إن خريجي التعليم الشرعي لا تتحقق لهم مكانة اجتماعية لائقة، ولا يعطون التقدير الذي جعله الإسلام لهم، إذ جعل العلماء ورثة الأنبياء، فالمجتمع - إلا من رحم ربك - لا يعطيهم هذا القدر ولا نصفه ولا معشاره، وتجد كثيرا من الناس يجعلون أهل الدنيا والجاه والمال هم السادة، ولهم المكانة والاحترام الكبير، أما أهل العلم الشرعي فهم لا قدر لهم، بل أحيانا أنهم غير مرغوب فيهم.

5. الخشية من تعرضهم للإيذاء، سواء الجسدي بالاعتقال، أو التضيق بالمنع من السفر، أو المعنوي وما يكون من وصف أهل الشريعة والدين بأنهم (رجعيون، ظلاميون، متشددون...)، كما هو الحال في كثير من وسائل الإعلام، إلى درجة الهمز واللمز والظلم وتشويه صورة المتدين، ورمي كل عمل قبيح وهمجي بأهل الدين.

المطلب الثاني : أسباب عدم انتشار المدارس الشرعية:

1. المعوقات السابقة: فإن تلك الظروف الاجتماعية والسياسية والمعيشية لها دور كبير في عزوف ذوي الطلاب عن إلحاق أبنائهم بالتعليم الشرعي، سواء في المدارس الشرعية أو كليات الشريعة، وهو الشعور نفسه لدى الطلاب بما لمسوه من أهليهم أو من المجتمع، وبالتالي تصبح الرغبة في هذا التعليم ضعيفة جدا أو معدومة لدى كثير من الطلاب، وبالتالي سنجد أن هذه المدارس بدل انتشارها تأخذ في الازمحلال، كما حدث في الفرع الشرعي في مدينة نابلس المغلق حتى هذا الوقت.

2. ضعف الدعم المالي: فإن هذا التعليم يحتاج إلى بناء مدارس خاصة به، ليبدأ مشروعه

1 - تطوير التعليم الشرعي حاجة أم ضرورة، ص (115). (بتصرف)

المتكامل منذ الصفوف الأولى أو المتوسطة وحتى الثانوية العامة، في منهاج خاص، وإدارة خاصة، وطاقم كامل من الهيئة التدريسية. وكل هذا وذاك يلزمه دعم مالي يلبي كافة الاحتياجات، لا سيما وأن التعليم الشرعي مجاني لا يتقاضى من طلابه أي قسط مالي. فإذا كانت الجهات المشرفة على المدارس الشرعية سواء حكومية أو جمعيات خيرية غير قادرة على تلبية هذه الاحتياجات؛ فعندئذ سنقف عند أدنى وجود لها عدا عن مخاوف إغلاقها.

3. الضعف الديني: فإن تعلق الناس بالدنيا وزهدهم بالأخرة يجعلهم غير مهتمين برسالة هذه المدارس، ولا يقدرّون أهميتها في المجتمع، ولا يعون أثرها العظيم في بناء الجيل المنشود، وبالتالي تجد كثيرا من الناس لا يبالون بوجودها أو عدمها، فكيف سيعملون بعد ذلك من أجل المحافظة عليها ودعمها وزيادتها؟

المطلب الثالث : تطوير المدارس الشرعية والنهوض بها :

إن تطوير هذه المدارس يحتاج إلى تخطيط مدروس، وإدارة حكيمة ذات خبرة ودراية بطبيعة خصوصية المدارس، والمرحلة التي نعيشها بكل ظروفها وأحوالها، ولذلك لا بد من العمل المنهجي والموضوعي، بعيدا عن العواطف والأمانى.

والحديث عن التطوير هنا يقتضي أن نقوم بإزالة تلك المعوقات التي حالت دون الإقبال على هذه المدارس، وأن نحاول قدر الإمكان علاج الأسباب التي أدت إلى الضعف، ثم في أدنى الظروف والأحوال التعايش مع ما هو موجود وتخطي العقبات لا سيما النفسية وتحمل المشاق احتسابا للأجر والثوبة من الله عز وجل، حتى لا يدخل اليأس إلى نفوسنا ونكون شركاء في فقد هذه الصروح العلمية أو ترهلها.

ومن أجل النهوض بالمدارس الشرعية يمكننا العمل بما يلي :

1. تشجيع الوقف الخيري: وهو أحد أسباب علاج ضعف الدعم المالي، ومن هذه الوقفيات الإسلامية ما يعود نفعها على التعليم الشرعي بشكل عام، وعلى المدارس الشرعية بشكل خاص، بما يحقق ذلك قدرات أفضل للقائمين على رعاية المدارس في تنميتها وتطويرها، وما يستلزم ذلك من نفقات إضافية عما هو موجود، حتى لا يكون الصرف المالي مانعا من التطوير.

2. العمل على تعريف المجتمع بالمدارس الشرعية عبر كل المنابر الإعلامية، وتكثيف اللقاءات

والبرامج التي تبين أهمية هذه المدارس ودورها المهم في بناء الشخصية السوية المتسلحة بالإيمان والعلم، وحرصها الشديد على المحافظة على القيم والأخلاق الأصيلة.

3. تسليط الضوء على الأنشطة المتميزة والرائدة لهذه المدارس، وإبراز المبدعين وتكريمهم بما يليق بهم ويعزز من إبداعهم وتميزهم، ليكون هذا دافعا لهم للاستمرار في هذا النهج، وتشجيعا لزملائهم في المدرسة ليزداد التميز وينشط التنافس بينهم، ثم ليكون هذا حافزا لسائر الطلاب خارج مدرستهم للالتحاق بهذه المدارس التي تحتضن المبدعين.

4. تكثيف الأنشطة المدرسية المنهجية واللامنهجية والفعاليات التحفيزية مثل: (الرحلات الترفيهية / الأنشطة الرياضية / إنشاء بركة سباحة مغلقة داخل المدرسة / لقاءات مع المدارس الأخرى / حفل سنوي لتخريج الدفعات / تكريم الأوائل والمتميزين والفائزين بالمسابقات / إقامة المعارض لإبراز إبداعات الطلبة أمام الحضور والضيوف من الشخصيات المدعوة، ومنح الجوائز والهدايا تقديرا لكل من له بصمة أو إبداع أو تفوق....)، وكل هذا بلا شك سيخلق حافزا كبيرا لدى الطلبة ما يدعوهم إلى محبة المدرسة وتمسكهم بها، وحرصهم على بذل قصارى جهدهم من أجل التحصيل العلمي والتفوق، وخلق الدافع لدى المجتمع في تسجيل أبنائهم فيها... بعد أن تصبح المدرسة مضرب المثل في التميز والإبداع، والنشاط والتفاعل مع المجتمع.

5. زيادة الوعي في المجتمع عبر كل المحافل بأهمية دراسة وتعلم أحكام الشرع، وفضل ومكانة أهل العلم الشرعي، حتى لا يزهّد الناس بهذا العلم، ويلهثوا وراء الدنيا. فلا بدّ من إعادة الهيبة للتعليم الشرعي والاهتمام به تعلما وتعلّما.

6. وضع خطة إستراتيجية للمدارس الشرعية بدءاً من الأساسية إلى الثانوية، ثم المعاهد الشرعية إلى الكليات الخاصة بالشرعية والدراسات الإسلامية، تستهدف تخريج علماء فقهاء دعاة مفكرين قادة وقدوة قادرين على تغيير المجتمع وإصلاحه، وتجديده ودفعه نحو القيادة والريادة والشهود الحضاري، وترسيخ فقه الائتلاف وأدب الاختلاف في المدارس الشرعية، هادفة للتطوير والتجديد في المنهج والمقررات وإعداد المعلمين علمياً وتقنياً، من حيث طرق التدريس والتربية والتعليم.

7. تشكيل مجلس إدارة مشترك لجميع المؤسسات المشرفة على المدارس الشرعية، الحكومية والأهلية الخيرية، هدفه التعاون البناء لدراسة أوضاع هذه المدارس والعمل

بروح الفريق على حل جميع العقبات ووضع آليات فاعلة لتطوير عمل المدارس بجميع الجوانب (الطالب/المعلم/المناهج/المقررات / وسائل التعليم والتقييم ...).

8. التعاون مع جميع المؤسسات التعليمية الخاصة بالعلوم الشرعية والجامعات الإسلامية للعلوم الشرعية في العالم وعقد شراكات في مجالات تطوير التعليم الشرعي¹.

9. سن قوانين حكومية إيجابية لتشجيع الطلبة على الالتحاق بالتعليم الشرعي في المدارس، كما حصل بالنسبة للقرار الذي صدر عام 2011 م لاعتماد التوجيهي الشرعي كفرع من فروع الثانوية العامة في فلسطين، ثم القرار الصادر هذا العام بتاريخ 2017/4/11 بأن خريج الثانوية العامة للفرع الشرعي يعامل في الجامعات الفلسطينية معاملة الفرع الأدبي، ونأمل بالمزيد من هذه القرارات التي من شأنها رفع مكانة التعليم الشرعي، وخلق جو من التنافس في الإقبال على المدارس الشرعية، ويمكن دراسة هذه المقترحات لإقرارها :

أ. خصم ست ساعات دراسية لخريج المدارس الشرعية الملتحق في كليات الشريعة.
ب. منح تميز لخريجي المدارس الشرعية بأن من يحصل على معدل 85% فما فوق يحصل على منحة دراسية في كليات الشريعة وليس 90% كما هو القرار العام لطلبة الشريعة من سائر المدارس.

ت. أن يعامل طالب الفرع الشرعي كأى طالب من الفروع الأخرى (العلمي) لالتحاقه في أي كلية جامعية وبأى تخصص يسمح له معدله الدراسي في الثانوية العامة.
ث. منح مكافئة شهرية لطلاب المدارس التعليم الشرعي كحافز من الحوافز التي تشجع الطلاب على التسجيل في هذه المدارس واستمرارهم فيها.

10. إعادة الهبة والمكانة لخريجي التعليم الشرعي، وإزالة كل العوارض التي من شأنها الانتقاص من حقهم المادي والمعنوي، وعدم الاعتداء عليهم وإيذائهم بشتى أنواع الإيذاء، وتحقيق العدالة الاجتماعية لجميع أفراد المجتمع. وتوجيه خطاب وسائل الإعلام نحو الاتزان والموضوعية، والبعد عن التحريض والقبح والهمز لأهل الدين، بما يتوافق مع أخلاق الإسلام، وأمانة الكلمة ومسئوليتها.

11- إعادة دراسة المنهاج المقرر للمدارس الشرعية، والعمل على تطويره بما يتناسب مع الأسس العلمية والتربوية، ويقتضي ذلك العمل وفق الأمور الآتية :

أ. اختيار الأنسب من المواد الشرعية، لكل مرحلة عمرية وفق ما يلزم من مواكبة العصر وتحدياته.

1 - (8/7/6) من توصيات البيان الختامي للمؤتمر العالمي للتعليم الشرعي وسبل النهوض به، بتصرف، (بتاريخ 15-17/4/2016- الدوحة).

ب. إعادة دراسة المنهاج الشرعي للصفوف المتوسطة (السابع إلى العاشر)، ليمهد للمقرر

الجديد للصفين (الحادي عشر والثاني عشر)، ويتوافق معه في العرض والأسلوب .

ج. تيسير التعليم الشرعي: فالأصل في العلم هو التيسير، وإن أساس العلم ومصدره كتاب

الله عز وجل، وقد أخبر تبارك وتعالى عن تيسيره فقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ

مِن 14، وكان المعلم الأول ﷺ من أكثر الناس تيسيرا في تعليمه، فقد قال عن نفسه: ” إن

الله لم يبعثني مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِن بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا ” 2.

وبالتأكيد فإن طلاب هذا العصر يجدون صعوبة في فهم الألفاظ والمصطلحات الشرعية،

والمتون والمختصرات والحواشي، وهم بحاجة إلى ما يحفزهم للتعليم الشرعي، وبالتالي لا بد من

إعداد مؤلفات معاصرة تجمع بين العمق والرصانة، وتقريب العلم الشرعي لصغار الطلبة، ولغير

المتخصصين بلغة يفهمونها وترتبط بواقعهم.3

وبناء عليه لا بد من العمل على التطوير الإيجابي في المنهاج للانتقال من المفضول إلى الأفضل،

ومن الحسن إلى الأحسن لإصلاح حاضرنا وبناء مستقبلنا، بعيدا عن التطوير السلبي الذي يراد

به مسخ التعليم الشرعي وحرفه عن رسالته وتفريغه من محتواه.

وأخيرا... فإنه من الضرورة بمكان العمل الجاد والمشارك والموحد من أجل تطوير المدارس

الشرعية والنهوض بها، حتى يتحقق لها النجاح في رسالتها المباركة وأهدافها السامية، وإن نجاح

المدارس بتحقيق أهدافها إنما هو بداية تفوق ونجاح في المرحلة الجامعية، وما يليها لنفحة ورفعة

هذا الوطن العزيز.

ثم إن انتشار المدارس الأجنبية في مجتمعاتنا، يدعونا إلى المسارعة في إنشاء المدارس الشرعية

وتطويرها لتكون منافسة على أعلى المستويات.

وتبرز أيضا ضرورة تطويرها من خلال ما نلاحظه من إقبال أولياء الأمور على المدارس

الخاصة عموما، إذ يأملون لأبنائهم جوا تعليميا وتربويا أفضل مما هو في المدارس الحكومية، فلا بد

أن تكون المدارس الشرعية في الصدارة، يطمع كل ولي أمر ويأمل أن يكون ابنه أحد طلابها لما يرى

من إدارة حكيمة وطاقم من المدرسين القدوات، وبأعلى المستويات من الخبرة والإبداع والتميز في

التدريس، ثم ما يجدونه من أثر التربية الصالحة في السلوك السوي لأبنائهم مع تفوقهم الدراسي.

1 - سورة القمر: آية (17).

2 - صحيح مسلم (1478).

3 - تطوير التعليم الشرعي حاجة أم ضرورة، ص (123-126) بتصرف.

الخاتمة والتوصيات :

1. إن المدارس الشرعية تعتبر من أهم المحاضن التربوية، ولا بد للمجتمع والدولة من الاهتمام بتنشئة الجيل منذ مراحل الطفولة، وتحمل كل مسؤول عن رعيته.
2. إعادة الاهتمام بالتعليم الشرعي، لما يشكل من ضرورة لصالح المجتمع وسعادته في الدارين.
3. حاجة المجتمع إلى المدارس الشرعية كونها صمام أمان للعقل والفكر والسلوك، تحمي المجتمع من الانحراف الفكري، وتحصن أفرادها من الانهيار الأخلاقي.
4. قلة عدد المدارس الشرعية في فلسطين، الأمر الذي يدعونا إلى ضرورة الاهتمام بها والمحافظة على وجودها، وإنشاء المزيد منها.
5. ضعف الإقبال على المدارس الشرعية يتطلب العمل على معالجة أسبابه، لا سيما إنصاف خريجي التعليم الشرعي.
6. التشجيع على الوقف الإسلامي الخيري بما يعود نفعه على التعليم الشرعي لدعمه في مواصلة مسيرته بقوة وجدارة.
7. سن قوانين داعمة للتعليم الشرعي، ومنها:
 - أ. فتح المجال لطلاب الفرع الشرعي بدراسة التخصصات العلمية، وما يقتضي ذلك من تعديل على المواد المقررة.
 - ب. خصم ست ساعات دراسية لخريج المدارس الشرعية الملتحق في كليات الشريعة.
 - ج. منح تميز لخريجي المدارس الشرعية في كليات الشريعة بمنح دراسية لمن يحصل على معدل 85% فأعلى.
8. العمل المشترك والموحد على تطوير كل ما من شأنه أن يأخذ بالتعليم الشرعي للنهوض به، ليحقق التفوق أمام كل المنافسين، فتصبح المدارس الشرعية هي الرائدة بإذن الله تعالى.

الوقف وأثره في دعم التعليم الشرعي وتطويره

إعداد الباحثة
تحرير شكرى: عبد الحميد حماد*
ديوان قاضي القضاة / المجلس الأعلى للقضاء الشرعي

*حاصلة على ماجستير دراسات اسلامية من جامعة القدس - ابوديس -
موظفة في المحاكم الشرعية (اول مأذون شرعي بفلسطين كامرأة وثالث امرأة في الوطن العربي)
شاركت في العديد من المؤتمرات خارج فلسطين وداخلها ولي العديد من الابحاث المنشورة
اخرها المشاركة في مؤتمر (اللاجئون في الشرق الاوسط) في جامعة اليرموك / الاردن ببحث
بعنوان [أهم المبادرات الدولية في معالجة قضايا اللاجئين الفلسطينيين عام 1948]

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فيعتبر الوقف نظام تمويل غير ربحي في الإسلام، وهو من الموارد المالية التي تعمل على تنمية المجتمع والرفي به إلى الأفضل، ويحقق التكافل والتضامن الاجتماعي بين أفرادها، لأنه يحرك الأموال، ويدفع بها إلى مجالات التنمية والاستثمار، فهو من المصادر التمويلية الرئيسية في دعم المشاريع التعليمية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى عصرنا الحاضر بصور مختلفة وبتفاوت واضح من مكان إلى آخر في شتى بقاع العالم العربي والإسلامي.

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية الوقف، فضلاً عن أهميته كشعيرة دينية، فهو يساهم أيضاً في تطوير ودعم التعليم الشرعي كونه مصدراً رئيسياً من مصادر الإيرادات في الدولة الإسلامية. ويبقى الوقف أداة قادرة وفاعلة في تطوير ودعم التعليم الشرعي على مر العصور والأزمان شأنه شأن الإسلام الذي يصلح لكل زمان ومكان.

ومن خلال النظر إلى أرض الواقع حسب علم الباحث نجد أن الوقف لا يوجد له في الوقت الحاضر دورٌ يُذكر في تطوير ودعم التعليم الشرعي لجهل الناس بجواز الوقف على الجوانب التعليمية بما يحقق دعم التعليم الشرعي، من هنا ارتأيت الكتابة في بيان دور الوقف في دعم التعليم الشرعي وتطويره.

المبحث الأول:- تعريف الوقف، تعريف التعليم الشرعي، ونبذة تاريخية وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول:- تعريف الوقف لغة واصطلاحاً.

الوقف في اللغة، يعني: الحبس مطلقاً، سواء كان حسيماً أو معنوياً، وهو مصدر وقففت أقف بمعنى حبست، ومنه حبس الدابة إذا حبستها على مكانها، ومنه قول العرب: " وَقَفَ الدَّارَ عَلَى الْمَسَاكِينِ إِذَا حَبَّسَهُ"⁽¹⁾.

وفي الاصطلاح الفقهي لم يتفق الفقهاء على تعريف موحد للوقف، إذ عرفوه بتعاريف مختلفة

1- الزبيدي، محمد: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، ج24/ص467 وما بعدها، مطبعة حكومة الكويت - الكويت، 1987م. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، تحقيق جماعة من المحققين، ج2/ص1051، دار احياء التراث الإسلامي- قطر.

تبعاً لاختلاف مذاهبهم في الوقف من حيث لزومه وعدمه، واشتراط القرية فيه، والجهة المالكة للعين بعد وقفها، وغيرها من الشروط والسمات التي تبين صحة عقد الوقف عندهم⁽¹⁾.

أ. تعريف الحنفية :- الوقف هو: "حبس المملوك عن التملك من الغير"⁽²⁾.

ب. تعريف المالكية: "هو إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاؤه في ملك مُعطئها ولو تقديراً"⁽³⁾.

ج. تعريف الشافعية: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته، وتصرف منافعه تقرباً إلى الله تعالى"⁽⁴⁾.

د. تعريف الحنابلة: "تحييس الأصل، وتسبيل الثمرة"⁽⁵⁾، وفي هذا إشارة إلى أصل وضعه الشرعي من حيث كونه صدقة جارية أي مستمرة"⁽⁶⁾.

هـ. التعريف المختار: -

يمكن القول بأن أقرب تعريف إلى الشمول هو تعريف الحنابلة وهو "تحييس الأصل وتسبيل المنفعة" وذلك لأنه مقتبس من قول الرسول صلى الله عليه وسلم "إن شئت حبست أصلها وتصدق بها"⁽⁷⁾.

المطلب الثاني :- تعريف التعليم الشرعي.

العلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً، وضده الجهل (8).

الشرع: يُقصد به الشريعة الإسلامية، وهو ما تفرع عن القرآن الكريم والسنة النبوية،

-
- 1- الساعاتي، يحيى محمود جنيد: الوقف والمجتمع، نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي، سلسلة كتاب الرياض، ع39/ص12، 1417هـ - 1997. الكبيسي، محمد عبيد عبد الله: أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ج1/ص58، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1977م.
 - 2- السرخسي، محمد بن أحمد بن سهل شمس الأئمة: الميسوط، ج12/ص27، دار المعرفة، بيروت، 1986م. العاني، أسامة: صناديق الوقف الاستثماري دراسة فقهية اقتصادية، ص18، دار البشائر الإسلامية، 2010.
 - 3- عليش، محمد بن أحمد بن محمد (ت:1299هـ): منح الجليل شرح مختصر العلامة خليل، ج4/ص34، دار صادر. منصور، سليم: الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، ص19، مؤسسة الرسالة، 2004.
 - 4- الغزالي، أبو حامد: الوجيز في فقه الإمام الشافعي، ط1، ج1/ص424، دار الأرقم للطباعة والنشر.
 - 5- ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي: المغني، ج6/ص185، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
 - 6- غانم، إبراهيم: مقدمة "نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي"، ص10، مركز دراسات الوحدة العربية، الأمانة العامة للأوقاف - الكويت، 2001.
 - 7- الألباني، محمد ناصر الدين: مختصر صحيح البخاري، ط1، ج2/ص253، دار ابن القيم - الدمام.
 - 8- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل (ت711هـ): لسان العرب، ط3، ج12/ص417، دار صادر - بيروت، 1414هـ - الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ): المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط1، ج1/ص580، دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت، 1412هـ.

فالعلوم الشرعية: هي العلوم التي تفرعت عن الكتاب والسنة وإجماع علماء الشرع، كالعقيدة والفقه والقرآن وعلومه والحديث وعلومه واللغة العربية وفروعها وغيرها من العلوم الشرعية (1). والتعليم الشرعي هو أداة نشر الدين، وإقامة الشريعة والملة، وبه يعرف الناس ربهم عز وجل، وأحكام عباداتهم ومعاملاتهم، والحلال والحرام، ومنذ الصدر الأول وإلى يومنا والأمة تعنى بالتعليم الشرعي، فأهل العلم يتطوعون لتعليمه، وينفق الموسرون من المسلمين على مدارس التعليم الشرعي ومؤسساته (2).

المطلب الثالث:- نبذة تاريخية عن دور الوقف في دعم التعليم الشرعي.

انتظم الوقف عموماً عيناً ونفعاً بعد عصر الخلفاء الراشدين، وخصوصاً في العصر الأموي، وقد قام القاضي توبة الحضرمي في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (87هـ - 705م) بتنظيم ديوان مستقل للوقف، ثم توسع الأمر وازدهر بإيقاف الأموال على التعليم والثقافة خصوصاً في عهد العباسيين ومن جاء بعدهم.

ولقد غدت ميزانية الأوقاف في كثير من الأوقات تنافس ميزانية السلطة الحاكمة أو مؤسسة الخلافة، بل وصل الأمر إلى أن تقوم مؤسسة الخلافة بالاقتراض من خزينة الوقف، فقد استشار الصالح بن أبي الصبر إمام وقاضي القرويين 688هـ، أمير المؤمنين أبا يعقوب يوسف، في تبييض صومعة القرويين وإصلاحها، فأذن له وأمره أن يأخذ من أموال أعشار الروم، ثم قال له: "إن في مال الأعباس ما فيه كفاية إن شاء الله" (3).

لعب الوقف عبر مسيرته التاريخية بالبلاد الإسلامية دوراً رائداً ومميزاً في العملية التعليمية، حيث كان العمود الفقري للمدرسة والمؤسسات التعليمية الأخرى كالمساجد والزوايا، مما جعله يحافظ على قيمة العلم والعلماء والارتقاء بالطلاب وثقافتهم (4)، وفيما يأتي أهم المجالات التعليمية والعلمية التي أسهم الوقف في دعمها:

1. وقف المساجد: كانت المساجد في الحضارة الإسلامية قبل إنشاء المدارس الرسمية المصدر الحقيقي للعلم والتعليم واللبنة الأساسية له، وما المساجد سوى منشآت وقفية، ومن

1- الطريقي، أد. عبد الله بن إبراهيم بن علي: العلم الشرعي دلالات وتقسيمات. موقع <http://www.alukah.net/web/triqi>

2- الدويش، محمد بن عبد الله بن إبراهيم: تطوير التعليم الشرعي... حاجة أم ضرورة، ط1، ص31، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، 1434هـ - 2013م.

3- عبد الله، محمد: الوقف في الفكر الإسلامي، ج2/ ص199، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1996م.

4- قاسمي، أحمد: الوقف ودوره في التنمية البشرية مع دراسة حالة الجزائر، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير في علوم التسير، تخصص نقود مالية/ كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسير، ص90، جامعة الجزائر، 2007-2008م.

قبيل ذلك نذكر في العراق مثلاً مسجد البصرة ومسجد الكوفة وجامع المنصورة ببغداد، وفي الشام المسجد الأقصى والجامع الأموي بدمشق وفي مصر جامع عمرو بن العاص في الفسطاط، وفي الجزائر الجامع الكبير وقد كانت هذه المساجد مراكز للعلم والتعلم وجامعات لتدريس علوم القرآن والحديث والفقه واللغة (1).

2. وقف المدارس: بالنظر لكون الإنفاق على التعليم قربة لله، كان كثيراً ما يلحق بالمساجد كتاتيب تنشأ بجانبها، وتشبه المدارس الابتدائية في العصر الحالي، لتعليم القراءة والكتابة واللغة العربية والعلوم الرياضية، وبلغت تلك الكتاتيب التي تم تمويلها بأموال الوقف عدداً كبيراً، فمثلاً كان في مدينة واحدة من مدن صقلية المعروفة حالياً باسم إيطاليا 300 كتاب، ومما يذكر أنه كان هناك كُتَّابٌ لأبي القاسم البلخي يتعلم به ثلاثة آلاف تلميذ ينفق عليهم وعلى الدراسة فيها من أموال موقوفة لذلك الغرض.

3. وهكذا حتى وصل الأمر إلى تأسيس مدارس مستقلة ومتخصصة لتدريس مختلف العلوم الشرعية واللغة العربية والتاريخ والطب والإدارة وغيرها، وإن كان من الصعب حصرها إلا أنه يمكن ذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر: ففي بغداد نجد المدرسة النظامية، والمدرسة المستنصرية، والمدرسة الفخرية، وفي مصر المدرسة الظاهرية، والمدرسة الفاضلية، والمدرسة الناصرية، وفي المملكة العربية السعودية وبالذات في المدينة المنورة المدرسة الحميدية، والمدرسة الكشميرية، والمدرسة العرفانية (2).

4. وقف المكتبات والأوقاف الأخرى الداعمة للعملية التعليمية: تنافس الواقفون في إنشاء المكتبات العامة والخاصة وفتحها أمام الطلبة، وأوقفوا عليها الأوقاف الدارة للصرف عليها وتزويدها، وذلك لنشر الثقافة وتزويد الباحثين بكل ما يحتاج إليه من مؤلفات. وكانت خدماتها لا تقتصر على توفير الكتب فقط، بل تفرد قاعات للمطالعة والفهارس المنظمة وأدوات النسخ والإضاءة والسكن... إلخ، فهي أقرب إلى المكتبات العامة أو المركزية اليوم ومراكز النشر والترجمة، وإلى جانب تلك المكتبات المستقلة كان الكثير منها ملحقاً بالمساجد والمدارس والمشافي وقصور الحكام ومنازل النبلاء والعلماء.

ومن أمثلة المكتبات الموقوفة: دار العلم في البصرة، دار العلم في بغداد، خزانة الكتب في حلب،

1 - قاسمي: الوقف ودوره في التنمية البشرية، ص 94. الخطيب، ياسين: " أثر الوقف في نشر التعليم والثقافة"، ص 291، مؤتمر الأوقاف الأول، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 2001.

2 - المغربي، محمد الفاتح: " دور الوقف في التمويل الاقتصادي"، ص 20، الملتقى الدعوي الثالث، السودان، 2010م. قاسمي: الوقف ودوره في التنمية البشرية، ص 94 - 95. الساعاني: الوقف والمجتمع، ص 22 - 23.

مكتبة الحرم المكي الشريف، مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة المنورة... إلخ. ومن المكتبات الوقفية التي لعبت دوراً حضارياً في التاريخ الإسلامي المكتبة التي بناها بنو عمار في طرابلس بالشام وكانت آية في السعة والضخامة إذ كان عدد النساخين فيها 170 ناسخاً، يتناوبون العمل ليل نهار بحيث لا ينقطع النسخ فيها ويقال أنها حوت مليون كتاب⁽¹⁾.

5. الأوقاف على الأبحاث العلمية: كان الوقف من أهم مصادر تمويل الأبحاث العلمية، والقيام بسداد تكاليفها المادية من حيث الانفاق أو تشجيع العلماء الباحثين، بل إن تأسيس دور العلم ومعاهد التربية ومراكز البحث كالمدارس والمكتبات والمشافي، ما هي إلا صور من الدعم اللامحدود للبحث العلمي، وذلك بما يوفر هذا الدعم السخي للعلماء والباحثين من راحة نفسية، وأمن اجتماعي، واستقرار معيشي لكي يفكروا ويبدعوا. ولدينا من الشواهد على تمويل الوقف الخيري للأبحاث العلمية (مثلاً) ما قدمه من دعم للأبحاث

الطبية التي أجراها الأطباء المسلمون، حيث توصلوا إلى فكرة إدخال السكر في الأدوية، ونجاحهم في التخلص من مرارة الدواء بتحليلته خاصة أدوية الأطفال⁽²⁾. ومن الممكن أن يقال إن الوقف مَوَّل الحركة العلمية والبحثية، بتمكينه من نسخ الكتب، ونشرها، وحفظها في خزائن الكتب الوقفية. وهذا ما يؤكد العالم الجغرافي ياقوت الحموي الذي صرَّح بأن ما كتبه في كتابه معجم البلدان كان مما جمعه من فوائد الكتب الموقوفة التي استعارها، حيث يقول: (وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد، وأكثرها بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار فكننت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها...)⁽³⁾.

المبحث الثاني:- دور الوقف في تطوير التعليم الشرعي وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول:- واقع العلاقة بين التعليم الشرعي والوقف.

إن واقع العلاقة اليوم بين الوقف ومؤسسات التعليم، يحمل الكثير من السلبيات والإيجابيات، وحديثنا عن هذه العلاقة هو فرع من أصلٍ لمشكلة أكبر وهي معاناة الوقف بذاته، كمشروع

1 - الصالح، محمد: "الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع"، ط1، ص185، 2001م. قاسمي: الوقف ودوره في التنمية البشرية، ص96. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت: 774هـ): البداية والنهاية، ط3، ج13/ص150، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ الساعاتي: الوقف والمجتمع، ص37.

2 - منصور: "الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر"، ص146. الخويطر: الوقف ودوره في دعم التعليم، ص28.

3 - الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ): معجم البلدان، ج8/ص36، دار الفكر، بيروت.

اسلامي حضاري، من التدهور والإهمال والتردي في واقع مجتمعنا. فما يقال عن العقبات التي تظهر أمام تطبيقات الوقف عامة، أصل لتلك العقبات التي يواجهها الوقف التعليمي والثقافي في الحركة التعليمية والعلمية والثقافية في مجتمعنا، ومما يعزز تلك العقبات ويثيرها هو ذلك العزوف المستشري عن وقف الأوقاف ذات الوظيفة التعليمية والتثقيفية.

وهذا الانحسار لدور الوقف التعليمي في مجتمعنا جاء نتيجة عوامل عدة، من أهمها:

- يندرج ضعف الوقف في مجتمعنا في إطار حالة عامة تمر بها الأمة الإسلامية، تتمثل في الضعف الروحي والمادي الذي تعاني منه المجتمعات الإسلامية.
- جاء ضعف دور الوقف في مجتمعنا نتيجة حتميه لإضعافنا لأنفسنا، بعدم الجدية في تطبيق الإسلام كشرعية وسلوك في قلوبنا وجوارحنا على أكمل وجه.
- اعتقاد البعض أن الوقف لا يكون إلا في أمر تعبدى صرف، ولا يمكن أن يرقى إلى دور مدني تنموي ليقدم المجتمع في مجالي التعليم أو الثقافة مثلاً.
- تسرب بعض الأفكار الاقتصادية الدخيلة على مجتمعنا، والتي يُروج أصحابها لدعاية مضادة لمشروع الوقف الخيري، ويطرحون أمامه الشبهات حول دوره الإيجابي، مدّعين - مثلاً- أن الوقف يشجع على البطالة، ويقلل من الإنتاجية المادية والبشرية، ويرون أنه عائق عن التحديث والتقدم المدني للمجتمع⁽¹⁾.
- اهتزاز الثقة في نفوس كثير من الموسرين بجدوى الوقف، نظراً لسوء ادارة نظارته⁽²⁾، وضعف متابعتها، وهو أمر بالغ الخطورة لأنه يشكل عامل طرد لمن هم قادرين وراغبون في وقف أملاكهم على مصالح الامة الأساسية، كالتعليم والثقافة.
- اتجاه كثير من الأثرياء، ومحبي الخير، لدفع معونات مالية وتبرعات عينية للجهات الخيرية، وهذه المشاركات على ما فيها من الخير العميم، إلا أنها لا تتمتع بالخصائص التي للوقف من حيث الاستمرارية والقابلية للنماء، لأن التبرعات تذهب بنهب مسديها.
- إن الكثير من الواقفين، يكتفون بوقف العين، ولا يبنون أوقافاً لصالحها لتدر عليها ريعاً يضمن لها الاستمرار والاستقلال، ويحفظها من الاندثار⁽³⁾.

1- غانم، إبراهيم البيومي: فاعلية نظام الوقف في توثيق التضامن بين المجتمع والدولة في دول الخليج العربي، على موقع <https://archive.islamonline.net/?p=10333>

2- اليوسف، يوسف خليفة: الدور التنموي للوقف الإسلامي، م28/4ع/107، مجلة العلوم الإسلامية الكويت، 2000م.

3- الخويطر، خالد بن سليمان بن علي: الوقف ودوره في دعم التعليم والثقافة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام، ص 80- 81.

• فالعلاقة القائمة اليوم بين الوقف والمؤسسات التعليمية هي دون المستوى المأمول، بل إنها فقيرة إذا ما قسناها بالنماذج التطبيقية التاريخية. ولكن مستقبلياً يمكن أن يكون أفضل بفضل الظروف والإمكانات المتاحة، والتي ترشح الوقف لدور حضاري رائد في مجال التعليم، وخاصة أن في شريعتنا الغراء صلاحية عصرية متجددة، بها نستطيع إزالة تلك العقبات والتغلب على تلك العراقيل التي تحول دون أن يقوم الوقف بدوره في تطوير التعليم الشرعي، هذا فقط إذا صدقت النية واقترن بها الوعي والتخطيط⁽¹⁾. وفي هذا السياق أورد بعض التجارب الناجحة في جامعات البلاد المتقدمة بالاعتماد في حالات متعددة على فكرة الوقف في تطوير التعليم:

1. تجربة لجنة مسلمي إفريقيا (جمعية العون المباشر) - هيئة خيرية عاملة بإفريقيا، ولها تجربة غنية ورائدة في مجال الإغاثة ومشاريع البر والإحسان والمشاريع التعليمية والثقافية، وأملاكها وأموالها في جوهرها وحقيقتها هي عبارة عن أحباس. ومن أهم مجالات عملها:

* بناء المساجد والمدارس القرآنية.

* التعليم: بناء وتسيير مدارس قرؤية (ابتدائي، متوسط، ثانوي).

* مساعدة طلبة العلم بالمنح، أو دفع الرسوم الدراسية عنهم⁽²⁾.

2. تجربة الوقف الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية: تعرف أوساط المسلمين في البلدان الغربية حركة متنامية لحفظ دينهم وهويتهم وثقافتهم، والدفاع عن حقوقهم ومركزهم في هذه المجتمعات. وقد بدأت هذه الحركة على شكل مبادرات صغيرة محلية وفردية، ثم أخذت هذه المبادرات تتسع، ثم تطورت إلى هيئات ومؤسسات ومراكز متعددة الخدمات. وقد وصل الأمر إلى حد إقامة مؤسسات جامعية، كما هو الشأن في إسبانيا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

ونظراً لشدة الاحتياج إلى الدعم المالي أو التمويل الكامل لهذه الأنشطة والمؤسسات، فقد كانت فكرة الوقف هي الملجأ والحل. وهكذا بدأ المسلمون المغتربون يطرقون هذا الباب مستفيدين من تراثهم الديني والحضاري، مع تكييف مشاريعهم مع مقتضيات القانونية للبلدان التي يقيمون فيها. ومن هذه المشاريع: "الوقف الإسلامي الأوروبي" المسجل في بريطانيا في إطار شركة خيرية

إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية، الكويت، 1422هـ - 2011م.

1- الخويطر: الوقف ودوره في دعم التعليم، ص 81.

2- الزعترى، د. علاء الدين: دور الوقف في تطوير التعليم، الموقع الإلكتروني http://alzatari.net/researches/display_print/63

ذات مسؤولية محدودة، وبعض المشروعات الوقفية سجلت في إطار شركات تضامن⁽¹⁾.

3. الوقف الإسلامي لأمريكا الشمالية: تم تأسيسه وتسجيله بصفة قانونية بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1971م، وأوكلت إليه في البداية المهام الآتية:

- حيازة أملاك ومشاريع اتحاد الطلبة المسلمين بصفتها أملاكاً حبسية.
 - تجميع ملكية المساجد والمراكز الإسلامية القائمة على هذا الأساس.
 - توفير الأموال الضرورية للاتحاد ولأنشطته، عن طريق استثمارات تسد احتياجاته وتعفي مسؤوليه وأنشطته من الانشغال بجمع التبرعات.
- وفي غضون عقدين من تأسيس هذا الوقف، تمكّن من امتلاك 191 عقاراً، تبلغ قيمتها الإجمالية 70 مليون دولار أمريكي. كما قام باستثمار الأموال الخاصة بالمساجد والمراكز والمدارس الإسلامية بما يزيد مجموعه عن 20 مليون دولار. كما قام بإنشاء عدد من المدارس الإسلامية، وساهم في تمويل الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية.

كما قدم خدمات وخبرات عديدة للمسلمين في مشاريعهم الخيرية، مثل الاستشارات القانونية، ونشر الكتاب الإسلامي، والأشرطة السمعية والبصرية للقرآن الكريم، ومواد إسلامية متنوعة⁽²⁾.

4. مؤسسة سار الخيرية: وهي مؤسسة أخرى للوقف الإسلامي مقرها بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ولها فروع ذات استقلال قانوني محلي بكل من زمباوي، وساحل العاج، وكندا، وشيلي، ومصر، والمغرب، وتركيا، وماليزيا، وروسيا، إضافة إلى سار أنترناشيونال بواشنطن.

ومن أعمالها الخيرية خلال السنوات العشر الأولى من عمرها:

- إنشاء صندوق القروض والمنح الدراسية.
- دعم المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- إنشاء عدد من المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية في عدد من الدول⁽³⁾.

1- الزعتري: دور الوقف في تطوير التعليم، الموقع الإلكتروني http://alzatar.net/researches/display_print/63

2- الزعتري: دور الوقف في تطوير التعليم، الموقع الإلكتروني http://alzatar.net/researches/display_print/63

3- الزعتري: دور الوقف في تطوير التعليم، الموقع الإلكتروني http://alzatar.net/researches/display_print/63

المطلب الثاني:- أثر الوقف البارز في دعم وتطوير التعليم الشرعي.

يعد الوقف بمفهومه الواسع أصدق تعبيراً وأوضح صورة للصدقة التطوعية الدائمة، بل له من الخصائص والمواصفات ما يميزه عن غيره؛ وذلك بعدم محدوديته واتساع آفاق مجالاته، والقدرة على تطوير أساليب التعامل معه.

فنظام الوقف مصدر مهم لحيوية المجتمع وفاعليته وتجسيده في لقيم التكافل الاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى آخر حاملة مضموناتها العميقة في إطار عملي يجسده وعي الفرد بمسؤولياته الاجتماعية ويزيد إحساسه بقضايا إخوانه المسلمين في بقاع العالم، ويجعله في حركة تفاعلية مستمرة مع همومهم الجزئية والكلية.

فلا بد من ضرورة استعادة نظام الوقف الاسلامي في الوقت الراهن، إذ أثبتت صيغة الوقف كمصدر أساسي للتمويل الذاتي أنها أكثر الصيغ مناسبة من حيث استقرار المؤسسات التعليمية ذاتها، والاستمرار في الأداء دون تأثير كبير بالتقلبات والأزمات الطارئة، والاستقلالية في البحث العلمي والحرية في الفكر. وتؤكد المصادر التاريخية المكانة المتقدمة التي احتلتها علوم الطب والهندسة والفلك والفيزياء والجبر إلى جانب أصناف العلوم والآداب والفلسفات الأخرى لَمَّا كان الاهتمام بها عبر مؤسسات الأوقاف. فيلعب الوقف دور بارز في دعم وتطوير التعليم الشرعي حيث أنه :-

1. مصدر تمويل ثابت ومستقر: يتميز الوقف بأنه مصدر ثابت تتلقى منه المؤسسة التعليمية كل ما تحتاجه من مصروفات ونفقات، وهذا الثبات هو الذي ساهم في تثبيت أركان المدرسة ومكنها من القيام برسالتها، حيث كان الربح الذي تغله الأعيان الموقوفة على المدرسة شهرياً أو سنوياً نقداً أو عينياً هو ضمان استمرار العمل المدرسي وبفضل تميز الوقف بالثبات، لم تكن حياة المدرسة وغيرها من المؤسسات التعليمية رهناً بحياة مؤسسها إذ إن في الوقف ما يضمن استمرارها حتى بعد وفاته، وكان مرد هذا الثبات والاستمرارية في الوقف يعود إلى حفظ الأصول المنتجة وعدم التصرف فيها والإنفاق من ريعها. ومن اتسام الوقف بالثبات والاستقرار - كمصدر تمويل - يتضح أحد أدواره الهامة في الحركة التعليمية.

2. يحقق الاكتفاء الذاتي للمؤسسة التعليمية: أسهم الوقف بما يدره من عائدات في توفير احتياجات المؤسسة التعليمية الموقوفة من أجلها حيث ينفق ريع الوقف في الأوجه

المقرر صرفها والتي تضمن الوفاء بمتطلبات المؤسسة سواء من حيث رواتب المعلمين، أو مكافآت الطلاب، وغيرها من لوازم المؤسسات التعليمية، وقد أدى هذا الريح الوافر إلى تحقيق نوع من حرية التعليم واستقلالية العلماء فيما يقومون بتدريسه دون وصاية من الدولة إلا من الشروط التي وضعها الواقف، وهو الأمر الذي دفع بعلماء المسلمين إلى تعظيم الوقف، وحرصهم على بقاءه واستمراره؛ وحمائته، والوقوف في وجه من يحاول التعدي عليه، وإجماعهم على تحريم إلغائه.

3. تطوير نظام التعليم: لم يكتف الوقف بدوره كمصدر تمويلي للمؤسسات التعليمية؛ وإنما أسهم إسهامًا فاعلاً في تطوير النظام التعليمي من خلال تلك الاشتراطات التي يضعها الواقفون في سير الدراسة في المدارس التي يقفونها حتى يمكن القول أن وثيقة الوقف أو كتاب الوقف كان أشبه ما يكون باللائحة الأساسية للمؤسسة التعليمية أو النظام الداخلي للمدارس.

وكان للشروط التي يضعها الواقفون أثر في كيفية سير الدراسة بالمدرسة وذلك بما تتضمنه من تنظيمات مالية وإدارية من حيث شروط القبول في هذه المدارس والكتب المعتمدة للتدريس، وإعداد الطلبة في كل تخصص وغيرها من التنظيمات.

4. توفير المباني التعليمية: حيث كان من أهم إسهامات الوقف التعليمي إسهامه الواضح في توفير المباني التعليمية، ولعل المتبع لحالة التعليم الإسلامي لا يجد إشارة استئجار المباني التعليمية إلا ما كان في الكتاتيب، أما المؤسسات التعليمية التي واكب ظهورها ووقف الأوقاف فقد كان المبنى أصلاً اقتصادياً ثابتاً من أصول الوقف نفسه.

ولقد أدت حرية التعليم إلى مسارعة الخيرين القادرين من أبناء المجتمع الإسلامي بإنشاء المؤسسات التعليمية والوقف عليها، ولعل مرد ذلك - فضلاً عن الدافع الديني - هو الدافع المعنوي الكبير المتمثل في تسمية هذه المؤسسات التعليمية بأسماء منشئها.

وهو الأمر الذي يمثل تكريمًا حقيقياً لهم، وتشجيعاً للآخرين على الإسهام والتبرع لضمانهم بإحياء أسمائهم وذكراهم - حتى بعد موتهم - بما يحقق الدعاء لهم والترحم عليهم.

5. تعميق روح المسؤولية: فقد أدت الأوقاف إلى تنامي روح المسؤولية تجاه التعليم من قبل أبناء المجتمع الإسلامي، حيث تدل ضخامة الأوقاف على التعليم على معنى المسؤولية الفردية والشعبية عن التعليم إدارة وتمويلًا، ومن منطلق هذه الروح المسؤولة نجد أن واقفي الأوقاف كانوا من الخلفاء أو السلاطين والأفراد والتجار والعلماء والقضاة والنساء

وغيرهم من أبناء المجتمع الإسلامي، ولقد أدى تنامي هذه المسؤولية إلى مسارعة الكثيرين من أبناء المجتمع المسلم إلى وقف الأوقاف على مدارس أو مؤسسات سبق أن شيدها غيرهم، بل لقد أدى تنامي هذه الروح إلى عدم قصر المخصصات الوقفية على إنشاء المدارس الشرعية فقط، وإنما امتد إلى إنشاء المدارس الطبية والإدارية إضافة إلى علوم الفقه والحديث وشمل التعليم الكبار والصغار، والرجال والنساء، لأن الوقفيات سهلت لهم ذلك، وبفضل هذه الروح نجد أن بعض الأوقاف قد اتسعت بعائدها حتى شملت مدارس في بلدان ومناطق أخرى غير بلد الوقف، فقد اتسعت بعض الأوقاف في مصر وامتدت إلى خارجها حيث كان عليها ارتباطات مالية بالمدن المقدسة كالحرمين الشريفين والقدس الشريف، ولهذا نجد أن مدرسة كمدرسة قايتباي بمكة كانت لها أوقاف بمصر تشمل قرى وضياعا، وواضح أن هذه الروح المسئولة تجاه الحرمين الشريفين وأهلهم هي ما أدت أن تكون معظم الأوقاف على التعليم في العصر المملوكي من قبل المحسنين من خارج الحجاز، كما أن هذا الإحساس بالمسؤولية هو ما أدى إلى اشتراط بعض الأوقاف الإسلامية أيلولة الوقف إلى أوقاف الحرمين الشريفين عند انقطاع الذرية أو تعذر صرف الربح على الأوجه المختلفة المقررة للصرف.

وهكذا يتضح أن الأوقاف ساعدت على تنمية روح المسؤولية تجاه التعليم وكانت وسيلة من وسائل التعبير عن هذا الحس المسؤول لدى أفراد المجتمع المسلم.

ولعل فيما سبق ما يبرز مدى الدور الفاعل الذي أسهمت به الأوقاف في حركة التعليم الإسلامي، وكذلك الدور الحيوي والهام لها كأهم مصدر من مصادر تمويل التعليم⁽¹⁾.

المطلب الثالث:- العقبات الواقعية التي تعترض قيام الوقف بدوره في تطوير التعليم

الشرعي وحلولها.

هناك العديد من العقبات التي تعترض التمويل الوقفي لمؤسسات التعليم الشرعي ومن أهم هذه العقبات ما يأتي:

- ضعف الوعي بأهمية الوقف الخيري على المؤسسات التعليمية فالناس لا يرون الوقف من أموالهم إلا على مشاريع تعبدية محضه كالمساجد، ويغيب عن أفهامهم أن الوقف على نشر العلم والمعرفة يحقق مفهوم العبادة الشامل؛ كالوقف على تحفيظ القرآن الكريم

1- الرفاعي، سعد سعيد جابر: الوقف.. أهم مصادر تمويل التعليم في التاريخ الاسلامي. http://www.almarefh.net/show_content_su

- أو المكتبات المدرسية والمدارس، وهذا اللاوعي يكرسه الاقتصار الجهات المسؤولة عن الأوقاف خيرية كانت أو حكومية في أنشطتها على مجالات وقفية تقليدية غيرمتجددة.
- ضالة مقدار ريع كثير من الأوقاف القديمة على الأنشطة التعليمية، مما يجعلها لا تفي بالغرض الموقوفة عليه في هذه الأيام إلا بعد جمعها لسنوات عدة.
- فقدان حجج هذه الأوقاف أو تلفها مع طول العهد وتقادم الزمن بسبب الإهمال وضعف التوثيق.
- عدم الالتفات إلى الأوقاف التعليمية الدامرة ومحاولة إحيائها.
- إحجام الموسرين عن وقف الأوقاف لصالح مؤسسات التعليم لقلّة وعيهم بما للوقف من أهمية في مساندة تلك المؤسسات في استمرارها في أداء رسالتها.
- اقتصار المساهمة الشعبية في دعم المؤسسات التعليمية وأنشطتها على التبرعات المتواضعة المقطوعة، والتي تبقى عرضة للتناقص أو التوقف في أي وقت، على خلاف ما يضمنه الوقف من تمويل مستمر قابل للنماء والزيادة.
- تراجع ثقة الراغبين في الوقف بالجهة المشرفة على الأوقاف، ويأتي اهتزاز تلك الثقة بسبب عدم الفاعلية الادارية والرقابية للجهة الرسمية المشرفة على الاوقاف.
- تعاني مؤسسات التعليم والثقافة من أن واقفيها لا يخصصون لها أوقافاً من أملاكهم، لأن الوقف الخدمي يحتاج الى وقف تجاري (عقاري او زراعي...)، فلا تستطيع المدرسة الوقفية - مثلاً- أن تؤدي دورها وخدماتها المجانية لطلاب العلم فيها اذا لم يكن قد بُني لها أوقاف ذات ريع وفير تصرف منه للاستمرار في ذلك الدور وتوفير تلك الخدمات.
- عزوف وتمل مشرفي الأوقاف التعليمية والثقافية ونظّارها من تحمل اعباء وتبعات الوقف الادارية والمالية، مما يقف عائقاً في طريق تنمية الأوقاف التابعة لتلك المؤسسة التعليمية أو الثقافية، بل ربما يؤول الأمر الى ضياع الوقف أو التعدي عليه، اذا لم تحسن ادارة الوقف نقله الى جهة خيرية أو حكومية أقدر على إدارته، والإشراف عليه وتنميته.
- اهمال الأوقاف العقارية، أو الزراعية، أو الصناعية التابعة للوقف التعليمي أو الثقافي، وضعف الاشراف عليها، وعدم متابعتها إدارياً، وإضعاف تلك الأوقاف بعدم تنميتها وتثميرها سعياً لزيادة ريعها⁽¹⁾.

ولحل مسألة تمويل مؤسسات التعليم الوقفية، لا بد من اتخاذ خطوات جريئة لا تخرج -

طبعاً- عن دائرة الشرع الحنيف، ومن هذه الخطوات:

1- الخويطر: الوقف ودوره في دعم التعليم، ص 95-97.

• تحويل الأوقاف القديمة القائمة الى ما يناسب شروط واقفيها من أنشطة تعليمية وثقافية معاصرة، فإذا كانت تلك الأوقاف مخصصة لمصلحة طلبة العلم في حلقات العلماء في المساجد - قديماً - فيمكن صرفها كوقف على مجالات البحث العلمي، أو المؤسسات الجامعية .. هكذا.

• صرف سهم الفقراء من الزكاة المفروضة كما جاء في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْعَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾⁽¹⁾ على انشاء مؤسسات تعليمية للفقراء والمساكين والمحتاجين، أو تحمل نفقات دراستهم من ريع الأوقاف التي تبنى من سهم الفقراء والمساكين الذي فرضه الله لهم من الزكاة، وقد أجاز بعض العلماء هذا التوجيه لأموال الفقراء من الزكاة، على اعتبار أن لهم الحق الكامل في الاستفادة من سهمهم بأي وجه ينفعهم⁽²⁾.

• استغلال ما في الاقتصاد الإسلامي من أحكام المعاملات لتمويل الوقف التعليمي ذاتياً من خلال عدة صور منها:

1. الاستبدال: والمقصود به استبدال عقار وقفي عن طريق البيع والشراء ولكن وفق معايير
2. الاحتكار: وهو تأجير عقار وقفي يحتاج إلى تمييز لطرف آخر حيث يقوم باستثماره بعد أن يدفع قيمة العقار كاملة، بالإضافة إلى دفع أجر رمزي سنوي بهدف ضمان بقاء الوقف سارياً، ولكنه يعد في ملك الطرف المستثمر وينتقل بنفس هذه الصورة إلى الورثة، وتقوم إدارة الوقف ببناء وقف جديد بذلك المبلغ المعجل الذي دفعه المستثمر.
3. الإيجارتان: هذه الصورة تشبه الصورة السابقة، ولكنها تختلف عنها في أن المبلغ المعجل المساوي لقيمة عقار الوقف يستغل في ترميم وإصلاح ذلك العقار نفسه.
4. المرصد: تأذن إدارة الوقف بتأجير العقار الوقفي وليكن أرضاً - مثلاً - على طرف آخر ليقوم عليها ببناء وتعتبر قيمة البناء ديناً على إدارة الوقف يستوفيه المستأجر بالتقسيط من أجرة الوقف، على أن تبقى ملكية البناء للوقف، وإعطاء المستأجر حق التصرف في الوقف وتوريثه لحق التصرف والانتفاع فقط⁽³⁾.

• أن تسعى المؤسسات التعليمية إلى إقامة مشاريع عقارية (سكنية أو تجارية) بأموال

1- سورة التوبة: آية 60.

2- الفرضاوي، د. يوسف: فقه الزكاة "دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء الكتاب والسنة"، 20، ج2/ص553-557، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية - الجزائر، 1988م.

3- الخويطر: الوقف ودوره في دعم التعليم، ص98.

التبرعات والمساهمات النقدية أو العقارية التي ترد إليها من أهل الخير على أن تسجل هذه المشاريع على أنها أوقاف شرعية مع تحديد الجهة المستفيدة منه والغرض الذي أوقف الوقف من أجله وهذه الصيغة الشرعية ستمكن ريع الوقف من الاستمرار وتحميه من الضياع أو الاعتداء عليه مستقبلاً⁽¹⁾.

- ابتكار وسائل اقتصادية عصرية، كتثمين أموال الوقف على المؤسسات التعليمية والثقافية في مجال الاعلانات التجارية، ولكن وفق شروط مرعية وضوابط شرعية، بحيث يتم البعد عن الإغراء، أو الكذب، أو الترويج لمحرماً شرعاً لأن الوقف عمل تعبدي، والله طيب لا يقبل إلا طيباً، وتنفيذ هذه الفكرة قد يأتي من خلال ما تطبعه المؤسسات التعليمية من كتب، أو ما تصدره من مجلات، أو على موقعها الإلكتروني إن كان لها موقع.
- التبرع بأوقاف زراعية وعقارية من ذوي اليسار، أو قيامهم بإنشاء أوقاف خاصة لتمويل المؤسسات الوقفية التعليمية والثقافية التي أقيمت، ولم يترك لها من وقفها أوقاف تدر عليها، ولا شك في أن هذه المبادرة ستحقق الغبطة للوقف مادياً⁽²⁾.

الخاتمة

(النتائج والتوصيات)

إن الهدف من هذه الدراسة تسليط الضوء على دور الوقف في تطوير ودعم مشاريع التعليم الشرعي، وقد اتضح لنا جلياً أن هناك دوراً ريادياً للوقف قديماً في دعم مجالات التعليم في شتى بقاع العالم الإسلامي، وأن هذه الخبرة التاريخية المشرقة لأمتنا الإسلامية لهي خير دليل على عظمها ومكانتها بين الأمم والشعوب، لذا نختتم دراستنا هذه ببعض النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج.

1. يواجه مجتمعنا مشكلة في حصر مفهوم الوقف بالمسألة التعبدية المحضة، والابتعاد عن الوقف في المجالات الأخرى.
2. ضعف ثقة الجمهور في إدارة الوقف، بالإضافة إلى قلة خبرة وكفاءة الإدارة في مجال تنمية واستثمار أملاك الوقف في فلسطين.
3. إن سبب نجاح الوقف الإسلامي في الماضي وما ترتب عليه من نهوض بالتعليم يعود

1- الخويطر: الوقف ودوره في دعم التعليم، ص99.

2- الخويطر: الوقف ودوره في دعم التعليم، ص99.

- لإدارة الصحيحة في التعامل مع هذه الأوقاف، ووضعها في مخرجها الصحيحة.
4. ضعف دور الوقف في مجال الوقف التعليمي سواء كان وقفاً نقدياً أو عينياً في العصر الحاضر.
 5. نجاح التجارب الغربية في إدارة الأوقاف وتسخيرها في خدمة التعليم وطلاب العلم.
 6. يعاني مجتمعنا من ضعف وعي الجمهور بأهمية الوقف في الوقف التعليمي.
 7. إن هناك نوعين من الصيغ لاستثمار وتنمية الأملاك الوقفية: النوع الأول يشمل على تلك الصيغ التقليدية التي يمكن بموجبها استثمار وتنمية الوقف ذاتياً من فوائض ريعه، واستبدال وإجارة، أما النوع الثاني فيشتمل على تلك الصيغ المستحدثة التي يمكن بموجبها استثمار وتنمية الوقف بتمويل خارجي وهي المضاربة والشركة والاستصناع، والمشاركة المتناقصة المنتهية بالتمليك، والمزارعة والمساقاة.

ثانياً: التوصيات.

- بعد عرضنا لدور الوقف في تطوير ودعم التعليم الشرعي، توصلت الباحثة لعدة توصيات:
- إن إعادة تأهيل دور فعال للوقف في المجتمع يتطلب توفير بيئة إسلامية إيمانية صالحة بكل أبعادها الفردية والجماعية ومناسبة بجميع مؤسساتها التعليمية، والثقافية، والإعلامية، والاجتماعية ليتم تحقيق الإيمان والصدق، ويتم زرع قيم التكافل الاجتماعي إيمانياً وعملياً. بناء عليه فإنني أوصي بما يأتي:-
1. على العلماء وأهل الاختصاص إعادة إحياء فكرة الوقف عند الواقف بما يخدم مصلحة المجتمع، وذلك من خلال حثهم على دعم إحياء مؤسسات التعليم الوقفية من خلال الوقف عليها.
 2. العمل على حث وتوعية المواطنين في مجالات وأهمية وبيان دور الوقف في دعم الوقف التعليمي، وعدم حصرها في الجانب الديني المحض.
 3. تضمين عنصر ديني تربوي في مفردات مناهج العلوم الشرعية والاجتماعية في مقررات التعليم العام عن فضل الوقف شرعاً، وأهميته اجتماعياً، ودوره تاريخياً، وضرورته عصريةً.
 4. ضرورة الاستفادة من التجارب الغربية في إدارة الأوقاف وتسخيرها في خدمة التعليم وطلاب العلم.
 5. يؤكد البحث على ضرورة قيام المؤسسات المسؤولة عن الوقف بتأهيل العاملين فيها، وبخاصة في مجال الاستثمار فنياً وفقهياً، وذلك من أجل ضمان سير العمل بالشكل المطلوب.
 6. إقامة الجهات التعليمية المحاضرات وتنظيم الندوات، التي تناقش وتبرز دور الوقف

التعليمي في تنمية المجتمع ورفي الأمة وتقدمها، وتطرح أفكاراً عملية ميسرة لكيفية تمكين المشاركة الجماهيرية في مجال الوقف التعليمي.

7. استغلال وسائل الإعلام بمختلف أشكالها لترغيب الجماهير وتوعيتهم للمشاركة في وقف الأوقاف.
8. استهداف ذوي اليسار من المسلمين، وتركيز الجهود لإقناعهم بأهمية الوقف الخيري على مؤسسات التعليم العام.
9. أخذ رأي علماء الشريعة في جواز صرف (سهم الفقراء)، و(سهم في سبيل الله) من الزكاة كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ...﴾⁽¹⁾ على إنشاء مؤسسات تعليمية للفقراء والمساكين المحتاجين، أو تحمل نفقات دراساتهم من ريع الأوقاف التي تبنى من سهم.
10. ف الموقوفة على مؤسسات التعليم - القديم منها والجديد - وتوثيقها شرعاً، وتحديد شروط الواقفين ورغبتهم، تمهيداً لاستغلالها وتثميرها بالوسائل المناسبة، واستحداث أوقاف جديدة على تلك المؤسسات القائمة لزيادة ريعها.

1- سورة التوبة: آية 60.

“الوقف الإسلامي في فلسطين وأثره في دعم التعليم الشرعي وتطويره”

إعداد
الأستاذ الدكتور: حسين الدراويش
الدكتور: وسيم شولي

حسين أحمد علي الدراويش، المؤهل: أول دكتوراة في “النظم القرآني في سورة البقرة” من الجامعة الأردنية سنة 1986م، مدرس 37 سنة في جامعة القدس، ومدرس في المسجد الأقصى، له عشرات الكتب والأبحاث المحكمة المنفردة والمشاركة المحلية والدولية، الدرجة العلمية: أستاذ دكتور. وسيم عبد الجليل مصطفى شولي، المؤهل: دكتوراة في الحديث الشريف تخرج ودراسة الشواهد النبوية من كتب النحو الأصلية، من جامعة أم درمان سنة 2006م، مدرس في كلية الدعوة الإسلامية في قلقيلية من 2008م إلى الآن، له عدد من الكتب والأبحاث المحكمة في الدراسات الإسلامية.

1- الملخص

الحمد لله رب العالمين، وأتم الصلاة وأتم التسليم على سيد المرسلين وبعده:
فلا أحد يُنكر أثر الوقف في مجال التربية والتعليم في فلسطين ودوره في دعم التعليم الشرعي
في هذه الديار المقدسة.

ليس هذا فحسب بل إن الوقف يُعيثُ المُعوزين، وله أهمية عظمى في إقامة النموذج
الحضاري العربي والإسلامي، حيث كانت المساجد عبارة عن جامعات علمية، يؤمها الطلبة من كل
فج وصوب، وهذا البحث: "الوقف الإسلامي في فلسطين وأثره في دعم التعليم الشرعي وتطويره
دراسة تاريخية وصفية" يقع في مقدمة وثلاثة فصول، هي:

الفصل الأول: في تعريف الوقف، لغةً واصطلاحاً، ومشروعية الوقف من القرآن الكريم، ومن
السنة النبوية المطهرة، ومن الإجماع، وأهميته، ودوره في خدمة المجتمع في العالم الإسلامي عبر
التاريخ.

والفصل الثاني: في الدور المتميز للوقف الإسلامي في فلسطين في دعم العلم الشرعي، من خلال
رعاية ودعم المؤسسات التعليمية والثقافية.

والفصل الثالث: في إبراز المشكلات التي تواجه الوقف الإسلامي في فلسطين، وسبل مواجهتها،
وخاتمة وتوصيات.

2- المقدمة: الحمد لله وكفى، وأتم الصلاة والتسليم على المصطفى، وبعده:

أولاً: مشكلة البحث: فإنَّ هذا البحث يختص "بالوقف الإسلامي في فلسطين وأثره في دعم
التعليم الشرعي وتطويره"، إذ يواجه الشعب الفلسطيني في فلسطين وخارجها تحديات تريد
اقتلاع هذا الشعب من أرضه واستئصاله؛ ومن هنا فلا بد من البحث عن وسائل صمود هذا
الشعب؛ وذلك بالعودة إلى منابع الأصيل لهذا الشعب، ومن هذه المنابع نظام الوقف الإسلامي،
الذي تعم عوائده التعليم الشرعي، والرفاه الاجتماعي، والكفاية للمحتاجين، ومن هنا كان هذا
البحث.

ثانياً: دوافع البحث: ثمة عدة دوافع أخرى لهذا البحث منها:

- إبراز دور الوقف في التعليم الشرعي، من خلال المساجد في فلسطين، والمدارس، والمعاهد،
والجامعات، والمكتبات.

- تشجيع الناس، ولا سيما الأغنياء على وقف أموالهم على طلبة العلم والعلماء والتدريس الشرعي، والبحث العلمي.
 - التفكير الجدي في الحفاظ على الأوقاف الإسلامية في فلسطين، وتخليصها من براثن الاحتلال، وتطويرها لخدمة المجتمع.
- ثالثاً: الصعوبات التي واجهت البحث: ثمة عدة صعوبات واجهت هذا البحث منها:
- قلة الدراسات السابقة التي تعالج علاقة الوقف بالتعليم الشرعي وتطويره.
 - تبعض المادة العلمية المكتوبة حول الموضوع في مصادر مختلفة؛ مما يتطلب تجميعها للوقوف على حقيقتها.
 - اختلاط المادة العلمية بعضها ببعض، مما يفرض على الباحث حسن الانتقاء لما يتصل ببحثه.

رابعاً: الدراسات السابقة: ثمة بعض الدراسات التي تمس الموضوع مساً مباشراً، ومن أبر هذه الدراسات دراسة: د. حسين الدراويش، ود. محمد علي الصليبي، وعنوانها: " دور الوقف في مجال التعليم والثقافة في المجتمع الفلسطيني المعاصر"، والبحث حائز على جائزة المسابقة الكويتية الدولية لأبحاث الوقف، للعام 2001م، إشراف الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، ويقع في حدود مئة صفحة من القطع المتوسط، وقد أفاد الباحثان منه في كتابة هذا البحث.

خامساً: مناهج الدراسة: وقد سلك الباحثان في هذه الدراسة ثلاثة مناهج، هي:

1. المنهج الوصفي في وصف علاقة الوقف بالتعليم الشرعي في فلسطين.
2. والمنهج التاريخي في تقصي وتتبع المؤسسات العلمية والثقافية التي رعاها ولا يزال يرعاها الوقف الإسلامي في فلسطين.
3. والمنهج الاستنباطي في إثبات أثر الوقف في التعليم الشرعي في فلسطين.

سادساً: فصول الدراسة: جاءت الدراسة في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وتوصيات.

أما المقدمة فقد ذكر فيها الباحثان: مشكلة الدراسة، ودوافعها، والصعوبات التي واجهتها، والدراسات السابقة، ومناهج الدراسة. وأما فصول الدراسة فهي ثلاثة فصول، وهي التي مرّ ذكرها في الملخص، ولا داع لتكرار ذكرها هنا. وأما الخاتمة: فقد أورد الباحثان فيها نتائج الدراسة.

وأما التوصيات: فقد أثبت فيها الباحثان ما تمخضت عنه الدراسة .

هذا جهد المُقلِّ فإن كان فيه فضل فبتوفيق من الله - عز وجل -، وإن كان غير ذلك فمن عند أنفسنا، ونسأل الله - عز وجل - العفو والعافية على كل حال إنه سميع مجيب الدعاء .

3- الفصل الأول: تعريف الوقف لغةً واصطلاحاً، ومشروعيته من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والإجماع، وأهميته، ودوره في خدمة المجتمع في العالم الإسلامي عبر التاريخ: وفيه ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: تعريف الوقف لغةً واصطلاحاً.

- تعريف الوقف لغة
 - تعريف الوقف اصطلاحاً "عند الفقهاء".
- المبحث الثاني: مشروعية الوقف من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإجماع.

- مشروعية الوقف من القرآن الكريم
 - مشروعية الوقف من السنة النبوية المطهرة
 - مشروعية الوقف من الإجماع
4. وقوفات الصحابة رضوان الله عليهم.
5. إجماع الأمة على مشروعية الوقف
- المبحث الثالث: أهميته الوقف ودوره في خدمة المجتمع في العالم الإسلامي عبر التاريخ

المبحث الأول: تعريف الوقف لغةً واصطلاحاً.

أ- تعريف الوقف لغة: للوقف في اللغة العربية معان كثيرة، منها السكون، ومنها المنع والتعلق، ومنها التأخير والتأجيل، ومنها الحبس (1).

وكلمة "وقف" مصدر، مشتق من الفعل (وقف) بمعنى: الحبس والمنع، وتطلق هذه اللفظة على الماديات وعلى المعنويات، يقال: "وقف فلان حياته على الأمر الفلاني"، كالدراسة أو التعليم، وقد يُطلق هذا اللفظ على الدراية بالشيء كأن تقول: "توقفت على الأمر الفلاني"؛ أي: على حقيقته (2).

ويطلق "الوقف" على اسم المفعول، فيقال: هذا البيت "وقف"؛ أي: موقوف على كذا، ويجمع "وقف" على أوقاف.

ب-تعريف الوقف واصطلاحاً "عند الفقهاء":

يرى الإمام أبو حنيفة أن الوقف هو: "حبس العين على ملك الواقف والتصرف بالمنفعة بمنزلة العارية. وهو يرى عدم لزوم الوقف، وجواز الرجوع عنه في حياة الواقف، ويورث عنه بعد وفاته" (3).

وفي رأي المالكية، أن الوقف "إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاؤه في ملك معطيها أو تقديراً" (4).

وفي الفقه الحنبلي، الوقف: "تحييس الأصل، وتسبيل المنفعة، ويعني بقاء عين الأصل، وتسبيل المنفعة في جهة البر" (5).

والوقف عند الشافعية، "حبس مال يُمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح" (6). وهذا يعني حبسه عن البيع والهبة والرهن، وما يضرُّه.

وعند الإمامية: "الوقف عقد ثمرته تحييس الأصل وإطلاق المنفعة" (7). فالوقف عندهم مؤبد، ويخرج عن ملك الواقف، ويميّزونه بينه وبين الحبس، حيث إن الحبس مؤقت ويبقى على ملك مالكة.

وعرّفه أبو زهرة قائلاً: "هو قطع التصرف في رقبة العين، والتي يدوم الانتفاع بها، وصرف المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداءً وانتهاءً" (8).

ومعنى تعريف أبي زهرة للوقف في قوله هو: "قطع التصرف في رقبة العين والتي يدور الانتفاع بها"; أي حبس العين عن تملكها لأحد من العباد، وقوله: "وصرف المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداءً وانتهاءً"; أي: التصرف بالمنفعة على الفقراء، أو على وجه من وجوه البر، يعني: أن التصديق بالمنفعة قد يكون من أول الأمر إلى جهة خيرية كالفقراء، والمساجد، والمستشفيات، والملاجئ، وقد يكون الرِّيع أولاً للواقف ما دام حياً، ثم لأولاده من بعده، فإذا انقرضت الذرية يُصَرَّفُ الرِّيعُ لجهة يُعَيَّنُها الواقف.

وهكذا فالوقف قسمان: وقف خيري: وهو ما يصرف فيه الرِّيع من أول الأمر إلى جهة خيرية، ووقف ذري: وهو ما جعل استحقاق الرِّيع فيه أولاً إلى الواقف مثلاً، ثم لأولاده... إلخ، ثم لجهة برّ لا تنقطع حسب إرادة الواقف.

ومن هنا فإنّ الواقف يخرج رقبة ماله أو ما يوقفه عن دائرة تملكه وتملكه، ويجعل الانتفاع

بوقفه محصوراً في جهة، أو جهات، أو أشخاص بأعيانهم وأوصافهم.

المبحث الثاني: مشروعية الوقف من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإجماع:

أ- مشروعية الوقف من القرآن الكريم:

لم يرد في القرآن الكريم نص خاص بالوقف، وإن كانت وردت فيه نصوص تُرشد إلى البر، وعمل الخير والإنفاق، وصلته الرحم ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (9). وقال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ (10). فالقرآن الكريم بتوجيهاته النورانية فتح أبواب الخير جميعها على مصراعها؛ ليسير فيها من أراد أن يقدم قرضاً لله -تعالى-، والمؤسسات الوقفية الخيرية التي وقفت العقارات والمنقولات والمنح، للغايات الإنسانية المتعددة الخيرات، إنما تقوم بذلك ابتغاء لوجه الله -تعالى- واقتداء بالرسول، -صلى الله عليه وسلم-، فقد ورد في أسباب نزول الآية السابقة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (11)، ما نصه:

قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله! إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: "نعم يريد أن يدخلكم الجنة به"، قال: فإني إن أقرضت ربي قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة؟ قال: "نعم" قال: فناولني يدك، فناوله رسوله الله -صلى الله عليه وسلم- يده، فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضاً لله -تعالى-، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعِيالك" قال: فأشهدك يا رسول الله أني قد جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائظ فيه ستمائة نخلة، قال: "إذا يجزيك الله به الجنة"، فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول:

هداك ربي سبل الرشاد... إلى سبيل الخير والسداد

بيني من الحائظ بالوداد... فقد مضى قرضاً إلى التناد

أقرضته الله على اعتمادى... بالطوع لا من ولا ارتداد

إلا رجاء الضعف في المعاد... فارتحلي بالنفس والأولاد

والبر لا شك فخير زاد... قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح: ربح ببيعك! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشرك الله بخير وفرح... مثلك أدى ما لديه ونصح

قد متع الله عيالي ومنح... بالعجوة السوداء والزهو البلح

والعبد يسعى وله ما قد كدح... طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كم من عذق رداح ودارفياح لأبي الدحداح" (12).

وعن الصحابي الجليل أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بريحى، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (13). قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله يقول في كتابه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92]، وإن أحب أموالي إلي بريحى، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها، يا رسول الله، حيث شئت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بخ، ذلك مال راجح، ذلك مال راجح، قد سمعت ما قلت فيها، وإنى أرى أن تجعلها في الأقربين» فقسما أبو طلحة في أقاربه وبني عمه" (15).

يقول القرطبي في تفسيره: "ففي هذه الآية دليل على استعمال ظاهر الخطاب وعمومه، فإن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يفهموا من فحوى الخطاب حين نزلت الآية غير ذلك، ألا ترى أبا طلحة حين سمع ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا﴾ الآية، لم يحتج أن يقف حتى يرد البيان الذي يريد الله أن ينفق منه عباده بأية أخرى أو سنة مبينة لذلك فإنهم يجنون أشياء كثيرة، وكذلك فعل زيد ابن حارثة، عمد مما يجب إلى فرس يقال له "سَبَل" وقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مال أحب إلي من فرسي هذه، فجاء بها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: هذا في سبيل الله، فقال لأسامة بن زيد "اقبضه" فكأن زيدا وجد من ذلك في نفسه، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله قد قبلها منك" (16).

ب-مشروعية الوقف من السنة النبوية المطهرة :

وكذلك فإن السنة النبوية المطهرة هي الأخرى قد حضت على الوقف، وشجعت عليه، فقد

ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "أصاب عمر بخيبر أرضاً، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أصبت أرضاً لم أصب ما لا قط أنفس منه، فكيف تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها»، فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء، والقريب والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقاً غير متمول فيه" (17).

وأخرج أبو داود صفة كتاب وقف عمر، رضي الله عنه، وأوصى به إلى أم المؤمنين حفصة، ثم إلى الأكابر من آل عمر، ونسخة الكتاب هكذا: "هذا ما كتب عبد الله أمير المؤمنين... أنه إلى حفصة ما عاشت تنفق ثمره حيث أراها الله، فإن توفيت فإلى ذوي الرأي من أهلها" (18).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (19). وقد أورد هذا الحديث الشوكاني في هامش نيل الأوطار، مستدلّاً به على الوقف؛ لأن بعض العلماء فسروا الصدقة الجارية بالوقف (20).

ومن الأدلة على الوقف من السنة النبوية الشريفة أيضاً "وقف بئر رمة" فقد وقف عثمان رضي الله عنه بئر رومة، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القرية بمد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تبيعنيها بعين في الجنة، فقال: يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ثم أتى - النبي صلى الله عليه وسلم - فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: نعم، قال قد جعلتها للمسلمين، وفي رواية جعلها للفقير والغني وابن السبيل، وذلك بناءً على توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "من يشتري بئر رومة فيكون دلوها فيها كدلاء المسلمين" (21).

ت-مشروعية الوقف من الإجماع:

1- وقوفات الصحابة رضوان الله عليهم:

قد أجمع الصحابة - رضوان الله عليهم - بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - على مشروعية الوقف، فقال جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنهما -: "ما بقي أحد من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له مقدره إلا وقف"، وفي رواية: "ذو مقدره"، وذلك للدلالة على العدد الكبير من الصحابة الذين وقفوا ممتلكاتهم. وقال الإمام الشافعي - رضي الله عنه -: "بلغني أن ثمانين صحابياً من الأنصار تصدقوا بصدقات محرّمات، والشافعي يسمي الأوقاف الصدقات

المحرمات؛ أي: يجب المحافظة على العين الموقوفة، ويجرم أخذها" (22).

2- إجماع الأمة على مشروعية الوقف:

وأجمعت الأمة الإسلامية من لدن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى يومنا هذا على مشروعية الوقف، ونفذته عملياً بوقف العقارات والأراضي والآبار، وبوقف الأموال غير المنقولة أيضاً، والتي لا يتسارع إليها التلف، كالأسلحة والكتب والمخطوطات والقصور والمراجل. ولا يزال المسلمون يتقربون إلى الله - عز وجل - بإقامة المساجد، ودور الأيتام، والمستشفيات، والعيادات الطبية، وهي في تزايد مستمر بحمد الله وتوفيقه؛ وذلك للدلالة على ديمومة الوقف واستمراريته، وأنه قائم منذ نشأته على التبرع والتطوع حسبة لله عز وجل (23).

المبحث الثالث: أهميته الوقف، ودوره في خدمة المجتمع في العالم الإسلامي عبر التاريخ:

ومن الناحية التاريخية، كان للأوقاف تأثير عميق على المجتمعات المسلمة. إذ كان يتم استخدام الأوقاف لتمويل الأعمال العامة مثل: الآبار، والطرق العامة، ولتلبية احتياجات محددة مثل: التعليم وإنشاء قطاع اجتماعي مزدهر في المجتمعات المسلمة. ولقد سمحت الأوقاف لمحيي الخير بتحديد الأموال على النحو الذي ارتأوه ملائماً، للتشجيع على القيام بمجموعة متنوعة من الأنشطة الخيرية. كما شكَّلت الأوقاف طريقة للخير قامت بتقييم احتياجات المجتمع والاستجابة للاحتياجات الداخلية. كما تجدر ملاحظة أن الأوقاف كانت تقوم بتغذية قطاع اجتماعي كان يتمتع بالاستقلال عن التمويل الحكومي. ولقد ساعدت الأوقاف على إبقاء الانتفاع منفصلاً عن الرعاية السياسية، وقدمت برامج حيوية للرعاية الاجتماعية التي لم تكن تعتمد على الدولة (24).

ليس هذا فحسب في أهمية الأوقاف، بل إن الأوقاف جزء من المصالح الضرورية للعباد، وهنا تُصحب من المقاصد الشرعية الكلية والقطعية، وهذه المصالح هي: "صون الدين، والعقل، والنفس، والعرض، أو النسل، والمال أو الملك" (25).

وهكذا فإنه بالكشف عن أن مقاصد الشريعة الكلية أو القطعية هي نفسها مصالح العباد، تبدو الأوقاف والصدقة وسائر وجوه البربين أكبر المحققات لتلك المصالح.

لذا نجد الإمام الشاطبي في الموافقات قد ذكر الأوقاف في سياق ذكر الضروريات أو المصالح الضرورية للعباد، والتي أنزلت الشريعة بل الشرائع من أجل صونها؛ وهي الخمس المذكورة من قبل (26).

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن للأوقاف دوراً بارزاً في الحفاظ على هيبة العالم، واستقلال الفقيه في مواجهة الأمير، وفي التاريخ المعاصر استطاعت الأوقاف الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى أن تحتفظ لأهل فلسطين استقلالهم في مواجهة الأحداث الدامية التي تعرضت لها فلسطين، حتى جاءت الطامة الكبرى على فلسطين بعد حرب 1948م. ووقوع الأوقاف تحت الاحتلال الإسرائيلي.

4- الفصل الثاني: الدور المتميز للوقف الإسلامي في فلسطين في دعم العلم الشرعي، من خلال رعاية ودعم المؤسسات التعليمية والثقافية:

أ-المبحث الأول: الدور المتميز للوقف الإسلامي في فلسطين في رعاية ودعم المؤسسات التعليمية التالية:

أولاً: رعاية المساجد وما أنشئ من مدارس دينية فيها وحولها ومنها:

1. المدرسة الدينية في ساحة الأقصى .
2. مدرسة الروضة في القدس .
3. مدرسة رياض الأطفال .
4. مدرسة ثانوية الأقصى الشرعية .
5. المدرسة الثانوية الشرعية للبنات .
6. مدرسة دار الأيتام الإسلامية الصناعية في القدس .
7. المدارس في محافظة نابلس .
8. مدرسة النجاح الوطنية .
9. مدرسة فلسطين .

ثانياً: رعاية دور القرآن الكريم والحديث الشريف التي أنشئت في المساجد وحولها ومنها:

1. دارالقرآن الكريم في القدس .
2. دارالحديث الشريف في القدس .
3. دارالقرآن الكريم في مدينة نابلس .

ثالثاً: رعاية المعاهد الشرعية التي أنشئت في فلسطين ومنها:

1. المعهد الشرعي في القدس الشريف .
2. المعهد الإسلامي في منطقة الشمال ومركزه مدينة نابلس .
3. معهد فلسطين الديني .
4. معهد قلقيلية الشرعي .

رابعاً: رعاية الجامعات التي أنشئت في فلسطين ومنها:

1. محاولة إنشاء جامعة المسجد الأقصى المبارك في القدس .
2. جامعة القدس الشريف .
3. جامعة الخليل .
4. الجامعة الإسلامية بغزة .
5. كلية الدعوة وأصول الدين في أم الفحم .
6. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بباقة الغربية .

ب-المبحث الثاني: الدور المتميز للوقف الإسلامي في فلسطين في رعاية ودعم المؤسسات

الثقافية التالية:

1. رعاية دار كتب المسجد الأقصى " مكتبة المسجد الأقصى المبارك " .
2. المكتبة الخالدية العمومية .
3. المكتبة البديرية بالقدس الشريف .
4. مكتبة المسجد الإبراهيمي في الخليل .
5. المكتبة في عكا .
6. مكتبة جامع يافا الكبير .

أ-المبحث الأول: الدور المتميز للوقف الإسلامي في رعاية ودعم المؤسسات التعليمية في فلسطين:

أولاً: رعاية المساجد وما أنشئ من مدارس دينية فيها وحولها:

1 - المدرسة الدينية في ساحة الأقصى:

لقد نشأ التعليم الديني " الكتاتيب " وغيرها في ظلال المساجد بدعم من الأوقاف الإسلامية، ففي عام 1923م، وبعد تشكيل المجلس الإسلامي الأعلى أسس المرحوم أمين الحسيني كلية دينية في ساحة المسجد الأقصى المبارك بإشراف المجلس الإسلامي الأعلى، وكان كثير من الأبنية الدينية وقفية قادرة على استيعاب الطلبة الدارسين، وكان هدف هذه الكلية تعليم الطلاب، وتدريبهم لاستلام وظائف الإمامة والخطابة والتدريس في المسجد الأقصى، والعمل في دوائر الأوقاف والمحاكم الشرعية(27).

2 - مدرسة الروضة في القدس:

هي من أشهر المدارس التي كان يمولها الوقف الإسلامي، وكان الحاج أمين الحسيني في الربع الأول من القرن العشرين يمول كثيراً من المدارس من أموال الوقف ومنها مدرسة الروضة(28).

3 - مدرسة رياض الأطفال:

كما أن السجلات أيضاً تتضمن أن الأوقاف ساهمت في إنشاء رياض الأطفال (29).

4 - مدرسة ثانوية الأقصى الشرعية في القدس "ثانوية البنين":

تأسست هذه المدرسة بتاريخ 1966/9/1م بقرار من مجلس الأوقاف والشؤون الإسلامية، وذلك لإحياء الحياة التعليمية في المؤسسات الوقفية، ولا زالت قائمة حتى اليوم (30).

5 - المدرسة الثانوية الشرعية في القدس "ثانوية للبنات":

أنشئت في 1978/4/19م أيضاً بقرار من مجلس الأوقاف والشؤون الإسلامية في القدس، بالقرار رقم 13/143، ولا زالت هذه المدرسة تؤدي رسالتها حتى اليوم في المسجد الأقصى المبارك (31).

6 - مدرسة دار الأيتام الإسلامية الصناعية في القدس:

يبدأ تاريخ هذه المدرسة في القدس من سنة 794هـ-1392م من عهد الملك الظاهر أبي سعيد برقوق، مؤسس دولة المماليك الثانية، وفي 1922/2/25م وضع اليد على المدرسة المجلس الإسلامي الأعلى، الذي كان يرأسه الشيخ أمين الحسيني، الذي جعلها دار الأيتام الإسلامية الصناعية. وبعد سنة 1948م، تولت الحكومة الأردنية الإشراف على هذه المدرسة في تطوير الصناعات في فلسطين من طباعة ونجارة وتنجيد وتجليد وحياسة سجاد وحفر وزخرفة وتطريز، ولا زالت حتى اليوم تؤدي دورها (32). ناهيك عن مدارس القدس التي اهتم الوقف بإنشائها.

7 - المدارس في محافظة نابلس:

مع بداية القرن العشرين كانت الكتابيب منتشرة في قرى ومدينة نابلس، وكان المسجد مقر "الكتاب" الذي هو المدرسة. وفي عام 1903م تم إنشاء مدرستين إسلاميتين إضافة لأربع مدارس رشيديّة وابتدائية، وست مدارس أجنبية، وفي عام 1906م افتتحت ثلاث مدارس "رشادية"، وأثناء الحرب العالمية كان بها سبع مدارس، وفي عام 1967م كان عدد المدارس تسع وعشرون مدرسة إضافة إلى معهد النجاح العالي (33).

8 - مدرسة النجاح الوطنية:

تشير مذكرات المرحوم محمد عزة دروزة الذي كان مديراً لمدرسة النجاح في نابلس في الربع الأول من القرن العشرين إلى أنه كان يتلقى دعماً للمدرسة من أموال الأوقاف، بمعدل (300) جنيه

فلسطيني سنوياً، وهذا المبلغ في ذلك الوقت يعد من المبالغ المالية الضخمة (34).

9 - مدرسة فلسطين:

ناهيك عن المدارس المختلفة في جميع محافظات فلسطين ومنها غزة، وما كان من العهد التركي حتى قدوم السلطة الفلسطينية، فالوقف هو أساس هذه المدارس، وهو الذي دعمها وساعد على بقائها.

ثانياً: رعاية دور القرآن الكريم والحديث الشريف التي أنشئت في المساجد وحولها:

ولم تتوقف الأمور عند إنشاء المدارس في المساجد وحولها، بل أنشئت كذلك دور تحفيظ وتجويد القرآن الكريم، وحفظ وتفسير الحديث الشريف في المساجد وما حولها ومن هذه الدور:

1 - دار القرآن الكريم في القدس:

أسست هذه الدار بتاريخ 1/8/1972م بقرار من مجلس الأوقاف والشؤون الإسلامية بالقدس بقرار رقم 1/231 وكان مقرها في المسجد الأقصى "قبة موسى" من ساحة المسجد الأقصى المبارك، مقابل باب السلسلة. وكان التعليم مقتصراً على تعليم الذكور، في سنة 1981م أسس قسم لتعليم الطالبات (35).

2 - دار الحديث الشريف في القدس:

أسست هذه الدار بقرار من مدير الأوقاف الإسلامية في القدس رقم 72/79 بتاريخ 14/1/1979م، ومقرها الحالي في المسجد الأقصى في الغرفة المعروفة ب"كرسي سليمان" عليه السلام (36).

3 - دار القرآن الكريم في مدينة نابلس:

تم إنشاء دور القرآن الكريم في محافظة نابلس وقراها ومخيماتها عام 1990م، وقد تم في هذه الدار تخريج العشرات من حفظة كتاب الله - تعالى -، ذكوراً وإناثاً، ولا زالت هذه الدور تؤدي دورها حتى اليوم. ناهيك عن دور القرآن الكريم في الخليل وغزة وباقي المدن الفلسطينية (37).

ثالثاً: رعاية المعاهد الشرعية التي أنشئت في فلسطين:

1 - المعهد الشرعي في القدس الشريف:

أنشئ المعهد الشرعي بالقدس عام 1975م، ليكون أول معهد شرعي في الضفة الغربية، وقد تم

إنشاء هذا المعهد بقرار من وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في عمان رقم 13 تعليم 6249، بتاريخ 1975م (38). وبقي المعهد في رحاب المسجد الأقصى المبارك وحوله، وفي سنة 1978م انتقل إلى بيت حنينا، وفي سنة 1980م انتقل إلى بلدة أبو ديس، وفي سنة 1996م حول إلى كلية جامعية وهي كلية القرآن الكريم.

2 - المعهد الإسلامي في منطقة الشمال ومركزه مدينة نابلس:

أنشئ هذا المعهد سنة 1967م من قبل جمعية التضامن الخيرية؛ وذلك لتشجيع التعليم الديني الشرعي، وكان على رأس هذا المعهد الشيخ مشهور الضامن، مدير معهد عكا سابقاً. وقد تخرج من هذا المعهد عشرات الطلاب الذين أكملوا دراستهم العليا في الأزهر الشريف، والكليات الشرعية الأخرى (39).

3 - معهد فلسطين الديني "الأزهر" بغزة:

تأسس هذا المعهد سنة 1954م وبدأت الدراسة فيه سنة 1955/54م، ابتدائية، ثم تطورت إلى إعدادية، ثم إلى ثانوية، وفي 13/11/1963م اتخذ قرار بتطويره إلى جامعة إسلامية، وتوقف بسبب حرب سنة 1967م، وأعيد افتتاحه سنة 1971م (40).

4 - معهد قلقيلية الشرعي:

إلى غير ذلك من المعاهد كمعهد قلقيلية الشرعي، الذي تحول في عهد السلطة الفلسطينية إلى كلية شرعية تتبع وزارة الأوقاف الفلسطينية.

رابعاً: رعاية الجامعات التي أنشئت في فلسطين:

1 - محاولة إنشاء جامعة المسجد الأقصى المبارك في القدس:

من القرارات التي اتخذها المجلس الإسلامي المنعقد بالقدس بتاريخ 7/12/1931م قرار إقامة جامعة المسجد الأقصى المبارك، رداً على إقامة الجامعة العبرية بالقدس سنة 1925م، وكان على رأس القائمين على ذلك الزعيم الهندي، شوكت علي، لكن المستعمر الإنجليزي والمحتلين الصهاينة حالوا دون ظهور هذه الجامعة للوجود، وقتلوا في مهدها (41).

2 - جامعة القدس الشريف:

بدأت بكليات منها كلية الدعوة وأصول الدين التي أسست 18/10/1978م بقرار من مجلس الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية رقم 366/12، أعلن في 27/1/1979م عنها نواة لجامعة

القدس الشريف وفي سنة 1996م تم توحيد كليات جامعة القدس بشكل تام وظهرت جامعة القدس للوجود من جديد (42).

3 - جامعة الخليل:

بدأت بتأسيس كلية الشريعة في الخليل عام 1972م وكانت هذه الكلية نواة لجامعة الخليل ولقد كان ولا زال لهذه الجامعة الفضل في نشر التعليم الشرعي، والوعي الديني والثقافي ليس في محافظة الخليل فحسب، بل في فلسطين كلها، ومنها المحتلة سنة 1948م، مثل " يافا، وحيفا، وأم الفحم" وغيرها، ولا زالت هذه الجامعة تؤدي رسالتها السامية حتى اليوم (43).

4 - الجامعة الإسلامية بغزة:

لقد واكبت فكرة إقامة جامعة إسلامية بغزة فكرة إقامة المعهد الديني "الأزهر" منذ تأسيسه، وفي 30/11/1963م اتخذ قرار بتطوير المعهد إلى جامعة إسلامية، لكن حرب سنة 1967م حالت دون ذلك، وفي 12/4/1977م اتخذ قرار بتحويل المعهد إلى جامعة إسلامية. وهكذا تطورت الجامعة عن معهد فلسطين الديني "الأزهر"، وأصبحت اليوم تضم ما يقرب من عشرين ألف طالب وطالبة (44).

5 - كلية الدعوة وأصول الدين في أم الفحم:

في سنة 1989م قرر مجلس بلدية أم الفحم، برئاسة الشيخ رائد صلاح أحد خريجي كلية الشريعة بجامعة الخليل، ورئيس مؤسسة الأقصى التي تعنى بالمحافظة على المقدسات الإسلامية داخل فلسطين، إنشاء كلية شرعية تمنح درجة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية، وتستوعب هذه الكلية حتى اليوم مئات الطلبة (45).

6 - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (بباقة الغربية):

افتتحت هذه الكلية عام 1990م وتم الاعتراف بها من السلطات الإسرائيلية ومجلس الأمناء المشرف على هذه الكلية هم أتباع الطريقة الصوفية الخلوتية، ولقد حصل عشرات الطلبة على الدرجة الجامعية من هذه الكلية، ولا زالت قائمة حتى اليوم، وتعطي كذلك الدرجة الجامعية في اللغة العربية، وتعطي أيضاً دبلوماً في التربية (46).

ب-المبحث الثاني: الدور المتميز للوقف الإسلامي في رعاية المؤسسات الثقافية في فلسطين:

لقد ظهر أثر الوقف في فلسطين في دعمه لمؤسسات الثقافة العامة، ومنها المكتبات العامة،

ومن هذه المكتبات التي اهتم بها الوقف :

1 - رعاية دار كتب المسجد الأقصى " مكتبة المسجد الأقصى المبارك " :

لقد كانت باكورة أعمال المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين سنة 1340هـ-1921م إنشاء دار كتب المسجد الأقصى المبارك (47).

ولقد وضع فيها ما أمكن جمعه من الكتب المخطوطة والمطبوعة، ومما نجا من الضياع واحتوت عند تأسيسها على ثلاثة آلاف كتاب، وافتتحت هذه المكتبة سنة 1341هـ-1922م في القبة النحوية، وبعد سنوات نقلت إلى المدرسة الأسعدية الواقعة في شمال منطقة الحرم، وبعد ذلك نقلت إلى المتحف الإسلامي، وفي سنة 1976م، افتتحت مكتبة المسجد الأقصى في المدرسة الأشرفية التي بنيت في عهد السلطان المملوكي قايتباي سنة 886هـ-1481م، ونقلت سنة 2001م في عهد السلطة الفلسطينية إلى مسجد النساء في المسجد الأقصى المبارك، الذي كان سابقاً مقراً لكلية الدعوة وأصول الدين "قسم الطلاب فقط" (49).

2 - رعاية المكتبة الخالدية العمومية :

أسست في القدس الشريف سنة 1318هـ، وأسسها الشيخ خليل الخالدي، وهي كائنة بحارة باب السلسلة بالقدس، وفي مكان مدرسة إسلامية قديمة بناها الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمي، ودفن هو ووالده في ساحتها سنة 640هـ-1240م. وقد اشترت عائلة الخالدي هذا المكان منذ قرون عديدة، وكان يستعمل كمصلى إلى أن أسست فيه المكتبة، ولا زالت المكتبة في مكانها، ورممت حديثاً، وساهمت الأوقاف الإسلامية في ترميمها، وفي هذه المكتبة مخطوطات نادرة وقيمة (50).

3 - رعاية المكتبة البديرية بالقدس الشريف :

وهي مكتبة الشيخ محمد بن حبيش المتوفى 1220هـ-1805م وهذه المكتبة تحتوي على 636 مخطوطة ورسالة (51). وقام بفهرسة هذه المكتبة السيد خضر سلامة أمين مكتبة المسجد الأقصى، وفهرسها في مجلدين طبعا في القدس 1987م.

4 - رعاية مكتبة المسجد الإبراهيمي في الخليل :

تضم هذه المكتبة عشرات المخطوطات ومنها في علوم الشريعة "68"، والفلك والحساب "25"، والتصوف وعلم الكلام "20"، أقدمها من العهد المملوكي، سنة 748هـ-1347م، وأقدم

مخطوطاتها ”التلخيص في المعاني والبيان“ للتفتازاني سنة 791هـ-1389م (52).

5 - رعاية مكتبة عكا:

رغم الاحتلال الإسرائيلي لعكا سنة 1948م، فقد احتفظت المكتبة بمخطوطاتها البالغة 79 مخطوطاً، أقدمها مخطوط ”حلية الأبرار وشعار الأخيار“ للنووي سنة 676هـ، والمكتبة جزء من المسجد الشهير بمسجد أحمد باشا الجزائر (53).

6 - رعاية مكتبة جامع يافا الكبير:

رغم الاحتلال، لا يزال في هذه المكتبة 289 مخطوطة، وأقدم مخطوطها ”المسامرة بشرح المسامرة“، لمحمد بن عبد الواحد بن الهمام 861هـ-1457م (54). وغيرها من المكتبات الوقفية في شتى الديار الفلسطينية.

وهكذا فإن الباحث في تاريخ التربية والتعليم والبحث العلمي في فلسطين يجد أن أساس النهضة الدينية والعلمية في فلسطين هو الوقف الإسلامي.

من هنا كان للوقف الدور الرئيسي والحاسم في تدفق العلوم، ودعم البحث العلمي في اتجاهاته كافة، والتعليم الشرعي، وهذا الوقف يعاني من مشكلات عدة، سنعالجها في الصفحات القادمة.

5-الفصل الثالث: في إبراز المشكلات التي تواجه الوقف الإسلامي في فلسطين، وسبل مواجهتها:

المبحث الأول: أبرز المشكلات التي تواجه الوقف في فلسطين:

1. المشكلة الثقافية.
2. المشكلة الشرعية.
3. المشكلة الإدارية.
4. المشكلة القانونية.
5. المشكلة التمويلية.

المبحث الثاني: سبل مواجهة المشكلات التي تواجه الواقف في فلسطين:

1. المشكلة الثقافية وسبل مواجهتها.
2. المشكلة الشرعية وسبل مواجهتها.
3. المشكلة الإدارية وسبل مواجهتها.
4. المشكلة القانونية وسبل مواجهتها.
5. المشكلة التمويلية وسبل مواجهتها.

المبحث الأول: أبرز المشكلات التي تواجه الوقف في فلسطين:

ثمة عدة مشكلات تواجه الوقف في فلسطين منها:

1. المشكلة الثقافية:

في بداية القرن العشرين، وفي عهد الانتداب البريطاني، وما تلاه من العهد الأردني كان يُظن أن الذي يتوجه لدراسة الشريعة أو الإمام، أو الوعظ، أو طالب العلم الشرعي هو الأعمى، أو المعاق، وكان مثلاً للسخرية والتندر، واستمر الحال حتى نكبة سنة 1967م، فكانت الهزيمة صدمة نفسية أيقظت الأمة، وأعادتها إلى تلمس جذورها، فكان التوجه إلى دراسة الشريعة الإسلامية، مع الاهتمام بالأوقاف الإسلامية ومن هنا بدأت خيوط اليقظة الدينية في فلسطين، ومن الممكن اعتبار العشر السنوات من سنة 1975-1985م، سنوات ذهبية من عمر الأوقاف الإسلامية، حيث كانت الأردن تسمح لوزارة الأوقاف ودوائرها في الضفة الغربية المحتلة بالتوسع في تعيين الوعاظ والواعظات، وأئمة المساجد، وغيرهم من الموظفين، فأحدث هذا نهضة دينية في فلسطين غير مسبوقة.

وبعد سنة 1985م إلى اليوم 2017م حدثت انتكاسة في فلسطين بالتضييق على الوظائف الدينية، وتوقيف أية مُخصّصات للوظائف الدينية باستثناء الضروري منها في المحاكم الشرعية والأوقاف في بعض الأحيان، والتربية والتعليم، وهذا الوضع أصاب الثقافة الدينية في فلسطين بالانكماش والانتكاس (55).

2. المشكلة الشرعية:

لعل أبرز المشكلات الشرعية التي تواجه الأوقاف الإسلامية هي الجهل بأحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، فإن معرفة أحكام الوقف وما وعد الله عزوجل، من أجر للذين يعملون الخير، فإن ذلك يشجع الناس على الإقدام على وقف أموالهم وعقاراتهم وأملاكهم للمصلحة العامة، ويشجعهم على البذل والعطاء في سبيل الله عزوجل (56).

3. المشكلة الإدارية:

يقسم الوقف إلى قسمين: وقف عام وهو الذي تشرف عليه دائرة الأوقاف الإسلامية، أو وزارة الأوقاف الفلسطينية اليوم، ووقف خاص وهو الوقف الذري وهو وقف العائلات والأسر في فلسطين، وقد كانت ملكية جميع أراضي فلسطين، تقريباً حتى أوائل الستينات من القرن الماضي "القرن التاسع عشر" مما يعرف "بالمشاع" وكان لهذا النظام حسنات وسلبيات.

فمن سلبيات المشاع انتفاء الحافز الشخصي من البذل والإبداع، وكان ذلك من أسباب تردّي الاقتصاد الزراعي في البلاد(57).

4. المشكلة القانونية:

إن من أعظم المشكلات القانونية وأخطرها هي التي سببها الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين سنة 1948م وسنة 1967م بعامّة، وللقدس بخاصّة، وعدم وجود الغطاء القانوني لجميع مؤسسات الوقف الإسلامي؛ مما جعلها لقمة سائغة لإسرائيل بالمصادرة والامتلاك والضم، وهذا مفصّل في مظانه(58).

5. المشكلة التمويلية:

من الممكن حصر المشكلة التمويلية للوقف في النقاط التالية:

- الانفجار السكاني الهائل: مع تزايد عدد الفقراء الذين هم بأمس الحاجة للوقف وإنفاقاته وقلة الموارد المالية، والارتفاع المستمر في التكاليف؛ مما يثقل كاهل الوقف، ويجعله عاجزاً عن تلبية متطلبات الناس تلبية تامّة(59).
- ريع الوقف لا يفي بإصلاح وترميم مرافق الوقف.
- تعرض معظم أراضي الوقف للمصادرة.
- التخريب المتكرر لمرافق الوقف من السلطات الإسرائيلية بحجج مختلفة(60).
- وجود مكتب للمتطرفين اليهود "حركة غوش إمونيم" ترتبط ببعض السماسرة والخونة الذين يبيعون أراضي وعقارات الوقف لليهود(61).
- قلة مردود الوقف الذري؛ لقلة العناية به(62).

المبحث الثاني: سبل مواجهة المشكلات التي تواجه الواقف في فلسطين:

1. المشكلة الثقافية وسبل مواجهتها.
 2. المشكلة الشرعية وسبل مواجهتها.
 3. المشكلة الإدارية وسبل مواجهتها.
 4. المشكلة القانونية وسبل مواجهتها.
 5. المشكلة التمويلية وسبل مواجهتها.
- #### 1- المشكلة الثقافية وسبل مواجهتها:

لابد من بث الوعي في نفوس الناس بأهمية الوقف والإيمان في سبيل الله - عز وجل - ومن حسن الحظ أن بعض المؤسسات قد أخذت بمبدأ رفع الكفاءة لطالب الشريعة، فقد كان يقدم على دراسة الشريعة الإسلامية، أقل الطلبة معدلاً، واليوم لا يقبل الطالب في كلية الدعوة وأصول

الدين بجامعة القدس "مثلاً" إلا بعد حصوله على معدل عال، ثم مقابلته، وفحصه بدقة، وفي ذلك إعلاء لطالب الشريعة، وكذلك الجامعة الإسلامية بغزة في كليتي الشريعة والقانون وأصول الدين.

2-المشكلة الشرعية وسبل مواجهتها:

من الممكن التغلب على هذه المشكلة بتعريف الناس بأحكام الوقف وفوائده وأهميته، مع تشجيعهم على وقف ممتلكاتهم للصالح العام، فالوقف مكرمة إلهية عظيمة، والجهل بأحكامه مصيبة كبرى، والمطلوب من وزارة الأوقاف مراعاة هذا الجانب والعمل على بث الوعي بأهمية الوقف؛ ليعود مؤدياً خدماته العلمية وغيرها، كما كان سابقاً (64).

3-المشكلة الإدارية وسبل مواجهتها:

لا بد من تدريب وتثقيف كوادر من الشباب المستقيم الواعي الذي يقوم على إدارة الأملاك الوقفية، وحسن رعايتها، وصيانتها من التسرب، مع تنميتها لتعود مؤدية وظيفتها العلمية والاقتصادية والاجتماعية في خدمة المجتمع الفلسطيني، والقيام بحاجات طلبة العلم، والفقراء والمعوزين، ومن يستحق أموال الوقف.

4-المشكلة القانونية وسبل مواجهتها:

لقد كانت الأوقاف في عهد الحكومة الأردنية بأملاتها جميعها معفية من جميع الضرائب، وبعد الاحتلال هنالك قانون في إسرائيل يتعلق بالمؤسسات التي ترتبط بمصالح الجمهور، وتقدم له خدمة، ومن هذه المؤسسات ما يتعلق بالدين، أو الفن، أو الصحة، أو التعليم، فتعفى هذه المؤسسات من جميع أنواع الضرائب شريطة حصول هذه المؤسسات على شهادة من وزير العدل الإسرائيلي تثبت ارتباطها بمصالح الجمهور وخدمته، ومؤسسات الأوقاف في فلسطين، ما يتبع الأردن أو السلطة الفلسطينية لم تتقدم للحصول على مثل هذه الشهادة، خشية التبعية الطوعية للاحتلال، وإذا لم تأخذ هذا الترخيص تعرضت للملاحقة القانونية بجميع أنواع الضرائب، وهذه الضرائب تتراكم فوائدها البنكية مع الزمن، لتصبح ملكاً لإسرائيل، وهذا هو الحاصل الآن، وهذا سلاح خطري لغي الوقف جملة وتفصيلاً تشهده إسرائيل على الوقف في أي وقت تشاء على الأوقاف الإسلامية، وتلوح به في كل وقت وحين، وثمة خطورة أخرى وهي أنه في الوقت الذي لا تعترف في إسرائيل بقانونية الأوقاف، تقبل رفع دعوى الخصومات التي تتعلق بالوقف أمام محاكمها، ويبقى موقف الأوقاف ضعيفاً جداً، لعدم وجود أي غطاء قانوني للأوقاف،

وهذه المشكلة القانونية لا كاشف لها إلا الله - عز وجل - .

5- المشكلة التمويلية وسبل مواجهتها:

إنّ الأموال المنقولة وغير المنقولة هي عصب الاقتصاد، وعليها يقوم نظام الوقف، وتظهر آثار التمويل في المشاريع التعليمية والاقتصادية، والزراعية، والصناعية، والتجارية، والعقارية التي تعود على المجتمع بالخير؛ لذا لا بد من تنمية موارد الوقف، ودعم بنايح التمويل الوقفي دعماً تاماً ليبقى الوقف يؤدي دوره المنوط به، من الدولة ومن أفراد المجتمع (65).

6- الخاتمة والتوصيات:

أولاً: الخاتمة:

في هذا العام الذي يقعد فيها على مقاعد الدراسة في فلسطين ما يقرب من مليون طالب، يقوم بتدريسهم ما يقرب من خمسين ألف مدرس، هذا في المدارس، أما في الجامعات فهي منبثة في كل فلسطين، بطلبتها ومدرسيها الكرام وموظفيها، كل هذه النهضة العلمية الخيرة، ما كان لها أن تظهر وتبرز للعيان لولا الوقف الإسلامي ومؤسساته، التي أسهمت ولا زالت تسهم في دعم التعليم الشرعي، والبحث العلمي في فلسطين.

ثانياً: التوصيات:

من كل ما سبق يوصي الباحثان في دعم الوقف الإسلامي في فلسطين؛ لينهض بالتعليم، ويساهم في النهضة العلمية في فلسطين، ودعم التدريس الشرعي، وتطويره، بما يأتي:

1. إن على السلطة الفلسطينية وكل فلسطيني تشجيع المواطنين الأثرياء على إقامة المشاريع الوقفية وتخصيص ربحها للطلبة العلم الفقراء، وللمبدعين منهم في العلوم كافة.
2. لا بدّ من إحياء ما كان عليه المسلمون الأوائل، في عصورهم الزاهرة في وقف أملاكهم وأموالهم على المؤسسات العلمية، وعلى العلماء، وتشجيع البحث العلمي، ابتغاء لمرضاة الله - عز وجل - وتشجيع التعليم الشرعي، وتطويره، وتحسين أدائه.
3. دحض شبهة واقع الاحتلال، فلا بد من تحويل الأموال من الخارج إلى فلسطين لاستثمارها، وتخصيص ريع استثمارها في العقارات الوقفية لصالح العلماء، والاختراعات العلمية، والمكتبات، والأبحاث العلمية، والرحلات العلمية، والبعثات العلمية، والفقراء والمساكين حسب لوجه الله - تعالى - .
4. على العلماء والمختصين والباحثين وأساتذة الجامعات والاقتصاد الإسلامي العمل على

- إحياء سنة الاستثمار الوقفي تحت شعار "إحياء نظام الوقف الإسلامي".
5. تخصيص جائزة نقدية مع شهادة تقديرية، لمن يكتب أحسن بحث في هذا المجال وهو "كيفية استثمار الوقف في تطوير التعليم في فلسطين"؛ تحقيقاً للتقدم العلمي، ولتحقيق الكفاية والرعاية الاجتماعية والتنمية البشرية، وقبل وبعد ذلك تحقيق رضا الله -تعالى.
6. ترجمة أطروحة الماجستير المسماة "الوقف الإسلامي في فلسطين"، للباحث: ميشيل دمبيد، والمقدمة إلى جامعة لانكستر سنة 1983م، وحصل بها صاحبها على درجة ماجستير في الفلسفة بامتياز، وهي نتيجة جهد سنة كاملة من البحث المكتبي والميداني (65).

Mishael Dumper The palestenian Wagf Austud in the Trans formation of A Religious Sumbel Sumitted to the Univesity of Ian caster, May, 1983, for the Degree of Master of Philosophy, "M.phil", in riligiouc (66)Studies.

7-الحواشي والمواشم:

1. الرُّبَيْدِي، تاج العروس، مادة "وقف".
2. زهو، أحمد النجدي، البيان لأحكام فقه الإسلام في الميراث والوصية والوقف، ص528.
3. المرغيناني، أبو الحسن علي بن أبي بكر، الهداية في شرح البداية، ج6/ص190.
4. الرُّضَاع، أبو عبد الله محمد الأنصاري، شرح حدود ابن عرفة الموسوم بالهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، ج2/ص535.
5. ابن قدامة المقدسي، أبو محمد عبد الله بن أحمد، المغني، ج5/ص187-188.
6. النووي، أبو يحيى زكريا الأنصاري، فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، ج1/ص256.
7. الطوسي، محمد بن الحسن، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، ص995.
8. أبو زهرة، محمد، محاضرات في الوقف الإسلامي، ص41.
9. سورة البقرة، الآية 245.
10. سورة آل عمران، الآية 92.
11. سورة البقرة، الآية 245.
12. القرطبي، تفسير القرطبي، ج3/293، تفسير ابن كثير، ج1/ص298.
13. سورة آل عمران، الآية 92.
14. سورة آل عمران، الآية 92.
15. صحيح مسلم بشرح النووي، ج11/ص85، وسنن الدارمي رقم "558". وقال الترمذي عنه: هذا حديث حسن صحيح.
16. القرطبي، تفسير القرطبي، ج4/ص132.
17. صحيح البخاري، ج3/ص46، باب الزكاة في الأقارب، وكذلك في ج5/ص13، وج5/ص17باب إذا قال: داري فهو جائز، وج5/ص18 وص19باب من تصدق إلى وكيله ثم رد الوكيل إليه، ورواه مسلم في صحيحه رقم "998"، في كتاب الزكاة، ورواه أبو داود في سننه ج2/ص131، رقم "1689" في الزكاة
18. بذل المجهود في حل أبي داود، ج13/ص138، وشرح السنة النبوية، للبغوي، ج2/ص287.
19. رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج11/ص85، ونيل الأوطار، ج6، ص127، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ينظر: تحفة الأحوذى، ج10/ص134، كما أورده ابن قدامة في المغني في الاستدلال على الوقف، ج5/ص298.
20. الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار، ج6/ص127.
21. صحيح البخاري، البخاري، ج2/ص829.
22. مغني المحتاج، ج2/ص376، والعدة على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ج4/ص133، وسبل السلام، ج3/ص116.
23. ينظر إجماع الفقهاء على الوقف عند كل من:
أ-السرخسي، شمس الدين، المبسوط، ج12/28.
ب-العيني، بدر الدين، البناءة، ج6/144.

- ج-والطرابلسي، الإسعاف، ص24.
- د-والموصلي، أبو الفضل، الاختيار لتعليل المختار 40/3.
- هـ-والدردير، الشرح الصغير، 97/4، والشرح الكبير، 206/6.
- و-والشافعي، الأم، 73/4.
- ز-والأنصاري، أسنى المطالب شرح روضة الطالب 457/2.
- ح-والشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، 376/2.
- ط-وابن قدامة، المغني، 299-298/5.
- ي-وابن حزم، المحلى، 177/9.
- ك-وتفسير القرطبي، 339/6.
24. ينظر: أمير عبد الرحمن، الأوقاف، المطابقة للشريعة في الولايات المتحدة "تحديات تجارية وقانونية" نُشر في مؤتمر دبي الدولي للاستثمارات الوقفية، المتعقد في شباط "فبراير" 2008، في الصفحات من 19-20.
25. الجويني، إمام الحرمين، غياث الأمم في التياث الظلم، ص12.
26. ينظر: الموافقات في أصول الشريعة، ج1/ص38.
27. من كتاب د.تيسير جبارة
28. أرفيف وزارة المستعمرات البريطانية، ملف 733/2، ص22.
29. ينظر: تاريخ التعليم الشرعي في مدينة القدس، د. محمد عبد القادر عابدين ص12.
30. المصادر السابق ذاته، ص72.
31. المصادر السابق ذاته، ص18.
32. ينظر: مجلة هدى الإسلام المقدسية، العدد6، 1416هـ-1996م، من مقال عنوانه: "دار الأيتام الصناعية"، بقلم أسرة التحرير، في الصفحات من 4-9، وزارة الأوقاف إنجاز وتطلعات، ص153.
33. بلادنا فلسطين، من ص218-220، ودور الوقف في مجال التعليم والثقافة في المجتمع الفلسطيني المعاصر، د.حسين الدراويش، ود.محمد الصليبي، ص29.
34. مقابلة مع الشيخ موسى الأحمد، مدير المعهد الشرعي بمدينة نابلس، قبل وفاة الشيخ رحمه الله 2001/5/1م.
35. تاريخ التعليم في مدينة القدس، محمد عابدين، من ص135-136.
36. ينظر: تاريخ التعليم الشرعي في مدينة القدس، ص155-168.
37. دور الوقف في مجال التعليم والثقافة في المجتمع الفلسطيني المعاصر، د.حسين الدراويش، ود.محمد الصليبي، ص31.
38. تاريخ التعليم في مدينة القدس، محمد عابدين، ص91.
39. ينظر: الدراويش، وآخر، دور الوقف في مجال التعليم والثقافة في المجتمع الفلسطيني المعاصر، ص30-31.
40. ينظر: مجلة هدى الإسلام المقدسية، العدد9، 1403هـ-1983م، من مقال وتحقيق ليوسف سلامة عنوانه "أضواء على معهد فلسطين الديني (الأهر) بغزة، والمؤسسات الإسلامية التابعة له، ص65-70، والاقتياس بتصرف.
41. ينظر شكيب أرسلان، جامعة المسجد الأقصى، نداء إلى العالم الإسلامي، ص5، و6بتصرف.
42. الدراويش، وآخر، دور الوقف في مجال التعليم والثقافة في المجتمع الفلسطيني المعاصر، ص23.
43. المصدر السابق نفسه، ص29.
44. المصدر السابق نفسه، ص33.
45. المصدر السابق نفسه، ص41.
46. المصدر السابق نفسه، ص42.
47. دراسة حول محتويات المكتبة ومصادرها ومتطلباتها، نشرة من إعداد خضر سلامة، أمين مكتبة المسجد الأقصى المبارك، سنة1400هـ-1980م، ص3.
48. كامل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، ص374.
49. الدراويش، وآخر، دور الوقف في مجال التعليم والثقافة في المجتمع الفلسطيني المعاصر، ص45 بتصرف.
50. المصدر السابق نفسه، ص50.
51. ينظر فهرس مخطوطات المكتبة البديرية، خضر سلامة، ج1/ص10.
52. ينظر محمود عطا الله، فهرس مخطوطات الحرم الإبراهيمي.
53. ينظر محمود عطا الله، فهرس مخطوطات جامع يافا.
54. ينظر محمود عطا الله، فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية، عكا.
55. الدراويش، وآخر، دور الوقف في مجال التعليم والثقافة في المجتمع الفلسطيني المعاصر، ص73-74 بتصرف.

56. المصدر السابق نفسه، ص75-86 بتصرف.
57. الموسوعة الفلسطينية، المجلد الأول، ص179 بتصرف.
58. الدراويش، وآخر، دور الوقف في مجال التعليم والثقافة في المجتمع الفلسطيني المعاصر، ص74-76 بتصرف.
59. المصدر السابق ذاته، ص81.
60. المصدر السابق ذاته، ص82.
61. المصدر السابق ذاته، ص82.
62. المصدر السابق ذاته، ص82.
63. المصدر السابق ذاته، ص74.
64. المصدر السابق ذاته، ص76.
65. المصدر السابق ذاته، ص75-76 بتصرف.
66. ينظر: مجلة هدى الإسلام المقدسية، جمادى الأولى والآخرة، 1405هـ-1985م، مقال: أ.د. أحمد فهيم جبر، بعنوان: "الوقف الإسلامي في فلسطين" إعداد: ميشيل دامير، في الصفحات: من ص29-47.

8-المراجع الخاصة:

1. الأحمد، موسى مقابلة معه بتاريخ 2001/5/1م.
2. أرسلان، شكيب، جامعة المسجد الأقصى، جنيف، 1351هـ.
3. أرشيف وزارة المستعمرات البريطانية، ملف 733/2.
4. أسرة التحرير في مجلة هدى الإسلام المقدسية، العدد6، 1416هـ-1996م، من مقال عنوانه: "دار الأيتام الصناعية"، بقلم أسرة التحرير، تحت عنوان: "وزارة الأوقاف إنجاز وتطلعات".
5. الأنصاري، أبو عبد الله محمد الرضّاع، شرح حدود ابن عرفة الموسوم بالهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تحقيق: محمد أبو الأجفان وطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.
6. الدّبّاع، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، دون تاريخ للطباعة.
7. الدراويش، حسين، وآخر، دور الوقف في مجال التعليم والثقافة في المجتمع الفلسطيني المعاصر، إشراف الأمانة العامة للأوقاف، بدولة الكويت.
8. أبو زهرة، محمد، محاضرات في الوقف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دون تاريخ للطباعة.
9. فهرسة مخطوطات المكتبة البديرية، نشر وطباعة دار الأيتام الإسلامية.
10. نشرة لخضر سلامة عن مكتبة المسجد الأقصى المبارك، سنة 1400هـ-1980م.
11. سلامة، يوسف: مقال وتحقيق للشيخ يوسف سلامة بعنوان: "اضواء على معهد فلسطين الديني "الأزهر"، بغزة، نشر في مجلة هدى الإسلام المقدسية، العدد9، 1403هـ-1983م.
12. عابدين، محمد عبد القادر، تاريخ التعليم الشرعي في مدينة القدس، مؤسسة القدس للأبحاث والتوثيق، عمان، 1400هـ-1980م.
13. عبد الرحمن، أمير، الأوقاف، المطابقة للشريعة في الولايات المتحدة "تحديات تجارية وقانونية" نُشر في مؤتمر دبي الدولي للاستثمارات الوقفية، المنعقد في شباط "فبراير" 2008، في الصفحات من 19-32، نشر مؤسسة الأوقاف وشؤون القُصّر، دبي، الإمارات العربية المتحدة،

- الموزع: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دولة الكويت.
14. العسلي، كامل، معاهد العلم في بيت المقدس، عمان، 1981م.
15. العسلي، كامل، مقال له في الموسوعة الفلسطينية، في الجزء الثالث، طبعت في بيروت.
16. عطا الله، محمود، فهرس مخطوطات الحرم الإبراهيمي في الخليل، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 1983م.
17. عطا الله، محمود، فهرس مخطوطات المكتبة في عكا، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 1983م.
18. عطا الله، محمود، فهرس مخطوطات المكتبة الإسلامية في يافا، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، 1983م.
19. مجلة هدى الإسلام المقدسية، جمادى الأولى والآخرة، 1405هـ-1985م، مقال: بعنوان: "الوقف الإسلامي في فلسطين" إعداد: ميشيل دامبير، تعريب ومراجعة أ.د. أحمد فهيم جبر،
20. 36-Mishael Dumper The palestenian Wagf Austud in the Trans formation of A Religious Sumbel Sumitted to the Univesity of lan caster, May, 1983, for the Degree of Master of Philosophy, "M.phll", in riligiouc Studies



العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة وأهميتها لطالب العلم الشرعي



خَبَاب مروان الحمد*

* خَبَاب بن مروان الحمد، باحث ماجستير في أصول الفقه جامعة النجاح الوطنية، باحث علمي في مركز البيان للأبحاث والدراسات. مُحاضر شرعي في تدريس العلوم الشرعية مُرخص من وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الفلسطينية.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله، ورضي الله عن صحابته الكرام، ومن تبعهم

ياحسان إلى يوم الدين

أما بعد:

يقوم طلبه العلم الشرعي باستفراغ وسعهم؛ لقراءة العلوم الشرعية وفهمها وحفظ بعض متونها؛ غير أن فئة منهم تقع في مفاجأة بعد الاتصال بالواقع؛ إذ يجدون أن اقتصارهم على تعلم العلوم الشرعية؛ دون مخالطة للواقع بفهم أسسه وتنظيراته المؤسسة على علوم اجتماعية وإنسانية معاصرة؛ قد حال بينهم في اقتدارهم على رسم التطبيقات النافعة والمسارات الصحيحة، وجزء من أسباب ذلك؛ القصور في فهم طبائع المجتمعات وطبقاتها؛ وتفسيرات تحولاتها وتغيراتها؛ فضلاً عن الدراسات الإنسانية الموجهة في بناء الإنسان؛ وتوظيف المجتمعات نحو معالم عصريّة حديثة.

إن العلم الشرعي بطبيعته علم حي لا يقبل المعرفة الجامدة أو الخاملة؛ بل هو علم عملي؛ مصداقاً لقوله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) قال البخاري: فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

والعلوم الإنسانية بشئ أصنافها من علوم تربوية، وسياسية، وإدارية، واقتصادية، ونفسية، واجتماعية، وتواصلية، وليس أخيراً بعلوم استشراف المستقبل والتخطيط المهني؛ ليست خالية من بؤر اتساق وتلاق مع كثير من مضامين العلوم الشرعية؛ وإن الجمع بين فهمها مع تلك المقررات الشرعية سيؤدي إلى قوة اجتهادية، وبناء مداميك تأسيسية سليمة في عقل طالب العلم الشرعي؛ تعينه على خوض الحياة وفهم متطلباتها على النحو الذي يصلح به دنيا الناس بالأحكام الشرعية.

هذا التأسيس لطالب العلم منذ نشأته العلمية في أرض الواقع؛ وعدم عزله عنها له دور مكين في تحريك مجرياته؛ وفهم ما يفيد معاشهم وإصلاح أوضاعهم وتتميم عاداتهم السليمة، وقد يتجنب الباحث في علوم الشريعة الكثير من الاصطدامات بالواقع من خلال إدراكه لواقع علم الاجتماع الإنساني؛ طبقاً لئن الممكن وفقه الاستطاعة الثابتة في مفاصل أدلة الشريعة الإسلامية؛ فهو يسعى بفهم طريقة المجتمعات العقلانية والمنطقية وتفرس أحوالهم وأنماط حياتهم التي يتعاملون فيما بينهم، ولا يُغفل النظر والتأمل في فروقات مناطقهم المختلفة وتحولات الظروف المكانية والزمانية في تصوراتهم بسبب البيئة التي يعيشون فيها، أو الأجواء المحيطة بهم،

وهذا كله سيساعد على انفتاح مسائل العلم؛ وانفتاح كثير من آفاق النطاقات التي كانت مستورة في خروجه إلى الحياة فقهاً وممارسة.

ومن هذا المنطلق فخليقُ بالمتخصص الشرعي أن يدرك أهمية العلوم الإنسانية وتأثيراتها على أرض الواقع؛ إنقاذاً لأمته من الإثم الذي وقعت به؛ إثر ضعف كثير من المتخصصين الشرعيين في فهم هذه العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ ودخول كثير ممن رفق دينهم وانحرفوا عن المنهج العلمي السليم فأثروا هذه العلوم بالسلب والنقص!

إنها علوم جديدة بأن تشكل في عقول طلبة العلم ووعيهم الشعوري واللاشعوري طريقة جديدة ونظرة مستقيمة لعلاج أمراض الواقع؛ واختلاف كثير من الفتاوى بعدما استطاع الفقيه أن يتصوره على النحو الصحيح ويقوم بتكليفه بالشكل المناسب؛ إذ الحكم على الشيء فرعٌ عن صورته.

وعلى قدر من التوثق في هذه المعلومة؛ فإن كثيراً ممن يقودون الأمم الشرعية والغربية؛ استخدموا الدراسات الإنسانية والاجتماعية والأنثروبولوجية (anthropology)؛ ليساهموا من خلالها في تحسين أوضاع الآخرين؛ بله لاحتلال كثير من الشعوب والدول؛ إذ تتقدم مراكز الأبحاث والدراسات لدراسة واقع الدول المستضعفة جيداً؛ وتهيئة الأجواء بالخطط الفعلية؛ لتقوم بعدها الدول العسكرية بكلها وكلكلها للاحتلال والغزو العسكري.... وهذا كله يدعو لاختيار الكتابة في هذا الموضوع؛ وعليه فإن خطة البحث تتلخص في خمسة مطالب، وخاتمة:

- المطلب الأول: مفهوم علم الاجتماع والمعارف الإنسانية وعلاقتها بالعلوم الشرعية.
- المطلب الثاني: التكامل المعرفي بين الدراسات الشرعية والعلوم الإنسانية.
- المطلب الثالث: دوافع معرفة طلبة العلم الشرعي للعلوم الإنسانية والاجتماعية.
- المطلب الرابع: المُشكل في العلوم الاجتماعية ونقاشات الأسلمة.
- المطلب الخامس: ضوابط ومنطلقات لطلاب الشريعة في طلب المعارف الإنسانية.

المطلب الأول

مفهوم علم الاجتماع والمعارف الإنسانية وعلاقة أهل العلم الشرعي بها

عرّف مجمع اللغة بالقاهرة علم الاجتماع بأنه: "علم يبحث في نشوء الجماعات الإنسانية ونموها وطبيعتها وقوانينها ونظمها"⁽¹⁾.

منذ أن حظت قدم الإنسان على ظهر الأرض؛ وقامت عملية التزاوج بين الذكر والأنثى، والتوالد وخلافة بعضهم بعضاً؛ ولا يزال الإنسان يتعلم من محيطه، ويستفيد من مجريات حياته، فيلتقط الجزء مع الجزء؛ حتى يبني منه منظومة قيّمة تكون منظوراً شاملاً في تعامله ونظرتة للكون والحياة.

والإنسان بطبعه في الأصل كائن حي مدني اجتماعي، يأنس بالناس، ولو ابتعد عنهم لم يُطق الاعتزال؛ فتتكون لديه معالم الاحتياج للآخرين، وهو مبدأ التسخير الذي جعلته الشريعة الإسلامية من قوانين الحركة الاجتماعية المنضوية تحت السنن الكونية الإلهية؛ حيث لم يعد المرء ينفك عن المعاشرة والمعايشة المجتمعية.

فيما هو يُخالط قبل الأمشاج والأشباح؛ الأنفس والأرواح؛ ولكل إنسان نفسيته وسليقته الفطرية التي فُطر عليها وانشقت أنفاسه من خلالها؛ وهذه الأنفس الشفافة العجيبة وما فيها من روح كامنة تستتيرُ بعالم الغيب اللامرئي؛ حتى يؤمن المرء أنه يتحدث لأحد دون أن يعرف طبيعة روحه وكيفية نفسه؛ وسرّ حياته الكامنة في جسده؛ حتى دعت الشريعة إلى التأمل الفعال والتبصر الذي يفك الأقفال فقال تعالى: ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾.

هذا بكيّته؛ سيؤسس لدى الناس نظرات مختلفة، وأفكار متباينة، مما يجعلهم يتلمسون طرق التفكير في الوسائل المعينة على العيش من طبيعة البحث عن المأكل والمشرب والملبس والمأوى؛ وتكوين طريقة محددة للتعامل بين الناس؛ فيمن يعمل؛ ومن يأخذ على عمله الأجر؛ حتى تكوّنت رويداً ورسائل التبادل المالي، إلى أن بلغت إلى تطلب الرفاه الاقتصادي...

والشيء نفسه تكوّن حتى نشأ من يقود الأمم والمجتمعات ويفصل بينهم في قضاياهم؛ مما أبرز وأفرز ضرورة الحاجة لمن يدير شؤونهم، ويقضي بينهم؛ ويحمي حياتهم؛ فيؤسس القوانين، ويُدرب قوى بشرية منتظمة لحفظ أمن الناس ومعايشهم؛ ويقوم هو عليهم من خلال سياستهم؛ فيما يتعاقدون عليه فيما بينهم بطرائق مختلفة في الحكم والسياسة.

1- المعجم الوسيط، مجمع اللغة بالقاهرة: ج1/135.

إن هذه الأرض التي جعلها الله مكاناً للمعاش بين الناس كما قال تعالى: ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ وموتلاً للاستقرار كما قال عز وجل: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً* أحياءً وأمواتاً* وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فراتاً﴾؛ وبسطها لهم ليستعينوا بها على قضاء حوائجهم في حياتهم فقال تعالى: ﴿والله بسط لكم الأرض بساطاً* لتسلكوا منها سُبُلًا فجاجاً﴾.

هذه الأرض لم يدعها كذلك سبحانه ليبقى الناس يعيشون حياةً اللاهدة والبعد عن العالم الأخرى؛ بل ضبطها عز وجل بالشرائع المحكمة من عنده؛ وأرسل للناس رُسلًا وأنبياء؛ يُبلِّغونهم رسالات الله ويخشونه؛ وأنزل معهم الكتب؛ ونصرهم بالبراهين والحجج؛ وأقام في الأرض سنناً لا تتبدل ولا تتغير؛ وسلك بهم من يدعوهم دائماً إلى الله والدار الآخرة؛ ليعلموا أن حقيقة الحياة الكاملة؛ لن تكون في الدنيا؛ بل في منازل الآخرة؛ كلُّ درجة استحقاقه إما إلى جنة وإما إلى نار!

وقد خلف الله الأنبياء بعلماء ربانيين يقومون بالعدل والحق؛ فيوجهون الناس لما في خير العباد والبلاد؛ وخير الدنيا والآخرة، وخير الدين والدنيا؛ وحفظ الله بهم الدين؛ حتى استوت الشريعة الإسلامية ناسخة وشاهدة ومُصدقة لشرائع الأنبياء والمرسلين السابقين؛ ولم تكن شريعة الإسلامي التي بُعث بها محمد صلى الله عليه وسلم لفئة أو قوم محدودين؛ بل للبشرية كافة كما قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ وكانت شريعته ورسالاته رحمة للعالمية جمعاء فقال تعالى: ﴿وما أرسلنا إلا رحمة للعالمين﴾ وأراد تعالى أن يعلو دينه ويظهر على سائر الأديان فقال عز وجل: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله﴾.

إن هذه المكانة التي هيأ الله تعالى بها الشريعة الإسلامية على سائر الشرائع؛ بوأتها صدارة المشهد وأولتها ريادة الأمم؛ إذ إن الشريعة الإسلامية انبعثت أسسها من النص الإلهي الثابت: (الوحيين) من كلام رب العالمين في كتابه الحكيم: (القرآن المُنزل) وكلام رسوله الأمين في سنته الشريفة: (الحديث النبوي)؛ ثم تلقفها الصحابة والتابعون ومن تبعهم من العلماء الربانيين العدول الثقات العاملين؛ فشرحوا وبينوا وأوضحوا مرادات الشريعة؛ وكانت لهم الأسس الحقيقية في تكوين حس ووعي الإنسان المسلم فكرياً وروحياً وحركياً إذ اختلطت بروحه ودمه، فتكوّن الإنسان المسلم الذي يستقل بمعرفته المؤسسة على الوحي الشريف؛ ويستفيد من عموم البشر ما فيه توافق وعدم تعارض مع الشريعة السوية؛ فهو في فكره مندمجة الأسس الإلهية والوصايا النبوية التي يؤسس عليها ما صحّ اتساقه معها من علوم البشر؛ وطبائع الحياة الإنسانية؛ كما هو في جسده كذلك قد نفخ الله فيه من روحه؛ وصنعه على عينه؛ وسوّاه فأحسن

خلقته وصوره في أحسن صورة؛ ثم أخذ به من قبضة الأرض وأنبتته منها نباتاً حسناً؛ كما قال تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً* ثم يُعيدكم فيها ويُخرجكم إخراجاً﴾ فتكوّنت في جسده النفخة العلوية الشريفة والقبضة الأرضية الطينية؛ فشرف الله جسده وأحسن قوامه فقال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ وكرّمه الله تكريماً يليق به؛ فقال: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ حتى أسجد لجسده ملائكته سجود تحية وإكرام؛ وكرّم الله نفسه وروحه وعقله؛ فجعله يأنس بروح الله، وحياة القلوب؛ من كتابه عز وجل ليكون نبراساً يُضيء له الحياة؛ ولم يجرمه من الإفادة من عموم الخلق؛ ومحيطهم فجعل الأرض حلالاً له ليستقي من خيراتها ويفيد ممّا خلق منها فقال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾.

هذه الفلسفة الإسلامية في طبيعة النظرة للإنسان وعلاقته بالكون والحياة؛ تأثيل لتأصيل عميق إذ عليه تتركب عموم ما يستفيده طالب الشريعة من علوم الاجتماع وأبحاث الإنسانيات؛ ذلك أنّ طالب الشريعة لن يدرس علوم الوحي إلا بالاتصال مع الواقع؛ فعقليته الدراسية ذات اتصال لا انفصال؛ وحيوية حركية إصلاحية لا مجال فيها للموات الفكري والتخندق المعرفي الذي يؤدي للعزلة عن الواقع فتكثر المفاسد؛ ولا تصلحها حكمة ربّانيو الشريعة.

الحكم على الشيء فرع عن تصوّره

لا يسع المختص بالعلوم الشرعية أن ينفك عن واقعه طالما أراد أن يتصل بعلوم الشريعة؛ إذ أنّ الشريعة الإسلامية بطبعها شريعة حيوية حركية؛ لا تقبل الضموراً والانكماش؛ فضلاً عن الانزواء؛ خلافاً لما كان عند الرهبان والقساوسة والبطاقة النصرانية الذين يعتزلون واقعهم في صوامعهم وكنائسهم للتعبّد؛ الذي جاوزوا فيه حدّهم كذلك فأل إلى الخزعبلات والبدع المحدثّة والرهبانية التي ليس للدين صلة فيها؛ والكهنوتية التي تؤدي طقوساً خرافية ما أنزل الله بها من سلطان.

إنّ روح العلوم الشرعية؛ وروح روحها وهما القرآن والسنة ما كانا يتنزّلان في واقع الحياة؛ حتى أنّ كفار قريش قالوا: ولمّ لم يتنزّل القرآن جملة واحدة؟

فأنزل الله تعالى: ﴿وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتّلناه ترتيلاً* ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ فكانت أفانين القرآن تتنزّل طبقاً لإصلاح الحوادث والوقائع والنوازل المستجدة في الواقع؛ فضلاً عن شرح طبائع الأشياء والحديث

عن الأشخاص وإصلاح الأفكار؛ حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتساءل كفار قريش عن سرحراكه في أسواقهم، ويقوم معهم بالاجتماع على موائد الطعام والشراب: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾ ويؤكد على هذا مرة أخرى فيتحدث عن حال المرسلين سابقاً وأن رسول الله لا يختلف عنهم فيقول: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾.

إن دور العالم الرباني مخالطة الواقع مخالطة عميقة؛ ليستخرج منه أفضل الطرق في معالجته لشؤون الحياة؛ وفهم الطبائع والوقائع والمواقع؛ ولا علم صدق بدون فهم حق؛ وما لم يكن العالم بالشرع عالماً بكمالات العلوم البشرية والإنسية؛ التي تتمحور حولها كثير من التطبيقات والإجراءات التديريّة والبشريّة؛ وإلا فلن يجد العالم التربة الخصبة؛ والاستنباط الصحيح من القرآن والسنة لإصلاح واقع الناس.

لا غرو بعدئذ أن نرى عدداً من علماء الإسلام ومفكره يحثون طلبة الشريعة على فهم ودراسة علم الاجتماع وما يلتصق به من تفرعات نفسية أو سياسية أو اقتصادية أو تربوية، وغيرها؛ كي يكون لديهم معرفة بعلوم الدين والدنيا؛ كما أوضحه الأستاذ والشاعر الهندي المشرقي محمد إقبال؛ فيما يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "أن من أسباب ضعف الباحث الفقهي عدم عنايته بعلوم الاجتماع مع حاجة الأمة له"⁽¹⁾.

فالخبرة والمهارة والمعرفة بشؤون المجتمع مما يجعل المرء مقتدراً على فهمه على النحو الصحيح؛ ومن لم يكن أهلاً لذلك لم يستطع أن يؤدي رسالته؛ وقد جعل الإمام ابن تيمية بعض مسائل القتال والحرب من هذا القبيل فقال ابن تيمية: "والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا فأما أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا"⁽²⁾.

من هنا نجد إشادة العلماء بكتاب المقدمة لابن خلدون وما فيها من خبرات وتلمسات لحياة الناس الاجتماعية؛ ومعرفتها وفهمها، ومثله كتاب تحصيل النشأتين وتفصيل السعادتين للراغب الأصفهاني، وإغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزي، وغيرها من الكتب التي بحثت في الشأن التاريخي الاجتماعي؛ كما في تعليقات ابن كثير في البداية والنهاية على بعض الأحداث، والذهبي في تاريخ الإسلام وغيرهم من العلماء المتفحصين.

1- ليس الصح بقریب، الطاهر بن عاشور، ص 26

2- الفتاوى الكبرى 5/537.

وقد ذكر العلامة محمد الخضر حسين أن: "العلماء المقيمين في ضواحي قرطبة، كانوا يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة، ويطالعونه بأحوال بلدهم، وقال أحد علمائهم:

وَأَتَعَبُ إِن لَّمْ يُمْنَحِ النَّاسُ رَاحَةً * وَغَيْرِي إِن لَّمْ يُتَعَبِ النَّاسَ يَتَعَبُ

وإذا قصَّ علينا التاريخ أن فريقاً من أهل العلم قضوا حياتهم في بحث المسائل العلمية البحتة، فقد قصَّ علينا أن أمة من عظمائهم كانوا ينظرون في الشؤون العامة، ويمثلون السيرة التي تكسو صاحبها جلاله، وترفع له بين الخلائق ذكراً.

كان أهل العلم يوجهون همهم إلى الوسائل التي تقي الأمة ممن يبغونها الأذى، فهذا أبو بكر ابن العربي قاضي أشبيلية رأى ناحية من سور أشبيلية محتاجة إلى إصلاح، ولم يكن في الخزانة مال موفر يقوم بسدادها، ففرض على الناس جلود ضحاياهم، وكان ذلك في عيد الأضحى، فأحضرها، وصرفت أثمانها في إصلاح تلك الناحية المتهمة.

وكان محمد بن عبد الله بن يحيى الليثي قاضي قرطبة كثيراً ما كان يخرج إلى الثغور، ويتصرف في إصلاح ما وهي منها، حتى مات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة⁽¹⁾.

إن إصلاح واقع الناس يبرز من معايشة المشكلة وبياناتها؛ فإذا بانَ عنها وانقطع عن النظر فيها؛ لم يسعفه الدليل في تعامله مع الناس بسعادة التأثير؛ أو على الأقل إفحاح حجة النظر.

ولن يستطيع الفقيه ملء الفراغ بحُكمه حتى يملأه بحكمته وحُسن تقديره للموقف وقراءته للواقع؛ لهذا قال أسيادنا من علماء المنطق: (الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره) وما لم يُحسن المرء فهم الأشياء، وإدراك حقائق الأمور، وكُنه طبائعها؛ ويتصورها كما هي عليه دون أحكام مُسبقة أو مُعلبات فكرية دون وكس أو شطط؛ وإلا فستتقصر همته الفكرية عن تمثلها بالذهن = فالْمُكوْنُ الصحيح في التصور أن يراها ذهنياً ثم تتمثل أمامه في الخارج الذهني؛ ويرى انعكاساتها وارتداداتها على الواقع والوقائع.

والمُلاحظ أن الحكم ليس مقتصرًا على الناحية المعنوية أو الفكرية؛ بل هو متعلقٌ بعالم الأشياء ومثلها المحسوسات؛ وهذا كله يعطي للمرء التوخي في حالة الحكم؛ وإتقان النظر والفكر حالة التصور؛ لأن الحكم معناه على مبناه، ومنتهاه يقوم على مبتداه.

إن قاعدة: "الحكم على الشيء فرع عن تصوره" قاعدة صحيحة ذكرها علماء المنطق؛ وأعملها

1- بتصرف واختصار عن مقال بعنوان: العلماء والإصلاح، العلماء والإصلاح، للشيخ محمد الخضر حسين، نُشر عام 1349 هـ الموافق 1930 م ضمن (موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين) (116/5)

فقهاء الإسلام في دراساتهم للواقع وإعطاء الحكم المناسب للفقه؛ فباتت قاعدة فقهية / أصولية شريفة؛ لا تقل مطلقاً عن قاعدة: "الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً" إذ هذه القاعدة مرتبطة بعلة يستتبطها الفقهاء من خلال دراساتهم للشيء مما هو منصوص عليه أو في حكم المنصوص عليه مما يتطابق مع العلة؛ فيما هذه القاعدة (الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوّره) اتصالتها بالسياق الإنساني والاجتماعي والبشري أكثر من غيره؛ لأنّ صلتها ليست بجانب حكمي فقط بل بجانب متعلق بالنظر العيني الذي يؤهل المرء للحكم السليم؛ ولهذا فما يكون من أحكام خاطئة يكون سببها تصورات مشوّهة، أو وهمية؛ وهذا ما يتطلّب من الفقيه الخبرة بحقائق الأشياء جيداً؛ والتأني والتثبت قبل القول الحكمي.

وكُلّ شيء له أداته وأناته الخاصّة به؛ فالحكم على قضية متعلّقة بالاقتصاد؛ سيستعمل معها الباحث كافة الأدوات والمهارات ويستعين بالخبرات والتجارب في النظرة الشمولية للقضية الاقتصادية التي يريد أن يستخلص منها حكمها الخاص بها؛ وتلك مهمّة شاقّة؛ تتطلب الصبر والرويّة في الأمور؛ حتّى يُعطي ثمرة ونتيجة حكمة؛ تكون محمولة بأكف العلم ودلائل الحكم الصحيح، وتُقاس عليه كافة مباحث العلوم الإنسانية الأخرى من علوم السياسة والتخطيط والإدارة والتربية والنفوس والاجتماع وغيرها.

إنّ الخبرة بالشيء ضرورة ماسّة قبل الحكم عليه؛ وعدم الإحاطة به سيُسبب الحكم الجاهل؛ والاستعجال الموقع بالزلل، وهو نقيض الصبر؛ لهذا حين وقف موسى بن عمران مع الخضر عليه السلام؛ وطلب منه أن يُعلّمه ممّا علّمه الله؛ وكانت تعاملات الخضر مع عوالم ثلاث مختلفة:

- في البحر بخرق السفن لئلا يستخدمها الظالمون.
- وفي البر يتقصد القتل للغلام الكافر العاق.
- وفي المدينة بحفظ الجدار من السقوط على أنّ أهلها لم يقوموا بالضيافة.

فحينما لم يُدرك موسى عليه الصلاة والسلام أسرار ما فعله الخضر عليه السلام؛ واعترض عليه ولم يُطق أن يتحمّل رؤية شيء يُتعامل معه بخلاف ظاهره؛ بيّن له بيّن له أسباب تعاملاته؛ وهي المقتضية للخبرة التي تحدث عنها سابقاً؛ وطلبها ممّن يريد أن يتعلّم أن يحسن التعامل معها بالصبر؛ لتكوّن الخبرة.

وفي سورة الكهف إشارة أخرى لذلك مع قصّة ذي القرنين؛ فعلى الرُغم من اهتمامه بالأسباب؛ وإتباعه السبب، وطلبه الإعانة من قومه؛ واهتمامه بالقوّة ليحسن العمل؛ وطلبه أقوى العوامل المعينة على حفظ الحدود وسد السدود من الحديد؛ واستخدام النار لإلحامه؛ هذا كلّه ومع

مكانة خبرته؛ لأنها تحت خبرة الله فقد قال تعالى: ﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً﴾.

هذا كله يعطي الباحث في علوم الشريعة ضرورة دقة التصورات على وجهها؛ والصبر على تعاطيها؛ والإفادة من أهل الخبرة والتجربة؛ وهو ما يؤدي إلى زرع الأمل والأمن في الواقع؛ وقلة الهوى والبغي.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " فهذه المسائل إذا تصورها الناس على وجهها تصورا تاما ظهر لهم الصواب وقلت الأهواء والعصبيات، وعرفوا موارد النزاع " (1)

أما إذا كثرت التصورات الخاطئة؛ أدى هذا للتضييق على الناس في أمور معيشتهم؛ والتشدد الذي يجعل الحكم المباح في أصله حراماً لسوء التصور؛ أو التميّع والتساهل في قلب الحكم من كونه حراماً إلى مباح؛ لهذا أكد علماء الإسلام على ضرورة التصور في الفتوى؛ وخاصة أن الفتيا ليست مجرد سؤال من كتاب فقهي؛ أو إجابة على متن فقهي كتبه صاحبه فحسب؛ بل له دور في المخالطة والمعاشة لنفسيات الناس واجتماعياتهم وبيئتهم؛ مما يستعين به الفقيه مع علمه الأصل بالأحكام التكميلية إلى استصحاب الأحكام الوضعية أو ما يُسمى عوارض الأهلية؛ هذا فضلاً عن التصور الواقعي للحالة المعينة التي حصلت فيها المسألة؛ فمن أساء التصور أساء الفهم ومن أساء الفهم أساء الحكم؛ لهذا قال الشيخ الحجوي الثعالبي: (وأكثر أغلاط الفتاوى من التصور) (2)

لقد كان علماء الأصول يُركّزون على قضايا في ضرورة فهم طالب الشريعة لها؛ قبل الحكم عليها وذلك بحُماسيّة نظريّة؛ ذكرها الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله - فقال: " فعلى كل ناظر في المسائل وظائف خمس :

أولها: (وضع صورة المسألة وفهمها).

والثانية: طلب الاحتمالات فيها واستقصاؤها.

والثالثة: حصر ما ينقدح من جملة تلك الاحتمالات، وتقليلها ما أمكن.

والرابعة: طلب أدلة الاحتمالات.

والخامسة: طلب الترجيح في تلك الأدلة " (3)

1- مجموع الفتاوى : (12 / 103)

2- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي 571/2

3- حقيقة القولين في توجيه تخريج الإمام الشافعي لبعض المسائل على قولين ص: 64_65

وإنَّ المتتبع لهذه الكلمات التي ذكرها الإمام الغزالي وهي: صورة المسألة؛ فهمها، طلب الاحتمالات، استقصاء الاحتمالات، الأدلة، الترجيح؛ فهي كلمات ستبعث في نفس الفقيه أن التكييف الفقهي للمسألة لابد أن يمرّ بمراحل مختلفة ترتيبية؛ وأنَّ الحكم ليس اعتباراً أو أنه حالة ارتجالية، أو تؤخذ فيه الأمور بشيء من الأصول العامة، ويجري الحكم فيها بطريقة طوباوية لا تُحكم الأمر وتستقرئ حدوده وتستقصي احتمالاته وتلغي ضعيفها.

ولقد قعد العلماء في كتبهم؛ وخاصة علماء الفقه وأصوله أن معرفة الأحكام الفقهية متفرغ عن معرفة صورة المسألة وأشكالها والتفريق بين دقائقها؛ فالفقيه يُمكن اعتباره قائلاً بحكم الشرع بعد استتمام تصوُّره للمسألة الواقعية، كما وأنَّ المتخصِّص فقيهاً عليه أن يستفرغ الفقيه وسعه لدرك حقيقة المناط ومعرفته ومن ثمَّ تحقيقه وإسقاط حكمه في أرض الواقع؛ وكثيراً ما يحصل الخلل والعجل في فهم بعض المسائل ولم يستوف الناظر فقيهاً فصل حكمها؛ وحين تكلم الإمام ابن تيمية عن جواز بيع المغيبات في الأرض، وأنَّ الغرر فيه مغتفر، وردَّ على من منعه من الفقهاء للغرر؛ قال: قد يكون أهل الخبرة به أعلم من الفقهاء الذين لم يُباشروا ذلك.

جاء مجموع الفتاوى لابن تيمية قوله: ”وكون المبيع معلوماً أو غير معلوم لا يؤخذ عن الفقهاء بخصوصهم؛ بل يؤخذ عن أهل الخبرة بذلك الشيء؛ وإنما المأخوذ عنهم ما انفردوا به من معرفة الأحكام بأدلتها. وقد قال الله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ والإيمان بالشيء مشروط بقيام دليل يدل عليه، فعلم أن الأمور الغائبة عن المشاهدة قد تعلم بما يدل عليها فإذا قال أهل الخبرة: إنهم يعلمون ذلك كان المرجح إليهم في ذلك دون من لم يشاركهم في ذلك وإن كان أعلم بالدين منهم. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لهم في تأبير النخل: ﴿أنتم أعلمم بدنياكم. فما كان من أمر دينكم فإلي﴾. ثم يترتب الحكم الشرعي على ما تعلمه أهل الخبرة” (1)

وقال العلامة ابن القيم: ”إن قيل: ”كلما أردت بيع شيء منه فاقلعه” كان فيه من الحرج والعسر ما هو معلوم، وإن قيل: ”أتركه في الأرض حتى يفسد، ولا تبعه فيها” فهذا لا تأتي به شريعة، وبالجملة فالمتفوتون بهذا القول لو بلوا بذلك في حقولهم أو ما هو وقف عليهم، ونحو ذلك لم يمكنهم إلا بيعه في الأرض، ولا بد، أو إتلافه وعدم الانتفاع به، وقول القائل: ”إن هذا غرر ومجهول” فهذا ليس حظ الفقيه، ولا هو من شأنه، وإنما هذا من شأن أهل الخبرة بذلك، فإن عدوه قماراً أو غرراً فهم أعلم بذلك، وإنما حظ الفقيه يحل كذا؛ لأن الله أباحه ويحرم كذا؛ لأن الله حرمه، وقال الله وقال رسوله، وقال الصحابة.

وأما أن يرى هذا خطراً وقماراً أو غرراً فليس من شأنه بل أربابه أخبر بهذا منه ، والمرجع إليهم فيه ، كما يرجع إليهم في كون هذا الوصف عيباً أم لا ، وكون هذا البيع مرجحاً أم لا ، وكون هذه السلعة نافقة في وقت كذا وبلد كذا ، ونحو ذلك من الأوصاف الحسية ، والأمور العرفية ، فالفقهاء بالنسبة إليهم فيها مثلهم بالنسبة إلى ما في الأحكام الشرعية⁽¹⁾

فالاحتياط بأعيان التجارات وأشكالها وألوانها؛ يُعطي لدى الباحث الفقيه معرفة منضبطة بما يُمارسه السوق المالي من بيعات وتجارات .

وفي المُقابل فإن كثيراً من التُّجار يقومون بالعل التجاري البحت؛ وينهمكون في السوق المالية؛ ومتابعة الأرباح والحذر من الخسائر، والتعرض لكل صفقة يجنون من خلفها مالاً؛ فيندر منهم من يتفقه في أصول دينه ويعرف الحلال والحرام في أساليبه التجارية؛ أو يُحاول معرفة الفروقات بين العقود الفاسدة والصحيحة ، ولا يُقايِس الشيء بعقله؛ حيث يفتقد المقياس الشرعي والمعيّار الاقتصادي الإسلامي الذي يضبط تجارات الناس؛ فقد لا ينتبه لذلك التاجر الذي ” يمضي عمره في جمع المال كيف اتفق ، ففكره مصروف إلى ذلك عن النظر إلى صحّة العقود “⁽²⁾ كما يقول الإمام ابن مفلح المقدسي الحنبلي .

هذا يعني أنّ الطرف المتخصص في العلوم الشرعيّة؛ والطرف الآخر المتخصص في القضايا المالية والاقتصادية يحتاج بعضهما لبعض في فهم مكمّلات ما تُحكمه الشريعة؛ لتتكون المدارك الصحيحة؛ ويحسن القيام بها في أرض الواقع .

1- إعلام الموقعين : (4 / 5)

2- الآداب الشرعية؛ ابن مفلح : (2 / 224) .

المطلب الثاني

التكامل المعرفي بين الدراسات الشرعية و العلوم الإنسانية

الكلية المعرفية في الوقت المعاصرة؛ تتحدث عن التخصص العلمي الدقيق؛ غير أن هذا لا يعني منه عدم الاتصال والالتصاق بكل ما يمت لموضوع التخصص من قضايا الجوار المعرفي؛ فالتخصص الشرعي يلزم منه أن يعرف المرء في تخصصه كل ما له علاقة به ويتعزف على العلوم الأخرى التي تفيده عمقاً في تخصصه؛ ودراية لأصول معارفه؛ ومناقشة لكل ما يجب أن يستثير انتباهه من قضايا وسؤالات .

العلوم الإنسانية وكما أسلفنا سابقاً حيث تعني كل ما له وجهة يختص بها الإنسان في معارفه كعلوم التربية، والاتصال، والنفوس، وعلوم الاجتماع، والتاريخ، والفلسفة، ونظريات المعرفة، وفنون الإدارة، ومجالات السياسة والحكم.

وبهذا فالمتخصص الشرعي ينظر في مجال تخصصه وما يمسه من جوانب لوصولها بما يتعلق بها من علم الاجتماع وأقسام المجتمعات وأنماطها وطرائق تفكيرها؛ والمؤثرات الخفية والعلنية في صياغة الوعي المجتمعي، والعقل الجمعي وكل ما يمت بصلة للمناهج الميدانية والأساليب التحليلية، ومباحث التغيير الاجتماعي.

هنا يحسن القول أن الوصل ليس معناه القيام بالتوأمة؛ أو التعسف بالوصل بينها؛ أو محاولة استنساخ روح اجتماعية عصرية بتركيباتها ومنظوراتها المعرفية العلمانية بمسوح إسلامية؛ بل من معاني الوصل البحث عن النافع المفيد منها وترك الضار؛ أو القيام بموازنة ومقارنة بين مبدأ العلوم الشرعية فيما له علاقة بمعالجة ظواهر اجتماعية مع القضايا الاجتماعية المعاصرة المؤسسة على بنية تغريبية، أو بيان ما في المشترك الإنساني من قضايا عالجت مسائل تهم المجتمع بمختلف أديانه وتوجهاته الفلسفية؛ ومن معاني الوصل أيضاً إصلاح الخلل والعطب الطارئ على كثير من قضايا الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بعد فهمها بشكل جيد؛ وعدم إسقاط حكم جائر عليها؛ يُؤخذ على المتخصص الشرعي لكونه قصر في الاطلاع على معالم منظور اجتماعي معاصر؛ هذا كله له علاقة بالوصل والتكامل المعرفي.

ويكُل؛ فإن هذه العلوم الاجتماعية لها تقاطعات حقيقية مع العلوم الشرعية؛ تُدلي بضرورة الربط التداولي والتكاملي والتعاري في بين العلوم الشرعية والدراسات الإنسانية؛ ولو لم تكن مؤسسة على الجانب الفكري الغربي في البناء الاجتماعي أو الإنساني؛ فإن هذا يُبرز ضرورة

الاهتمام بدراسة فكر الاجتماع والعلوم الإنسانية من منطلقات الدراسات الشرعية التخصصية؛ وإبراز مدى العلاقة بينهما.

وإذا كانت العلوم منها ماهي علوم آلة وعلوم غاية فهناك علوم يُمكن أن نطلق عليها علوم إعانة يستعين بها المتخصص الشرعي في إسقاط العلوم الشرعية على بيئتها ولعل من أبرزها العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ وقد سبق وأن قَسَم العلماء بعض العلوم كما فعل ابن رشد فقال في كتابه الضروري في صناعة النحو: "إن العلوم صنفان: علوم مقصودة لنفسها وعلوم مسددة للإنسان في تعلم العلوم المقصودة في نفسها"⁽¹⁾.

ففي القرآن وعلومه؛ نجد أن الآية تنزل في المجتمع؛ بحسب الظروف والوقائع؛ فكان القرآن ينزل مُنْجماً مُفْرَقاً؛ وكثير من أسباب نزوله لها سياقات وظروف محددة متعلقة بطريقة التنزيل؛ التي عالجت تلك المشكلة بخصوصيتها ثم كانت للناس عامة؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا فيما خصه السبب.

وفي مجال الحديث وعلومه؛ ثمة مسائل متعلقة في سياق الحديث وسبب وروده؛ وما يناسب كل ظرف وبيئة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم به؛ فحديثه المتعلق بالأحكام وحي أو حاه الله إليه عالج به مشكلات المجتمع؛ إذ النص لم يتنزل بدون وجود بيئة وحاضنة له؛ تستوي منه العلاج، وقد قيل: إن للدار والرجال أثراً على الراوي والمروي، بل إن تأثير علم الإسناد في مجال اصطلاح الحديث يمكن ظهوره كذلك في العلوم الاجتماعية من حيث: التثبيت من الواقع وتحليل الوقائع.

ومجال الفقه له علاقة كبيرة في مجال ضبط الصياغة الفكرية في التنظيم الفقهي؛ وهذا له علاقة بالقانون والدستور الذي يُنظّم حياة الناس ويعالج مشكلاتهم؛ ويُجري قضايا العقوبات والجنايات في مخالقاتهم؛ إذ هو وسيلة ضبط وزجر؛ ففيه زواجر وجوابر، وبما أن علم الفقه مهتم بفقه النص فهو كذلك فقه في أحوال النفس؛ فإن كانت الأحكام التكليفية بيئة النص؛ فالأحكام الوضعية بيئة الأنفس؛ ومن هنا نجد كثيراً من علومه ملتصقة بالواقع الاجتماعي فعلم القضاء والمواريث لها علاقة واضحة بعلم الحقوق والتبعات الإنسانية؛ وعلم السياسة الشرعية يتقاطع بشكل كبير مع فنون السياسة ونظرياته المعاصرة؛ وما يستجد من إجراءات إدارية وتنظيمية، وفي الفقه مسائل البيوعات والمعاملات التي لها علاقة كبيرة في مجال الاقتصاد؛ إذ تحيا فيه حيوية الحراك المالي، والعطاءات وسوق المصافقة التجارية؛ والصناعية، والزراعية، وهذا لا يجد بيئته

1- (ضروري في صناعة النحو لابن رشد الحفيد: 22)

إلا في مجال الاقتصاد.

وعلم أصول الفقه له علاقة بالمنطق، ودراسة واقعة النص قبل إسقاط حكم النص عليها؛ فضلاً عن كون تأثير علم أصول الفقه بالتزامن مع علم العقيدة بما فيه من مبدأ الاستقراء التام على الواقع المجتمعي "يُجرى التجارب على عينات معدودة وتأتي النتيجة كلية، ولا يحل هذه المشكلة سوى العقيدة، على أساس أن الله سبحانه وتعالى له نظم مطردة لا تتخلف، كما أن علم أصول الفقه من مرتكزاته مجال مقاصد الشريعة؛ التي لها علاقة قوية بمجالات حقوق الناس وضمان حرياتهم، وحتى في علوم المستقبليات فلها علاقة بفقه المآلات وفقه التوقع عند علماء الشرع الإسلامية؛ وما يتعلق بمقاصد الشيء وثمرته ونتيجته، طبقاً لقاعدة: الوسائل لها أحكام المقاصد.

وفقه الدعوة الإسلامية لها علاقة بمجالات مختلفة من العلوم الإنسانية من قبيل علم الاتصال والتواصل؛ ومتعلقات التنمية البشرية، ومجالات التفكير والتخطيط، وقضايا متعلقة بالعدالة والدعوة لها علاقة بالعدالة.

ومسائل التربية والأخلاق والتزكية والفضائل كلها علاقة بعلوم التربية وعلم النفس؛ حيث المعالجات للأنفس؛ وإصلاح القلوب؛ وتربية المجتمعات على المثل العليا والقيم السامية.

وأصول العلم في الإسلام ومناهج البحث لها علاقة بنظريات المعرفة المعاصرة.

وحين نرى هذه الشبكة العلمية الهائلة من العلوم؛ يمتنع القول بوجود الشخص الموسوعي؛ بل على فرض وجود موسوعيته؛ إلا أنه الموسوعي العلمية قد تكون كمية هائلة من المعلومات؛ لكن تكييفها في أرض الواقع؛ ومعرفة الحكم المناسب لها؛ يستدعي مزيداً من التبصر والتأمل؛ ومن هنا يمكن الدعوة إلى ضرورة التعلق والتعاقب العلمي الشرعي الإنساني من خلال التخصص؛ فمن كان تخصصه في الجانب الفقهي؛ فيدرس ما يمتّ بالموضوعات المتعلقة بالجانب الإنساني؛ ومن تخصص في علوم الحديث فيإمكانه النظر للمعالجات السنّية الشريفة لمشكلات الواقع المجتمعي؛ أو إبراز معالم إنسانية واجتماعية في الحديث النبوي؛ فهذا ما يجعل العلوم الشرعية مندجمة في أرض الواقع مؤثرة به؛ بدلاً من بقاء العلوم الإنسانية البحتة القائمة على نظريات تجريديّة ذات تحيُّز للإطار المادي وابتعاد مطلق عن الإلهيات.

المطلب الثالث

دوافع معرفة طلبة العلم الشرعي للعلوم الإنسانية والاجتماعية

من الخطأ البين أن يُقال إن العلوم الإنسانية والاجتماعية ليس لها حظٌ وافر من الاهتمام المعرفي العلمي في تاريخ الأمم الإسلامية قديماً؛ فضلاً عن الاهتمام المعاصر بها؛ واستجلاء أفضل الطرق لتطويرها وما يتناسب مع التفكير البشري المتقدم.

فالعلوم الإنسانية والاجتماعية كانت ولا زالت مبعث الحياة لدى قديم الناس؛ غير أنها تطوّرت بين فينة وأخرى؛ على يد المهتمين بها من حيث صناعة المعرفة الإنسانية ورسم الحدود العلمية الاجتماعية.

بل إن الوحي ما كان ليتنزل إلا في بيئة الوضع؛ إذ القرآن الكريم لم ينزل في الأرض قبل وجود الإنسان وعلومه؛ لكنّه حين نزل استثمر صالح العلم الإنساني ودعا إلى تنميته؛ وأصلح ما فسد من تفكيرات البشر.

صحيح أن واقع العلوم الاجتماعية والإنسانية في عصرنا قيامها على أسس دنيوية بحتة؛ وأن المبدأ الديني فيها منخى تماماً في الجانب المعرفي؛ وهو ما يدعو عدداً من طلبة الشريعة للإعراض عن تعلّمها؛ باعتبار أن المبادئ القائمة عليها ليست ذات منطلقات إسلامية أو شرعية؛ وأن الطابع الفكري فيها منسجم مع التوهقات العلمانية / الليبرالية / اللائكية؛ وغيرها من أساسات المدرسة المادية / الدنيوية.

لا أقل من صحّة هذه المفاهيم التي يقولها طلبة الشريعة؛ وأضف إليها أن ردّة الفعل من المنظور للتدين الكنسي؛ أورث عبئاً ثقيلاً تتحمّله على عواتقها الطاقات الدينية التي لا تنفك من سبّة الكهنوت الديني المحرّف المسيحي / الوثني؛ حتّى صار رجال الدين الكنسي يتدخلون فيما لا يصح التدخل فيه مما يقوم على تصورات خاطئة، وأحكام باطلة، ويحرمون ما أباح الله؛ لقصورهم عن فهم هذه العلوم؛ فضلاً عن قلة مخالطتهم ومعايشتهم للناس؛ مما يؤسس لمنهجية الفصل بين الدين والدنيا؛ فلا صاحب الدين - المُحرّف - قادر على أن يصلح في الدنيا؛ ولا صاحب الدنيا قابل لكلام صاحب الدين المُحرّف؛ لأنّه يرى عدم استيعابه للواقع؛ ودراسته له على الوجه السليم.

لقد وصلت تلك المجتمعات شرقية كانت أو غربية إلى مبادئ تضاد الدين وتعارضه؛ حتّى قالوا بفجاجة: "الدين أفيون الشعوب"؛ وباتت تبتعد عن المُكوّن الديني؛ حتّى استغنت عنه

بالكيفية؛ وصارت تبني مفاهيمها على نظريات خاصة؛ تارة تكون تجريبية أو علمية أو تقوم على مبدأ الاستكشاف، أو الملاحظة، أو الإحساس، أو النظريات الرقمية الإحصائية؛ ورأوا أن هذه الأشياء تكفي عن الجانب الديني.

كانت العلوم الطبيعية ذات الطابع التجريدي التجريبي العلمي؛ قد قفزت قفزات نوعية في الاختراعات والابتكارات، وفي عصر الثورة الصناعية؛ مما جعل كثيراً من الناس يرون قدرته على مواكبة العصر، والقيام بالتقدم والتنوير، والنهوض من رقدة التخلف، ووهدة الضعف؛ ثم جعلوا هذه الجوانب مؤثرة في المجالات الإنسانية فأرادوا تطبيقها على واقع العلوم الاجتماعية الإنسانية؛ وأدخلوا بالفعل كثيراً من الأسس التي أرادوا من خلالها نزع هيمنة الجانب الديني مطلقاً عن هذه الأطرف في مجال النفس والاجتماع والإدارة والاقتصاد.

من هنا نشأت علوم إنسانية بغيرروح؛ بل قائمة على الجانب المادي البحث؛ والدراسات الفكرية القائمة محورياً على العقل الإنساني؛ إضافة لنظريات وجدانية وحسية مختلفة.

لكن هذا لا يمنع من الدراسات الدقيقة الحقيقية في علوم الاجتماع للمختص في العلوم الشرعية لأمر:

أولاً: المتفحص في القرآن والسنة والسيرة النبوية؛ سيجد الكثير من الآيات والأحاديث والوقائع؛ التي تُعنى بالجانب الاجتماعي؛ وتُخاطب الإنسان بطبيعته، وتشرح طبائع الأنفس، وحقيقة المجتمعات، وكيفية النظر إليها والتعامل معها، وهي بارزة في مواضع ومضان كثيرة؛ غير أنها تحتاج لمن يستخرجها ويوضحها؛ وهي لا تقل أهمية عن الأحكام الفقهية؛ لأن الأحكام الشرعية أو الفقهية متعلقة بالجانب العملي في أداء العبادات على وجهها المُناط بها؛ فيما الجوانب المتعلقة بالأطر الإنسانية متعلقة بالفكر ورعاية سنن الله في خلقه، ومدى تطابق أحكام التكاليف مع أحكام الوضع.

ثانياً: أن غالب ما يكون الأنماط الحركية والعملية المعاصرة؛ تقوم أساساتها على العلوم الاجتماعية؛ فليست هذه العلوم مجردة عن العمل بل هي التي تحكم نظم العالم، فاكتشاف هذه الدراسات ومعرفتها؛ سبيل أساس للنهضة الشرعية؛ والنهضة الفكرية طالما يُفكر طالب العلم الشرعي ليس بحفظ المعلومات وبصمها؛ بل بتحريكها وتثميرها للصالح العام.

ثالثاً: أن يكون لطالب العلم الشرعي إسهام حقيقي في التنمية والحضارة والعمران الفكري والاجتماعي؛ والقدرة على تقديم الحلول والمخارج والبدائل الشرعية المنسجمة مع الواقع

الإنساني؛ بإيجاد وسائل عمليّة جادّة تعتمد الكفاءة والجودة والخبرة في إصلاح المجتمع .

رابعاً: فهم المجتمع على النحو الصحيح؛ ودراسة الواقع؛ ليغدو المصلحون من طلبة العلم الشرعي بالقيام بصياغة التوجّهات الفكرية في المجتمع، ورسم الحلول العمليّة للتغيير الاجتماعي؛ وكل تغيير اجتماعي يحصل؛ فإنّ سيحمل إرثاً من تفكير ونُظُم قائمة على جوانب معرفية؛ وما لم يتحصّل فيها انضباط .

خامساً: إحكام مجالات الصلة بين الحكم التكليفي والواقع، ففي عدة مراحل يقف الفقيه أو المجتهد أمام الواقع، حيث يستدعي الأعمال الصحيح لقواعد أصول الفقه، بالتعرف على الواقع، فأول هذه المراحل هي تعرف المجتهد على الواقعة محل الاجتهاد... وهذه الواقعة الآن لم تعد معاملة بسيطة وإنما أصبحت ظواهر معقدة... لا بد أن يستعين بمختلف المناهج حتى يتعرف عليها. ثم تأتي مرحلة تحديد مضمون العرف، فإذا اعتبرنا العرف مصدرًا من مصادر التشريع، فإنه لا يمكن أن يصل إليه المجتهد وهو في برجه العاجي، ولكن لا بد من التعرف إليه، وهذا من صميم عمليات البحث الاجتماعي التي يتم التوصل إليها بمناهج علم الاجتماع .

سادساً: أن يُحسن أهل الشريعة التفريق في الحكم بين المجتمعات الصناعية والتجارية والزراعية، بالنظر في بيئة الخطاب ويتعامل مع مدلول النصوص بما يخدم المجتمع؛ طبقاً لأصول الاستدلال السليمة المعروفة في مجال أصول الفقه وعلومه .

سابعاً: أن يُحرّك واقع العلوم الشرعية ويجعل النص ليس مُجرّد شيء ثابت بل له دلالاته المتحركة الموافقة للوقائع المتحركة؛ فلعل حركة في الكون حكمها ونصها؛ والوقائع اللامتناهية سنجد معها من النصوص والاستدلالات التي تعطيها من الحكم ما يتسق معها ويوافقها .

ثامناً: الاستطاعة العلمية والعملية لإجراء تعديلات جوهرية قدر الإمكان في طبيعة الدراسات الاجتماعية؛ وإعادة قراءتها حسب المنظور الإسلامي؛ ويستطيع بناء صيغة توافقية بين علماء الإسلام فيما بينهم تصوغ علماء حيويًا في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية؛ مع الاستفادة من خبرات الآخرين وحكّمهم وتجاربهم فيما يتوافق مع الأصول الدينية والمرتكزات الشرعية .

المطلب الرابع

المُشكل في العلوم الاجتماعية ونقاشات الإسلامة

الباحث في علم الدراسات الإنسانية المُعاصرة؛ يجد أنها نشأت في أجواء غير إسلامية؛ فكانت هذه الدراسات وليدة منهج علماني مغاير للمنهج الإسلامي؛ ومن أبرز هذه الجوانب التي يتسم بها البحث الإنساني المُعاصر في العلوم الاجتماعية:

1. أن الدراسات الإنسانية تتعامل مع الإنسان على أنه مُكوّن من مادّة فحسب، مُغفلة للجانب الروحي؛ مؤمنة بنظرية دارون ذات القول بالانتخاب الطبيعي، وأصل الأنواع؛ وهي نظرية وإن كانت في بعض مفرداتها حقائق صحيحة؛ غير أن مُركبها الكلي مناقض تماماً للعقيدة الدينية وللصبغة التي فطر الله تعالى الناس عليها، وبهذا تتأثر كثير من نظريات خبراء الاجتماع وأفكارهم تبعاً لهذه النظرية، وبهذا تأسست على وجه التماثل مع هذه القطاعات الفكرية الإنسانية فكرة العولمة؛ ولم يكن أصحابها سوى مُتسقين مع نظريات العلوم الاجتماعي الذي لا يمكن أن ينفك عن تأسيس خطواته في أرض الواقع؛ وهنا يشير «كامرن موفيد» (Kamran Mofid) إلى أن هناك حاجةً إلى مُثل عالمية توفّر أساساً أخلاقياً للعولمة، حيث يرى أن «غياب الروحانية في العولمة ضارٌ جداً، حيث جمد خيالنا. وللنجاح في عكس هذا الوضع الحرج والمتأزم المرتبط بالعولمة علينا أن نوقظ الرغبة في الناس لكي يطرحوا أسئلة أعمق وأكبر وأوسع حول الحياة وغايتها. فالعولمة اليوم تفتقر بشدة إلى وعي مدرك، وإلى قيم وأخلاقيات وروحانيات»⁽¹⁾.

ولقد أوضح جوزيف هيس أن أساس "أزمة الهوية" التي تعاني منها الخدمة الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية إنما يكمن في إهمال البعد الروحي في الممارسة كما بين مارتن مارتني في مقال هام بعنوان "الخدمات الاجتماعية: مؤمنة أم كافرة" أن إهمال الدين في كتابات وممارسات الخدمة الاجتماعية يؤدي إلى وجود "فجوة في التصور بين الأخصائيين الاجتماعيين وبين الناس الذين تقدم لهم الخدمات الاجتماعية، فأولئك الناس قد تكون لديهم دوافع تحركها الرغبة في إيجاد معنى لحياتهم لكن تلك الدوافع والرغبات لا تجد أذناً صاغية عند الأخصائي الاجتماعي الذي يستبعد في لغته المتخصصة أي اهتمام بهذه النواحي، أما سو سينسرفد تساءلت قبل ذلك بسنوات طويلة، وبعبارة تتضمن العجب الشديد من هذه التوجهات العلمانية في إعداد الأخصائيين الاجتماعيين وممارستهم بقولها "إذا كانت هذه الحاجات والدوافع الروحية هي جزء لا

Kamran Mofid, "Global Capitalism in Crises: Globalization and Business for the Common Good - Theology and Economics Working Together", Interreligious Insight a Journal of Dialogue and Engagement, Vol 1, No. 3 (July, 2003),

يتجزأ من حياة تلك الأعداد الكبيرة من الناس، وإذا كان استخدام العقيدة الدينية له تلك القيمة الحقيقية أو المحتملة بالنسبة لهذه الأعداد الغضيرة من الناس فإن المرء ليتساءل عن أسباب تردد الأخصائيين الاجتماعيين في الاعتراف بتلك الحاجات ومقابلتها... (1)

2. تقوم هذه الدراسات بفصل الدين عن العلم؛ حيث يرون أنّ الدين ليس له أية علاقة في التكوين العلمي؛ فضلاً عن أنّ الدين لا يؤمن بالعلم؛ وأنّ العلم لا يتطابق بنظرياته مع الدين؛ وأنّ العلم أسبق في الوصول للحقيقة من الدين، وأنّ الدين أصلاً عبارة عن أفكار خرافية نشأت مع المجتمعات وبنيت معها جُملة من المعتقدات؛ ولهذا فإنّ نظرتهم للجانب الديني نظرة لا أستطيع القول أنّها حيادية فقط بل هي نظرة بغض وعداء؛ حتى ولو آمنوا بحرية المتدينين في أعمالهم؛ إلا أنّهم لا يرون في أعمالهم شيئاً يدعو للحياة العلمية!

3. أنّ التطبيق الأمثل والنموذجي للفكر الاجتماعي الذي دشّن أعماله في الغرب ثم سرت تحركاته إلى أوطاننا الإسلامية؛ ما هو إلاّ تطبيق يقضي على النسيج الديني في المجتمع؛ لأنّه ينحو منحى إقصاء الدين عن الحياة وليس بعزل الدين عن الدولة فحسب؛ لأنّ تغوّل الدولة الحديثة في كافّة مناحي الحياة وغزوها لكافّة القطاعات؛ كانت وليدة تلك الدراسات المسحية الاجتماعية التي ما دخلت دار قوم لم يجرب بينهم وبينها سُنن المدافعة إلاّ وأغرقتهم بتمثلاتها الفكرية بمؤسساتها القائمة على أرض الواقع.

وقد ذكر "ميشال فوكو" أنّ العلوم الإنسانية لم يكن لها وجود في القرنين السابع عشر والثامن عشر؛ وإنما ظهرت مع المجتمع الصناعي الذي فرض معايير جديدة على الإنسان الغربي، وبالأخطار التي أصبحت تتهدد الطبقة البورجوازية، وبظهور الإنسان في الثقافة الغربية وفرضه نفسه على أنه ما يجب أن يفكر فيه، وما يجب أن يعرف (2).

هذا، ويُدلي عبدالباسط عبدالمعطي أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة وقطر، وأحد قادة حزب التجمّع الشيوعي المصري، وأحد الماركسيين البارزين في علم الاجتماع، ورئيس الجمعية العربية لعلم الاجتماع، يُدلي بدلوه في القضية معترفاً: "إنّ معظمنا يُعيد إنتاج الفكر الغربي؛ استسهالاً للاستهلاك، وهذه مسألة حجمت العمل المنتج على مستوى أداء علم الاجتماع (3).

وذلك يُعطينا فكرة أنّ هذه العلوم الاجتماعية كانت نشأتها ليست وليدة علم اجتماعي

1- بحث منشور في الشبكة العنكبوتية بعنوان: الإسلام وخدمة الاجتماعية، أ.د. إبراهيم عبد الرحمن رجب، وكيل كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان سابقاً، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م، ص 38+39.

2- لمزيد من التفصيل يُرجع لكتاب "الكلمات والأشياء"، ميشال فوكو، ص: 283-284.

3- مقال: ل تحتاج بلادنا إلى علماء اجتماع؟ د. أحمد إبراهيم خضر، منشور بموقع الألوكة: 2012/9/11 ميلادي - 1433/10/24 هـ:

[/44114/http://www.alukah.net/culture/0](http://www.alukah.net/culture/0/44114/)

سليم؛ فضلاً عن كونها في واقعنا العربي مستهلكة مُكررة؛ ليس لها مجالات تجديد وإحياء؛ بل تدريس تلقيني فحسب!

4. أن الدين يقوم ضد الرفاهية والفرح في حياة البشر؛ وبهذا يمنع من الأجواء الداعية لذلك؛ ويُقوّض بنيان العمران والبناء والنهضة العملية!

ومن هنا نجد أن كثيراً من علماء الاجتماع العرب المعاصرين ينظرون للدين الإسلامي إماً على أنه تدوين فردي وشعائري لا علاقة له بالجانب العملي الجماعي؛ وتأثيره على الواقع السياسي والاقتصادي، وكثير منهم يأخذون نظريات علوم الاجتماع والإنسانيات بمبدأ التطبيق على الواقع الإسلامي وبه يظهر تناقضهم مع واقع المسلمين مع ما فيه من مخالفات شرعية وواقع الغربيين؛ مع أن بعض نظرياتهم طُبقت وأجريت تعديلات هائلة على العقل المسلم ليتسق مع المنظومة الفكرية العلمانية الاجتماعية!

• علماء الشريعة وأسلمة المعارف الإنسانية:

كان العالم والمُفكر الفلسطيني الدكتور إسماعيل الفاروقي - رحمه الله - يطمح للقيام بأسلمة المعارف، وهي قضية أخذت حيزاً كبيراً في الكتابة في العقدين السابقين تحديداً؛ من جهة الباحثين المسلمين انسجماً مع هذا المبدأ؛ أو اختلافاً معه بحجة أن المعارف الإنسانية لا يمكن أسلمتها؛ لأنها تقوم على أسس غير دينية؛ فضلاً عن الناحية العدائية فيها للجانب الديني؛ وعلى فرض كونها دينية فهي ليست مما يتوافق مع الدين الإسلامي؛ بل أساساتها قائمة على الديني المسيحي المتأثر بالفكر الوثني كذلك.

ثمة قدر من الصوابية في كلا القولين؛ فمن يدعو لأسلمة المعارف يُريدها خالية من التفكيرات المتعارضة مع الجانب الديني؛ حتى يمكن تنقيتها وتصفيتها من دواخل الشوائب الفكرية فيها؛ فهو بقوله هذا متوافق مع طريقة تفكير المدرسة الأخرى التي ترى أن المعارف الإنسانية بذاتها قائمة على أسس وتصورات لا تنسجم مع الدين والشريعة الإسلامية؛ ولهذا يرى هذا الطرف أن التجديف في هذه العلوم ضياعٌ للوقت؛ وحرق في البحر، وهدر للطاقات؛ وأن هذه العلوم يمكن الاستغناء عنها مما يمكن تفسيره واستنباطه من مقررات الشريعة وضوابطها.

ولعلّ المناسب قوله أن المعارف الإنسانية لا يمكن اعتبارها بالكلية معارف قائمة على نمط لاديني؛ فهذه معارف تطورت ونشأت مع نشوء الإنسان؛ قد يؤثر فيها الجانب الديني تارة في عصر عزّ الدين؛ وقل يؤثر فيها الجانب اللاديني في عصر ضعف الدين؛ فضلاً عن أن كثيراً من العلوم الإنسانية المعاصرة قد استفادت من الحضارة الإنسانية الإسلامية زهاء أربعة عشر قرناً؛ فإذا

كان الغرب قد استفاد من المسلمين في علوم الطب والتشريح والفلك والهندسة؛ فإنّ مجالات العلوم الإنسانيّة قد استفادوا منها كذلك؛ وصاغوا كثيراً من مقرّراتهم منها؛ ولو أردنا أن نلفت النظر إلى مجال القانون والحقوق في عدّة دولٍ غربية لوجدنا تأثير الفقه الإسلامي ومواده القانونية في كثيرٍ من بنود القوانين الغربية كالقانون الفرنسي؛ حتّى أنّها تأثرت من المدرسة المالكية في فقها يوم أن كانت الأندلس بجانبهم وكانت مالكية المذهب؛ وبحكم قرب أوروبا منها فقد استفادت من كتب وقواعد الفقه المالكي؛ وتأثروا كذلك من قوانين المذهب الحنفي ومجلّة الأحكام العديّة؛ يوم أن حكمت الدولة العثمانية كثيراً من بقاع العالم وكانت بعض تخوم مناطقها تلاقى وتُقارب الغرب، والحال كذلك في كثير من العلوم الإنسانيّة في مجالات القضاء، والاقتصاد، والتربية، واللغة، وغيرها.

لا أريد أن أعطي الغرب صورة مشرقة في الحجم الضخم في استفادته من التراث الإسلامي، والحضارة الإنسانيّة المسلمة؛ فهو كذلك أضاف ما لديه إضافات كثيرة، وعدل في بعض القوانين، ومعروف أنّ التوجه الغربي جنوحه التام إلى الليبرالية والعلمانية اللادينية؛ فكما أسلفنا هنالك مناهج ومقرّرات وأصول في العلوم الإنسانيّة ليست مما يتسق مع المنهج الديني الإسلامي.

هذا فضلاً عن أنّ الدين الإسلامي ما أتى ليهدم كل شيء؛ ويبني من جديد؛ فهو يقرّ ما لدى الإنسان من صواب ولو لم يكن مسلماً؛ ولو فتّش الباحث الجاد فيما أقرّه الإسلام من أمر الجاهليّة؛ لوجد الكثير مما له علاقة بجوانب إنسانية بحجّة؛ ومن ذلك أنّ أتى ليكمل صالح الأخلاق؛ ودلّ هذا على كون قدر من الأخلاق السليمة موجودة عند كفار قريش؛ وبين أنّ هنالك أحلافاً كانت في الجاهلية لنصرة المظلوم وأنّ الإسلام لا يزيدها إلا توثيقاً؛ ومع هذا فقد حارب الإسلام العقليّة الأبائيّة الوراثيّة التي تصدق الخزعبلات والخرافات؛ وقضى على التعصب الأعمى والقومية التي تنصر الظالم على المظلوم بحجّة أنّهم أقارب له؛ بل دعا لإيجاد مفاهيم جديدة في واقعهم فقال صلى الله عليه وسلم: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا يا رسول الله: هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه" (1)

ثم إنّ الفطريّة التي فطر الله عليها الإنسان فإنّها لو انحرفت به السبل فكان يهودياً أو نصرانياً أو وثنياً أو ملحداً كذلك؛ قد تبقى لديه شيء من الفطرة السويّة ذات قدر في الوزن النسبي يزيد أو يقلّ على حسب مدى الانحراف الحاصل عنده؛ فأن نعتبر جميع ما بين أيديهم مخالف لشريعتنا بالكلية؛ فيه قدر من القصور في الدراسة في مجالاتهم التخصصية التي يعملون بها.

1- (صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم: (2312)

عدا أن مبدأ الحكمة ضالة المؤمن؛ معينة في التفهم للواقع الإنساني والإفادة منه؛ والتعاون مع غير المسلمين ما دام أنه يوصلنا إلى البر والتقوى؛ ولهذا استفاد الرسول من سلمان الفارسي مبدأ حضر الخندق في الحروب، واستفاد عمر بن الخطاب من الفرس الدواوين، واستفاد المسلمون من غيرهم مبدأ القوانين؛ فهذه الجوانب حضارية تعمل فيها جميع أيادي البشر، وأفكارهم وحواسمهم تقوم بأداء دورها؛ ولا حكر فيها على أحد؛ لأنها تترقى مع الترتي الفكري والحضاري للإنسان؛ فلا يليق أن يُقال أنها تترك بالكلية؛ فهذه جهود ينبغي أن تُدرس بعناية فائقة؛ لأنها أعمال إنسانية جدت في الواقع الذي يعيشونه؛ وما كان فيها من طابع ديني مؤثر في نظرياتها؛ أو طابع لاديني مؤثر فيما يتعارض مع أساسات ديننا وعقيدته وشريعته؛ فإنها لا يمكن الالتفات إليها؛ لأن هذه العلوم الإنسانية بحكم نشأتها المعاصرة استفادت كذلك من الطريقة الفكرية العلمانية؛ وحاولوا تجريبها من العلوم السليمة؛ وكثير من نظريات فرويد في علم النفس، ودوركايم في علوم الاجتماع؛ و"غاليليو" و"مونتسكيو" في علوم القوانين والسياسة والعلاقات الدولية؛ إنم هي متعارضة مع المبادئ الدينية؛ خلافاً لما يزعمه بعضهم أنه لا أساس في مجال أدلجة العلوم أو تديين العلوم، وأن الدين لم يأت في ميدان العلوم برؤية أكثرية، بل ترك المجال للإنسان، ليبدع في شتى الحقول المعرفية ليحقق الرفاه والسعادة في بقاع الأرض.

والحقيقة أن الدين وإن كان قد ترك للإنسان مجالاً أن يُبدع في شتى الحقول المعرفية لكن هذا متعلق في إصلاح الواقع الإنساني بالمنظومة الديانية التي حمل الله المسلمين إياها وأناطهم بها وكلفهم للقيام بأداء أمانة التكليف؛ وإبداع الإنسان لم يحظره الإسلام بل دعا إليه وحث عليه؛ ففي القرآن قرابة إحدى عشرة آية حائثة على السير في الأرض للنظر والتفكير بما كانت عليه الأمم السابقة؛ ليتخذ المرء سبيل النجاة من العقوبة الإلهية؛ ولكي يكتشف صنائع البشر تحت تدابير القدر.

قبالتنزي؛ فإن صناعة التأسيس لأسلمة المعارف؛ لا تُناسب في بعض الحالات؛ فتوجد نظريات في المعارف الإنسانية بذاتها باطلة شرعاً؛ منحرفة عن الأصول الديانية؛ فأسلمتها صعب مستصعب عسير؛ وقد يحصل فيها نوع من الخلل في محاولة التوفيق بين مقصدين مختلفين بين مقصد الشرع في هذا الجانب؛ ومقصد صاحب نظرية باطلة في العلوم الإنسانية؛ مما يورثنا فكرة إسلامية مُشوّهة.

وبكلٍ فإن الفكر المتخوف من أي جديد فإنه لن يكون لديه القدرة على التأثير؛ بل قد يتأثر الناس بالجديد؛ ولا يستطيع المُحذَر من الأخطاء التي وقعت في العلوم الأخرى سوى أن يُطلق

صافرة إنذار لبيان مخاطرها في تلك العلوم على الفكر والممارسة؛ وخاصة أن المجتمعات الإسلامية اليوم تعيش في مرحلة ضعف شديد؛ وتنبهر بما لدى الغرب من منتجات مختلفة في مجالات الفكر الإنساني؛ فالواجب حيال ذلك أن نترك كثيراً من التخوفات والأوهام المصطنعة؛ ويلج المتخصصون في الدراسات الاجتماعية ويمحصوا ما فيها؛ ويبرزوا النافع العام والصالح للمجتمع؛ بعد الاستناد أصول ديننا الحنيف؛ والاستفادة من الطريقة التفكيرية لعلماء المسلمين، والإفادة من تراث الفكر العالمي عموماً، بما لا يتعارض والشريعة الإسلامية؛ وقد أفاد علماء الإسلام من علم المنطق في علم النحو وأصول الفقه؛ وأدخلوا فيها قوانين عقلية وميزانية صحيحة؛ لم تكن خارقة لحجاب الهيبة الشرعية؛ ولا الالتزام الديني؛ وهذا في الأصل عند جمهور الفقهاء من المسلمين؛ وأما من بالغ في جلب أصول منطقية لا تستند ولا تلتقي مع أصول شرعنا فجنائته على نفسه؛ وهو بذاته يُبرز نفسه ويُفرزها عن الصواب؛ في مخالفته للطريقة العلمية المنهجية المدروسة لدى علماء الإسلام.

المطلب الخامس

ضوابط ومنطلقات لطلاب الشريعة في طلب المعارف الإنسانية.

1. البدء بتعلم أصول الدين طبقاً لفقه الأولويات.

يجدر بطالب العلم والداعية إدراك منطلقات البدايات ودورها الرئيس في التأصيلات وتأثيرها في النتائج والثمرات؛ وكلما تعمقت أساساته العلمية في أصول الدين من قضايا الاعتقاد، وثوابت الشريعة؛ وكلّيات الدين؛ وأصول التفقه؛ فإن لها تأسيس توكيدي على عدّة جوانب:

أ. التعمق في فهم ما هو من قبيل أصول الدين؛ وما هو خارج عنها إلى فروعه؛ فلا يحصل لديه لبس في تضخيم ما ليس من حقه التضخيم؛ فالمكبر لا يكبر والمصغر لا يصغر.

ب. أن العلوم الإنسانية خاصة في الكتابات المعاصرة تعريها أنماط تغريبية وأفكار تخالف الأسس الإسلامية؛ فما لم يكتمل لطالب العلم نموه المعرفي في أصول دينه؛ وحصانته الدينية وفهمه السليم؛ وإلا فلن يُقدّر له اكتشاف كثير من الجوانب المتعلقة بعلوم الإنسانيات وما فيها من مخالفات شرعية؛ فهذا لا يتحصّل إلا من خلال الوعي بالشريعة وأهدافها ومقاصدها وقواعدها وقضايا الكلية إثباتاً وثبوتاً.

ت. أن حاجة طالب العلم التأصيلية لفهم علوم الشريعة؛ ونيل حقائقها للقيام بما يصلح شأن عبادته وإصلاح حال شعائره؛ فتلك مُقدّمة غيرها من الحقوق؛ ذلك أن لله تعالى

حَقُّ في الخلق؛ يسبق حقوقهم جميعاً؛ فقد خلق عباده في الأصل لعبادته انصياعاً لأوامره وانزجاراً عن نواهيه؛ فتقديم التعرّف على حقوقه أولى من التعرّف على حقوق غيره؛ فضلاً عن كون طالب العلم في البداية حاجته الماسّة للتعرف على مدارج العلم الشرعي وأوله؛ كي يستيقن من دينه؛ ويخُدُّ بالعلوم الأخرى ما حصله من علومه الدينية بعد قدر من التأصيل والتحصيل في فقه التنزيل مكاناً وزماناً.

ث. التركيز على نشأة العلوم الشرعية، وطريقة الأطوار التي مرّت بها؛ وبدايات كل علم وتأسيسه، وأبرز الجوانب المتعلقة بذلك؛ لمعرفة الأسبقية من جهة، وبيان أنّ تأثير العلوم الشرعية على العلوم الإنسانية يُضاهي ويُوازي تأثير العلوم الإسلامية في الطب والهندسة وغيرها من العلوم الطبيعية التجريبية؛ فما انطمس العلم المنطقي الأرسطي وزالت سطوته إلّا في عصر النهضة الإسلامية حينما فاقت فيه الشريعة وبياناتها العقائدية في ذكريات الوحي وتعاليمه؛ ثمّ بانصباب رجالات عاشوا في ازدهار النهضة الإسلامية وقاموا باختراع وأعمال تجريبية أثّرت على تطور العلوم الصناعية والطبية وغيرها؛ وهذا كلّ قد يعرفه كثير من الناس غير أنّ من نواذر المعرفة تأثير العلوم الشرعية أصلاً وأساساً على العلوم الأخرى الاجتماعية والإنسانية مع اختلاف المسميات؛ فاللغة العربية باعتبارها علماً شرعياً كان لها تأثير كبير على كثير من اللغات الأخرى، بل والمفاهيم والتصورات؛ فالألفاظ قوالب المعاني، والكلمة تحمل في معانيها دلالات عميقة تنقل الأمر من كونه مقال إلى واقع ملموس؛ وكذا موضوع تدوين الفقه الإسلامي؛ فلقد كان له دور كبير في نشأة القوانين والساتير في الدول الغربية؛ بل كانت أساسات النهضة المدنية الأوروبية حينما قاموا بسن القوانين؛ حتى أنّ مؤلف كتاب "تاريخ العرب العام": المستشرق الفرنسي "سيديو" أنّ قانون نابليون منقول من كتاب فقهي من مذهب مالك وهو: شرح الدردير على متن خليل!

2. فقه المقدمات للعلوم الإنسانية المتصلة بالتخصص قبل القراءات المستفيضة فيها. بعد تحصيل طالب العلم وكل داعية إلى الله قدرًا جيدًا من العلوم الشرعية؛ فإنّه بحاجة للتعرف على متعلّقات العلوم الإنسانية كُنْهاً ومعرفة؛ وطبيعته؛ لأنّ الدخول في فهم غوّاصات المعارف قبل أخذ عُلقَةٍ لا بأس بها من قوارب المعارف لتوصله إلى الشاطئ فيفهم من أهل الحكمة معارفهم الإنسانية ويخوض معهم الحراك العملي الذي يجعله يفهم البُعد العلمي الإنساني في صورته الحيّة الواقعيّة لا مجرد أوراق وقراطيس يدرسها، أو معلومات يستقيها من معلمه؛ بل يفهم الواقع عن

كتب ويدرسه بالمران؛ وذلك أن الواقع الإنساني كما أسلفنا حقيقته العملية أعمق من حقائقه النظرية المجردة؛ لأنَّ التجريد النظري للواقع الإنساني لن يفعل فيه شيئاً ما دام لم ينصب في أرض الواقع؛ ومن أهم ما يمكن أن يتعلّمه طالب العلم هو: الاجتماع الديني؛ لأنّه ملتصق تماماً بالدراسات الشرعية؛ وهو من جهة أخرى علم يُعنى به: (دراسة الظواهر الاجتماعية في ميدان الدين والعلاقات الاجتماعية للدين في الداخل والخارج)⁽¹⁾.

فهذا العلم يُفيد طلبة العلم في فهم نشأة الأفكار، وتطورها، وقضايا التأثير على المجتمعات في دينهم؛ ويُفسّر التركيبات الاجتماعية المختلفة في صلتها بالدين موافقة أو مخالفة؛ وتشرح تفسيرات ذلك بطريقة؛ تجعل طالب العلم والمُكلّف بالدعوة إلى الله أن يفهم المجتمع على حقيقته قبل أن يبيّن له ما يقول؛ وبه يستفيد طلبة العلم بعد معرفة المجتمع أولويات التعليم الخاصّة إيّاه وما بواعث التأثير عليهم، ودوافع الترغيب لهم؛ وطرائق جلبهم لما يريد توصيلهم إليه.

3. حضور ندوات شرعية / إنسانية (ثنائية) بين الأكاديميين: لضبط التوجيه الفكري لدى طلبة العلم.

يحسن بطالب العلم الشرعي تطويراً لمهاراته؛ وتكميلاً لقدراته؛ أن يستمع من طرفين متخصصين ما لديهما من علم في المسألة المتعلقة بالجانب الديني / الإنساني أو الاجتماعي؛ فمثلاً هنالك عدّة ظواهر اجتماعية قلّما يعرف طلبة الشريعة أسبابها؛ وكثير من المتعلمين في القضايا الاجتماعية لا يدركون مرامي الشريعة في تحسين الوضع الاجتماعي؛ ومن هذه الظواهر على وجه الأمثلة: ضعف التوجه بل العزوف في طلب العلم الخارج عن النمط الأكاديمي؛ فهو بحاجة ماسّة لدراسته وجمع المتخصصين في كافة الجوانب التي يُفيدون بها في هذا المجال لأن يقف طالب الشريعة فيفسّر ذلك بتفسيرات تناغي مشاعره كقوله: الانشغال بالدنيا؛ ولكن هذا الانشغال بحاجة لتشقيقه وفهم أعراضه وأسبابه، وما هو السبب الجوهرى والسبب الهامشي؛ وهذا كله يُمكن طرحه والإجابة عنه بين كافة الأطراف لفهم هذه الظاهرة؛ وبه يستفيد طالب العلم في ضبط التوازن أثناء التفكير في ذكر السبب وتفسير الحدث؛ وألّا يكون من أصحاب فكرة السبب الواحد الذي يُلقى على عواهنه دون اختبار وفحص لهذا السبب وما الذي ثبت على السبر وما الذي لا يكون كذلك.

والأمثلة على ذلك كثيرة يُمكن عرضها وطرحها بين المختصين الشرعيين والاجتماعيين وفهم

1- علم الاجتماع الديني، عبدالله الخريجي، ص 166. ويُنظر كذلك: مدخل إلى علم الاجتماع، زين الدين خرشي، ص 5، والدين والضبط الاجتماعي، محمد بن عبدالله الزامل، ص 6.

الأمر على نطاقها الصحيح، ومن ذلك: اشتراط الكفاءة في النسب، وتعدد الزوجات، وغلاء المهور، والتعصب الحزبي، وغلبة العادات والتقاليد الخاطئة وتحكمها في الهيئات المجتمعية، والنفاق الاجتماعي، وتعاطي الدخان، والإقبال الكبير على القرض الربوي مع علم المجتمع بتحريمه.

إن كثيراً من المسائل المعاصرة متشابكة الخيوط؛ معقدة التركيب، والحكم عليها من خلال علوم الشريعة فقط دون دراسة الواقع الاجتماعي؛ والحالة الإنسانية التي يعيشها الناس؛ وما يتعلّق بكل قضية معضلة من نقاط تماسٍ معها؛ فنحن على سبيل المثال بحاجة لبحث علمي دقيق يدرس مسألة: "حكم زيارة المسلمين خارج فلسطين المسجد الأقصى المبارك وأخذ تأشيرة لدخول فلسطين من جيش الاحتلال الإسرائيلي" مسألة كهذه لا يمكن أن تُدرس بالجانب الفقهي فقط الذي يتمثل في استحباب زيارة المسجد الأقصى وشدّ الرحال إليه؛ بل لابد أن يكون لها دراسة في المؤثرات الإنسانية من خلال العلوم الإنسانية المعاصرة والواقع الذي تتحرك فيه هذه العلوم لصياغته؛ فالمسألة هذه متعلّقة بجانب سياسي؛ بين دولة من يريد الزيارة وجيش الاحتلال؛ ولها علاقة بالجانب الاقتصادي الذي يدرّ الدخل على المحتل من خلال الزيارة للمقدّسات الدينية؛ وفي المقابل عموم المسلمين سيأتون للقدس ويعيشون في أسواقها ويدير الدخل على عموم المقدسيين فيجدون منهم دعماً مادياً؛ وكذلك فهو وإن أعطى لليهود جانباً من حيث العلاقة التي يسمحون بها لغير المسلمين بزيارة القدس تحت حكمهم وإدارتهم؛ وربما يستغلون ذلك لإبراز رسائل السلام والتسامح مع الدول الأخرى؛ فهو كذلك يُعطي للوجود المقدسي دعماً معنوياً وقد يُفسد أو يؤخر أو يُضيق مخططات اليهود في تقسيم المسجد الأقصى زمانياً ومكانياً؛ إذ كثرة المقبلين على الصلاة في المسجد الأقصى تجعل الآخرين ممن يشاققون إليه يأتونه من كل فج عميق؛ فضلاً عن مدى شعور الزوّار من خارج البلاد الإسلامية بمدى المضايقات للمقدّسة والفلسطينيين ورؤية الإرهاب اليهودي في تعامله مع أهل الأرض الفلسطينييين؛ وأنها دولة قمعية أمنية احتلالية؛ خاصة حينما يرى كثير منهم معالم القدس الشريف السليب؛ وإخبار سدنة المسجد الأقصى لكثير من المناطق التي حولها اليهود وزيّفوها تاريخياً وجغرافياً....

قضية كهذه تختلط فيها الأمور؛ فالفتوى المستعجلة بالجواز أو بالتحريم؛ ليس من قبيل التثبيت في الحكم؛ لأنه كما هو متفق عليه بين علماء الشريعة أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وعليه فعند إحكام المسألة حكماً نهائياً يجب إحكامها بحثاً وتصوراً للوصول لنتيجة سليمة.

4. الدخول كوسطاء وشركاء في مجالات الإصلاح بين الخصوم.

كثير من التلقين العلمي؛ يجد به المرء قلة في ثبات المعلومة وصدقيتها؛ كما لو كانت المعلومة على سبيل التعليم في الجانب التصويري أو العملي أو الإجرائي، ففي مجالات النزاع والشقاق بين الزوجين؛ وحيث يدرس كثير من طلبة العلم هذه الأبواب؛ جدير بهم أن يكون لديهم أهبة الاستعداد للذهاب والمخاطبة لأجواء القضاة والتحكيم الشرعي وما يتبعها من حيثيات كالحقوق والادعاء والتبعات والدفاع، وهذه الجوانب تظهر لطلبة العلم أسباب الطلاق والنزاعات والشقاق؛ وكذلك تعلمهم عن قرب مسائل بقدر ما علمهم إياها المعلم في مجال التدريس إلا يحصل عقبها نسيان للمعلومة؛ وعلى سبيل المثال: مسائل الفرائض والتركات؛ فهو علم شريف؛ ويعده العلماء نصف العلم؛ لأن الفتاوى تصدر من الناس في مجال حياتهم، وبعد مماتهم يبقى هذا العلم الشريف يقضي في أحوالهم فيتحدث عما اكتنزه من مال لصرفه في وجوهه الشرعية؛ وطالما حصلت نزاعات وشقاق بسبب القسمة؛ فيتعرف طلبة العلم على ذلك ويخاطون المجتمع بوشائجه المختلفة وأواصره المتباينة؛ ويعرفون كثيراً من بدء طلبهم للعلم كثيراً من الجوانب التي لا ينتبهون إليها أثناء الجلوس على مقاعد الدراسة.

الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات:

النتائج:

1. أن الدراسات الاجتماعية والإنسانية في الواقع الشرعي دون المستوى المطلوب؛ وأنه مؤثر في مجال الحكم على الواقع وتصوره.
2. أن الدراسات الإنسانية والاجتماعية المعاصرة تأسست على نمطٍ غربي علماني منذ ولادة ونشأة الدولة الحديثة؛ مما أدى إلى نفور كثير من المتخصصين الشرعيين لدراسته.
3. أن الدراسات الاجتماعية والإنسانية التي نشأت منذ مطلع القرن التاسع عشر؛ كان من أهدافها التعرف على العالم؛ لاتخاذ خطوات الاستعمار، واحتلال البلدان؛ وساهمت في ذلك كثير من مراكز الأبحاث في دراسة الأوطان المسلمة قبل إجراء العمليات العسكرية.
4. أن أسلمة المعارف الاجتماعية متعسر؛ والاستغناء عن المعارف الاجتماعية الإنسانية قطع لكامل الصلة بمنهجية التعارف؛ وليس إلا إبراز النمط الاجتماعي في الفكر الإسلامي؛ باستعادة أبرز تجلياته؛ مع الإفادة من خبرة الأمم وحكمة الخبراء الاجتماعيين فيما لا يتعارض مع ثواب الشريعة ومقرراتها.

التوصيات:

1. استichاء المعاني العلمية الدقيقة في القرآن الكريم وما فيه من أفكار في النهضة الفكرية

- المجتمعية ونهضة العمران والبناء والاقتصاد وغيرها من علوم الاجتماع الإنساني.
2. ضرورة صناعة مقدمات علمية في كافة العلوم الإنسانية والاجتماعية تكون منهجاً لطلاب الشريعة في مجال الدراسة الجامعية؛ مع تنمية الحس النقدي والمَلَكة التقييمية للدراسات الاجتماعية المعاصرة فيما له علاقة بالعلوم الشرعية.
 3. حثّ طلاب الشريعة على التفتيش في كتب التراث الإسلامي؛ إبان عصور النهضة الإسلامية؛ وإبراز الدلالات الفكرية المنهجية في كافة العلوم الاجتماعية؛ وكتابة الأبحاث والدراسات في ذلك؛ بالمقارنة مع الدراسات الاجتماعية المعاصرة ذات النمط الغربي؛ وبيان وجه الفروق والاختلافات.
 4. أهمية قرن البناء التدريسي في مجالات العلوم الشرعية بالواقع الاجتماعي؛ والنزول الحقيقي إلى ميدان الإنسان؛ والقيام بالزيارات العلمية / البحثية؛ لتطوير قدرات طلاب الشريعة ومهاراتهم في بناء خبراتهم؛ لإفادة المجتمع؛ وإحسان التعامل مع الإنسان.
 5. القيام بصقل الشخصيات المتميزة في مجال الدراسات الشرعية؛ بانتخابها واختيارها وتكليفها بإجراء دراسات ميدانية بحثية في القضايا الاجتماعية؛ وتعويدها على اتخاذ الإجراءات والخطوات اللازمة في تحليل الواقع الاجتماعي، ورسم الحلول السليمة، واتخاذ خطوة على الأقل في إحلال المفهوم السليم بدلاً من الخاطئ في عمل ميداني تطبيقي.
 6. التأكيد على فقه (الاستغراب) وبيان حقيقة الدراسات الغربية في واقعه؛ وإدراك أن الفكر الغربي من أبرز الأفكار التي أثرت في الواقع المعاصر؛ فهو بحاجة لدراسة تجلياته وتطوراتهِ وخططه المستقبلية.



وسائل التكنولوجيا الحديثة وأهميتها لطالب العلم الشرعي



إعداد
خوله محمد إبراهيم أبو مريم*

*حاصل على بكالوريوس التربيـه الإسلاميه ، دبلوم إدارة وأتمتة المكاتب بالإضافة الى دبلوم آخر في السكرتاريا العليا التنفيذية ، منذ إستلام السلطة الوطنية الفلسطينية وزارة التربية والتعليم ، شاركت من البدايات في تأسيس قاعدة البيانات الخاصه بالوزارة وأتمتها الكترونيا في الإدارة العامه للتخطيط والتطوير التربوي ، ثم رئيس قس الوارد في ديوان الوزاره الرئيسي ، ثم رئيس قسم الديوان في المعهد الوطني للتدريب التربوي حيث مازلت على رأس عملي فيه .

المقدمة:

الحمد لله الأول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر والقادر على كل شيء بغير انتقال، والخالق خلقه من غير شكل ولا مثال، وهو الفرد الواحد من غير عدد، وهو الباقي بعد كل أحد، إلى غير نهاية ولا أمد، له الكبرياء والعظمة، والبهاء والعزة، والسلطان والقدرة، تعالى عن أن يكون له شريك في سلطانه وفي وحدانيته نديد، أو تدبيره معين أو ظهير، أو أن يكون له ولد، أو صاحبة أو كفوًا أحد. لا تحيط به الأوهام ولا تحويه الأقطار، ولا تدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير¹.

نظرا الى التطورات السريعة الهائلة التي طرأت على الحياة الإنسانية والإجتماعية بعامة والإلكترونية خاصة استدعى ذلك كتابة هذا البحث لتناول أهمية العلوم الإنسانية والإجتماعية وأهميتها لطالب العلم الشرعي كأحد المحاور لمؤتمر كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية . وقد ركزت في بحثي هذا على أحد هذه العلوم الإنسانية المعاصرة - وسائل التكنولوجيا الحديثه وأهميتها لطالب العلم الشرعي وأنه مع تطور التكنولوجيا ووسائل التواصل الإجتماعي ،مثل الفسبوك وتويتر والإستجرام وتوظيفها في نشر الدعوة الاسلاميه والدراسات الخاصه بالقرآن والسنة واستخدام ذلك على الوجه الصحيح لنشر الثقافه الإسلاميه في ضوء الكتاب والسنة وتأصيلها تأصيلا شرعيا لإبراز أهمية الشريعة الإسلامية في استخدام وسائل التقنية الحديثة المتطورة دون أن تتأثر بحضارة مستحدي تلك التقنيات .ان طبيعة دعوة الإسلام المتمثلة في حقائقه التشريعية التي طبقها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابه الكرام - رضوان الله عليهم - نموذجاً عملياً يتأسى به ، قد دفعتني إلى كتابة هذا البحث ، حرصاً مني أن أسهم - ولو بالجزئ اليسير - في مواكبة روح العصر واستخدام كل ما هو هادف بإذن الله ويساعد في نشر الدعوة وقضايا الإسلام . وبما ضمنته هذا البحث من أسس ومرتكزات لاستخدام التكنولوجيا الحديثه في التعليم والتعلم بالصورة التي ترضي الله - عز وجل - وتسهم بدورها في الإرتقاء والنهوض بكل مسلم ، نحو رضوان الله تعالى ، وعز الدنيا والآخرة .

القرطبي . أبو عبدالله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ط1 ، دار الفكر، (2002).

مشكلة البحث:

أنني كباحثه وراغبه في المشاركة في هذا المؤتمر ، وقفت وقفه تأملية بعين فاحصه ونظره معمقه الى محاور المؤتمر وجدت جميعها جديره بالبحث والدراسه وبطريقه جديه قابله للتطبيق ، لكن استرعاني عنوان (العلوم الإنسانية والإجتماعيه المعاصرة وأهميتها لطالب العلم الشرعي وكيفية

الإستفاده وسائل التكنولوجيا الحديث في التعليم الشرعي) وذلك لمواكبة العصر والمستجدات ومحاولة مسابقة العالم من حولنا في تخريج طلاب أصحاب فكر نير متطور ينافس الأئمة في جميع أنحاء العالم ، كون رسالتنا ، عالميه شامله لكل الناس ، .

- كيفية توظيف وسائل التواصل الإجتماعي (السوشال ميديا) في تعزيز شخصية طالب العلم الشرعي في دعم الدعوة الإسلاميه .

هدف البحث وأهميته :

أهدف في هذا البحث الى :

- الإستفاده من وسائل التكنولوجيا الحديثه في التعليم وتعلم العلم الشرعي .
- توظيف وسائل التكنولوجيا في نشر الدعوة الإسلاميه .

فرضيات البحث :

انبثقت من تساؤلات البحث الفرضيات الآتية :

- أولاً: كيف يمكن الإستفاده من وسائل التكنولوجيا الحديثه وأهميتها لطالب العلم الشرعي .
- ثانياً: كيفية توظيف وسائل التكنولوجيا الحديثه ووسائل التواصل الإجتماعي في نشر الدعوة.

سبب الإختيار:

بعد البحث والإسترشاد بأقوال أهل الإختصاص ، رأيت أن العالم من حولنا يتغير بشكل سريع في كل مناحي الحياه ، وأن التكنولوجيا كأحد العلوم الإنسانيه يعتبر محور رئيسي في هذا التغير .. ورغبة مني في استثمار هذا العنصر والتطور التكنولوجي في نقل المعلومات والتأثير بالرأي العام من الناحيه الشرعيه وضرورته لطالب العلم الشرعي كعلم حديث وعصري ، شجعتني على الإستعانة بالله أولاً وأخراً ، فاخترت الموضوع المذكور للدراسة والبحث ، سائلاً المولى سبحانه وتعالى - التوفيق والسداد في المشاركه كورقه علميه في مؤتمر كرم الخاص بكلية الشريعة .

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على قراءة تحليلية استرشادية - (وصفي تقريري) .. لمواكبة التطورات التقنيه والتكنولوجيه في وسائل الإتصال والتواصل والتفاعل الحديثه المستجده ، التي جعلت العالم كقرية صغيره ، ونحن كعالم إسلامي لسنا بمعزل عن هذه الوسائل الحديثه ، والانترنت وأثره في طلب العلم والتعلم وتبليغ الرساله للعالم أجمع ، واستثمار الجانب الإيجابي فيها لصالح الدعوه .

الفصل الاول :

كيف يمكن الاستفادة من وسائل التكنولوجيا الحديثة في التعليم الشرعي :

المبحث الأول : أهمية استخدام التكنولوجيا في التعليم الشرعي.

إن وزارة التربية والتعليم العالي تدرك ما تحمله التكنولوجيا في جعلتها من ازدهار وورقي، لذلك فإنها وفي سعيها نحو جودة التعلم والتعلم، أكدت على ضرورة تبني فكرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأداة فاعلة في هذا المجال، لهذا استمر التركيز على التعليم في فلسطين حتى تبوؤ مكان الصدارة على سلم الأولويات الفلسطينية بوصفه الركيزة الأساسية المتفق على دورها المحوري لقيادة مشروع البناء الوطني، ليوفر للوطن أجيالاً متسلحة بالعلم والمعرفة ومؤهلة بالقدر الذي يجعلها قادرة على المساهمة في دفع عجلة الإنتاج والتطور إلى الأمام.

ان المعلومات أصبحت في الألفية عملة هامة وغدت رمزاً للقوة والبقاء، وفي ظل هذه السرعة في التغيير والانفجار المعلوماتي الكبير لم تعد المكتبات ومراكز المعلومات قادرة على استيعاب التدفق المتواصل للمعلومات وبراءات الاختراع. لهذا لجأت معظم المؤسسات في العالم الى استعمال نظم للتعاون والتشابك والدخول ضمن شبكات المعلومات لاقتسام اعباءها مع الجهات المشاركة في هذه الشبكة مع ضمان تبادل المعلومات بين اعضائها.

«انه ليس من اللائق بنا كفلسطينيين أن نقف موقف المتفرج على ما يحدث على الساحة العالمية وكأنه لا يعيننا، فهذا وللأسف سيحجزنا في داخل أنفسنا، وهذا هو المنفى الاختياري الذي يستعمله أي شخص لينأى بنفسه عن مجال الأحداث، ولكن هذا يجب أن لا يستمر، لم يعد من المعقول علينا الوقوف على الحياد مكتوفي الأيدي أمام ما يحدث في العالم من تطورات كبيرة خاصة في مجال التقدم العلمي والتقني». نحن نطمح دائما الى أن يكون لنا مكان ضمن هذا العالم رغم كل الصعوبات التي نواجهها أحيانا وتفرض علينا أحيانا أخرى. من شح الموارد والتحديات.

ان مشروع تعزيز التعلم الإلكتروني في المدارس الفلسطينية هو مشروع يهدف إلى خلق جو تفاعلي بين الطلاب والمعلمين والمجتمع داخل وخارج الغرف الصفية، حيث يعتبر التعليم الإلكتروني لبنة أساسية في عملية نقل محور التعليم إلى الطالب وذلك بإكسابه مهارات القرن الواحد والعشرين، مما يخدم المجتمع بخلق جيل قادر على تحمل المسؤوليات.

إننا نؤمن بان طلاب اليوم هم رواد الغد وبما لا شك فيه، فهم جاهزون لتحمل أعباء البحث عن معلومات جديدة، قادرين على تحليلها ونقدها وتحويلها الى معرفة، وعلى أتم الاستعداد لاتخاذ

القرارات الصائبة، بالإضافة إلى مرونتهم في تجديد المعلومات يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة مما يساعدهم في طريقهم نحو بناء مجتمعهم المعرفي. أن الوزارة تولى جل عنايتها لجملة من المشروعات التعليمية في المرحلة المقبلة لإيجاد أجيال مبدعة ومنفتحة فكرياً وثقافياً، مسلحة بعلوم العصر الجديد النافعة، نحن نوافقون لأن تسهم هذه المشروعات في تمهيد الطريق نحو (مجتمع المعرفة) في ظل ما يعيشه العالم من منعطفات كثيرة، برزت بقوة ووضوح في مطلع الالفية الثالثة الحالية « الفية المعرفة والثورة التقنية » ونحن نعول على تلك المبادرات أملاً كبيراً لحدوث نقلة نوعية في الرؤية والمضمون والاداء والمخرجات. ان التعليم الالكتروني، كونه مشروعاً يسعى الى تحقيق المنهاج ويتماشى مع خطة التعليم الالكتروني، الساعية الى تعزيز العلم والتفكير الابداعي. بعيداً عن النمطية والتقليد.

ان هناك نظرة جديدة وتطوراً شمولياً وهو يؤكد على اهمية تبني هذا المنحى وان الاولوية يجب ان تعطى لنوعية التعليم والتعلم وزيادة تواؤم المخرج الفلسطيني لمخرج المؤسسات التعليم العالي، وهو ما ينفي من يدعون غياب الرؤى. وانسجاماً من هذه الرؤى والتطلعات فإنه لا يجوز أن نفهم العلم في الإسلام على أنه يعني فقط العلم بأحكامه وآدابه، وأنه لا شأن للإسلام بالعلم الكوني، أو العلم المادي، فإن مثل هذا الفهم خطأ. ذلك أن الإسلام جاء شاملاً لضروب النشاط الإنساني كافة ومنها البحث العلمي، وقد أمر الإنسان بتعمير هذا الكون المسخر له، وذلك يعني في الوقت نفسه أن الكون المشاهد خاضع لإدراكه وبحثه، وأن ظواهره ليست بالشئ المبهم الغامض الذي لا يفسر، وأن بمقدوره الاستفادة من الكون واستغلال خيراتة على أوسع نطاق لتأمين حياته ورفاهيتها. قال الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [16:12]. وتوجيه القرآن في هذا الصدد هو تأكيد لروح المنهج العلمي الصحيح الذي يدفع الإنسان إلى محاولة استكشاف ما هو مجهول من هذا الكون وظواهره على أساس من الثقة بقدرة الإنسان وبالعلم في مواجهة الطبيعة. ومما له دلالة على أن العلم في الإسلام غير محدود بحد معين؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أنتم أعلم بشؤون دنياكم" وهذا مما يفتح الباب واسعاً أمام العقل ليستنبط من أنواع العلوم ما لاحصر له، ومنها ما يتعلق بشؤون الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع والتكنولوجيا وغيرها، مما لم يرد فيه نص. والتكنولوجيا أحد هذه العلوم التي أنا بصدد الكتابه فيها .

ان استخدام التكنولوجيا في التعليم وسيله تتخطى المسافات الجغرافية والسياسيه والثقافيه ، ويتم فيها نقل المعرفة الى المتعلم بطريقه غير تقليديه ، حيث يقوم التعليم بشكل عام على ثلاث

1. المواد التعليمية
2. آلية التوصيل .
3. والخدمات الطلابيه .

وتلعب تكنولوجيا التعليم وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات دورا هاما في المواد التعليمية وآلية توصيلها الى الجهات المستهدفه بسرعة هائلة ، وتوفر أنواعا من الخدمات التعليمية للطلبة ، المتشرين في مناطق جغرافية متباعدة ، وبذلك تعمل تكنولوجيا التعليم والمعلومات والاتصالات ، على حل المشكلات التعليمية ، والوفاء باحتياجات التعلم بالإضافة على نشر وتعزيز التعليم عن بعد (يوسف ، 1999، الحيلة 2002) .

إن ثورة المعلومات والاتصالات الحالية عززت وساعدت على تطور وتحديث التعلم عن بعد وانتشاره ، وطبعاً لا يستثنى التعلم الشرعي من هذه العلوم ، وذلك بتغلبها على المسافات الواسعة التي تعد المعوق الأول للتعليم عن بعد وبفضل التكنولوجيا الحديثه أصبح التعليم وجها لوجه تقنيا بغض النظر عن المكان الذي يتواجد فيه الطلبة ، كما يحدث في المؤتمرات العلمية وغرفة الصف الافتراضية وكذلك تمكين الدارسين من التواصل مع أساتذتهم أو مع بعضهم بعضا ، وقد يكون هذا الإتصال متزامنا أو غير متزامن لذلك ، تشجعت عدة جامعات كبيرة تستخدم أسلوب التعليم الوجيه التقليدي إلي تبني نظام التعليم المزدوج (الوجيه + التعلم عن بعد عن طريق استخدام وسائل الإتصالات الحديثه ووسائل التكنولوجيا الفاعله في هذا المضمار .) في بعض أقسامها العلمية حيث تأمل هذه الجامعات أن تساعدها تكنولوجيا المعلومات وطرائق التدريس الحديثه على تدريس الأعداد المتنامية من الطلبة (المتواجدين غالبا في مواقع جغرافية متفرقة بتكلفة منخفضة لكل طالب وكذلك التغلب على المصادر المالية والبشرية المحدودة . (الحيلة ، 2002 ، ب ، يوسف 1999).

متطلبات التعليم الإلكتروني لطلبة العلم الشرعي :

- إشراك القطاع الخاص في بناء أسس التدريب والتعليم الإلكتروني ، بوجود مذكرات تعاون وشراكة مع شركة الإتصالات مثلا وجوال .
- توظيف عناصر التقنية التي نحتاجها لخفض كلفة التعليم الإلكتروني وتوفير وترسيخ الخبرات المحلية ، وضمان رقد التجربه بثقافة المجتمع واحتياجاته .
- توفير الإمكانيات المادية والفنية والبشرية المدرية .

- إنشاء مختبرات للحاسوب في كل كلية من ضمنها كلية الشريعة في جامعاتنا الفلسطينية خاصة .
- استعراض وتبني خطط الدول التي سبقتنا في التعليم الإلكتروني في كليات الشريعة للإستفادة من تجاربهم في هذا المجال الأهداف المتوقع تحقيقها نتيجة تطبيق التعليم الإلكتروني
- -إنطلاقاً من التجارب العالمية في التعليم الإلكتروني ومن الإحتياجات الخاصة للدول العربية يمكن إجمال النتائج المتوقع تحقيقها من التعليم الإلكتروني لطلية العلوم الشرعيه في الآتي:
- - تمكين المعلمين والطلبة من الإستفادة من تقنية المعلومات في مدارسهم ومنازلهم وجامعاتهم ومجتمعاتهم المحلية .
- - تغيير المفهوم القديم للعملية التعليمية الى مفهوم جديد مبني على المحتوى الرقمي والتطبيقات الشبكيه الذكيه . مثل تطبيقات حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبويه الشريفه
- - تطبيق تقنيات التعليم والتعلم وبشكل حديث يعتمد على البحث والتطوير وتحسين المنتجات الجديده .
- -تعليم جميع المدرسين والكادر الأكاديمي المهارات التقنية لمساعدة الطلبة على تحقيق أعلى المعايير العلمية .

أهداف التعليم الإلكتروني

بالنظر والتمعن في المفهوم الشامل للتعليم الإلكتروني نجد أنه يحقق الأهداف الآتية

1. زيادة فاعلية الكادر الأكاديمي وزيادة عدد الطلبة في الشعب الصفية .
2. مساعدة المعلمين في إعداد المواد التعليمية للطلبة وتعويض نقص الخبرة لدى بعضهم .
3. تقديم الحقائق التعليمية بصورتها الإلكترونية للمعلم والطالب معا وسهولة تحديثها مركزيا من قبل إدارات تطوير المناهج .
4. إمكانية التعويض في نقص الكوادر الأكاديمية والتدريسية في الجامعات والمدارس الثانوية عن طريق الصفوف الافتراضية virtual classes .
5. تقديم نظام القبول في الكليات والمعاهد والاختبارات الشامله والمختلفة في الجامعات عن بعد وبطريقة ذات مصداقية عالية دون هدر الكثير من أوقات الطلبة والموظفين كما يحدث في الطرق التقليدية .
6. نشر التقنية في المجتمع وإعطاء مفهوم أوسع للتعليم المستمر .
7. تقديم الخدمات المساندة في العملية التعليمية التعليمية في الجامعات مثل التسجيل

المبكر للمسابقات وبناء الجداول الدراسيه وتوزيعها على المدرسين وأنظمة الإختبارات والتقييم وتوصية الطلبة من خلال بوابات خاصة .

شروط نجاح العملية التعليمية الإلكترونية :

هناك ستة شروط لنجاح العملية التعليمية الإلكترونية هي (الحجى 2002)

1. تحديد الأهداف التعليمية الواجب تحقيقها بدلا من المادة التي يجب تعلمها أو حفظها .
2. قبول إجابات وأفكار ونتائج متنوعة بدلا من نتيجة واحدة للجميع .
3. انتاج المعرفة بدلا من توصيل المعرفة ونقلها ، لأنه في حالة توصيل المعرفة فإن الشبكة الإلكترونية لن تختلف دورها عن البريد العادي ، إلا أنها أسرع .
4. تقويم المهمة التعليمية التعليمية بدلا من تقويم مستوى المعرفة .
5. بناء فرق تعليمية (مجموعات تعاونية) بدلا من العمل المنفرد لتعميق الحوار والنقاش بين الطلبة .
6. تشجيع المجموعات المحلية والعالمية .

وانطلاقا مما سبق نستخلص أن الإرتقاء بالمستوى التعليمي من خلال التعليم الإلكتروني يتطلب طريقة جديدة في التعليم تتجاوز قيام المعلم بإعطاء المعلومات ثم استرجاعها من الطلبة من خلال الاختبارات والمعلومات التي تلقاها. إن تلبية الشروط السابقة في الجامعات الإلكترونية التي يمكن ان تنشأ يمثل ثورة في أنظمة التعليم .

الفصل الثاني في عالم رقمي متغير .. تغيير في أساليب الدعوة

المبحث الأول : هدف استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثه

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلاماً على سيد الدعاة المخلصين العاملين ، أسلم الناس صدراً ، وأزكاهم نفساً ، وأحسنهم خلقاً ، وبعد فإن الدعوة إلى الله - تعالى - هي مهمة ورسالة أشرف الخلق (الأنبياء والمرسلين) - عليهم الصلاة والسلام - وهي سبب خيرية أمة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم .

ورحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين كان يقول: ” من سرّه أن يكون من هذه الأمة فليؤدّ شرط الله فيها . قالوا: وما شرط الله فيها يا أمير المؤمنين؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر“ .

إن الأمة - وحالها لا يخفى على عاقل أو مهتم بأمتة - أحوج ما تكون إلى سلوك سبيل الإسلام في تطويع وسائل التكنولوجيا الحديثة لخدمة هذه الدعوة التي كانت سبب خيرية هذه الأمة

الرائدة.

ثم إن عصرنا الحالي ظهرت فيه وسائل متعددة في التواصل والاتصال؛ فمنها: تطبيقات شبكة الإنترنت المختلفة، والموسوعات الإلكترونية المطبوعة على أقراص مدمجة «CD»، ومنها أيضاً الهاتف الجوال، وما يشمله عالم الكمبيوتر من (البالتوك، والبريد الإلكتروني، والمنتديات والشات، والجروبات... وغيرها كثير).

والداعي إلى الله لا ينبغي له بحال من الأحوال أن ينفصل عن هذا التقدم الحادث في وسائل الدعوة، فعليه أن يستفيد من هذه التقنيات الحديثة؛ لأن التوقع داخل مسجد أو نادٍ أو مركز شباب فحسب دون الاستفادة من الوسائل الأخرى ينفق كثيراً من الوقت والجهد الذي يمكن توفيره، ومن هنا فقد جاءت هذا البحث لتضع يد الدعاة على كيفية الاستفادة من هذه التقنيات الحديثة المتوفرة في خدمة دعوتهم وتحقيق أهداف رسالتهم و ((الْجِئْمَةُ صَالَةٌ الْمُؤْمِنِ؛ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا)) فالداعية مطالب أن يطور ذاته وأن يطور من دعوته ووسائلها، ورحم الله الرافعي حين ترجم لهذا المعنى بقوله: «إن لم تزد شيئاً على الدنيا: كنت أنت زائداً عليها».

والهدف من هذا الباب

1. وضع الخطوط العريضة في كيفية الاستفادة الواقعية منها.
2. تثقيف الصف المسلم بما يلزمه في عصر التكنولوجيا المتطورة.
3. إثبات أن الدين الإسلامي دين واقعي متميز متوازن.
4. شرح كيفية استخدام الإنترنت والموسوعات العلمية الإلكترونية استخداماً صحيحاً بعيداً عن الانحراف؛ بحيث يسوق إلى الحق، ويدفع إلى التميز والفلاح.

المبحث الثاني: استخدام شبكة الإنترنت خلال دراسته وبعد تخرج طالب العلم الشرعي .

مع ظهور شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت Internet) في عصرنا الحاضر كان لا بُد أن تصبح هذه الشبكة العنكبوتية المذهلة واحدةً من أحدث وأهم وسائل التعلم بشكل عام والدعوة إلى الله تعالى بشكل خاص لما لها من الأهمية والتأثير، ولما يترتب على تسخيرها في هذا المجال من النفع العظيم والخير العميم متى أحسن استخدامها لاسيما في هذا العصر الذي تطورت فيه العلوم التقنية تطوراً كبيراً مُذهلاً. وإلى ذلك يُشير أحد الباحثين بقوله: " وهذه (أي الإنترنت) وسيلةٌ جديدةٌ ينبغي استخدامها في إبلاغ الدعوة إلى الناس جميعاً بإنشاء المواقع، وتجهيز المادة العلمية، والاستعانة بأهل الفقه للدعوة، والعارفين بأسرار الشريعة، والقادرين على الرد على ما يوجه إليها من تساؤلاتٍ أو شبهات، ويمثل استخدامها في الوفاء بحاجات الدعوة

واحداً من التحديات التي يجب أن ينهض بها المسلمون ، خاصةً وأن هذه الوسيلة ليست حكرًا على أحد ، وليس هناك حظرٌ على استخدام المسلمين لها ” .والعمل على استثمارها في تطوير التعليم الشرعي أما لمن تكون الدعوة إلى الله تعالى ؛ فمن المعروف أنها تكون لكل إنسانٍ على وجه الأرض ؛ لأنها السبيل إلى حمل رسالة الإسلام وإيصالها إلى الناس أجمعين . إلا أن هناك تصنيفاً أورده أحد الكُتّاب جاء فيه قوله : ” ومن المعروف أن مجال الدعوة إلى الإسلام يتمثل في مجموعتين من الناس :

الأولى / المسلمون أنفسهم ؛ حيث يسعى الدعاة إلى تحسين التزام عامة المسلمين بالإسلام من خلال الوعظ والإرشاد والتعليم الذي يُبين لهم محاسن الإسلام . وهذه الدعوة إلى الله تعالى بين المسلمين ضرورةٌ لحفاظ على المجتمع المسلم ، وإشاعة الفضيلة ، ومنع الرذيلة .

الثانية / هم غير المسلمين ممن يعيش أو يجاور الأمة المسلمة . وهذه المجموعة تشمل كافة الناس الذين يُمكن أن تصلهم الدعوة خصوصاً في هذا العصر الذي أصبح فيه العالم قريةً صغيرةً ”

نظراً لما تمتاز به شبكة الإنترنت من انتشارٍ واسعٍ ، وقُدرة على الوصول إلى الملايين في كل مكان على سطح الأرض فإن الحاجة ماسةٌ للإفادة منها في الدعوة إلى الله تعالى على اعتبار أنها وسيلةٌ من الوسائل الحية في هذا العصر ، وأنها تحظى بقبولٍ جيدٍ ، وانتشارٍ كبيرٍ ، وتفاعليٍّ إيجابيٍّ من الملايين الذين يُقبلون عليها في أرجاء العالم . وليس هذا فحسب ؛ فإن أعداء الإسلام قد تنبها ” إلى أهمية هذه الشبكة ” الإنترنت ” في نشر شُبهاتهم ، وبث أباطيلهم ، فاستغلوا استغلالاً واضحاً في غزوهم لنا فكرياً ” .

لهذا فإن الواجب يُحتم علينا أن نُضاعف اهتماماتنا بهذا الشأن ، وأن نحاول اللحاق بالركب الحضاري الذي سُبِقنا إليه في هذا المجال على الرغم من أننا أحق الناس به وتمثل أهمية الدعوة إلى الله تعالى من خلال الإنترنت في الكثير من النقاط التي نشير إلى أبرزها فيما يلي :

(1) أن الدعوة إلى الله تعالى واجبٌ دينيٌّ على كل مُسلم قادرٍ من أبناء الأمة المسلمة ، ” ولما كان تبليغ الدعوة إلى الناس مما أخذ الله عز وجل عليه الميثاق من أهل العلم ؛ فإن إيصال هذا الدين الحق إلى مشارق الأرض ومغاربها بواسطة هذه الشبكة أمرٌ مطلوبٌ ، وهو من أعمال البرِّ والخير ، والمُنْفَق عليه مأجورٌ بإذن الله تعالى ” .

2) أن هذه الوسيلة رغم حداثةها واسعة وسريعة الانتشار ، ويمكن من خلالها تبليغ الدعوة الصحيحة ، ونشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه السمحة إلى الملايين من الناس في كل مكانٍ على سطح الكرة الأرضية في زمنٍ قصيرٍ نسبياً ؛ لاسيما وأن هذه الشبكة جعلت من العالم قرية صغيرة يستطيع أن يتواصل من يعيش في أقصاها مع من يقطن في أدناها ؛ فكان لا بُد من الإفادة منها في مهمة الدعوة إلى الله تعالى ؛ وهو ما يُشير إليه أحد الباحثين بقوله :

” إن على الدعوة إلى الله عز وجل ألا يستهينوا بما جد من الوسائل والأساليب التي يستخدمها الناس في مجالات الحياة المختلفة ؛ بل إن عليهم أن يكونوا في طليعة المُنتفعين بها . وما دامت الدعوة فريضةً واجبةً فإن كل ما يُساعد على حُسن تبليغها يكون واجباً ، لأن ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب ”

3) أن الإنترنت وسيلةٌ دعويةٌ حرة ، يمكن للدعاة إلى الله تعالى من خلالها التواصل الدعوي المفتوح والمستمر مع أعدادٍ كبيرةٍ وأجناسٍ متنوعةٍ من البشر في شتى بقاع الأرض يبتون الخير في نفوسهم ، ويحثونهم على التمسك بالفضائل ، ويهدونهم إلى طريق الله المستقيم دون الخضوع لأي سياساتٍ ، أو رغباتٍ ، أو أنظمةٍ ، أو تعليماتٍ ؛ وهو ما يُشير إليه أحد الباحثين بقوله :

” إن الإنترنت هي جهة الاتصال الوحيدة التي لا تتحكم فيها جهةٌ معينة تفرض عليها سياساتها وتُملّي عليها رغباتها ، بل إن المُتحكم فيها هو من يستخدمها ؛ فله أن يبت من خلالها ما شاء ، ويستقبل ما يشاء دون رقيبٍ أو حسيب ، فكل مُشاركٍ في الإنترنت ناشراً ومُستقبل دون أن يكون تحت أي تأثيرٍ إلا ما يُملّي عليه فكره واتجاهه ” .

4) أن الدعوة إلى الله تعالى من خلال شبكة الإنترنت غير مكلفة مادياً إذ إن ” الإنترنت هو أرخص وسيلة للاتصال ، والإعلان ، والدعاية ، والنشر ؛ فلو قارنا بين إنشاء محطة إذاعيةٍ أو تلفزيونيةٍ أو حتى إصدار جريدةٍ أو مجلةٍ للدعوة إلى الله فكم ستكون التكلفة ؟ ”

وإذا كان الأمر كذلك ؛ فإن في هذا مدعاةً لاغتنام هذه الوسيلة الحديثة ، وتكثيف الجهود الدعوية من خلالها قدر المُستطاع ، لاسيما وأن كثيراً من الخدمات الإنترنتية التي تقدمها بعض الشركات العالمية في هذا الشأن أصبحت مجانية .

5) أن في الدعوة إلى الله تعالى من خلال الإنترنت تصحيحاً لكثيرٍ من المفاهيم الخاطئة والمعلومات

غير الصحيحة التي تنتشر (للأسف) بين كثير من الناس الذين لا يعرفون من الإسلام إلا ما تتحدث به بعض الفرق الضالة والجماعات المنحرفة .

6) أن معظم مستخدمي شبكة الإنترنت (في الغالب) من الطبقة المثقفة والفئة المتعلمة الواعية كأساتذة الجامعات ، والطلاب ، وكبار المسؤولين ، والمهنيين ، ورجال الأعمال ، وغيرهم من الفئات الذين يكون أفرادها (في العادة) أصحاب التأثير الفاعل في مجتمعاتهم ؛ فكان لا بد من استثمار هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى للوصول إليهم من خلالها ودعوتهم إلى دين الله الحق فلعل الله أن يهديهم إليه .

7) أن شبكة الإنترنت وسيلةً دعويةً متاحة للجميع في أي وقتٍ من الأوقات ؛ فهي غير مُحددةٍ بوقتٍ مُعينٍ أو زمنٍ مُحددٍ لأنها تعمل على مدى اليوم واللييلة وطول أيام السنة ، ويُمكن للراغبين في الاستفادة من الإنترنت الدخول إليه في أي ساعة من ليلٍ أو نهار .

8) إقبال الناس المتزايد على استخدام هذه الشبكة ، فقد أصبح الإنترنت اليوم مرجعًا لكل باحثٍ عن معلومةٍ معينة ، وملاذًا لكل طالب علمٍ دينيٍ أو دنيوي . وإذا كان من الصعوبة في ما مضى الحصول على معلوماتٍ صحيحةٍ وشاملةٍ عن الإسلام في كثيرٍ من بلدان العالم ؛ فقد اختلف الوضع تمامًا في وقتنا الحاضر حيث أصبح دين الإسلام يصل بكل سهولةٍ ويُسرٍ إلى بيوت الناس ، وأماكن عملهم ، ومدارسهم ، ومعاهدهم ، وفي كل مكان يمكن أن يكونوا فيه .

9) سهولة استخدام هذه الوسيلة في الأغراض الدعوية ؛ حيث إن ممارسة مهمة الدعوة إلى الله تعالى وتعلم أساليبها عبر شبكة الإنترنت سهلةٌ جداً ، ولا تحتاج لكثير جهدٍ وطويل خبرة ، ويمكن لمن يرغب في ذلك تعلم كيفية إنشاء الصفحات الخاصة بهذا الشأن ، أو الدخول في حواراتٍ دعويةٍ مع الآخرين وهو أمرٌ يمكن أن يتم في فترةٍ وجيزةٍ جداً .

لذلك كله ؛ فإن استخدام هذه الشبكة في الدعوة إلى الله تعالى بات ضرورةً لازمةً للإفادة منها ومما تتميز به من خصائص وانتشار في تبليغ دين الله إلى الآخرين في كل مكان .

المبحث الثالث : أهمية استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة

وتتبع أهمية هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة من الأسباب الآتية :

1 . اهتمام غير المسلمين بوسائل الاتصال الحديثة ؛ لدفع الناس إلى تحقيق مكاسب مادية بحجة . بينما كان الأُوّل ببنى الإسلام أن يأخذوا بهذه الوسائل الحديثة .

2. لأن الوسائل التكنولوجية اليوم تتميز بانعدام المحدودية؛ فليس لها حدود زمانية ولا مكانية ولا نوعية أو جنسية؛ ولذا فهي تتخطى كل الحواجز، أضف إلى ذلك سهولة استخدامها وصيورتها شيئاً عادياً، ليس من الصعب التواصل بها والتعامل معها.
3. لتوجُّه أنظار الناس جميعاً إلى هذه الوسائل واهتمامهم وتعلقهم بها.
4. اختلاف أنواعها، وأشكالها (فمنها الصوتي، ومنها الصوري، ومنها الفيديو، ومنها الرسائل ...)، وهو ما يدعم أهميتها.
5. أنها تصل إلى الملايين في كافة أنحاء العالم، وهو ما يمكِّن الداعية من الوصول إلى الناس بسهولة وبدون تضييقات معيَّنة.

إن الداعية على ضوء ما سبق - مطالب بتطوير وسائله الدعوية حسب العصر بما يتناسب مع الشريعة الغراء، كما أنه من الضروري أن نوضح أن الإسلام لم يحدد لنا خريطة طريق دعوية محددة نسير عليها لا يمكن أن نتجاوزها وأن نبتكر فيها أو نجدد في رحابها، بل ترك لنا مساحة كبيرة للابتكار ووضع لنا قاعدة ثابتة في السير على منهج الدين، بدون إفراط ولا تفريط. قال - تعالى - : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ) [النحل: 521]، والحكمة: هي وضع الشيء المناسب في المكان والزمان والشخص المناسب.

ومن هنا فقد لزم لكل داعية أن يخرج من صومعته ومن تقوقعه حول الوسائل القديمة ذاتها، والناس ينتظرون الجديد الجذاب.

وسائل التكنولوجيا الحديثة يمكن استخدامها في الدعوة إلى الله، - تعالى - :

لقد تعددت الوسائل الدعوية، في العصر الحالي، فلم يعد المسجد فقط أو الشريط الإسلامي أو الكتاب والكتيبات هي الوسيلة الدعوية للدعاة إلى الله - مع عدم التقليل من شأن هذه الوسائل وأهميتها الدعوية - بل تطورت الوسائل وتعددت في زمن العالم المفتوح، والقرية الصغيرة.

والهدف هنا ليس حصراً لعدد من الوسائل الجديدة بقدر ما هو تنبيه إليها وإلى طريقة استخدامها دعويةاً ليكون الداعية متواصلاً مع المجتمع الذي يعيش فيه.

أولاً: الفيس بوك «Facebook»: وهو موقع اجتماعي شهير يدخل عليه الملايين من الناس على مستوى العالم، وهو ما يؤكد أهميته ورواجه الواقعي، ومن خلاله يمكن التواصل مع أي إنسان في أي مكان وزمان، ومن هنا فقد انتبه إليه دعاة كُثُر في زماننا، وتم عمل صفحات شخصية لهم عليه لمخاطبة جماهيرهم ونشر الدين والدعوة داخل العالم العربي وخارجه، وبالنسبة لتطويعه دعويةاً فإنه يمكن القيام بالآتي:

1. عمل مجموعات «GROUPS» تدعو إلى الحث على الفضيلة ونشرها بين الناس.
 2. مراسلة جميع أصحاب الصفحات الموجودة لديك بما تريد توصيله من قيم وأخلاق وغيرها من أعمال فاضلة.
 3. التواصل مع غير المسلمين لدعوتهم إلى الدين الإسلامي العظيم؛ وذلك بإتقان لغة المخاطب، وتوضيح صورة الإسلام الصحيحة التي شوهاها الغرب عبر إعلامهم.
- ثانياً: التويتير «TWITTER»: هو أحد المواقع التي تقدم خدمات مجانية للتواصل الاجتماعي والتدوين المصغر، ويسمح للمستخدمين بإرسال أهم اللحظات في حياتهم في شكل تدوينات نصية لا تزيد عن 1400 حرف إلى موقع تويتير؛ وذلك من خلال خدمة الرسائل النصية القصيرة، برامج التراسل الفوري، أو البريد الإلكتروني.

ثالثاً: يوتيوب نقي (YOUTUBE): (موقع فيديوهات) إسلامي محترم، يمد يومياً بكل جديد. وهو موقع قام به بعض الشباب السعوديين يقوم بعرض لقطات الفيديو الخالية من المحتوى المخالف لمبادئ الدين الإسلامي، من موقع «يوتيوب» الشهير، المختلط فيه الحابل بالنابل، www.naqatube.com وفي تصوري أنه أحد الوسائل المهمة جداً لتوصيل الإسلام إلى المسلمين - خاصة - عبره من خلال المقاطع الإسلامية (المرئية، والصوتية).

رابعاً: الإيميلات (E:mails) ومجموعات البريد الإلكتروني (- Yahoo - Hotmail Gmail - maktoob) التي يمكن من خلالها:

1. نشر فكرة إسلامية معينة، أو إرسال رسالة مؤثرة تصحح مفهوماً أو تدعو إلى خُلُقٍ فاضلٍ.
2. التذكرة بفضل المناسبات الإسلامية في وقتها والدعوة إلى العمل الصالح فيها؛ ومثال ذلك: دعوة من لديك على بريدك الخاص إلى صيام الإثنين والخميس، أو إلى صدقة جارية أو قراءة القرآن.
3. المشاركة في أعمال خير، أو أعمال اجتماعية تخدم المجتمعات الإسلامية: من خلال التعاون الإيجابي على القيام بها ودعوة رجال الأعمال للمشاركة فيها.
4. يمكن مراسلة شخصيات معروفة لمساعدتك في توصيل فكرة أو مفهوم تحب ترويجه، ولن تعدم فائدة منهم بإذن الله، - تعالى -.

خامساً: المواقع (بشكل مباشر sites): بشرط نشر عنوان الموقع والدعاية القوية له، وقد رأيت عدداً من مواقع المشايخ المعاصرين، وقد ازداد عدد الزائرين والمتابعين والمتصفحين لديهم، وهو ما يُظهر لنا جلياً الأثر الفعال لوسيلة الإنترنت ومواقع الدعوة الجذابة على شبكة الإنترنت.

سادساً: المدونات (bloggers): التي يمكن من خلالها القيام بالآتي:

1. توصيل رسالة المدون إلى متصفح مدونته وتوجيه أفكارهم نحو الصالح.
2. يمكن من خلالها نشر مواعظ ومقالات وأخبار وتحليلات.
3. مواكبة الأحداث الجارية ونشر فكرته وتعليقاته على الأحداث؛ وهو ما يجعلها أكثر فعالية وواقعية.

سابعاً: البرامج الخدمية (programes) (المؤذن، وتحديد القبلة، والإمساكية، والأذكار):

التي يمكن من خلالها عمل الآتي:

1. أسلمة أجهزة الكمبيوتر الخاصة بالآخرين، وأسلمة صاحبها.
 2. الدعوة إلى الحفاظ على الصلاة في وقتها، والتذكير بمواقيتها لصاحب الكمبيوتر، وهو ما يجعله يقطع عمله لأداء الصلاة، كحملة (إلى صلاتي).
- ثامناً: نظام التقنيات اللاسلكية (الجوال mobile وتطبيقاته): ومن بين تطبيقاته غير برامج القرآن والأذكار والبرامج الإسلامية، فإن هناك تقنية البلوتوث والوايرلس، اللتين يمكن استخدامهما في نقل المقاطع الصوتية والمرئية الدعوية للآخرين.

تاسعاً: رسائل SMS: وتحتاج إلى مؤسسة إسلامية تتخصص في هذا المجال، وتخطب كافة الشرائح بالرسائل التي تناسبها (اجتماعياً وفكرياً وعلمياً وطبيعياً ورياضياً) وغير ذلك؛ فمثلاً: «رسائل تذكرة بالصيام، ورسائل أخلاقية أو تربوية، ويمكن أن تكون هذه الرسائل عبر القنوات الفضائية أو البريد الإلكتروني أو الهاتف الجوال».

عاشراً: الكتب الإلكترونية (E:BOOKS): التي يستطيع من خلالها مرسلها ومستخدمها توصيل معلومات إسلامية وتصحيح أفكار. ويمكن أيضاً مساعدة طلبة العلم الشرعي بهذه الكتب الإلكترونية.

الحادي عشر: الأقراص المدمجة (DVD) (C D): وهي وسيلة تكنولوجية يمكن جعلها وسيلة لنشر الصوتيات الإسلامية والفيديو، ويمكن بما يتناسب مع العصر الحالي نشر هذه الصوتيات على MP3 MP4 التي كثر استخدامها لدى الشباب وسائقي السيارات، فبدلاً من أن يكون وسيلة لنشر أغنية، نُسمعه صوتاً جميلاً لداعية أو للقرآن الكريم.

الثاني عشر: قناة فضائية إسلامية تخاطب - مثلاً - الشعب الصيني: (الذي يقدر تعداده بنحو مليار ونصف مليار) ولنا أن نتخيل لو وُظفت طاقة قناة فضائية إسلامية بهذه اللغة كم ستر من فوائد دعوية على الإسلام والمسلمين.

الثالث عشر: محرك البحث «حلال»: وهو أول محرك بحث «إسلامي» يحمل اسم «ImHalal» وهو محرك يساعد الباحث على الدخول على ما يريد من المواقع الإسلامية، مع حذف كل ما يمس الشرف والعرض ويثير الشهوات والغرائز.

ضوابط الدعوة إلى الله تعالى من خلال الإنترنت

والمحددات والضوابط التي لا يمكن أن تنجح عملية تقديم هذه الدعوة إلى الله تعالى بدونها .
ومنها ما يلي :

(1) إخلاص النية أثناء القيام بعملية الدعوة إلى الله تعالى ، والحرص على أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى ، بعيداً عن الأغراض الشخصية والخلافات المذهبية والعقائدية ، وخالياً من أي أهدافٍ أو غاياتٍ أخرى تُفسده أو تؤثر على جديته واستمراريته تحقيقاً لما صحَّح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ” .

(2) الحرص أثناء القيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى على نفع الناس ، وحُب الخير لهم ، ودلالتهم على سبيل النجاة ؛ لما في ذلك من عظيم الأجر وجزيل الثواب فقد رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” من دعا إلى هدى ، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا يَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالةٍ ، كان عليه من الإثم مثل إثم من تبعه ، لا يَنْقُصُ ذلك من آثامهم شيئاً ” .

(3) الانطلاق في مهمة الدعوة إلى الله تعالى من منطلق أن دين الإسلام دينٌ مُسالِمٌ وشاملٌ ومُنْفَتِحٌ على الآخرين ، فهو غير رافِضٍ للحضارة ، أو المدنية ، أو التطور فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحقُّ بها ، ولكنه يشترط في الحضارة أن تكون نافعةً للناس ، ومُنضبطةً بضوابط الدين الإسلامي الحنيف الذي يُعدُّ ” المنهج أو المذهب أو النظام الوحيد في العالم الذي مصدره كلمات الله وحدها ، غير مُحرَفةٍ أو مُبدَلةٍ ، ولا مخلوطةٍ بأوهام البشر ، وأغلاط البشر ، وانحرافات البشر ” .

(4) التأكيد على توافر المعلومات الصحيحة والكافية عن دين الإسلام على هذه الشبكة ؛ شريطة أن تكون صادرةً عن دعاةٍ موثوقين ، أو مؤسساتٍ دعويةٍ موثوقة ، إذ إن الحاجة ماسةٌ لأن تكون المعلومات عن الدين الإسلامي مُتيسرةً لكل من يطلبها أو يسأل عنها .

(5) الاهتمام بحُسن اختيار الدعاة إلى الله تعالى من المؤهلين علمياً ومعرفياً ، وهو ما لا يمكن أن يتحقق إلا بحُسن إعدادهم وتأهيلهم وتدريبهم لهذا الشأن ؛ فالدعوة في هذا العصر في حاجةٍ ماسةٍ إلى الداعية المُخلص والمُؤهل علمياً وتقنياً ، بمعنى أن يكون مُلمّاً بالعلم الشرعي الصحيح

، وأن يكون في الوقت نفسه قادراً على استخدام مختلف الوسائل الحديثة ، والتعامل معها ، وتوظيفها لخدمة الدعوة ، وبذلك يمكن تبليغ الدعوة إلى الله تعالى وإيصالها إلى الآخرين في كل مكان بوسائل جذابة ، وأساليب مُقنعة ، وطرائق مختلفة .

(6) أن يكون الخطاب الدعوي للآخرين (ولاسيما عبر شبكة الإنترنت) مناسباً لهم ، ومتوافقاً مع حاجاتهم ، ومراعياً لظروفهم ؛ فليس صحيحاً أن يُخاطب الناس كلهم بطريقة واحدة وأسلوب واحد ؛ إذ إن من المشكلات القائمة أن كثيراً من المواقع الدعوية الإسلامية التي في الساحة الآن ” تقدم الخطاب الإسلامي المعهود الذي كان مُستخدماً في الكتب أو الصحف أو في المحاضرات والدروس والخطب ؛ ولم يتم توفير خطابٍ خاصٍ بالوسيلة الجديدة (الإنترنت) يُراعي خصوصيتها ، ويستفيد من إمكاناتها ، فلا يصح أن يُكتفى بوضع نسخة كاملة من كتاب تفسير أو حديث أو ما شابه على الموقع ؛ لأن المطلوب هو توصيل الفكرة أو المعلومة باستخدام إمكانات الإنترنت الكبيرة والمتنوعة ”

أهم وأبرز المُشكلات التي تعترض عملية الدعوة إلى الله تعالى من خلال الإنترنت:

وعلى الرغم من حداثة التجربة الدعوية في هذا الشأن ؛ إلا أن هناك العديد من المُشكلات والمعوقات التي تعترض سير عملية الدعوة إلى الله تعالى من خلال المواقع الدعوية على شبكة الإنترنت ، ومن هذه المشكلات والمعوقات ما يلي :

(1) محدودية اللغات المستخدمة في الدعوة إلى الله تعالى من خلال المواقع الدعوية الحالية على شبكة الإنترنت ؛ حيث إن هذه اللغات لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة في العادة ، وهو ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله : ” فلا يكفي الاقتصار على اللغات المستخدمة عند المسلمين كالعربية والفارسية والأردية ، بل يجب أن يُضاف إليها اللغات العالمية الكبرى ولاسيما اللغة الإنجليزية التي هي أكبر اللغات استخداماً في شبكة الإنترنت وفي العالم ” .

وهذا يعني أن واقع الدعوة إلى الله تعالى يقتضي زيادة عدد اللغات المستخدمة في هذا الشأن ، والعمل على تحري الدقة والموضوعية في نقل المعاني والأحكام والتشريعات والفتاوى وغيرها كاملةً وواضحةً ، فلعل الله أن ينفع بها الكثير من الحيارى والتائهين .

(2) إن كثيراً من المواقع الدعوية الإسلامية الحالية تفتقر إلى توافر الإدارة العلمية الشرعية المُمكنة ، كما أنها قد تفتقر إلى الإشراف الفني المُتخصص ؛ حيث جرت العادة أن يقوم بذلك أفراداً متطوعون ، أو متعاونون محتسبون ، وذلك مما يؤخذ على هذه المواقع ، ويُضعف من قوتها ،

وقد يحول دون نجاحها واستمراريتها في أداء رسالتها لأنها بلا شك في حاجة ماسة إلى توافر كل من : العلم الشرعي والمهارة التقنية اللازمة ، وهو ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله :

” إن عرض الإسلام على الناس كافة أمر ليس بالهين ؛ بل يتطلب قوة الطرح في المادة العلمية ، فكل مادة تُعرض من خلال هذه الشبكة يعتمدها الضعف يكون ضررها أكبر من نفعها .. كما يجب أن تُعرض في شكلٍ مُناسبٍ يكون جذاباً ومُغرياً للمستخدمين ، ولا شك أن كل هذا يتطلب استقطاب باحثين مُتميزين ، وفنيين مهرة حتى تكون الصفحة مُلائمةً لنصاعة الحق الذي تنشره وصفائه

أما نحن هنا في فلسطين فإن ترددات الجيل الثالث للإنترنت لم تدخل حيز الخدمة بعد ، لكن هناك اتفاقات على ادخاله خلال فترة قربه كما علمنا .

المبحث الرابع: مقترحات لتفعيل مهمة الدعوة إلى الله تعالى من خلال الإنترنت.

بعد هذه الجولة السريعة في موضوع الدعوة إلى الله تعالى من خلال الإنترنت ؛ فإن واقع الحال يقتضي طرح بعض المقترحات التي يمكن من خلالها تفعيل مهمة الدعوة إلى الله تعالى من خلال الإنترنت ، ويمكن إجمال هذه المقترحات فيما يلي :

1. العمل الجاد على الإفادة من الخبرات والطاقت البشرية الإسلامية في هذا الميدان الدعوي ، والحرص على دعوة العلماء والدعاة والمُفكرين والمختصين في هذا المجال للمشاركة الفاعلة والإيجابية في هذا الشأن إشرافاً ، وطرحاً ، وحواراً ، ونقاشاً ، ودعوةً ، ورداً على الاستفسارات والشبهات ونحو ذلك .
2. مراعاة أن المُستهدفين من الدعوة إلى الله تعالى يختلفون في مدى تقبلهم لها باختلاف العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية والتعليمية والعمرية ؛ الأمر الذي يوجب على المُشتغلين بالدعوة إلى الله تعالى تفهم وإدراك تلك الفروق ، والعمل قدر المستطاع على مراعاتها عند ممارسة الدعوة معهم بأي وسيلة من الوسائل السابق ذكرها فلكل حادثٍ حديث ، ولكل مقامٍ مقال .
3. الحرص على أن تتولى بعض الجهات الرسمية المختصة تزويد الشبكة الإنترنتية بتغطية إخبارية حية ومُستمرة لمختلف الأحداث والمناسبات والفعاليات المختلفة في العالم الإسلامي على مدار الساعة مثل : (نقل صلاة التراويح في شهر رمضان المبارك ، وصلاة العيدين ، ونقل شعائر الحج من المشاعر المقدسة ، وغيرها من المناسبات الأخرى ، إضافةً إلى تغطية أخبار المؤتمرات ، والندوات ، واللقاءات الإسلامية المختلفة ، ونشر بعض الأخبار والتقارير الصحفية المُعدة بعناية في القضايا الإسلامية المختلفة .

4. العمل على أن تكون الدعوة إلى الله تعالى بلغاتٍ مُختلفةٍ ولهجاتٍ متنوعة لضمان الوصول بهذه الرسالة العظيمة إلى أكبر عددٍ ممكن من مُستخدمي الإنترنت في كل مكان ، مع التأكيد على اللغات الحية الواسعة الانتشار في العالم ، والتي يستخدمها أعدادٌ كبيرةٌ من الناس . والحرص في الوقت نفسه على أن تكون اللغة العربية لغةً مُعمّدةً ومُتداولةً في شبكة الإنترنت لما في ذلك من خدمةٍ لعملية الدعوة إلى الله تعالى .
5. ضرورة العمل على تأهيل وتدريب الدعاة إلى الله تعالى على استخدام الوسائل الحديثة في الدعوة ولاسيما الإنترنت ووسائله المختلفة ، وتدريبهم على اختيار الوسيلة المناسبة لمختلف الظروف والأحوال الزمانية والمكانية .
6. ضرورة مشاركة الدول والحكومات الإسلامية ، والمؤسسات الرسمية المؤهلة في العالمين العربي والإسلامي لخدمة مهمة الدعوة إلى الله تعالى من خلال الإنترنت ، وتقديمها من خلال هذه الشبكة بصورةٍ علميةٍ ومدروسة ، حتى تكون هذه المشاركات قويةً وفاعلةً ومُحققةً للأهداف المرسومة والغايات المنشودة .
7. الحرص على تبادل مختلف الأفكار والتجارب والطرائق الدعوية عبر شبكة الإنترنت بين المهتمين في هذا الشأن ، لما يترتب على ذلك من إمكانية التطوير ، وزيادة الفعالية ، وتفادي الأخطاء ، ومعالجة نقاط الضعف .
8. التأكيد على تعدد اللُغات المستخدمة لتبليغ الدعوة إلى الله تعالى من خلال الإنترنت ؛ إذ إن الساحة الدعوية في حاجةٍ ماسةٍ وضروريةٍ لمُخاطبة الناس بلغاتهم ولهجاتهم التي يفهمونها ليكون ذلك داعياً لُضمان وصول الرسالة الدعوية إليهم وتبليغها على الوجه الأكمل بإذن الله تعالى .
9. وعلى الله تتمنى دخول ترددات الجيل الثالث والرابع الى دولة فلسطين حتى نكون في ركب العالم في هذا المضمار .

أهم النتائج والتوصيات:

1. من اجل جعل التكنولوجيا قابله للتطبيق في مجال التعليم .فإنه لزاما على الحكومة وعلى ادرات التطوير في التعليم العام والتعليم الجامعي ، تخصيص موازنات ماليه خاصه وجعلها أولوية .
2. تجهيز مختبرات حاسوب لأغراض تكنولوجيا التعليم . ورفدها بالكوادر المدربه .
3. العمل على التأهيل المستدام للهيئات الأكاديميه . بشكل متوازي مع الطلبة . كون الأمر مستحدث .
4. الإطلاع على تجارب العالم العربي والأسلامي والعالم في تجربته التقنيه الحديثه في التعليم بشكل عام والتعليم الشرعي بشكل خاص . حيث ان هناك تجارب رائده تستحق محاكاتها .

وطالب العلم الشرعي يجب أن :

1. الداعية مطالب بتطوير نفسه دائماً تكنولوجياً ليحيد توصيل رسالته إلى الآخرين؛ فلم يعد ينفع أن ينتظر الداعية في مسجده ليأتيه الناس فيبلغهم دعوة ربهم، بل صار من اللازم أن يتوجه هو إليهم بأي وسيلة يستطيعها وتتوفر لديه؛ إذ إننا أصبحنا في عالم السرعة.
 2. وسائل دعوة الإسلام غير محدودة، بل تقبل التطوير والابتكار بما لا يتنافى مع الشريعة الغراء.
 3. يجب تسخير وتطوير ما توفر من وسائل التكنولوجيا الحديثة في الدعوة إلى الله، - تعالى - . وتعد من الضروريات الدعوية اليوم.
 4. يلزم الاهتمام بجيل الشباب في كل هذه الوسائل السابق ذكرها؛ ولا سيما أننا نرى أحوال شباب الأمة، وحالة التيه التي يعيشون فيها؛ فهم يحتاجون إلى من يأخذ بأيديهم ويدلهم على الطريق الصحيح، بدلاً من طريقهم الذي يتنكبون.
- والله أسأل أن يستخدمنا في نصره دينه ودعوته، وأن يجعلنا سبباً في هداية الآخرين، وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقا .

الخاتمة:

من المؤكد أن التكنولوجيا في التعليم وشبكات التواصل الاجتماعي كانت لها القدر الأكبر من التأثير والتغيير على عدة مستويات سياسية، اقتصادية، اعلامية، اجتماعية وثقافية تعليمية، كما أن التزايد المطرد لمستعمليها حول العالم جعلها تستخدم لأغراض أخرى غير التي عرفت عنها ومنها مجال التعليم، هذا الأخير يجب أن يستفيد على غرار بقية المجالات من تجربة استخدام التكنولوجيا في التعليم وخاصة طلبه العلم الشرعي وشبكات التواصل الاجتماعي التي تشكل أكبر تطور يحصل في عالم اليوم وأكبر مجتمع افتراضي يوازي المجتمع الواقعي، حيث يمكن أن تتحول هذه الشبكات من وسيلة للتعارف وتكوين الصداقات إلى أهم أداة تعليمية ودعوية لطلبة جيل الانترنت الذين يمكن أن نطلق عليهم اسم الطلبة الرقميين، وذلك نظراً لما تتميز به من خصائص تؤهلها لذلك.

وأخيراً أسأل الله أن ينفع بهذا البحث .. كل من أراد جعل وسائل التكنولوجيا أداة نافعة وسريعة وعصرية في نشر الدعوة وإيصالها الى جميع بقاع الأرض.

الوقف وأثره في دعم التعليم الشرعي وتطويره

إعداد: رويدة أيوب المثنان*

* 2015 حاصلة على درجة الماجستير من كلية الشريعة والدراسات العليا في جامعة الخليل في القضاء الشرعي.

2011 حاصلة على درجة البكالوريوس في الفقه والتشريع من جامعة الخليل.
من أعضاء مشروع صناعة القراء والفكر المقام (بالخليل - شيوخ).

ملخص البحث

كان الدين الإسلامي ولا زال منبع الحلول ومُبتدأ الخير في كل أمر، ولا تكاد تجد ثغرةً في المجتمع بشتى مجالاته إلا وضع لها الإسلام سبيلاً قويمًا، وهو في مختلف تشريعاته وأوامره تراه مرتبطاً ترابط الحلقات في سلسلة، فتراه يحث على الأمر يفتح له كل السبل لتحقيقه، وييسر له كل الأسباب، وحين ينهى عن فعلٍ يجعل له أكثر من بديل، ولا يخفى على الناظر المتقصي لأوامر الشريعة أنه يكفل له رعداً فكرياً من خلال الحث على العلم والتفكير، ويجعله في منزلة رفيعة تفوق أقصى درجات العبادة، والعلم لا بد له من معين، ولا مفر إلا للتفرغ له وقطع الانشغال به عن سواه، وحيث يأمر الإسلام بذلك فلا بد وأنه جعل له معيناً من سبل الخير الكثيرة في الإسلام أحدهما الوقف. فيعتبر الوقف من أهم وأقدم المصادر التمويلية في دعم التعليم الشرعي وتطويره ولا زال هذا الأمر سارياً حتى وقتنا المعاصر، فقد كان له دورٌ واضحٌ وبارزٌ في دعم التعليم الشرعي ونشره وتطويره عن طريق المساجد والمدارس والمعاهد والجامعات والكتاتيب والمؤلفات والأبحاث والكراسي الدراسية.... وغيرها من الصور.

ولا ينكر أحد أن هذه المؤسسات قد ساهمت في تخريج عدد من العلماء الذين كان لهم دورٌ بارزٌ في خدمة الأمة الإسلامية وإخراجها بفضل الله من الظلمات إلى النور.

وسأبين في بحثي هذا إن شاء الله كيف يسهم الوقف في خدمة العلم الشرعي:

المبحث الأول وفيه مطلبان: تعريف الوقف ومشروعيته.

المطلب الأول: تعريف الوقف لغةً وشرعاً.

المطلب الثاني: مشروعية الوقف.

المبحث الثاني: دور الوقف في دعم التعليم الشرعي وأثره، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسباب قلة الوقف العلمي الشرعي في العصر المعاصر.

المطلب الثاني: وسائل مقترحة لزيادة الإقبال على الوقف العلمي الشرعي في العصر

الحاضر.

المطلب الثالث: أثر الوقف العلمي في دعم التعليم الشرعي.

المطلب الرابع: اقتراحات وافية معاصرة لتطوير العلم الشرعي.

المبحث الأول

تعريف الوقف لغَةً وشرعاً ومشروعيته

المطلب الأول: تعريف الوقف لغَةً وشرعاً

أولاً: تعريف الوقف لغَةً:

الوقف بفتح الواو وسكون القاف، مصدر وقف الشيء، وأوقفه بمعنى حبسه وأحبسه، وتُجمع على أوقاف ووقوف⁽¹⁾، وسمي وقفاً لما فيه من حبس المال على الجهة المعينة.

ثانياً: تعريف الوقف اصطلاحاً:

اختلفت تعريفات الفقهاء للوقف تبعاً لاختلاف مذاهبهم في التكييف الفقهي الذي اعتمده كل واحد منهم، من حيث الأركان والشروط التي وضعوها للوقف، فكل منهم يعرفه تعريفاً ينسجم مع رأيه في مسأله الجزئية.

1. تعريف الوقف عند الحنفية:

اختلف فقهاء الحنفية في تعريف الوقف، فعرفه الإمام أبو حنيفة -رحمه الله-: "حبس المملوك عن التمليك من الغير"⁽²⁾، وعرفه الصحابان -رحمهما الله-: "حبسها على ملك الله تعالى، وصرف منفعتها على من أحب"⁽³⁾.

والناظر يجد أن سبب في الاختلاف يرجع إلى اختلافهم في عقد الوقف من حيث اللزوم وعدمه، وإلى الجهة التي تنتقل إليها العين الموقوفة، وهل تخرج العين عن ملك واقفها أم لا؟.

2. تعريف الوقف عند المالكية: "هو إعطاء منفعة شيء مدة وجوده، لازماً بقاؤه في ملك معطيها ولو تقديراً"⁽⁴⁾

3. تعريف الوقف عند الشافعية: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته وتصرف منافعه إلى البر تقرباً إلى الله تعالى"⁽⁵⁾.

4. تعريف الوقف عند الحنابلة: "تحبس الأصل وتسبيل المنفعة"⁽⁶⁾.

1- (لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ.
2- (المبسوط، محمد بن أحمد السرخسي (ت: 483هـ)، دار المعرفة - بيروت، تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م، البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت855هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ - 2000م.
3- رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، (ت1252هـ)، دار الفكر-بيروت، ط2، 1412هـ - 1992م.
4- منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد عليش، (ت1299هـ)، دار الفكر- بيروت، 1989م.
5- حاشيتا قليوبي وعميرة، أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، دار الفكر - بيروت، 1415هـ-1995م.
6- (المقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة (ت 620 هـ)، (238)، تحقيق: محمود الأرناؤوط،

المطلب الثاني: مشروعية الوقف:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الوقف مشروع ومندوب إليه⁽¹⁾، وأن أصل مشروعيته ثابت في الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب:

1- قول الله تعالى: "لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" 2. ووجه الدلالة أي من الصدقات والوقف منها فهو مندوب إليه.

روى أنس، رضي الله عنه، لما نزلت لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: "لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون" وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله تعالى. فقال رسول الله ﷺ: «اجعلها في قرابتك، في حسان بن ثابت وأبي بن كعب» (3).

قال القرطبي: عند تفسير هذه الآية "ففي هذه الآية دليل على استعمال ظاهر الخطاب، وعمومه، فإن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - لم يفهموا من فحوى الخطاب حين نزلت الآية غير ذلك" (4).

ومثل هذه الآية قول الله تعالى: "وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" 5. وقول الله تعالى: "وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ" 6. وقول الله تعالى: "وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ" 7.

السنة النبوية:

وردت أحاديث نبوية شريفة كثيرة تحت على البر والإحسان والتصدق والمعروف:

-
- مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط1، 1421 هـ - 2000 م.
- 1- (الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود البلدحي، (ت683هـ)، (40/3)، الناشر: مطبعة الحلبي - القاهرة، 1356هـ - 1937م، منح الجليل شرح مختصر خليل، عليش، (109/8)، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيني (ت: 926هـ)، (457/2)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، المبدع في شرح المفتاح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (ت884هـ)، (151/5)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1418 هـ - 1997 م.
 - 2- (آل عمران، الآية 92.
 - 3- (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، (46/3)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، في عدة مواضع.
 - 4- (الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت671هـ)، (213/4)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م.
 - 5- (الحج، الآية 77.
 - 6- (آل عمران، الآية 115.
 - 7- (البقرة، الآية 280.

1. ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له (1)" والصدقة الجارية عند عامة الفقهاء هي الوقف (2).

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - : "وفيه دليل لصحة أصل الوقف، وعظيم ثوابه" (3).

2. ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: "أصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "أصبت أرضاً لم أصب مالا قط أنفس منه، فكيف تأمرني به؟ قال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها".

فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب، ولا يورث، في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقاً غير متمول فيه (4).

3. عن عمرو بن الحارث ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخي جويرية بنت الحارث، قال: «ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة» (جعلها صدقة) يصدق بها على سبيل الوقف (5).

4. عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "جعل سبع حيطان له بالمدينة صدقة على بني عبد المطلب وبني هاشم" (6).

5. حديث عثمان رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس فيها ماء يستعذب غير بريرة، فقال: "من يشتري بريرة، فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها في الجنة؟" قال: فاشتريتها من صلب مالي (7).

6. كما أنه قد ورد عن جمع كبير من الصحابة رضوان الله عليهم أنهم أوقفوا أموالاً لهم في سبيل الله، يقول الإمام أحمد: قد وقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفهم بالمدينة ظاهرة، فمن رد الوقف فإنما رد السنة (8).

- 1- (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج (ت261هـ)، في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم: (1631). المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 2- (أسنى المطالب في شرح روض الطالب، السنيكي، (457/2).
- 3- (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، (85/11)، ط1، المصرية بالأزهر.
- 4- (أخرجه البخاري، برقم: (2737)، ومسلم برقم: (1632).
- 5- (أخرجه البخاري برقم: (2739).
- 6- (السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي (ت458هـ)، (265/6)، برقم: 11896، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 7- (رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، وهو حديث صحيح بطرقه، الحديث وصله الترمذي (3703)، والنسائي في السنن الصغرى (3606)، وفي الكبرى (6402)، والدارقطني (196/4) وابن خزيمة (2335)، والبيهقي في السنن الكبرى (168/6)، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (42/1)، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
- 8- (شرح الزركشي، شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت772هـ)، (270/4)، الناشر: دار العبيكان، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م.

الإجماع:

يقول الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-: "إن المسألة إجماع من الصحابة، وذلك أن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً، وعائشة، وفاطمة، وعمر بن العاص، وابن الزبير، وجابراً رضي الله عنه كلهم وقفوا الأوقاف، وأوقفهم بمكة والمدينة معروفة مشهورة" (1).

وقال جابر رضي الله عنه: "لم يكن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم له مقدرة إلا وقف وفقاً" 2.

وقال الشافعي -رحمه الله- في القديم: "بلغني أن ثمانين صحابياً من الأنصار تصدقوا بصدقات محرمت" (3) والشافعي -رحمه الله- يسمي الأوقاف: الصدقات المحرمات.

المبحث الثاني

دور الوقف العلمي في دعم التعليم الشرعي وأثره

قبل البدء في الحديث عن دور الوقف في دعم التعليم الشرعي، لا بد من الإشارة إلى أن الناظر اليوم يلاحظ تراجع كثير من الناس في إقبالهم على الوقف، وقد قل الإسهام بدعم الأوقاف مما كان أحد الأسباب في تراجع بناء الحضارة الإسلامية. ويعود ذلك لعدة أسباب:

المطلب الأول: أسباب قلة الوقف العلمي في العصر الحاضر:

1. صدور قوانين في بعض الدول الإسلامية بمصادرة الأموال الوقفية وتحويلها إلى خزينة الدولة بدون أي مبرر معتبر عقلاً أو شرعاً.
2. تدخل بعض الحكومات في تغيير حجة الواقف لتنفق مع بعض المآرب الخاصة بدون مبرر معتبر شرعاً.
3. انتشار الفساد الأخلاقي والمالي والاجتماعي في بعض الجهات القائمة على إدارة شؤون الأوقاف الإدارية والمالية بسبب عدم الالتزام بالقيم الإيمانية والمثل الأخلاقية والآداب السلوكية السوية وبالفقه الإسلامي.
4. التدخل من قبل بعض الجهات الأجنبية مثل الصهيونية العالمية الطاغية لمحاربة كل مشروع إسلامي تحت دعاوى محاربة الإرهاب.

1 - (الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ)، (6/ 339)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م
2 - (الذخيرة، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت: 684هـ)، (6/ 323)، المحقق: جزء 1، 8، 13: محمد حجي، جزء 2، 6: سعيد أعراب، جزء 3 - 5، 7، 9 - 12: محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1، 1994 م.
3 - (مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت977هـ)، (3/ 523)، دار الكتب العلمية، ط1، 1994 م.

5. استشعار العديد من الناس بأن أي عمل تتدخل فيه الحكومة وتسيطر عليه أو تديره مآله إلى الفشل والخلل لعدم الثقة بها.
6. ضعف الوعي الديني لدى العديد من أصحاب الأموال من الأغنياء بسبب الغزو الثقافي المناهض للنظم الإسلامية ولا سيما بعد انتشار العولمة.
7. عدم الاهتمام بالثقافة الوقفية في دور العلم المختلفة، حتى أصبح الوقف شيئاً مجهولاً عند العديد من الناس بسبب انتشار الفكر العلماني المادي¹.

المطلب الثاني: وسائل مقترحة لزيادة الإقبال على الوقف العلمي الشرعي في العصر الحاضر:

1. تنمية الوعي الديني لدى المسلمين وخاصة الأغنياء، وبيان المنافع الأخروية التي تعود عليهم بعد موتهم باعتبار الوقف من نماذج الصدقة الجارية التي تنفع المسلم بعد موته، وهذا يتطلب وجود خطة إعلامية تتولى تنفيذها المؤسسات الدعوية الحكومية والخاصة وباستخدام وسائل وأساليب الإعلام المعاصرة، والاستفادة من رموز رجال الدعوة الإسلامية الثقات في هذا المجال.
2. أن تصدر الحكومات من القوانين والمراسيم والقرارات لحماية أموال الواقفين وعدم المساس بها واحترام حجة الواقفين ما دامت لا تخالف أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، أسوة بالقوانين التي تحمي رأس مال المستثمر الأجنبي، وعدم المساس به ظناً بأنه يساهم في التنمية الاقتصادية، والأولى حماية أموال الوقف لأنها تساهم في تأمين حاجات الإنسان الضرورية.
3. استصدار ميثاق أو قانون للوقف يواكب التطورات المعاصرة ولا يخرج عن أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، لإدارة أموال الوقف، وفقاً لمقاصد الإسلام، وطبقاً لسياسات استراتيجية وخطط موضوعية وبرامج سليمة حتى يحقق مقاصده السامية.
4. تطوير سبل وأساليب استثمار الوقف بما يتفق مع التطورات المعاصرة ولا ينحصر الأمر على الاستثمار العقاري، أو تقديم الخدمات فقط، ويمكن الاستفادة من صيغ الاستثمار الإسلامية المعاصرة وكذلك من تجارب المؤسسات المالية الإسلامية الناجحة.
5. الاهتمام الأوفى بأعمال المتابعة والرقابة، وتقويم إدارة أموال الوقف من قبل الأجهزة الفنية المتخصصة بهدف المحافظة عليها وتنميتها في ضوء مقصود الواقف التي تتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية، والتأكيد على حرمة أموال الوقف ولا يجوز الاعتداء عليها².

1 - (إحياء نظام الوقف ضرورة شرعية وحاجة إنسانية، حسين حسين شحاتة، بحث منشور على www.darelmashora.com)

2 - (إحياء نظام الوقف ضرورة شرعية وحاجة إنسانية، حسين حسين شحاتة، بحث منشور على www.darelmashora.com)

المطلب الثالث: أثر الوقف العلمي في دعم التعليم الشرعي:

1. وقف المساجد لتطوير العلم الشرعي: نبدأ أولاً بالمساجد باعتبارها تمثل مركزاً علمياً وثقافياً، هذا فضلاً عن دورها البارز الذي كان ولا زال الشعاع الذي انطلق منه النور في نشر العلم الشرعي والمعرفة، فهي تعد من أول المراكز التعليمية الشرعية الإسلامي على الإطلاق، وأهمها، حيث إن المساجد بالإضافة لكونها كانت المركز الأول لحياة المسلمين اليومية، يقصدونه للاجتماع والعبادة في اليوم على الأقل خمس مرات، إلا أن لم تكن من وظيفته العبادة فقط، بل كانت معها التربية، وتهذيب الأخلاق وتقويم السلوك ونشر الفضيلة، والتقدم العلمي، والوعي الديني.

فكانت عبارة عن مراكز مفتوحة في كل وقت، لكل شخص راغب في الاستزادة في العلم، والناظر في التاريخ الإسلامي يجد أن المسجد قد خرّج عدداً من العلماء الذين كان لهم الدور البارز في خدمة الأمة الإسلامية وإخراجها بفضل الله من الظلمات الى النور، فكان النواة الأولى لنشر العلم الشرعي وبإعداد النماذج الإنسانية العالية في العلم والمعرفة والإيمان والآداب والسلوك الحميد والأخلاق الفاضلة، وأسهمت، وما تزال تسهم، في بناء الإنسان الصالح. ولهذا فإن المسجد يستحق العناية التامة والدعم الكامل ليتمكن من الاستمرار في أداء وظائفه الدينية والتربوية والاجتماعية ونهوض بالتعليم الشرعي.

فقد كان الرسول ﷺ يعقد حلقات العلم في مسجده، ومن خلال هذه الحلقات يرفع مستوى الصحابة العلمي والعملية، ويغرس فيهم الآداب والفضائل، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ زُرَّيْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَالٍ الْمُرَادِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ" (1).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ مَرَّ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ فَوَقَّفَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: يَا أَهْلَ السُّوقِ، مَا أَعْجَزَكُمْ؟ قَالُوا: وَمَا ذَلِكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: ذَلِكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ وَأَنْتُمْ هَاهُنَا؟ أَلَا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيبَكُمْ مِنْهُ؟ قَالُوا: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجُوا سِرَاعًا، وَوَقَّفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا، فَقَالَ لَهُمْ: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ فَدَخَلْنَا فِيهِ، فَلَمْ نَرِ فِيهِ شَيْئًا يَقْسِمُ! فَقَالَ: وَمَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا؟ قَالُوا: بَلَى، رَأَيْنَا قَوْمًا يَصِلُونَ، وَقَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَقَوْمًا يَتَذَكَّرُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَيَحْكُمُ، فَذَلِكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ ﷺ (2).

(1) - أخرجه أحمد في المسند، 18/30، برقم: 18095، وأخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم (ت405هـ)، (181/1)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411 - 1990.

(2) - أخرجه الطبراني، أنظر: المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني (ت360هـ)، (115/2)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد،

وقال أبو واقد الليثي رضي الله عنه، بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد والناس معه، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فوقفوا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فوجد فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم فلما فرغ رسول الله ﷺ، قال: "ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، والآخر فأعرض، فأعرض الله عنه" (1).

فبناء المساجد وعمارتها وإعدادها لأداء وظائفها المختلفة هو من أفضل القربات إلى الله تعالى قال تعالى: "إِنَّمَا يَعْزُمُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ" 2. وقال ﷺ: "من بنى مسجداً - قال بكبير: حسبت أنه قال: يبتغي به وجه الله - بنى الله له مثله في الجنة" (3).

والناظر في التاريخ الاسلامي يجد أن المساجد هي من أهم المؤسسات الخيرية الوقفية، حيث كان لها الدور الأكبر في تطور العلم الشرعي والنهوض به، وفي التقدم المعرفي وتنمية الحركة العلمية الشرعية، فتعقد فيه الحلقات العلمية من دراسة وتحفيظ القرآن الكريم، ودراسة اللغة العربية وغيرها من العلوم، التي تُعقد في كثير من المساجد، والحلقات التثقيفية، والوعظ، والحلقات الارشادية التي لا يخفى على أحد دورها في الارتقاء الفكري والمعرفي فضلاً عن النمو السلوكي في حياة الناس.

فالمساجد تحتاج إلى دعائم بشرية حتى تسهم في تطور العلم الشرعي وفي تطور التنمية الدينية والعلمية وتعزيز التقدم المعرفي، وقد أدرك المحسنون من المسلمين قديماً وحديثاً هذه المعاني، فوقفوا الأموال الكثيرة - المنقولة وغير المنقولة - على أئمة المساجد وخطبائها والمعلمين والمؤذنين فيها، كما وقفوا على طلاب العلم الذين يجلسون في حلقاتها الدراسية، وعلى القائمين برعايتها وإضاءتها وتنظيفها (4).

2. وقف الكتابات لتطوير العلم الشرعي: تعريف الكتابات: هي جمع كُتَاب، وهو مكان للتعليم الأساسي، كان يقيم غالباً بجوار المسجد، لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم،

عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة

1 - (أخرجه البخاري في صحيحه ، باب الحلق والجلوس في المسجد، برقم: 474

2 - (التوبة، الآية 18.

3 - (أخرجه البخاري في صحيحه ، باب من بنى مسجداً، برقم: 450

4 - (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، للنوشرسي، إخراج د. محمد حجي ورفاقه، (334/7) دار الغرب الإسلامي ببيروت، من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، (198-199-200)، دار الوراق المكتب الاسلامي، دُور الوقف في

تعزيز التقدم المعرفي، حسن عبد الغني أبو غدة، بحث نشر على موقع <http://fiqh.islammessage.com>.

وشيء من علوم الشريعة والعربية، والتاريخ والرياضيات وهو أشبه بالمدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر.

وانتشر الوقف على الكتاتيب التي تهتم بتعلم العلوم الشرعية ودور التعليم بعامة انتشاراً واسعاً في الحضارة الإسلامية، مما كان لها أثرٌ واضحٌ في نشاط حركة التعليم عند المسلمين. وأول مركز للكتّاب كان أيام النبي ﷺ، جعل فداء بعض أسرى بدر ممن لا مال لهم، أن يُعَلِّم الواحد منهم عشرةً من الغلمان الكتابة فيُخَلِّي سبيلَهُ.

ولما كان تعليم الأولاد يعد واجباً دينياً، وأمرأً شرعياً، فقد فتوى أولياء الأمور والمحسنون المسلمون، احتساباً لوجه الله تعالى ورغبةً في نيل الخير والرضى من الله أمر إنشاء الكتاتيب لتعليم الناشئة والإنفاق عليها، وشارك في هذا الفضل المعلمون الذين كانوا يقومون بمهمة التدريس احتساباً، وخاصة في العهد الأول للإسلام. وقد انتشرت الكتاتيب العامة الموقوفة عبر العصور المختلفة في كل أنحاء العالم الإسلامي، وكانت من الكثرة بحيث عد ابن حوقل ثلاثمائة كتاب في مدينة واحدة من مدن صقلية، وكانت من الاتساع أحياناً بحيث يضم الكتاب الواحد مئات وآلاف من الطلاب(1).

وكان لها دور كبير في تطور العلم الشرعي فقد كان لا يتولى ويقوم على مهمة التعليم في الكتاتيب إلا من كان معروفاً بالأخلاق الفاضلة، والخصال الحميدة، مع الخبرة التامة في قراءة القرآن الكريم، والإلمام بعلوم الحديث، ومعرفة العربية وعلومها، وبعض العلوم الأولية في الجغرافيا، والتاريخ، والعلوم، والعمليات الحسابية الأربعة، وبعض المهارات الحياتية. وكانت توقف على هذه الكتاتيب العقارات والمنقولات العينية، لتكون سيولة وأرصدة مالية مستمرة، تُنفق على الأساتذة والطلاب، وعلى ما يحتاجون إليه من وسائل وأدوات تعليمية ومرافق أخرى².

وقد أصدرت العديد من الجهات العلمية والتربوية والبحثية توصيات عدة، تُطالب فيها بضرورة إعادة دور "الكتاتيب"، وتفعيله كجهة مساندة للمؤسسات التعليمية الحديثة، في تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم اللغة العربية، وتعميق القيم الدينية، وغرس الخلق والفضيلة، ورعاية النشء، وصياغتهم صياغة سليمة، وبخاصة قبل دخولهم إلى المؤسسات التعليمية الحديثة³.

3. وقف المدارس والجامعات لتطوير العلم الشرعي: لقد انتشرت المدارس الوقفية المنفصلة

1 - من روائع حضارتنا، السباعي، 206

2 - المصدر السابق.

3 - مجلة "الفيصل" العدد 275، http://lisaanularab.blogspot.com/2014_blog-post_77.htmK/01، وانظر <http://fiqh.islammassage.co>

عن المساجد والمستقلة بحلقاتها العلمية، وكانت المدارس عبارة عن مؤسسات تعليمية مستقلة، اختير للتدريس فيها من خيرة العلماء وأكثرهم شهرة.

والمتتبع للتاريخ الإسلامي يدرك مدى الاهتمام والعناية بإنشاء المدارس الوقفية التي انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي، إذ كان التسابق نحو إنشائها وإقامتها ظاهرة واضحة للعيان وقد شارك في هذه الأنماط الوقفية قطاع عريض من المجتمع خلفاء وسلطين، وأمراء وأثرياء وعلماء وبعض عامة الناس.

وقد كانت هذه المدارس تعتمد على الأوقاف من حيث الإنشاء والإنفاق عليها، وكان التعليم فيها مجانياً ولمختلف الطبقات فلم يكن يدفع الطلاب في دراستهم أية رسوم، ولم يكن التعليم فيها محصوراً بفئة من أبناء الشعب دون فئة فكان يجلس ابن الغني بجانب ابن الفقير، وابن التاجر بجانب ابن الصانع والمزارع.

وكانت الدراسة فيها قسمين: قسم داخلي للغرباء والذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات آبائهم وقسم خارجي لمن يريد أن يرجع في المساء إلى بيت أهله وذويه¹.

وغالباً ما بدأت تظهر المدارس أو ما يسمى في العصر الحديث بالكليات الجامعية - بعد إقامة المدرسة النظامية ببغداد لكن ومع تقدم الأمة الإسلامية ورتقي حضارتها بدأت تنتشر المعاهد المتشابهة أو المدارس الأهلية - ونقصد بالأهلية التي كانت قائمة على الأهالي والأوقاف بقدر كبير غير خاضعة لمؤسسة الخلافة وخصوصاً في القرن 6هـ/12م.

وكانت الهجرة لطلبة العلم غالباً ما تتم من الأرياف والقرى إلى المراكز المدنية والتعليمية، مثل الكوفة وبغداد والقيروان وغيرها حيث النهضة العلمية فيها هائلة، ومما ساعد هؤلاء على تلقي العلم ما جعل من الأوقاف والأموال المخصصة لطلبة العلم وابن السبيل، كما يقول ابن خلدون عن هذا الوضع التعليمي: ووجود الإعانة لطلاب العلم بالجراية من الأوقاف².

وكان من أشهر المدارس في التاريخ الإسلامي المدارس النظامية وهي التي أنشئت عندما فتح السلاجقة الأتراك خراسان في أواخر القرن الرابع الهجري.

ومن أشهر المدارس الوقفية في الدول الإسلامية المدرسة الظاهرية التي أنشأها الظاهر بيبرس في القاهرة سنة 626هـ وأوقف عليها المال وأغدق عليها، مما جعلها أجمل مدرسة في مصر، ومنها

1- من روائع حضارتنا، السباعي، 206.

2- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون (ت808هـ)، (551/1)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ط2، 1408 هـ - 1988م.

المدرسة المسعودية ببغداد، والتي بناها مسعود الشافعي، وجعلها وقفاً على المذاهب الأربعة بجانب تدريس العلوم والطب. وكذلك المدرسة الصلاحية بحلب، وأوقفها الأمير صلاح الدين يوسف الدودار. والمدارس الأربعة بمكة المكرمة والتي بناها السلطان سليمان سنة 927هـ وأوقف عليها أموالاً طائلة لتدريس المذاهب الأربعة.

وقد كثرت المدارس الوقفية وخاصة في المشرق كثرة هائلة، حتى أن ابن جبير الرحالة الأندلسي هاله ما رأى في المشرق من كثرة وكان يقول لأبناء الغرب الإسلامي أن يذهبوا إلى بلاد الشرق الإسلامي - وخصوصاً مراكز الحواضر كدمشق التي كان فيها وقت زيارة ابن جبير لها أربع مائة مدرسة موقوفة - كي ينعموا بالكثير من الامتيازات والمنح المتوفرة في المشرق، خصوصاً وأن نظام الوقف في بلاد المشرق الإسلامي قد تطور واتسع ليشمل جميع قطاعات وفئات المجتمع آنذاك، إذ يقول: " والبلاد الشرقية كلها على هذا الرسم، لكن الاحتفال بهذه البلدة - يعني دمشق - أكثر والاتساع أوجد، فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات كثيرة، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها¹.

وإن الناظر في الحضارة الإسلامية يلاحظ أن الأموال الموقوفة كانت أحد الأسباب والعوامل المهمة في دفع الحركة التعليمية في البلاد الإسلامية وتنشيطها وتطويرها، ونشر التعليم، ومكافحة الأمية، وبناء الحضارة الإسلامية. وقد تخرج من المدارس الموقوفة الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء، والمفكرين، والدعاة، الذين كان لهم بفضل الله دور بارز في خدمة الأمة الإسلامية وإخراجها من الظلمات إلى النور، فكانت الأوقاف هي العمود الأساسي والمعين لهم.

4. وقف المكتبات لتطوير العلم الشرعي: كانت المكتبات مدارس للتعليم ومؤسسات ينفق عليها الأمراء والعلماء والأثرياء، لينتشر العلم بين الناس، وخصوصاً في ذلك الزمن الذي لم تكن فيه الطباعة موجودة، وكانت الكتب تنسخ على أيدي نسخ متخصمين لهذا العمل. فكان يبلغ بذلك ثمن الكتاب حداً قد يتعذر على طالب العلم أو العالم شراؤه². فالمكتبات من أقوى وسائل نشر العلم، ولأهمية الكتب لطلاب العلم والعلماء من جهة وللارتفاع أسعارها من ناحية أخرى، قام المحسنون ومحبو العلم والمقتدرون بإنشاء المكتبات الوقفية وفتحها أمام طلاب العلم، ووقفوا عليها الأموال الوفيرة تقرباً إلى الله تعالى، وسعيًا إلى التقدم العلمي في مجتمعاتهم.

1 - الوقف وبنية المكتبة العربية، يحيى محمود ساعاتي، (76-102)، ط2، 1416هـ-1996م، من روائع حضارتنا، السباعي، 206-218، رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد ابن جبير، (ت614هـ)، (232/1)، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

2 - من روائع حضارتنا، السباعي، 246.

وقد انتشرت خزائن الكتب الوقفية في أرجاء العالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري، لدرجة أننا قلما نجد مدينة تخلو من كتب موقوفة، وأصبحت هذه المكتبات بما فيها من كتب قبلية لطلاب العلم تعينهم على التزود بكل جديد، وتوفر لهم فرص مواكبة الأفكار والآراء المدونة لمؤلفين من أنحاء العالم الإسلامي.

وقد تنوع الوقف في هذا المجال فشمّل وقف مكتبات بأكملها، ووقف الكتب على المدارس والمساجد والمشافي والربط...، كما كان هناك نوع من الوقف يتمثل في وقف كتب عالم بعد وفاته على أهل العلم أو على ورثته، وأوقفوا المكتبات المستقلة، أو تلك التي تكون في مدارس أو مساجد بتوفير دخل مادي ثابت لها صيانتها وترميمها، وتحمل التكاليف المادية للعاملين فيها.

أما الأبنية الخاصة بالمكتبات، فقد كانت تشتمل على حجرات متعددة تربط بينها أروقة فسيحة، وكانت الكتب توضع على رفوف مكتبة بالجدران، تخصص كل غرفة لفرع من فروع العلم، وكان فيها أروقة خاصة للمطالعين، وغرف خاصة للنساخ الذين ينسخون الكتب وغرف لمبيت الغرباء منهم¹.

ومن أشهر المكتبات الوقفية العامة في التاريخ الإسلامي:

1- دار العلم في الموصل: وتعتبر هذه الدار أول مكتبة وقفية في الإسلام، وقد أنشأها أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلية الفقيه الشافعي، في أوائل القرن الرابع الهجري. وكانت تضم عددا كبيرا من الكتب في معارف شتى، نظرا لتنوع اهتمامات ابن حمدان نفسه، الذي كان مهتما بالفقه والشعر والأدب والتاريخ والنجوم².

2- دار العلم في بغداد: هذه الدار هي مكتبة عامة، قام بوقفها الوزير سابور بن أردسير في سنة 471هـ، وجعل فيها كتبا كثيرة، ووقف عليها غلة كبيرة، وكانت في منطقة بين السورين في بغداد. وقال عنها ابن الجوزي في معرض التعريف بسابور: وابتاع دارا بين السورين في سنة 181هـ، وحصل إليها كتب العلم من كل فن وسماها دار العلم، وكان فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد، ووقف عليها الوقوف وبقيت سبعين سنة³.

وكانت هذه المكتبات بكتبها الوقفية، بالإضافة إلى المكتبات الخاصة، مثل مكتبات الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وراء حركة الازدهار الفكري والثقافي التي شهدها العالم الإسلامي على مدى قرون طويلة⁴.

1- (الوقف وبنية المكتبة العربية، يحيى محمود ساعاتي، 32-33، من روائع حضارتنا، السباعي، 248.

2- (الوقف وبنية المكتبة العربية، يحيى محمود ساعاتي، 36.

3- (المصدر السابق، 37.

4- (المصدر السابق، 55.

المطلب الرابع: اقتراحات وقفية معاصرة لتطوير العلم الشرعي:

1. العمل على وقف الجامعات المستقلة بتعليم العلم الشرعي، وأن تخصص موارد مالية لدعم الطلبة وخاصة طلبة الدراسات العليا في كليات العلم الشرعي، فالناظر للجامعات في عصرنا يلاحظ غلاء التعليم وخصوصاً في قسم الدراسات العليا، فالكثير من الطلبة اليوم لم يعد قادراً على دفع تكاليف وأقساط التعليم، مما أدى إلى دفن الكثير من الأحلام والطموحات للمبدعين والمتفوقين في مجال العلم الشرعي، ولوأن هذه القدرات والكفاءات استغلت ووجهت بالاتجاه الصحيح لنتج للأمة الكثير من العلماء الحريصين على رفع راية العلم الشرعي.
2. العمل على إقامة مؤسسات وقفية لطباعة الرسائل الجامعية في تخصصات العلم الشرعي، والاستفادة من القدرات العلمية للطلبة في قسم كلية الدراسات العليا في الشريعة. وترجمة وطباعة الكتب الشرعية المفيدة للغات الأخرى، وترجمة وطباعة البحوث الشرعية، وطباعة الدراسات التي تناقش في المؤتمرات والجامعات، وتوزيعها مجاناً أو بأسعار رمزية، وطبع المحاضرات الشرعية على أشرطة الفيديو، والكاسيتات، وأقراص الكمبيوتر، وتوزيعها مجاناً.
3. إصدار المجلات الخاصة بالعلوم الشرعية التي تضم بطياتها كل تقدم وتُحلَّلها من منظور إسلامي، وتمويلها من مال الوقف، وتوزيعها على الطلاب، وعمل المسابقات التي تحفز الطلبة على دراسة تلك المجلات وصرف المكافآت التحفيزية والتشجيعية من الأوقاف.
4. تخصيص جزء من مساقات التربية الإسلامية في المدارس والثقافة الإسلامية في الجامعات عن الوقف بحيث يكون إلزامي، واعتماده ليدرس في المدارس والمعاهد والجامعات.
5. إنشاء المراكز الوقفية التي تكون خاصة بعمل البحوث الشرعية ودعمها من الأوقاف وتقديم كافة المستلزمات.
6. إنشاء المكتبات الوقفية وقف الكتب فهذا متيسر لكثير من الناس أن يشارك في هذا النوع من الوقف نظراً لقلّة كلفة الكتاب في هذا العصر، وسهولة الحصول عليه ونشره، هذا ويمكن أن يشجع الناس على هذا النوع من الوقف ببرامج توعوية تثقيفية في المدارس والجامعات، ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، وعبر المطويات والنشرات التعريفية بأهمية وقف الكتب لطلاب العلم والباحثين من خلال وسائل متنوعة، منها:
 - أن يشتري الواقف مجموعة من الكتب النافعة، ويقوم بوقفها على المكتبات العامة ومكتبات الجامعات وغيرها.
 - أن تعد قائمة بالكتب المهمة التي يحتاج إليها الباحثون وطلاب العلم مقرونة بأسعارها، ومن ثم يتم شراؤها بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة.

- أن يقوم مؤلف الكتاب بوقف نسخ معينة من كتبه للمكتبات العامة، ووقف حقوق طبع الكتاب ونشره لمن أراد نشره مجاناً، فيكون بذلك قد وقف ما يملكه من حقوق معنوية للكتاب¹.
- 7. وقف البرامج الحاسوبية والأجهزة، بحيث يمكن شراء نسخ من البرنامج العلمي، ومن ثم توفيره للمكتبات العامة ومراكز الأبحاث، أو إهداؤه للباحثين وطلاب العلم، لمن يرغب الوقف بهذا النوع، ويتوفر في هذه البرامج غالباً محرك بحث، وقد تم إصدار عدد من البرامج المتخصصة في الفقه من الكتب التراثية².
- 8. وقف القنوات الفضائية، والوكالات الإسلامية، والمحطات الإذاعية، التي تختص بعرض العلوم الشرعية، واستقبال تساؤلات الناس وعرضها على العلماء والمختصين في العلوم الشرعية ومناقشتها وإبداء الحلول لها.
- 9. وقف إقامة المؤتمرات الشرعية التي تعمل على التواصل العلمي بين العلماء والباحثين والمؤسسات العلمية، التي تخدم الأمة، وتسهم في النهضة، والتي تساعد على دراسة مشكلات الأمة الإسلامية وتحليلها، وإيجاد الحلول المناسبة، والتي تعمل على تعزيز الوعي بالعلم الشرعي وبيدوره وأهمية النهوض به.

الخاتمة

وتشتمل على أهم التوصيات.

لتفعيل دور الوقف في تطوير العلم الشرعي، يمكن التأكيد على أهم التوصيات على النحو التالي:

1. وجوب تنمية الوعي الديني لدى المسلمين وخاصة الأغنياء، وتوجيههم إلى أهمية الوقف، وإسهاماته العظيمة في النهضة العلمية في المجتمع الإسلامي، ووضع خطة إعلامية تتولى تنفيذها المؤسسات الدعوية الحكومية والخاصة، والاستفادة من رجال الدعوة الإسلامية الثقات، وعمل لوائح شرف للواقفين على العلم الشرعي وأهله، حتى يكونوا قدوة لكافة الناس في بذلهم ومنحهم للعلم.
2. العمل على تشجيع الناس على الوقف للجامعات المستقلة الخاصة بتعليم العلم الشرعي، وأن تخصص موارد مالية لدعم الطلبة في كليات العلم الشرعي وإنشاء مؤسسات وقفية لطباعة الرسائل الجامعية في تخصصات العلم الشرعي، وإخراج الكتب المخطوطة ونشرها والاستفادة من القدرات العلمية للطلبة.
3. الاستفادة من الوقف في ترجمة وطباعة الكتب الشرعية المفيدة للغات الأخرى، وترجمة وطباعة البحوث الشرعية، وطباعة الدراسات التي تناقش في المؤتمرات والجامعات وترجمتها للغات الأخرى.

1- دور الوقف في دعم البحث العلمي (دراسة فقهية)، عبد الله بن محمد العمران، بحث منشور aria/net.alukah.www

2- (المصدر السابق).

4. وقف المواقع والمراكز والمكتبات على الشبكة العنكبوتية (الانترنت)، مهمتها التعريف بالعلوم الشرعية، ومقاومة الحملات التبشيرية وتحصين المسلمين.
5. وقف المؤتمرات الشرعية التي تعمل على دراسة كل المستجدات الجديدة المعاصرة، والتي تقوم بدورها على التواصل العلمي بين العلماء والباحثين، والتي بدورها تقوم على تطوير العلم الشرعي ونشره وتزويده بكل احتياجاته.
6. التنسيق مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والاستفادة من ريع بعض الأوقاف في المجال التعليمي الشرعي.
7. وقف المكتبات الشرعية وتزويدها بالكتب النافعة الشرعية وكل الكتب الجديدة.



التحديات التي تواجه كليات الشريعة وطلبتها وسبل مواجهتها



الدكتورة سرين محمد أسعد طعيدي*:

*حاصلة على درجة الدكتوراه في العقيدة والفلسفة الإسلامية، محاضرة غير متفرغة في جامعة القدس المفتوحة فرع نابلس / طولكرم، كاتبة في موقع بصائر الالكتروني، موقع دواوين، شاركت في المؤتمر الدولي السادس في جامعة النجاح الوطنية حول "تعاطي المخدرات الأسباب والآثار والعلاج من منظور إسلامي واجتماعي وقانوني"، عملت مدرسة في خليل الرحمن، علماء الغد الإسلامية / رام الله

تمهيد: أهمية التعليم الشرعي وأثر كليات الشريعة في المجتمع

يُعنى التعليم الشرعي وكليات الشريعة بإعداد الفرد الصالح دون الاكتفاء بالاهتمام بالفرد فحسب بل يتعداه إلى الاهتمام بالمجتمع حيث أن الفرد هو اللبنة الأساسية في إصلاح المجتمعات، فكليات العلوم الشرعية هي بمثابة المنارة التي ترسل نورها لتبديد ظلمات الجاهلية التي تحاول طمس كل ما من شأنه أن يحجّر الإنسان من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد والسعي من أجل رقيه وأخذ مكانته في مركزية الكون ليكون العنصر الفعال الذي يعمر هذه الأرض وفق مشيئة الله.

ولا يخفى على أحد أنّ الأمة اليوم تمر بأزمات جليلة وتواجه تحدياً غير نزيه ليتحول إلى هجمة شرسة تحاول جاهدة أن تنال من ثقافة هذه الأمة وحضارتها، ماضيها وحاضرها، وأدركت شياطين الإنس أنّ إصابة الهدف وتحقيق الغاية لا يتم إلا من خلال الوصول إلى مناهج التعليم والعبث بها وفق خطة مدروسة ولا سيما التعليم الشرعي.

فالتحديات التي تواجه كليات الشريعة وطلبتها من أجل وأعظم التحديات إذ تحاول هذه التحديات أن تفرغ كليات الشريعة من مهمتها وغايتها وتعمل جاهدة على تحويل طلاب العلوم الشرعية إلى آلات تحفظ المعلومات دون أن تفهم فحواها، حالهم يناقض أقوالهم فيحفظون النصوص دون أن يعملوا بما جاء بها، فامتدت يد غريبة عن ثقافتنا وحضارتنا لتضع لنا المقررات التي ندرسها وندرّسها، تحذف مواضيع وتقرر أخرى، تغيير وتقدم وتؤخر، ونحن نسلمها زمام الأمر وكأننا في غيبوبة لا ندري حجم المصيبة التي تترص بنا، لأنّ تلك العقلية المدبرة لكل هذا تدرك أنّ العلم الشرعي هو الذي بدل مجرى التاريخ وأخرج من قلب الصحراء خير أمة قادت مركب الحضارة والرفق بعدما كانت أقواماً متناحرة يأكل القوي فيها الضعيف فأمست الرائدة في كافة المجالات.

فلا عجب إذن أن يستهدف التعليم الشرعي لتعود الأمة كما كانت من قبل وجوده أحزاباً وشيعاً متفرقة متناحرة، فوضعت العراقيل بطريقه وحورب رواه ووجهت إليه التهم بعدم ملاءمته لشؤون العصر وعدم مناسبته للحدثة التي تسير الأمة في منظومتها اليوم، فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على التحديات التي تواجه كليات الشريعة وطلبتها وسبل ومواجهتها.

المبحث الأول: التحديات التي تواجه طلاب العلم الشرعي

المطلب الأول سياسة التربية والتعليم

الإنسان في مقتبل عمره يقضي جلّ وقته في المدرسة متأثراً بما يحيط به من مشرفين ومدرسين، فالمنهاج والمدرس لهما من القدسية ما يجعل التلميذ يقتنع بما يطرحانه عليه أكثر. في بعض الأحيان - من أفراد أسرته، وما يتلقاه في المدرسة من قيم ونظرة للأمور عادة يشب عليها ويشيب فهي إلى حد ما مسؤولة عن توجهاته وتطلعاته المستقبلية وعن كيفية النظرة التي يقيس بها الأمور وينظر إليها من خلالها، فالمدرسة هي التي تغرس وتبذر البذور في قلوب وعقول روادها وما بعد ذلك إنما هو سقاء لهذا الزرع.

وتتمثل مسؤولية وزارة التربية والتعليم في عدة أمور:

أولاً: تحديات تتعلق بالجهات المسؤولة:

المشكلات التي تواجه طلاب العلم الشرعي إنما تتعلق بداية بضعف التعليم في المراحل الأساسية ويمتد هذا الضعف طول سنوات الدراسة حتى يطال التعليم الجامعي، ويرجع هذا الضعف إلى منظومة التعليم في ظل السلطات المسؤولة، حيث يخضع التعليم الديني ومناهجه للتوجيه الرسمي ولا يكاد يخلو من التسييس والتدخل في وضع مباحث المقررات إضافة إلى أنه يأخذ مكانة دون مكانة المقررات الأخرى كما أنه لا يحظى بالتخطيط والدعم المادي اللازم فيقل الاهتمام به مدرسياً وجامعياً⁽¹⁾.

إضافة إلى درج مادة التربية الإسلامية من ضمن المباحث التي يستطيع الطالب حذفها في الثانوية العامة، فتكون هذه الجهات هي المسؤولة عن النظرة التي ينظر بها الطالب ومنذ نعومة أظفاره بأن دراسة التربية الإسلامية هي دون التخصصات الأخرى في الأهمية فستان بين المهندس والدكتور وأستاذ الشريعة⁽²⁾.

ثانياً: تحديات تتعلق بالمدرس:

معلوم لدينا مدى ارتباط التلميذ بأستاذه وثقته به وتلقيه عنه، فبقدر ارتباط التلميذ بأستاذه يكون ارتباطه بالمادة العلمية التي يدرسها هذه الأستاذ، فكم سمعنا عن طلاب كان السبب في نفورهم من دراسة تخصص ما إنما هو نفوره بداية من أستاذ تلك المادة في مراحل دراسته الأولى

1- الصمدي، خالد. حلي، عبد الرحمن: أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ط1، ص132، دار الفكر دمشق، (1428هـ_2007م).

2- أنظر حول الموضوع www.alwatan.com

وأيضاً يصح العكس، ونجد أنّ ذكريات الطالب حول مقرر التربية الإسلامية ومدرستها هي الأسوأ من بين المقررات الأخرى.

كما أنّ مدرس مواد التربية الإسلامية لا بد أن تتوافر فيه الكفاءة العلمية في تخصصه، إذ أن ضعف تأهيله العلمي وعدم مواكبته لوسائل التقنية الحديثة وعدم استخدامها في تدريسه وإتباعه أسلوب التلقين والحفظ وبناء الحواجز بينه وبين الطلاب، فيتحوّل تعليمه من رسالة وأمانة إلى مجرد وظيفة ينتظر فراغه منها، كل هذا يجعل المدرس من أكبر التحديات والمعوقات التي تواجه التعليم الشرعي⁽¹⁾.

كما أنّ في سياسة التربية والتعليم إمكانية إسناد تدريس مواد التربية الإسلامية لغير المتخصصين إذ لا يوجد في قوانينها ما يمنع من تكميل نصاب مدرس التاريخ أو اللغة العربية أو أي تخصص آخر من نصاب التربية الإسلامية من جهة ومن جهة أخرى بحجة أنه بمقدور أي شخص أن يدرس هذه المادة وهذه خطأ فادح؛ لأنه قد يسند تدريس التربية الإسلامية لأستاذ قد يحمل أفكاراً أو ينتهج سلوكاً مناقضاً لما يقوم بتدريسه لطلاب هذه المواد، كما من الضروري الأخذ بعين الاعتبار أنّ كل شخص أعلم بتخصصه وبدقائقه فحتى مدرس اللغة العربية مهما بلغت مهارته في تخصصه إلا أنّ هناك من الأمور ما تغيب عنه وتحتاج إلى تخصص في المادة، وهذه المشكلة من المشكلات التي تناولها الدكتور وجيه المرسي قائلاً: "إن معلم التربية الإسلامية هو نفسه معلم اللغة العربية - قد لا تتوافر فيه الجوانب الفنية - هذا فضلاً عن الجوانب الأخرى - التي تمكنه من القيام بعمله على أكمل وجه. فبعض المعلمين - مثلاً - لا يستطيع قراءة آية من القرآن، وإن قرأها فلا يقرؤها بالطريقة السليمة، وإن قرأ الحديث صحيحاً فربما وقف عند المعنى الظاهر فقط، ولا يستطيع توجيه ما فيه من أحكام شرعية وغيرها"⁽²⁾.

وفي حالة توفر مدرس متخصص بالعلوم الشرعية فإنه لا يراعى اختياره وفق معايير خاصة بالتخصص الذي يدرسه إذ أنّ بعض المدرسين يفتقدون الكفاءة العلمية والشخصية التي تراعى في تخصصات غير تخصصات العلوم الشرعية، فما زال مدرس مادة التربية الإسلامية يعاني قلة الاهتمام في سياسة التربية والتعليم والذي توليه لغيره من المدرسين، فكثيراً ما تعقد مديريات التربية والتعليم دورات من شأنها الرقي بالمدرسين وتزويدهم دائماً بالإعداد الكامل الذي يحتاجه المدرس، وأكبر دليل على ذلك فقدان آلية التعاون بين وزارة الأوقاف ووزارة التربية والتعليم لعقد

1- انظر حول الموضوع الصمدي، خالد، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص140.

2- من مقال مشكلات تواجه تدريس التربية الإسلامية، الدكتور وجيه المرسي. kenanaonline.com

دورات تؤهل مدرسي التربية الإسلامية ولا سيما فيما يتعلق بمقرر التلاوة والتجويد، لذا لا عجب أن تجد المدرس للمنهاج نفسه لا يتقن المادة العلمية التي يقوم بتدريسها.

ثالثاً: تحديات تتعلق بالمناهج والمحتوى العلمي:

تقع على التربية والتعليم مسؤولية كبيرة عما تقدمه من مناهج وما يحتويه هذا المنهاج فعليها أن تعد مناهج توافق تطورات المجتمع وحاجات أفراده لأن تقرر مناهج قائمة فقط على الحفظ متجاهلة المعنى الذي يجب أن يغرس في نفوس الطلاب، إذ أن من أهم المشكلات التي تواجه التعليم الشرعي وتدرسه هي المناهج والمواد التعليمية التي تهتم بالكم لا بالكيف وعدم ربط النصوص مع الواقع وعدم ملامستها لتطورات ومشكلات العصر، فكثيراً ما تدرس ويركز على المسائل القديمة والتي لا علاقة لها بالواقع وتُغفل الكثير من مستجدات العصر⁽¹⁾.

ويكثر الحشو في المواد وتصبح النصوص ثقيلة مملة لطالب العلم لأنها تركز على حفظ المعلومات دون الانتباه للغاية والهدف الأسمى لهذه المواد، فبمجرد الانتهاء من المادة تتبخر المعلومات ولا تترجم في سلوكيات الطالب فتجد الفرق والتناقض الشاسع بين ما يحفظ من نصوص ومعلومات وبين حاله وسلوكياته؛ لأنَّ المناهج الدينية لا تحقق الأهداف المرجوة منها ولأنها لا تلامس واقع التلاميذ وتفاصيل حياتهم اليومية.

وهذا ما ذكره الدكتور في مقال له حول المشكلات التي تواجه تدريس التربية الإسلامية إذ يقول متطرقاً لبعض هذه المشاكل: "إن العملية التعليمية تعامل التربية الدينية كمادة دراسية، يتم فهمها واستيعابها بهدف النجاح في الامتحان. وهو أمر لا يتفق مع طبيعة التربية الدينية، بل إنها تتراجع في أهميتها المدرسية إذا ما تعارضت مع اللغة العربية بفروعها المختلفة وسائر المواد الأخرى، إن كتب التربية الإسلامية ينبغي أن تتضمن بعض القضايا، والموضوعات المعاصرة والملحة التي تواجه الشباب في حياتهم. وتعرض هذه القضايا والموضوعات عرضاً علمياً ومعها رأى المتخصص فيها، حتى لا يقع الشباب في بلبلة يلجأ بعدها إلى من يفتون في الدين بغير علم"⁽²⁾.

المطلب الثاني: معدلات القبول المتدنية في كليات الشريعة

لم تتوقف النظرة الدونية وتهميش مواد التربية الإسلامية على المدرسة فحسب، إنما هذه سياسة ممنهجة وضعت الخطوات الأولى على دريها وزارة التربية والتعليم مبتدئة من المدارس

1- انظر حول الموضوع الصمدي، خالد، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص140.

2- من مقال مشكلات تواجه تدريس التربية الإسلامية، الدكتور وجيه المرسي. kenanaonline.com

لتستمر هذه السياسة حتى التعليم الجامعي وما بعده، وتمثل هذه السياسة المتبعة في الجامعات في معدلات القبول المتدنية لكليات الشريعة وكأن هذه الكليات حكر على ذوي القدرات العقلية والعلمية المحدودة والمتدنية، فمعدلات القبول في كليات الهندسة والطب والصيدلة وغيرها تبلغ أعلى المعدلات في حين معدلات القبول في الكليات الشرعية تبلغ أدنى مستوياتها إذ يقبل عادة على دراسة هذه العلوم من لم يحالفه الحظ في الثانوية العامة أو لم يحصل على معدل يؤهله لدخول الكليات العلمية أو بسبب عجز مادي حال بينه وبين اللحاق بهذه الكليات ذات التكلفة المادية المرتفعة، فحفاظاً على نظرة المجتمع له ولحرصه المستميت أن يكون من أصحاب الشهادات يدخل هذه الكليات الشرعية اضطراراً ليس حباً ولا اقتناعاً.

والذي وضع هذه السياسة إنما يغرس في ثقافة المجتمع تقديم العلوم المادية التي تُعنى بعمران البلدان وصحة الأبدان على تلك العلوم التي تسعى بداية لإعداد الإنسان الصالح الذي يقوم بعد ذلك بعمارة الأرض على أفضل وجه وأكمل حال تحقيقاً للغاية التي من أجلها خلق لقوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [سورة البقرة: آية 30] والإنسان إذا نشأ على هذا المفهوم من الاهتمام بالشكليات والماديات إنما يسير بكلتا رجليه نحو الهاوية وهو ما نراه اليوم ملحوظاً من تدهور المجتمعات والذي هو نتيجة لتقدمها المادي منفصلاً عن تقدمها الروحي والفكري.

فبناء الإنسان والاهتمام بطاقاته الوجدانية والروحية يفوق الاهتمام بالعمران والصحة الجسدية لأن الأخيرة هي نتاج صحة الإنسان فكرياً وروحياً، فاعتلال الفكر والروح عند الإنسان إنما هو مرض عضال آثاره السلبية تنتشر في المجتمع انتشار النار بالهشيم فيأكل معه كل تقدم عمراني، إذ يفرز لنا جيلاً لا انتماء له لا لوطن ولا حتى لدين، يترخ بالسقوط إثر السقوط.

ثم على أصحاب الشأن أن لا يغفلوا النفسية التي تنشأ عند الطلبة الذين يدخلون هذه الكليات إذ يبقى الطالب مضطرب الشخصية ضعيف الثقة بالنفس مقارنة بأقرانه الذين انتسبوا لكليات ذات معدلات قبول مرتفعة، فيتركز اهتمامه على التحصيل والدرجات العلمية دون العناية بتطبيق ما يتعلمه في سلوكه وأخلاقه فيخرج لنا جيل يصف لنا واقعه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) [سورة الصف: آية 2] فيغيب عن وعي طالب العلم الشرعي الهدف الذي يكمن وراء هذه العلوم وهو إعداد الفرد الصالح إعداداً صحيحاً سليماً معافاً في دينه وقلبه وفكره وجسده ليحقق الغاية التي من أجلها خلق (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [سورة آل عمران: آية 110] تمهيداً لإخراج خير أمة أخرجت للناس، ومن لم يضع نصب عينه هذه الغاية من العلوم الشرعية إنما يعكس الصورة السلبية عن التعليم الشرعي فيغيب أثره وأثار

طلاب العلم الشرعي عن واقع الحياة لأنهم بداية أغفلوا الغاية والهدف من العلوم الشرعية، وقد جاء تحت عنوان الضعف العلمي والثقافي لطلاب الكليات الشرعية: "الهزيمة النفسية والنظرة السلبية للعلوم الشرعية عند البعض، فلا يدخل كلية الشريعة مثلاً إلا إذا تأخرت به درجته عن اللحاق بركب الأطباء والمهندسين والاقتصاديين والإداريين، فيلتحق بالكلية الشرعية ليكمل بها نقصاً ولتجاوز هذه المرحلة" (1).

المطلب الثالث: ضعف اللغة العربية عند طلاب الشريعة

نزل القرآن الكريم باللغة العربية فكان بذلك أكبر هدية قدمت للعرب قاطبة وهي حفظ اللغة العربية من الضياع، واللغة العربية أساسية لفهم الشرع الحنيف، ولا بد لكل إنسان يدخل في هذا الدين العظيم أن يكون عنده إلمام يؤهله لقراءة الخطاب الرباني المتمثل في القرآن الكريم، وبالرغم من أهمية اللغة العربية وارتباطها الوثيق بالشريعة الإسلامية إلا أننا نجد قلة مواد الساعات المعتمدة للغة العربية في كليات الشريعة الإسلامية، إذ نجد أن بعض الكليات تعتمد على مواد التربية وأساليب التربية والزيادة في الساعات المعتمدة لهذه المواد على حساب مواد اللغة العربية بل أحياناً على حساب مواد التربية الإسلامية نفسها والتي هي أهم لطالب الشريعة أكثر من غيرها مع عدم تقليل الاعتبار للمواد الأخرى.

كما انصرف اهتمام الناس إلى اللغات الأجنبية فأصبح هناك تنافس وتباؤ بين الأفراد على تعلم لغات جديدة وكل ذلك على حساب اللغة الأم، كما أن تضمين التربية والتعليم حصصها المدرسية لغات أخرى لا سيما في المراحل الأساسية يؤدي إلى صرف اهتمام الطلبة عن اللغة العربية بحجة أنها اللغة الأم ومن السهل تعلمها، فيؤدي هذا إلى منافسة هذه اللغات للقدرات العقلية والذهنية والاستعداد عند الطلاب ناهيك عن نصاب الحصص والذي يؤدي بدوره إلى تقليل حصص المواد الأخرى ومنها اللغة العربية والتربية الإسلامية.

وضعف اللغة العربية عند أهل الضاد إنما هو مرض عضال لم يقتصر على طلاب العلم الشرعي بل امتد ليشمل طلاب اللغة العربية نفسها، إذ يقول صاحب مقال صيحة من أجل اللغة العربية: "لم يعد خافياً على أحد ذلك التدني الذي وصل إليه خريجو أقسام اللغة العربية في جامعاتنا خلال العقود الأخيرة، وهؤلاء الخريجون هم الذين يتولون تعليم أولادنا في المدارس، وهم أيضاً الذين يسمعوننا الكلمة العربية من خلال الإذاعة والتلفزيون، ولو ترك الأمر على ما

1- almoslim.net. أنظر أيضاً مقال المنهجية في التعليم الشرعي: library.islamweb.net. وانظر الصمدي، خالد، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص 142.

هو عليه الآن فالله وحده هو الذي يعلم أبعاد الكارثة التي ستطبق على هذه الأمة⁽¹⁾.

فالكارثة لن تقف عند هذا الحد والفننة لن تتوقف عند عجز طلاب اللغة عن قراءة الكتب اللغوية والنصوص النحوية القديمة، بل ستعظم المصيبة لينال العجز تلاوة آيات الذكر الحكيم، ويتابع صاحب المقال توصيف المصيبة قائلاً: "فقد استعجم كلام ربنا عز وجل على ألسنة معلمي المدارس، وصاروا يتلون على تلاميذهم محرّفاً ومزلاً عن جهته، ثم أصبحت تسمعه من بعض المذيعين والمذيعات كذلك مغلوطاً ملحوناً. وهذه هي المصيبة التي تتضاءل دونها كل مصيبة، وهذا هو الخطر الماحق الذي يجب أن نقف جميعاً أمامه ندرأه وندفعه، فإن القضية بهذه المثابة قد صارت ديناً يُغتال وشريعة تنتهك"⁽²⁾.

نعم، إن ضعف اللغة العربية اليوم إنما من أسبابه سياسة التعليم في المدارس والجامعات القائمة على هجر الكتب القديمة، واختزال المادة العلمية في تلخيصها من قبل المدرسين في مذكرات يقومون بإعدادها دون الرجوع إلى النصوص الأصلية من أمهات الكتب في البلاغة والنحو بحجة صعوبة هذه النصوص تارة والتخفيف عن الطلاب تارة أخرى⁽³⁾.

ولا أدري أيهما أولى أن يقف الطالب عند لغته فلا ينتقل لغيرها حتى يتمكن من أصولها، أم أن الحداثة بانت تفرض علينا إقصاء لغتنا والجهل بقواعدها والانصراف عنها بتعلم لغات أقوام كانوا يوماً ما تلاميذ على موائدنا العلمية يستنبطون في عصور ظلامهم بنور علومنا، فتركنا الماء الطهور من بين أيدينا لتتيمم بحفنة تراب من إثرهم.

فعلى مؤسسات التربية والتعليم من مدارس ومعاهد وجامعات وسائر الجهات والسلطات المعنية أن تحرص دائماً على تعزيز اللغة العربية وترسيخها في عقول ووجدان هذه الأجيال الناشئة، وأن تبين لهم أهمية اللغة العربية إذ هي قوام الشخصية العربية والإسلامية؛ فهي الحافظة لتراثنا العقائدي والفكري والتاريخي والثقافي، ومن دونها تطمس ملامح حضارتنا وتندثر معالم ثقافتنا⁽⁴⁾.

وإن أي اهتمام باللغات الأخرى على حساب لغتنا العربية بدعوى أنها لا تناسب العلوم اليوم إنما هي دعاوي مسمومة تعمل جاهدة للنيل من لغتنا وطمس تاريخنا وحضارتنا، فعلى

1- مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، ط1، ج1ص136، دار البشائر الإسلامية، بيروت_لبنان، (1422هـ_2002م)؟

2- مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ص137.

3- مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، ص138. بتصرف.

4- الزنتاني، عبد الحميد الصيد: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ط1، ص560، الدار العربية للكتاب. بتصرف.

المؤسسات والسلطات أن تتكاتف في جهودها وتعيد صياغة المناهج وتكثيف الساعات وإعداد البرامج التي تعمل على تعزيز اللغة العربية وتقديمها على أي لغة كانت والعمل على نشرها وتصديرها وذلك من خلال إظهارها في المحافل والمؤتمرات المحلية والدولية⁽¹⁾.

المطلب الرابع: سياسة التوظيف وتهميش طلاب الشريعة

التوظيف وتهميش طلاب الشريعة من أهم العثرات التي تواجه كليات الشريعة بل هي من الأسباب القاهرة التي تجعل أي طالب يفكر ملياً قبل إقدامه على الالتحاق بهذه الكليات بل إنَّ عدم توظيف الخريجين من هذه الكليات يتمثل وكأنه وحش كاسر لن تخطئ أنيابه كل ملتحق بهذه الكليات فتجد بعض الطلاب حتى قبل الثانوية يبعد عن ذهنه مجرد التفكير بالانتساب لهذه الكليات وما ذلك إلا بسبب الأمثلة الكثيرة الموجودة أمام ناظرهم، وما هذا إلا لسياسة التربية والتعليم المتبعة سواء كانت في عدد الحصص المدرسية أو في إسناد حصص التربية الإسلامية لمدرسي المواد الأخرى أو حتى في سياسة التقاعد إذ تجد المدرس يجلس على كرسي التدريس حتى يبلغ الستين من عمره أو ثلاثين سنة في الخدمة وهذا يجعل الوظيفة حكراً على الأجيال القديمة في حين أن الأجيال الشابة وحديثي التخرج تصبح الشوارع والبطالة هي المستقر النهائي لهم.

وتضائل فرص العمل أمام خريجي معاهد وكليات العلم الشرعي وتأثير ذلك على الإقبال على هذه المواد نوعاً وكماً هو من أهم المشكلات التي تناولها مقال المنهجية في التعليم الشرعي، فتساهم هذه المشكلة في صرف كثير من المتفوقين المتميزين عن هذا النوع من الدراسات والالتحاق بالتخصصات الأكثر ارتباطاً بسوق العمل⁽²⁾.

1- الزنتاني، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص 560. بتصرف.

2- انظر library.islamweb.net. الصمدي، خالد، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص 132.

المبحث الثاني: سبل العلاج

المطلب الأول: دور الأسرة في التركيز على الجانب العقائدي

تعتبر الأسرة اللبنة الأساسية في تكوين الفرد وتنشئته تنشئة سليمة، فالأسرة هي الحاضنة الأولى للفرد وهي المسؤولة بداية عن المفاهيم والقيم التي ترسخ في فكره ووجدانه وهي الراعية والداعمة لمهارته ومعتقداته، كما أن لها دور لا يخفى على أحد في ترسيخ مفاهيم التربية الإسلامية وأهميتها لحياة الفرد والجماعة في نفسه، بل لها دور أساسي في توجيه ميوله التربوية والتعليمية ونظرة المستقبلية لهذه الميول منذ نعومة أظفاره، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم لأهمية الأسرة في حياة الفرد ومعتقداته إذ يقول عليه السلام: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"⁽¹⁾.

من هنا كان على الأسرة ضرورة توجيه أبنائها إلى أهمية التعليم الشرعي والمكانة الرفيعة التي يمتاز بها أصحابه عند الله سبحانه وتعالى أولاً ومن ثم أهميته إذ هو أشرف العلوم وأجلها فعليه صلاح الفرد والمجتمع إذ أن التعليم الشرعي يبصر الإنسان بحقيقة حاله ومآله والغاية من حياته، فإن كان الطبيب مسؤولاً عن صحة الأبدان فالتعليم الشرعي مسؤول عن صحة أفكار الإنسان ومعتقداته.

ولا يقتصر دور الأسرة على مرحلة الطفولة فحتى عند انتقال الطالب إلى مرحلة الدراسة وتقاسم المدرسة لهذه المسؤولية مع الأسرة، فعلى الأسرة أن تحيطه بمزيد من الرعاية والاهتمام وتناقشه بما يدخل من مفاهيم وقيم على أفكاره ومعتقداته وبالتالي سلوكياته إذ تبقى هي الحارس الأمين لفكره ووجدانه ومعتقدته.

المطلب الثاني: دور المدارس والجامعات

أولاً: دور المدارس

تتحمل المدارس مسؤولية حل المشكلات التي تواجه كليات وطلبة التعليم الشرعي، وعليها أن تضع في قائمة أولوياتها مواجهة هذه التحديات والتعاون مع مؤسسات الدولة المختلفة والجهات ذات الاختصاص للنهوض بالتعليم الشرعي ومعالجة الضعف والجمود الذي يمر به التعليم الذي يسبق التعليم الجامعي لأن أي تأخير عن مواجهة هذه المشاكل والتحديات يجعل خطرهما يتفاقم

1- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري 206_261هـ: صحيح مسلم، ص 675، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم 2658، مكتبة الثقافة الدينية، (1422هـ-2001م).

، وقد تبين فيما سبق أن المشكلات تشمل عدة محاور ابتداءً من عدد الحصص وطبيعة المنهاج وكفاءة المدرسين، لذا على وزارة التربية والتعليم أن تعيد النظر في عدد الحصص المدرسية⁽¹⁾، وإسناد تدريس مواد التربية الإسلامية لأصحاب الاختصاص ممن تتوفر فيهم الكفاءات العلمية والشخصية التي تؤهلهم لأداء رسالتهم بعيداً عن مجرد الأداء الوظيفي والشكلي الذي يفتقد إلى تأدية الرسالة المرجوة من هذه المؤسسات، وضرورة الحرص على انتقاء المحتوى بعيداً عن عملية التسييس ويكون ذلك من خلال فريق عمل تسند إليه مهمات وضع محتوى يتناسب وقضايا الأمة وتلامس واقع الطالب المعاصر.

وعلى التربية والتعليم أن تضع معايير جديدة في اختيار المدرسين والتي لا يجب أن تقتصر على المعدلات التي يحصل عليها الطالب وإنما تشمل هذه المعايير السلوكيات والأخلاقيات التي يجب أن تتوفر في مدرس التربية الإسلامية، فتتوافق حاله وأفكاره وسلوكياته مع ما يقوم بتدريسه للطلاب لأنه القدوة لهم والنبراس، فيكون قول المدرس مطابقاً لسلوكياته؛ لأن أي منهج تربوي يحتاج أن يكون المدرس مؤمناً به مطبقاً له والتربية الإسلامية أولى المناهج بذلك⁽²⁾ انطلاقاً من قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) [سورة الصف: الآيات 2-3].

ثانياً: دور الجامعات

ولا يقل أهمية دور الجامعات في مواجهة المشكلات ومعالجتها، وذلك برفع معدلات القبول لكليات التعليم الشرعي حتى يتم اختيار هذه الكليات عن رغبة وقناعة من المتعلمين لا مجرد حصولهم على شهادة جامعية بسبب فشلهم بالالتحاق بكليات أخرى، كما أن التعليم الشرعي يحتاج إلى النجباء وأصحاب القدرات العالية بعكس ما هو شائع بين الناس، كما على الجامعات والمعاهد الشرعية مراجعة خططها التعليمية بإضافة مقررات جديدة أو الاستغناء عن مقررات أخرى ترتفع بمستوى الطالب وتتدارك مواطن الضعف ولا سيما ضعف اللغة العربية، والعمل على تغيير أساليب وأنماط المدرسين القائمة على تلقين المعلومات وحفظها.

المطلب الثالث: دور وسائل الإعلام

لقد غزت وسائل الإعلام اليوم بمختلف أشكالها وألوانها بيوتنا، بل أصبح العالم قرية صغيرة ترقبه من مكانك بكبسة زر، وللإعلام من الأهمية ما لا يخفى على ذي لب، فعلى مؤسسات

1- انظر حول الموضوع الصمدي، خالد، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص 169-171.

2- انظر مدكور، علي أحمد: منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، ط2، ص 243-244، مكتبة الفلاح الكويت، (1422هـ-2002م).

التعليم الشرعي أن تستفيد من الإعلام لتبليغ رسالتها وتحقيق أهدافها، فالغرب يسخر الإعلام لغزو عقولنا وأفكارنا وبلادنا، فعلى القائمين على مؤسسات التعليم الشرعي استغلال هذه التقنية، فتنوع في عرض رسالتها عن طريق المقالة الصادقة والرواية الهادفة، ولا ضير من أن يكون لكليات التعليم الشرعي قنوات إعلامية تبليغ رسالتها وتتابع المستجدات العصرية والمؤتمرات والندوات المنعقدة وتبثها حتى لا تبقى أسيرة الحرم الجامعي.

كما عليها أن تُعنى بفئة الشباب بإعداد البرامج وعقد الدورات والقيام بالرحلات والمخيمات الصيفية التعليمية منها والترفيهية فتدخل عامل التشويق على دراسة هذه المواد فيقبل عليها الطالب بجد واجتهاد دون ملل وسأم⁽¹⁾.

المطلب الرابع: دور المساجد والمراكز التابعة لوزارة الأوقاف

إنَّ أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم فور وصوله المدينة هو بناء المسجد، والمسجد على مدى قرون طويلة لم يقتصر على أنه دار عبادة تؤدي به الصلوات فحسب، بل كانت له رسالة أوسع من ذلك فقد كانت تعقد به حلقات العلم وإليه يُعزى تخريج العلماء، لقد كانت المساجد منارات للعلم يؤمها طلاب العلم من أنحاء المعمورة، فالمسجد الحرام في المدينة والمسجد الحرام في مكة وجامع دمشق وجامع عمرو بالقاهرة وجامع المنصور في بغداد والجامع الأزهر أمثلة على واقع المساجد والرسالة التي كانت تؤديها⁽²⁾.

من أجل النهوض والرقى بالعملية التربوية والتعليمية لا بد من تكاتف الجهود والتعاون فيما بين وزارة التربية والتعليم ووزارة الأوقاف للاستفادة من المساجد والمراكز التابعة لوزارة الأوقاف وعقد دورات وورشات عمل خاصة بمناهج التربية الإسلامية وتشمل هذه الدورات الطلاب والمدرسين على حد سواء لرفع مستوى الطالب وتأهيل وإعداد المدرس إعداداً يتناسب وتخصصه، لا سيما في وجود هذه المساجد والمراكز التابعة في معظم البلاد مما يسهل عملية الوصول إليها والالتحاق بما تقدمه من دورات بأوقات تناسب الشخص المعني.

المطلب الخامس: مسؤولية الدولة في المنح الجامعية وتوفير فرص العمل

والدولة لا تقل مسؤوليتها عن غيرها مما سبق بل تتحمل أيضاً العبء الأكبر في رفع مستوى مدرسي التعليم الشرعي، والنهوض بهم من المنزلة الوضيعة التي حولتهم إلى مجرد أدوات، والرقى بهم ليؤدوا رسالتهم على أكمل وجه فيصبحوا عناصر فعالة فيقوموا بواجبهم وتأدية رسالتهم في

1- انظر صبح، محمد أحمد جاد: التربية الإسلامية دراسة مقارنة، ط1، ج2 ص405_409، دار الجيل_بيروت، (1413هـ_1993م).

2- صبح، محمد أحمد جاد: التربية الإسلامية دراسة مقارنة، ط1، ج1 ص274_277، دار الجيل_بيروت، (1413هـ_1993م). العناني، حنان عبد

الحميد: صورة الطفولة في التربية الإسلامية، ط1، ص153_155، دار الصفاء_عمان، (1420هـ_1999م). بتصرف

إعداد الجيل والمواطنين الصالحين⁽¹⁾.

كما على الدولة أن تسعى لتوفير المنح الجامعية لطلاب العلم الشرعي، إذ يؤدي ذلك إلى تشجيع النجباء من الطلاب لا سيما من أولئك الذين تعيقهم الأمور المادية عن استكمال دراستهم، فمثلما تشجع الدولة وتدعم بعض التخصصات والبرامج فلا ضرر أن تنظر بعين العطف والرحمة لكليات وطلبة العلم الشرعي، كما عليها أن تسعى جاهدة لتوفير فرص عمل تليق بخريج العلم الشرعي تمكنه من أداء دوره وواجبه تجاه دولته وأمته وذلك من خلال تغيير سنوات الخدمة مثلاً أو تخفيض السن العمري الذي يجب أن يبلغه الموظف حتى يتقاعد إجبارياً، وهذا كله لا يتم إلا بتدخل جاد من الدولة.

كما على الدولة أن تبقي التعليم الشرعي مستقلاً بمؤسساته ومناهجه ورجالاته، فلا تقوم بتعيين الموظفين في سلك التعليم الشرعي بناءً على انتماءات واتجاهات سياسية معينة، مع ضرورة التشديد على عدم تحول هذه المؤسسات إلى مؤسسات مناوئة تعيش في حلبة صراع مع الدولة، كلابل المطلوب أن تبقى مؤسسات التعليم الشرعي مستقلة تؤدي دورها بكل أمانة وإخلاص تجاه أمتها.

الخاتمة

من خلال الصفحات السابقة والتي ألقى الضوء على جزء من التحديات التي تواجه كليات الشريعة وطلاب العلم الشرعي، ندرك أن ثمة أمر يدبر لهذه الأمة بالخفاء مستهدفاً عقيدة الأمة وفكرها وذلك من خلال تشتيت طاقات الشباب والعبث بأفكارهم وإخراج جيل سطحي التفكير يحيا بلا هدف ولا غاية، جيل إمعة تتلقفه الحضارة الغربية وتعبث به كما الريشة في مهب الريح، ولا يتسنى لها ذلك إلا من خلال العبث بالمنهج التعليمية وتفريغ العلوم الشرعية من أهدافها ومقاصدها.

وبناء على ذلك على الجهات المعنية أن تنظر للأمر مجددة وتعيد دراسة المناهج والعمل على النهوض بمستواها وإعطاء العلوم الشرعية دورها الأساسي، وأن يدرك أصحاب السلطة والمسؤولية أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فإن كانت الحضارة اليوم لا تسير من غير مهندسين يهندسون العمران وأطباء يجاربون الوباء فإن الأمة لن يستقيم لها حال وأفكار ومعتقدات أجيالها معتلة هزيلة، ولن يعالج هذا الهزال والاعتلال إلا بإعادة الكليات الشرعية

1- الكيلاني، ماجد عرسان: مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص424، مؤسسة الريان-بيروت، لبنان، (1419هـ-1998م).
بتصرف.

وطلاب العلم الشرعي لدورهم الريادي في الإصلاح والتغيير.

وبناءً على ذلك تخلص الباحثة إلى بعض التوصيات:

1. قيام التربية والتعليم بزيادة المقررات الخاصة بالتربية الإسلامية.
2. الاهتمام بمضمون المحتوى وتناول القضايا التي تلامس الواقع.
3. رفع معدلات القبول في كليات الشريعة.
4. التعاون والتنسيق الجاد بين وزارة التربية والتعليم ووزارة الأوقاف.
5. استقلالية كليات الشريعة عن الحزبية والتسييس.

المراجع الخاصة

1. الزنتاني، عبد الحميد الصيد: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ط1، ص560، الدار العربية للكتاب. بتصرف.
2. صبح، محمد أحمد جاد: التربية الإسلامية دراسة مقارنة، ط1، ج1، دار الجيل_بيروت، (1413هـ_1993م). العناني، حنان عبد الحميد: صورة الطفولة في التربية الإسلامية، ط1، دار الصفاء_عمان، (1420هـ_1999م). بتصرف
3. الصمدي، خالد. حلي، عبد الرحمن: أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ط1، دار الفكر_دمشق، (1428هـ_2007م).
4. الكيلاني، ماجد عرسان: مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، مؤسسة الريان_بيروت، لبنان، (1419هـ_1998م).
5. مدكور، علي أحمد: منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، ط2، مكتبة الفلاح_الكويت، (1422هـ_2002م).
6. مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، ط1، ج1، دار البشائر الإسلامية، بيروت_لبنان، (1422هـ_2002م)؟



السّمات المنشودة في طلبة كليات الشريعة



إعداد: سمير محمد عواودة*

*من مدينة دورا - الخليل، حاصل على الماجستير في الفقه والتشريع وأصوله، وعنوان أطروحته (واجبات العمال وحقوقهم في الشريعة الإسلامية مقارنة مع قانون العمل الفلسطيني) عمل مدرساً في مدرسة الصديق الخيرية في مدينة دورا، ويعمل حالياً مدرساً في وزارة التربية والتعليم، محاضر غير متفرغ في كلية الشريعة جامعة الخليل، شارك في تسعة مؤتمرات علمية محلية وقدم أبحاث فيها، نشر أربعة أبحاث علمية في مجلات محكمة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده أن أحلّ لعباده المؤمنين الطيبات بأنواعها، وحرّم عليهم الخبائث بكل صورها، ونحمده أن شرع للمؤمنين من الدين ما يُبعدهم عن كل ما يلحق الضرر بنفوسهم وعقولهم ومجتمعاتهم، وله الحمد دائماً أن فتح باب التوبة لعباده الذين أسرفوا على أنفسهم، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإن الشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، على فضل العلم الشرعي، وجلالة قدره، وعظيم منزلته، كثيرة العدد، غزيرة الفوائد والآثار، لأنه الوسيلة إلى الدار الآخرة وسعادتها، والذريعة إلى القرب من الله تعالى ورضوانه، تتعب في نياله الأجساد، ويتفارق الأحبة لنياله، ويحرم طالبه لذة النوم، حيث يورث صاحبه العزة والوقار، ويحصل الشرف والافتخار، وينال عند الناس التقدير والاحترام، كيف لا وقد قال تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (1)، وقال تعالى ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (2)، وفي الحديث الشريف أنه ﷺ قال (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) (3)، وقال (العلماء ورثة الأنبياء) (4)، وإذا كان العلم لا ينال إلا بالسعي والطلب، والجد والاجتهاد، فقد حث القرآن الكريم على طلب العلم، ووعد طالبه بالعطاء، بل جعل السعي إليه، يعدل الخروج إلى الجهاد، قال تعالى ﴿ فلو لا نضر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ﴾ (5)، وقال عليه الصلاة والسلام (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة) (6)، وقد أثنى القرآن على معلمي الناس الخير، وأمرهم أن لا يكتموا منه شيئاً، فقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (7).

وقديماً كانت حلقات العلم هي التي تتولى تدريس العلم الشرعي، واليوم صارت المدارس

1- سورة آل عمران، آية 18

2- سورة الزمر، آية 9.

3- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط3، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ج1، ص89، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ج3، ص94، دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة - بيروت

4- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وحكم عليه بأنه صحيح، ج 5، ص 48، برقم 1682، دار إحياء التراث العربي، بيروت، أبو داود، سنن أبي داود، ج 3، ص354، برقم 3643، وحكم عليه الألباني بأنه صحيح، دار الكتاب.. بيروت

5- (سورة التوبة، آية رقم 122.

6- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب الاجتماع على تلاوة القرآن، ج 8، ص 71، برقم 7028.

7- سورة فصلت، آية 33.

الشرعية وكليات الشريعة هي التي تنهض بأعبائه، وإذا كانت حلقات العلم قديماً قد تخرّج فيها خيرة العلماء، فإن خريجي كليات الشريعة يعانون اليوم بوجه عام - من عزوف في بعض الأحيان عن ممارسة دورهم كأئمة وأساتذة وواعظين، بالإضافة لضعف الإمكانيات المادية التي تجعل هذه المؤسسات تأخذ دورهم المأمول، ولما كانت الأنظار تتجه اليوم نحو الرقي بهذه المؤسسات التعليمية فقد حاولت أن أبرز السمات المنشودة لدى طلبة وخريجي كليات الشريعة الإسلامية، وسميت هذا البحث بـ

السمات المنشودة في طلبة كليات الشريعة

أسباب اختيار الموضوع:

1. إثراء المكتبة العلمية بهذا الموضوع.
 2. بيان السمات التي يأمل الناس معاينتها في طلبة كليات الشريعة.
- منهجية البحث: اتّبع الباحث المنهج الوصفي الذي يتناسب مع هذا العنوان.
- الدراسات السابقة: لم أعر - بعد عناء البحث - من أفرد هذا الموضوع بالبحث، وجُلّ ما وجدته مقالات متناثرة على صفحات الشبكة العنكبوتية.
- الخطة التفصيلية: اقتضت طبيعة البحث أن تكون خطته التفصيلية على النحو الآتي:
- المبحث الأول: السمات الإيمانية لطلبة كليات الشريعة، ويشمل المطالب الآتية:
- المطلب الأول: إخلاص النية لله تعالى.
- المطلب الثاني: الافتقار إلى الله تعالى.
- المطلب الثالث: طهارة النفس من رذائل الأخلاق.
- المبحث الثاني: السمات الشخصية لطلبة العلم الشرعي، ويشمل المطالب الآتية:
- المطلب الأول: التواضع.
- المطلب الثاني: كثرة المطالعة وتنوع مصادر التلقّي.
- المطلب الثالث: الصبر على العلم.
- المطلب الرابع: حضور المجالس العلمية.
- المطلب الخامس: مواكبة العلوم المستجدة المرتبطة بالعلوم الشرعية.
- المبحث الثالث: السمات الاجتماعية لطلبة العلم الشرعي، ويشمل المطالب الآتية:
- المطلب الأول: التزام الأدب التام مع الشيوخ والعلماء.
- المطلب الثاني: التعاون مع الزملاء والأقران.
- المطلب الثالث: اختيار الصداقة الطيبة.
- الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: السمات الإيمانية لطلبة كليات الشريعة.

المطلب الأول: إخلاص النية لله تعالى.

تُعتبر النية الخالصة لله تعالى هي الأسس في قبول كل الأعمال والأقوال، لكون الله تعالى هو الحسيب الرقيب المطلع على السرائر والظواهر، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وكثير من أعمال الدنيا تصير بحسن النية من أعمال الآخرة، والعكس صحيح، حيث أعمال الآخرة بفساد النية تكون من أعمال الدنيا التي لا توضع في ميزان المرء يوم القيامة، وكم من عمل صغير في ميزان البشر يصير في ميزان الله كبيراً وعظيماً بصدق النية وحسنها، وكم من عمل حقير بسيط يكون كبيراً وعظيماً في ميزان الله تعالى، فالإخلاص يتمثل في انبعاث القلب إلى الجهة المطلوبة، وهو سرّ بين العبد وربّه لا يعلمه غير الله تعالى، وفي ذلك روى الغمام البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" (1).

والنية لغة تعني القصد أو الوجه الذي تنويه (2)، وقيل إنها الإرادة (3).

أما في اصطلاح الفقهاء فقد تعدد عباراتهم في بيان المقصود بالنية، فذكر الحنفية على أنها: "قصد الطاعة والتقرب إلى الله تعالى في إيجاد الفعل" (4) وعرفها الحنابلة بالقول "عزم القلب على فعل العبادة تقريباً إلى الله تعالى" (5)، ويميل الباحث إلى تعريف الحنابلة كونهم أشاروا إلى ذكر قيد التقرب إلى الله تعالى بالامتثال، وبذلك أخرجوا العادة من التعريف، والنية يُحتاج إليها في العبادات، أما المباحات فليس محل الثواب والعقاب، ومن المعاصرين من اعتبر الإخلاص في طلب العلم "تصفية السر والقول والعمل من إرادة غير الله، ويكون في القلب والقول والعمل والحال" (6).

فالعلم عبادة، والعبادات قريبة من القربات، فإن كانت نية طالب العلم الشرعي خالصة لله تعالى قبل منه ونما ببركته، وإن كان المقصود به غير ذلك فقد حبط وضاع، وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من طلب العلم ليُماري به السفهاء أو ليُباهي به العلماء أو ليصرف جوه

1- البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله، ج 1، ص 3، برقم 1.

2- ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 5، ص 366، دار الفكر، بيروت.

3- الكاساني، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط 2، ج 1، ص 127، دار الكتب العلمية، بيروت.

4- ابن عابدين، محمد أمين، رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) ط 2، ج 1، ص 105، دار الفكر-بيروت.

5- الحجاوي، موسى بن أحمد، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق عبد اللطيف السبيعي، ص 106، دار المعرفة، بيروت.

6- الربيع، وليد، الإخلاص في طلب العلم، مقال منشور على موقع مجلة الفرقان على الرابط www.al-forqan.net/articles/853.html

الناس إليه فهو في النار” (1) وموضع الاستدلال من هذا الحديث هو تحوّل طلب العلم إلى وبالأخروبياً نظراً لاستحضار واحدة من نيات السوء المذكورة في الحديث، ولضمان إخلاص النية لله تعالى عند طالب العلم الشرعي ينبغي مراعاة الآتي:

1. حُسن النية: ويشهد بذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم ”إنما الأعمال بالنيات...“ (2) وفي الحديث تأكيد على أن تكون النية حسنة في ذاتها ومقصودها، لا تشوبها شائبة، وفي ذلك يذكر يحيى بن أبي كثير ”تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل“ (3) ويُضيف ابن جماعة ”حُسن النية في طلب العلم بأن يُقصد به وجه الله تعالى والعمل به، وتنوير قلبه وتحلية باطنه والقرب من الله تعالى يوم القيامة والتعرّض لما أعدّ لأهله من رضوانه وعظيم فضله“ (4)
2. قصد الآخرة: فلا يستحضر طالب العلم مسببات حبط العمل من مجارة ومداراة ومباهاة ووجهة ورياسة، قال أبو يوسف ”يا قوم أريدوا بعلمكم الله تعالى فإنني لم أجلس مجلساً قط انوي فيه أن أتواضع إلا أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلساً قط انوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح“ (5).
3. الحذر من الرياء: وهو ضد الإخلاص ومبطل الأعمال، فمن ابتغى الإخلاص في أعماله الظاهرة وهو يفكّر في إرضاء الناس فقد فكّر في المحال؛ لأن الإخلاص به الحياة والرياء يُميت الروح والجسد، وتظهر ثمرة الإخلاص عند طالب العلم الشرعي في استواء المدح والذمّ، ويُضيف الحليني ”ينبغي لطالب العلم أن يكون تعلّمه وللعالم أن يكون تعليمه لوجه الله عز وجل، لا يُريد به المتعلم أن يكتسب بما يتعلمه مالاً، أو يزداد به في الناس جاهاً أو على أقرانه استعلاءً ولا على أصداده إقماءً (إذلاً) ولا يُريد العالم بتعليمه أن يكثر الأخذون عنه“ (6)

1- الألباني، محمد ناصر، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، ط36، ج2، ص1091، رقم 11328، وحكم عليه الألباني بأنه حديث صحيح، المكتب الإسلامي، بيروت

2- سبق تخريجه.

3- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط4، ج3، ص70، دار الكتاب العربي، بيروت.

4- ابن جماعة، محمد إبراهيم، ص35، تذكر السامع والمتعلم والعالم والمتعلم، مكتبة المشكاة الإسلامية.

5- النووي، يحيى بن شرف، بستان العارفين، ص8، موقع الشاملة، ابن جماعة، تذكر السامع، ص35.

6- البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق الدكتور عبد العلي حامد، ط1، ج3، ص267، مكتبة الرشد للنشر، الرياض.

المطلب الثاني: الافتقار إلى الله تعالى.

ويتمثل في استشعار طالب العلم الشرعي بحاجته إلى الله تعالى وتوفيقه ورعايته، فطالب العلم الشرعي خصوصاً ينبغي عليه أن يدرك أن ما هو فيه من هداية واستقامة وإعانة وثبات هو من فضل الله تعالى، وهذا الاستشعار إنما هو أدب عظيم يغفل عنه بعض طلبة العلم، فالله تعالى يقول: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" (1) وموضع الاستدلال من الآية أن جميع الخلائق مما بلغوا من مراتب عليها فهم إلى الله فقراء ومحتاجون لتوفيقه ورعايته، وطالب العلم الشرعي يبتغي فتح الله عليه كنوز المعرفة ومغاليق العلم، لذا يتوجب عليه أن ينكسر إلى الله تعالى، ولا ينسب لنفسه شيئاً من فهمه وإنجازاته، وهكذا كان السلف الصالح، فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كان يذهب إلى المسجد ويسجد لله تعالى ويُمِرِّغ وجهه في التراب ويسأل الله ويقول: يا معلّم إبراهيم علمني، ويا مفهّم سليمان فهمني" (2)، ويتجلّى الافتقار إلى الله في التواضع للمشايخ والعلماء، وقد عدّ الإمام الشافعي الافتقار من مقومات العلم الستة فقال:

سأنيك عن تفصيلها ببيان
وتلقين أستاذ وطول زمان⁽³⁾

أخي لن تنال العلم إلا بستة
ذكاء وحرص وافتقار وغربة

المطلب الثالث: طهارة النفس من رذائل الأخلاق.

لا شط أن العلم بلا طهارة للنفوس يُنتج ضرراً بدلاً من النفع، وهذا ينسحب على العلوم الدنيوية والأخروية، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي: "أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة (أي فضيلة) العلم وإزاحة غشاؤه الجهل، وفي المآل القرب من الله تعالى والترقي إلى جوار الملائكة المقربين، ولا يُقصد به الرياسة والمال والجاه وممارسة السفهاء ومباهاة الأقران"⁽⁴⁾.

لذا على طالب العلم الشرعي أن يُقدّم طهارة النفس على رذائل الأخلاق بين يدي العلم الذي يتعلمه، فالعلم عبادة القلب، وهو قربة الأطهار إلى الله تعالى، ويُشير لذلك قول الله تعالى: "ما

1- سورة غافر آية 15.

2- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، حقوق آل البيت، تحقيق عبد القادر عطا، ص12، دار الكتب العلمية بيروت.

3- الشافعي، محمد بن إدريس، ديوان الشافعي.

4- الغزالي، محمد بن محمد، إحياء عوم الدين، ج1، ص53، دار المعرفة، بيروت.

جعل الله لرجل من قلبين في جوفه⁽¹⁾ ويمكن أن يُستفاد من الآية أن الأخلاق الذميمة والطباع السيئة نقيضة للعلم الشرعي فلا يجتمعان في قلب واحد. وينهى الله تعالى عن ظاهر الإثم وباطنه في قوله تعالى: " وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ " (2) وفي الآية جعل الله المعاصي الظاهرة والباطنة سواء في التحريم، والأمر باجتنبهما، وهو ما يستدعي طالب العلم الشرعي البعد عن اقتراف المعاصي صغيرها وكبيرها، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إني لأحسب العبد ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها" (3) وقال النووي: "ينبغي أن يطهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره" (4) وهو ما أثبتته الإمام الشافعي في قوله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي (5)

المبحث الثاني: السمات الشخصية لطلبة العلم الشرعي. المطلب الأول: التواضع.

لقد ضرب القرآن الكريم مثلاً خالداً لطلبة العلم تجلّى فيه التواضع بين طرفي التعلّم، ويتمثل هذا الموقف في قصة موسى عليه السلام (الذي كان طالب علم) مع معلمه النخصر في بضع آيات من سورة الكهف فقال الله تعالى: " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَرَا قَالَ لِقَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رَسُولًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) (6) حيث تمثّل حلق التواضع في طلب العلم الشرعي والأخروي، فهو يقتضي التأدّب مع

1- الترمذي، سنن الترمذي، ج 5، ص 348، برقم 3199، وحكم عليه الترمذي بأن حسن، وحكم الألباني عليه بأن ضعيف الإسناد.
2- سورة الأنعام، آية 120
3- الخطيب البغدادي، أحمد، اقتضاء العلم العمل، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط 4، ص 96، المكتب الإسلامي - بيروت.
4- النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، ج 1، ص 35، دار الفكر، بيروت.
5- الشافعي، ديوان الشافعي.
6- سورة الكهف، الآيات 60-71.

المعلم والمعلم والمناهج والخطط وكل ما يتعلق بالعلم المقصود، ثم وجوب معرفة كل متعلم قدر معلمه، وهو ما استحضره موسى عليه السلام حينما استأذن من الخضر بإتباعه والسير معه، وكذلك التزام موسى عليه السلام بأدب السؤال وتعليمه بالطريقة المثلى في التعامل مع المعلم، وفي التواضع يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من تعلمون، ولا تكونوا جبابرة العلماء ولا يقوم علمكم مع جهلكم" (1) وكتب الإمام مالك إلى الخليفة الرشيد "إذا علمت علماً فليُرَ عليك أثره وسكينته وسمته ووقاره وحلمه" (2) وقال الإمام الشافعي: "لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح" (3).

ويتجسّد التواضع في بُعد طالب العلم الشرعي عن أنفته أن يتعلم من كل الأطراف والجهات والأشخاص حتى ممن هم دونه في المكانة والتخصص والمكانة الاجتماعية والعلمية، بل يقبل العلم قبولاً حسناً ويشكر الله تعالى على ما تعلمه ثم يشكر من علمه شيئاً، ومن التواضع أن يسأل طالب العلم الشرعي عما يغيب عنه من أحكام ومسائل شرعية وغير ذلك، ومن الخطأ الذي يقع فيه بعض طلبة العلم الشرعي استحياءهم من السؤال أو التكبر عن ذلك، وقد روي عن مجاهد قوله: "لا يتعلم مستحي أو مستكبر" (4)، فالله عز وجل يحب العالم المتواضع ويبغض العالم الجبار.

المطلب الثاني: كثرة المطالعة وتنوع مصادر التلقي .

لقد كان من أخلاق سلفنا الصالح المداومة على المذاكرة للعلم الذي يتعلموه، ذكر الإمام الشافعي: "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة" (5)، وهذا الأثر استنبطها أصحابها من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "فضل العلم أحب إلي من فضل العبادات وخير دينكم الورع" (6) ومما يُجدر الإشارة إليه أن البحث على المطالعة والقراءة المتواصلة في التخصص وحضور مجالس العلم لا يُغني عن الشيخ الأستاذ؛ لأن من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه، وإنما المقصود هنا الزيادة على ما يشرحه الأستاذ، لذا ينبغي على طالب العلم الشرعي تحديداً أن

1- وكيع بن الجراح، الزهد، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، ط1، ص538، مكتبة دار، المدينة المنورة .

2- ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص11.

3- المصدر السابق، ص36.

4- المصدر السابق، ص57.

5- القليوبي، أحمد، حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، ج4، ص215،

دار الفكر، بيروت

6- الحاكم، محمد، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عطا، ط1، ج1، ص92، رقم 314، دار الكتب العلمية - بيروت.

تكون له خطة مدروسة وواقعية للمطالعة والمذاكرة ومراجعة المعلومات ، ومن الثابت واقعياً أن المحاضرات الجامعية إنما تملك الطالب مفاتيح العلم، وهو ما يستدعي من طالب العلم اشريكي تكوين البيئة العلمية الخاصة به من حيث المكتبة الشخصية البرنامج الإثرائي له .

وبالنظر لحال العرب مع المطالعة الذاتية نجد ما يُدمي القلب، حيث ذكرت نتاجُ خلصت إليها لجنة تتابع شؤون النشر تابعة للمجلس الأعلى للثقافة في مصر أن العالم العربي يقف في ذيل قائمة الأمم القارئة، ذلك أن متوسط معدل القراءة فيه لا يتعدى ربع صفحة للفرد سنوياً، بينما تصل معدلات القراءة في المرتبة الأولى، ويبيّن الدراسة أن متوسط القراءة عربيّاً ربع صفحة للفرد سنوياً، بينما تصل معدلات القراءة في أميركا إلى 11 كتاباً للفرد سنوياً وفي بريطانيا إلى سبعة كتب، ما يظهر مدى التديّي الذي وصلت له معدلات القراءة في الوطن العربي وفقاً لأحدث الدراسات التي تتبناها اللجنة لقياس مجال الإقبال على القراءة، والدراسة التي قامت بها اللجنة تشير إلى نتاجٍ مماثلة خلصت إليها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) أوضحت أن نصيب كل مليون عربي لا يتجاوز ثلاثين كتاباً، مقابل 854 كتاباً لكل مليون أوروبي، أي أن معدل قراءة الشخص العربي ربع صفحة في السنة مقابل معدل قراءة كبير للفرد الأميركي الذي يصل إلى 11 كتاباً في العام الواحد. (1)

وبحسب "تقرير التنمية البشرية" للعام 2003 الصادر عن اليونسكو، يقرأ المواطن العربي أقل من كتاب بكثير، فكل 80 شخصاً يقرؤون كتاباً واحداً في السنة. في المقابل، يقرأ المواطن الأوروبي نحو 35 كتاباً في السنة، والمواطن الإسرائيلي 40 كتاباً، وجاء في "تقرير التنمية الثقافية" للعام 2011 الصادر عن "مؤسسة الفكر العربي" أن العربي يقرأ بمعدل 6 دقائق سنوياً بينما يقرأ الأوروبي بمعدّل 200 ساعة سنوياً، وفي دراسة أجرتها شركة سينوفات المتعددة الجنسيات لأبحاث السوق، عام 2008، جاء أن المصريين والمغاربة يقضون أربعين دقيقة يومياً في قراءة الصحف والمجلات مقابل 35 دقيقة في تونس و34 دقيقة في السعودية و31 دقيقة في لبنان. وفي مجال قراءة الكتب، يقرأ اللبنانيون 588 دقيقة في الشهر، وفي مصر 540 دقيقة، وفي المغرب 506 دقائق، وفي السعودية 378 دقيقة. هذه الأرقام تعكس واقعاً إيجابياً أكثر من الأرقام السابقة. ينتج هذا الاختلاف من كون الأرقام الأخيرة تشمل قراءة القرآن الكريم. أما الأرقام السابقة فلا تحسب لإقراء الكتب الثقافية وتتغاضى عن قراءة الصحف والمجلات، والكتب الدراسية، وملفات العمل والتقارير، وكتب التسلية. (2)

1- <http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2015-1/18/5>

2- reading-habits-in-the-arab-world/23/04/raseef22.com/culture/2015-2 مقال كم يقرأ العرب وماذا يقرأون؟

ومما يجدر الإشارة إليه أن المعلومة الشرعية لا تنحصر في الكتاب المقرر أو المحاضرة الجامعية وإنما تتعدى مجالاتها ومصادرها لتشمل المحاضرات المباشرة والمرفوعة على شبكة الانترنت والتسجيلات المخزنة على الأقراص المدمجة، فهذه الوسائل التكنولوجية تساعد طالب العلم الشرعي ليعدهد مصادر التلقي الموثوقة، يُضاف لذلك الفضائيات العلمية التي يذخر بها الفضاء الإعلامي، ففيها خير كثير ممكن أن يعوّض النقص والضعف في الأداء الجامعي، ومن الأسباب الفعلية وراء هذه المعدلات المخيفة:

1. قصور مناهج التعليم والتربية في الوطن العربي .
 2. عدم تغيري أساليب تنمية مهارات القراءة في المرحلة الابتدائية والثانوية فالجامعية .
 3. عدم تشجيع أفراد الأسرة الطفل على القراءة والتفكير منذ الصغر .
 4. منافسة وسائل الإعلام المختلفة للكتاب وخاصة الفضائيات والإذاعات .
 5. غياب مفهوم التعليم والتثقيف الذاتي عند أفراد المجتمع .
 6. حالة الإحباط واليأس التي يعيشها الإنسان في المجتمع العربي والإسلامي .
- الغزو الثقافي الغربي وترويج ثقافة اللامبالاة والأناية .
- غياب الروح التشجيعية لدى المؤسسات الثقافية .
- قلة الدعم المالي لإنشاء المكتبات العامة ودعم الكتاب ليصبح رخيص الثمن وفي متناول الجميع .
- عدم اهتمام الدول بالكتاب وأعمالهم، ومكافأتهم على أعمالهم المتميزة كما تفعل الدول الأخرى .
- اتباع بعض الدول سياسة فرض التخلف التعليمي على شعوبهم للسيطرة عليهم والتحكم في رغباتهم. (1)

المطلب الثالث: الصبر على العلم.

يُعتبر العلم الشرعي من أشرف النعم التي يُنعم الله بها على بعض عباده، فهو أعلى المراتب والمنازل؛ كونه ميراث الأنبياء ومهنة الصالحين من السلف الصالح، وهو الطريق الموصل للجنة نقول الرسول صلى الله عليه وسلم ” من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله به طريقاً

1- الأغا، ناصر جاسر، دراسة واقع القراءة في الوطن العربي، خانيونس، على الرابط http://www.qou.edu/arabic/publicRelation/yanabi3/no_3/sub_20.pdf

إلى الجنة” (1) وبذلك فإن سلوك هذا الطريق بصفة عامة صعب، وإن تحصيل الآخرة لا يحصل المرء عليه إلا بالسعي الحثيث، ويؤكد على ذلك أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: “ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة” (2) وروى في ذلك مسلم في صحيحه عن يحيى بن أبي كثير قوله “لأستطاع العلم براحة الجسم” (3) وقال ابن القيم “وأما سعادة العلم فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع وصدق الطلب وصحة النية” (4) وسئل ابن عباس رضي الله عنهما بم أدركت العلم؟ قال: “بلسان سؤول وقلب عقول وبدن غير ملول” (5)، وضرب الإمام أحمد بن حنبل مثلاً في المصابرة لم سئل إلى متى تستمر في طلب العلم وقد أصبحت إماماً للمسلمين؟ قال: مع المحبرة إلى المقبرة” (6) .

ومن خلال ما سبق من نقول عن السلف أصبح لزاماً على طالب العلم الشرعي - تحديداً - الصبر والمصابرة على مشقة طلب العلم وتحصيله، وذلك لكون مطلوبة يتمثل في العلم الرياني الشرعي الذي يتطلب حضور الذهن والنية الصالحة والإخلاص الصافي والمثابرة والملاحظة الدقيقة والالتزام بحضور رياض الجنة - مجالس العلم - .

المطلب الرابع: حضور المجالس العلمية.

لا شك لدى الباحث - والله أعلم - أن النظام التعليم العالي الذي يعتمد المحاضرات الأسبوعية في كليات الشريعة تعتبر من مجالس العلم، ويجري عليها ما يجري على حلقات العلم في المساجد الذي جاءت بذكرها الأحاديث النبوية، وذلك من حيث الأجر والثواب والالتزام بأدابها وآداب شيخها أو معلمها، وبالتالي فإن طالب العلم الشرعي في كليات الشريعة في الجامعات المعاصرة مأجور بالحضور، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه: “يا أبا ذر لأن تغدوا فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تُصلي مائة ركعة، ولأن تغدوا فتعلم باباً من العلم عمل به أولم يُعمل خير لك من أن تُصلي ألف ركعة” (7) وموضع الشاهد من هذا الحديث بيان فضل العلم على العبادة، وذلك لاستعمال لفظ (لأن تغدو) أي تذهب، ولكون العلم الشرعي له مواطن منها المسجد والمدرسة والجامعة، وإن ذهب الطالب لكليات الشريعة ليتعلم أحكام

- 1- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب الاجتماع على العلم، ج 8، ص 71، برقم 7028.
- 2- الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب صفة أواني الحوض، ج 4، ص 633، برقم 2450، وحكم عليه الألباني بأنه حديث صحيح.
- 3- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب أوقات الصلوات، ج 2، ص 105، برقم 1421.
- 4- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ص 108، دار الكتب العلمية، بيروت .
- 5- لم أجده إلا في هذا المرجع. ابن عثيمين، محمد بن صالح، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، ج 26، ص 147، طبعة 1413 هـ، دار الوطن، دار الثريا.
- 6- (ابن الجوزي، عبد الرحمن، تلبیس إبليس، ط 1، ص 292، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
- 7- ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، ج 1، ص 79، برقم 219، وحكم عليه الألباني بأنه ضعيف، دار الفكر، بيروت.

دينه يندرج تحت هذا الفضل، ويتحصّل له الأجر والثواب، وأحاديث الذكر والاجتماع لمدرسة العلم الشرعي أكثر من تُحصى في هذا المقام ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بُدلت سيئاتكم حسنات" (1) وفي هذا الحديث لم يخص الرسول صلى الله عليه وسلم الجلوس والتعلّم في المسجد دون غيره من الأماكن، وبالتالي تندرج كليات الشريعة تحت هذا الحديث، وقد مرّ أعربياً على ابن مسعود رضي الله عنه وهو يعلم طلابه ويُحدّثهم فقال الأعرابي: علام اجتمعوا هؤلاء؟ فقال ابن مسعود: على ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقتسمونه بينهم" (2).

وتتعدى مجالات مجالس العلم التي يؤجر المرء بحضورها لتشمل الدروس في المساجد والمراكز الثقافية وخطب الجمعة والمحاضرات الأكاديمية النافعة، وتشمل كذلك المناقشات العلمية للرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراة ومشاريع التخرّج) وبحضورها يستفيد الطالب الملكة اللازمة للمناقشات في حياته العلمية والمهنية، وكذا حضور المؤتمرات العلمية الشرعية وعرض الأوراق العلمية، وتُمكن طالب كليات الشريعة الاندماج في الأوساط العلمية والخُطة بالأساتذة والعلماء من شتى الجامعات، وفي الدورات العلمية الممنهجة التي تعقدتها كليات الشريعة ووزارة الأوقاف، وما سبق من مجالس علم قد تكون على العالم الافتراضي من خلا شبكة الانترنت، خصوصاً بعد الثورة التكنولوجية الهائلة التي يستوجب على طلبة كليات الشريعة الاستفادة منها.

المطلب الخامس: مواكبة العلوم المستجدة.

إن الدارس والمتتبع للتطور الذي يرافق النقلات النوعية في العلم الشرعي والبحث الفقهي يلمس بالملاحظة التطور المستمر والقفزات النوعية في العلوم المرتبطة بشكل وثيق بالبحث الفقهي المعاصر، ولا شك لدى الطالب والعالم في العلم الشرعي بأن النصوص الشرعية متناهية بينما المستجدات الاقتصادية والطبية والعلمية غير متناهية، لذا يستوجب على طلبة العلم الشرعي وأهله الإحاطة والعلم بكل جزئية من هذه المستجدات التي تستلزم اجتهاداً فقهياً، فكان الاجتهاد المعاصر والمجامع الفقهية المعاصرة هي المخرج من هذا التقوقع الذي اكتنف بعض العلماء في السنوات الماضية، فاتجه علماء الشريعة وطلبتها نحو التكامل بين علماء الشريعة من جهة وبين علماء النازلة من حيث تخصصهم، فإذا عُرضت على علماء الشريعة مسألة اقتصادية

1- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، ج2، ص142، برقم 12467، وحكم عليه شعيب الارنؤوط بأن الحديث صحيح لغيره، مؤسسة قرطبة، القاهرة .

2- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، شرف أصحاب الحديث، تحقيق محمد خطي اوغلي، ص45، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة .

أو طبية توقفوا في الحكم عليها حتى يتصوّروا الرأي الاقتصادي أو الطبي أو العلمي من أهل الاختصاص؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوّره، فمن الخطأ الفادح الذي يقع فيه بعض طلبية الشريعة الحكم على مسألة لم يتصوّرها ولم يُحط بها علماً من أهل الاختصاص، فالحكم على المعاملة الاقتصادية المعاصرة والحكم على عمل المصارف الإسلامية يستوجب الاستعانة بأهل الاقتصاد والمحاسبة وذوي الخبرة المالية، وكذلك الحكم على مسألة طبية معاصرة يقتضي الاستماع إلى أهل الطب، وكذا المسائل الفلكية والقانونية، وقد اعتبر بعض العلماء أن هناك ثلاثة علوم ضرورية لطلبة العلم الشرعي وأهله وهي:

1. علم النفس الإسلامي للتعرف على الطبيعة الإنسانية كما خلقها الله تعالى.
2. علم التربية الإسلامية للتعرف على النظرة الإسلامية للإنسان والمعرفة والأخلاق والمجتمع.
3. مناهج البحث العلمي الذي يستخدمها في حياته العلمية والبحثية. (1)

المبحث الثالث: السمات الاجتماعية لطلبة العلم الشرعي.

المطلب الأول: التزام الأدب التام مع الشيوخ والعلماء.

إن من الحقوق المستحقة لأهل العلم النافع المفيد عامة وأهل العلم الشرعي خاصة يكمن في احترامهم وتقديرهم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يُجَلِّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه" (2) ويقول طاووس بن كيسان: "من السنة أو يُوقَّر أربعة: العالم وذو الشيبة والسلطان والوالد، هذا من سنة نبيكم" (3) ولعل المقصود باحترام ذي الشيبة والسلطان يكمن في المؤمن منهم، والملتزم بأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية، والجدير ذكره أن من أهم مظاهر احترام العلماء السكينة والوقار في مجالس العلم والذكر، والمبادر لمساعدة العلماء قدر الإمكان في المجال العلمي الأكاديمي والاجتماعي كذلك، وأن يتقبل طالب العلم الشرعي تحديداً الأسلوب التربوي الذي يستخدمه أستاذه، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن مهدي: "كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من هو فوقه في العلم فهو يوم غنيمته، سأله وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه في العلم علمه وتواضع له، وإذا لقي من ه مثله في اعلم ذاكره ودارسه" (4).

ولعل من الضروري محاولة التوفيق بين هذه النظرة التقديرية للمعلم من قبل طلبته وبين مقولة ابن عساكر الشهيرة في التحذير من النيل من العلماء وانتقادهم والاعتراض عليهم وردّ

1- النقيب، عبد الرحمن، الثقافة التربوية لطلبة علوم الشريعة في جامعة الأزهر، دراسة حالة، بحث مقدّم لمؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، ج2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص 307.

2- الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج 1، ص 211، برقم 421، وعلّق الذهبي بأن مالك ثقة مصري.

3- الصنعاني، عبد الرزاق، المصنف، تحقيق حبيب الأعظمي، ط2، ج 11، ص 137، برقم 20133، المكتب الإسلامي، بيروت.

4- الراهبرمزي، الحسن بن عبد الرحمن، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ط3، ص 206، دار الفكر، بيروت.

أقوالهم، فقد ذكر ابن عساكر في واحد من كتبه " وأعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته إن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة لأن الوقيعه فيهم بما هم منه براء أمره عظيم والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم والافتداء بما مدح الله به قول المتبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصف كريم" (1) فهذا القول على جلالاته وبلاغته فإنه ينحصر في العلماء الريانيين الذين يتبعون القرآن الكريم، ويعملون بما فيه، ولا يخافون في الله لومة لائم، أما وقد ابتليت الأمة بعلماء سوء، يعرفون الحق ويحيدون عنه مرضاة للظالم، فهؤلاء ليسوا ممن عناهم ابن عساكر، بل الواجب التحذير منهم بكل وسيلة متاحة، ليحذر الناس من شرهم وضلالاتهم، فالواجب التروّي قبل تخطئة العالم والاعتراض على قوله، والإحاطة بالمسألة مدار البحث والنقاش.

المطلب الثاني: التعاون مع الزملاء والأقران.

ينبغي الإشارة إلى أن احترام المعلم لزملائه يؤثّق عُرى المحبة ويقوّي أواصر العلاقة الطيبة، وهو ما يعود على المتعلم وزملائه فذكر ابن جماعة صوراً من احترام المتعلم لزملائه فقال: " أن يتأدّب مع حضري مجلس الشيخ فإنه أدب معه، واحترام لمجلسه وهم رفقاؤه، فيوقّر أصحابه، ويحترم كبراءه وأقرانه، ولا يجلس وسط الحلقة ولا قدام أحد إلا لضرورة كما في مجالس الحديث، ولا يفرّق بين رفيقين، ولا بين متصاحبين إلا بإذنهما معاً، ولا فوق من هو أولى منه، وينبغي للحاضرين إذا جاء القادم أن يرحبوا به ويوسعوا له ويتوسعوا لأجله، ويكرموا بما يُكرم به مثله، وإذا فُسح له في المجلس وكان حرجاً ضمّ نفسه ولا يتوسّع" (2) .

ومن احترام الزملاء أن يقدم كبير السن حين الدخول لقاعة التدريس أو أي مجلس علم، يقول السمعاني: " إذا حضر جماعة من الطلبة وأذن لهم في الدخول على المُلمي فينبغي أن يقدموا أسنّهم ويُدخلوه أمامهم؛ فإن ذلك من السنة" (3) ، ومن احترام الزملاء ألا يقطع كلامهم أثناء الدرس أو يظهر عدم الاهتمام؛ لأن ذلك مدعاة للتباغض والضغينة، وألا يزاحم زملاءه على الأستاذ ولا يقطع حديث زميل له مع آخر إلا بإذنه، عن ابن عمر قال جاء رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الأنصار والآخر من ثقيف فسبقه الأنصاري فقال النبي صلى الله عليه وسلم للثقيفي يا أبا ثقيف سبقك الأنصاري فقال الأنصاري أنا أبدأه يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم

1- ابن عساكر، علي، تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط3، ص29، دار الكتاب العربي، بيروت.

2- ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم والعالم والمتعلم، ص232.

3- السمعاني، عبد الكريم، أدب الإملاء والاستملاء، شرح ومراجعة سعيد محمد اللحام، ط1، ص137، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

سلم يا أبا ثقيف سل عن حاجتك وإن شئت أنا أخبرتك بما جئت ” (1)، ويقول الزرنوجي في بيان الشراكة العلمية بين زملاء: ” ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء في طلب العلم والدرس ومن يتعلم منه، والتملق مذموم إلا في طلب العلم فإنه ينبغي له التملق لأستاذه وشركائه ليستفيد منهم ” (2) ومن احترام زملاء والأقران أيضا ستر العورات والعفو عن الزلات، يقول ابن جماعة في ذلك: ” أن يلزم أهل المدرسة بإفشاء السلام وإظهار المودة والاحترام، ويرعى لهم حق الجيرة والصحبة والأخوة في الدين والحرفة لأنهم أهل العلم وحملته وطلابه، ويتغافل عن تقصيرهم ويغفر زللهم ويستتر عوراتهم ويشكر محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ” (3).

وإن هذه العلاقة الطيبة تقود حتماً للتعاون بين زملاء العلم، وترسخ النصيحة بينهم، وفي ذلك يقول الإمام النووي: ” وينبغي أن يرشد رفقته وغيرهم من الطلبة إلى مواطن الاشتغال والفائدة ويذكر لهم ما استفادته على جهة النصيحة والمذاكرة، ويارشادهم يبارك له في علمه ويستنير قلبه وتتأكد المسائل معه مع جليل ثواب الله عز وجل، ومن بخل بذلك كان بضده فلا يثبت معه، وإن ثبت معه لم يثمر، ولا يحسد أحداً ولا يحتقره ولا يعجب بفهمه ” (4) لأهمية التعاون في طلب العلم بوب الإمام البخاري ذلك في كتاب العلم من صحيحه بعنوان (التناوب في طلب العلم) وذكر حال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إني قال ” كنت أنا وجارلي من الأنصار في بني أمية بن زيد - من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك ” (5) وفي شرح هذا الحديث قال ابن حجر العسقلاني: ” وفيه أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه ليستعين على طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته، لما علم من حال عمر أنه كان يتعاني التجارة إذ ذاك ” (6)

المطلب الثالث: اختيار الصداقة الطيبة.

حث الإسلام على اختيار الصحبة الصالحة، وأكد على ضرورة الارتباط بأصدقاء الخير، الذين يمتازون بتقديم النصيحة والمشورة الصالحة، وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ” مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد لا يعدمك من

1- عبد الزاق، المصنف، ج5، ص15، رقم 8830، الطبراني.

2- الزرنوجي، برهان الإسلام، تعليم المتعلم طريق التعلم، ط1، ص31، المكتبة السودانية، السودان.

3- ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم والعالم والمتعلم ص 266.

4- النووي، المجموع، ج1، ص39.

5- رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب التناوب على العلم، ج1، ص46، برقم 89.

6- ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص186، دار المعرفة، بيروت.

صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة ” (1)، ويؤكد ذلك رسول صلى الله عليه وسلم في قوله: ” المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته ويجوطه من ورائه ” (2) وهنا تتجلى أهمية الصحبة العلمية الصالحة في المجال العلمي والأكاديمي، وما لها من تأثير إيجابي يحرك النفس نحو المنافسة النظيفة في العلم الشرعي والبحث، وفي ذلك يقول الدكتور بكر أبو زيد: ” كما أن العرق دسّاس فإن أدب السوء دسّاس، إذ الطبيعة نقال، والطباع سرّاقة، والناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض، فاحذر معاشر من كان كذلك، فإنه العطب والدفع أسهل من الرفع ” (3) ونظراً لأهمية الصحبة الصالحة ذكر ذلك ابن جماعة بقوله: ” أن يختار أصلحهم حالاً وأكثرهم اشتغالاً، وأجودهم طبعاً وأصونهم عرضاً، ليكون معيناً له على ما هو بصدده ” (4) وينبغي لطالب العلم الشرعي أن يختار أصدقاءه بناءً على عدة صفات منها (5) :

1. الدين محسن الخلق: حيث يقول ابن جماعة في ذلك: ” فليكن صاحباً صالحاً ديناً تقياً ورعاً ذكياً كثير الخير قليل الشرّ حسن المداراة قليل المماراة، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وإن احتاج واساه وإن ضجر صبره ” (6).

2. علو الهمة في طلب العلم: لأن ذلك سيكون دافعاً للتأثر به والاجتهاد في الطلب، يقول في ذلك الزرنوجي: ” فينبغي أن يختار المُجدِّ الورع وصاحب الطبع المستقيم، والمتفهم، ويفرّ من الكسلان والمعطل والمكثار والمفسد والفتان ” (7).

3. من صفاته الفسيولوجية التي تديم المحبة والعلاقة بشاشة الوجه، ولطف اللسان، وسعة القلب، وبسط اليد، وكظم الغيظ، وترك الكبر.

ومما ينبغي التنبيه له عدم التقليل من شأن صداقات الطالب في بيئته العلمية الأكاديمية، لأنها يمكن أن تساعد أو تعيقه أكاديمياً واجتماعياً، ووفقاً لدراسة دارتموث ” أصدقاء مع فوائد أكاديمية ”، التي نشرت في مجلة (Context)، وفي مقال جانيس مكابي - أستاذ مشارك في علم الاجتماع في جامعة دارتموث بعنوان ” كيف تؤثر الشبكات الاجتماعية على النجاح الاجتماعي و الأكاديمي ” اختبرت الدراسات السابقة أهمية دور الأقران في حياة الطالب وغالباً ما كانت تركز

1- رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ج 2، ص 741، برقم 1995. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة الأدب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ج 8، ص 37، برقم 6860.
2- أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب النصيحة والحيطة للمسلم، ج 2، ص 296، برقم 4918، قال الألباني بأنه حسن.
3- أبو زيد، بكر بن عبد الله، حلية طالب العلم، ط 1، ص 23، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض.
4- ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم والعالم والمتعلم، ص 69.
5- علي عبد الحميد أحمد، التحصيل الدراسي وعلاقته بالقيم الإسلامية التربوية، ص 221، مكتبة حسن العصرية، بيروت، لبنان.
6- ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم والعالم والمتعلم، ص 79.
7- الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلّم، ص 50.

على تأثير الصداقات الاجتماعي، وقد قام البحث على التحليل والتحديد النظري لشبكات تتكون من 67 طالباً في إحدى جامعات الغرب الأوسط التي يغلب فيها العرق الأبيض، وذلك بالنظر إلى الدور الذي تلعبه الصداقات في حياة الطالب وكثافة العلاقات التي يكونها الطالب مع الأصدقاء، تجد مكابي أن صداقات الطالب يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع من الشبكات إما أن يكون الطلاب مجموعات متقاربة حيث جميع أفرادها يعرفون بعضهم البعض تقريباً وشبكتهم تشبه كرة من الخيط، أو عينات تتكون من مجموعة مستقلة لا تعتمد على الأصدقاء للشعور بالانتماء ومعزولة اجتماعياً. لكنها ناجحة أكاديمياً دون مساعدة من أصدقائهم أو مجموعات متباعدة يملكون حوالي 2-4 مجموعات من الأصدقاء الذين لا يعرفون بعضهم بعضاً، وشبكتهم تشبه ربطة العنق. يمتلك الأشخاص من هذه المجموعة صديق أو أكثر للدراسة وآخرون للهو والترفيه عن الذات مع توازن جيد بين كلا النوعين، وخلصت دراسة مكابي أن نوع الصداقة التي كونها الطلاب أثناء الدراسة الجامعية هو نفسه بعد التخرج منها، وأن صداقات الجامعة التي تقدم روابط أكاديمية واجتماعية قوية هي الأكثر ديمومة. (1)

الخاتمة

1. إخلاص النية لله تعالى أساس قبول كل عمل، وبالتالي فهي منطلق أساسي لطلبة كليات الشريعة.
2. ينبغي الاستشعار الدائم بالافتقار لله تعالى طوال حياة طلبة العلم وعدم الاغترار بالنجاحات.
3. لا يجتمع العلم الشرعي المؤثر مع النفوس الخبيثة.
4. التواضع لدى طلبة كليات الشريعة دافعاً لاحترام الناس وتقديرهم.
5. لا بد لطالب كلية الشريعة من برنامج مطالعة وخطة منهجية للكتب النافعة والمتخصصة.
6. صبر طالب العلم وتصبره على مشقة العلم يوصله لمراده بعون الله تعالى.
7. لا يمكن لطالب العلم الشرعي القدرة على الإفتاء بأية مسألة معاصرة دون الرجوع للعلوم المستجدة.
8. تظهر ثمرة العلم الشرعي في التزام الأدب مع الشيوخ والزملاء واختيار الأصدقاء الصالحين.

ويوصي الباحث بما يلي:

1. مواصلة البحث في السمات المنشودة لطلبة كليات الشريعة.
2. وضع خطط واقعية لتعزيز القيم التربوية الإسلامية لدى طلبة كليات الشريعة.
3. طرح مساقات حول الشخصية المطلوبة من كليات الشريعة.
4. التعاون والتواصل مع وزارة الأوقاف ووزارة التربية لتقييم أداء خريجي كليات الشريعة والوقوف على الاحتياجات العلمية والتدريبية لهم، ومعالجة الخلل إن وجد.



السنن الإلهية وعلم الاجتماع الإسلامي



الباحثة سولسن سعيد حسين حجازي*

*بكالوريوس تربية إسلامية من جامعة القدس المفتوحة 2005 / 2006، ماجستير أصول دين 2015-2016 / جامعة النجاح الوطنية، وعملت كمدربة متطوعة في مجال تدريس التجويد وتحفيظ القرآن الكريم 1989-2006، كما شاركت في المسابقة الدولية السابعة والثلاثين في تلاوة وتجويد القرآن الكريم والمنعقدة في كوالامبور-ماليزيا كانون الأول / 1995.

مقدمة.

تجري الحياة البشرية بمقتضى سنن أجزاها الله عزَّ وجل لتنتظم الحياة الإنسانية على نسق واضح يعرف الانسان فيه خطواته ومبتدأه ومنتهاه لكي يسير على هدى ولا يتخبط في سيره، ثم عرفنا بهذه السنن في كتابه المنزل وفي سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ودعانا إلى النظر والتفكر في آياته وسننه الكونية والنفسية والاجتماعية لكي نكون على بينة من الأمر في تصرفاتنا، ونقدّر مسؤولياتنا فلا نكون عفويين، ولا فوضويين، ولا قصار نظر.

فموضوع السنن الإلهية من الموضوعات المهمة نظراً لتأثيرها القوي والفاعل في حركة حياة الإنسان عموماً، والمسلم على وجه الخصوص لأنها تتعلق بمنهج التفكير والرؤية الواضحة للكون، ومن ثمرات هذا المنهج؛ توجيه العقل وتربيته على التفكير الصحيح بعيداً عن التفكير الخرافي والتواكلي.

ورغم أن الأمة في تاريخها تباين اهتمامها بفقهِ السنن الإلهية قلَّةً وكثرة إلا أن الجهود المبذولة إلى الآن لا تزال دون المستوى المطلوب لترقى إلى تأسيس علم سنننيّ مستقل، وما زال البحث في الموضوع أكثر ما يكون على شكل مقالات ورسائل علمية، ويعاني من إشكاليات متعددة أهمها غلبَة التنظير والعلم على التوظيف والاستثمار، ومن العيوب البحثية: التداخل المصطلحي، وضعف المنهجية في تناول المصطلح، وتباين الدراسات بينما هو أكاديمي علمي وبين الطابع الصحفي، وغلبة العمل الفردي والبحث الجزئي على العمل الكلي التكامل.

هذا البحث هو محاولة للتعريف بالسنن الإلهية والتنبيه لأهمية تعقُّل الأمة لها أفراداً وجماعات وتفعيل قواعدها في واقعهم خاصةً وأن مثل هكذا تخصص سيمد العلوم الشرعية بمفردات ومعطيات جديدة ستكون النافذة التي تطل بها على مختلف العلوم في جُلّ الميادين خاصة العلوم الاجتماعية والانسانية وعلى رأسها علم الاجتماع الاسلامي.

المبحث الأول

السنن الإلهية: الماهية والأهمية.

المطلب الأول: السنن الإلهية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مسيرة جهود العلماء والمفكرين القدامى والمعاصرين في خدمة السنن الإلهية.

المطلب الثالث: مصادر معرفة السنن الإلهية وأهميتها الطالب العلم الشرعي.

المطلب الأول: السنن الإلهية في اللغة والاصطلاح.

أولاً: السنن إلهية في اللغة

للسنة معان كثيرة في كتب اللغة، إلا أن الأصل اللغوي لكلمة السنة هو: جريان الماء، ثم عمّ لأي شيء يجري في أطراد وسهولة ويسر⁽¹⁾، ومن معانيها أيضاً: الطريقة سواء كانت مرضية أو غير مرضية⁽²⁾، وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق⁽³⁾ وكما يستعمل الفعل (سنن) على الحقيقة، يستعمل مجازاً، ففي "أساس البلاغة" للزمخشري: "سنن الأمير عيته: أحسن سياستها"⁽⁴⁾ "ورغم استفاضة اللغويين في معاني السنن إلا أنهم قل ما يتوقفون عند السنة مسندة لله تعالى"⁽⁵⁾: سنة الله.

وأذا أردنا تلخيصاً للمعنى اللغوي للسنن: فهي الطرائق المطردة والسير المتبعة والأحكام المطردة في الكون والبشر فإذا أضفنا له البعد الإلهي، تكون السنن الإلهية في الاستعمال اللغوي: هي الطرق والسير والأحكام الإلهية الجارية المطردة في الكون والبشر⁽⁶⁾.

ثانياً: السنن الإلهية في الاصطلاح:

"لقد حظي مفهوم السنة في التراث الإسلامي بكثير من المعاني وذلك تبعاً لاختلاف الحقول والتخصصات التي تتصل بها من زاوية أو أخرى"⁽⁷⁾، ومع اختلاف تعريفات السنة بين الفقهاء والمتكلمين والمحدثين إلا أنها ظلت تدور على المعنى المتعلق بأقوال النبي وأفعاله وتقريراته المتضمنة للتشريع، وذلك لغلبة هذا الجانب على حركة المسلمين ورغبتهم في خدمة الدين عملياً⁽⁸⁾.

ولعل تعريف الباحث حيدوسي عمر للسنن الإلهية والذي ضمنه جملة معاني محورية مبنوثة في مجمل تعاريف من سبقه من الباحثين؛ هو الأكثر جدة وتميزاً: "السنن الإلهية هي تلك الأنساق

1- انظر: ابن فارس، أبو الحسين زكريا القزويني الرازي: معجم مقاييس اللغة: تحقيق: عبد السلام هرون، (دار الفكر، 1979م)، 61/3

2- انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، مادة (سنن)، ط1 (بيروت: دار صادر)، 1240/3

الجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات: تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1 (بيروت: دار الكتاب العربي، 1405هـ)، 161/1

3- انظر: الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة: تحقيق: محمد عوض مرعي، ط1 (بيروت: دار إحياء التراث العربي) 2001م/243-245

4- الزمخشري، محمود بن عمر: أساس البلاغة، (بيروت: المكتبة العصرية، 2005م/418

5- حيدوسي، عمر: السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في العلوم الإسلامية، تخصص كتاب وسنة، إشراف الدكتور عبد الحميد بوكعباش، ص156، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، العام الدراسي 2011-2012

6- انظر: المرجع السابق، ص158

7- شهبان، راشد سعيد: بحث بعنوان تأصيل عم السنن الربانية، جامعة البلقاء التطبيقية، كلية أصول الدين الجامعية، عمان، ص12

8-

القانونية التي يثبتها الله سبحانه وتعالى في كل المفردات الكونية لتخضع له سبحانه في أطراد وانتظام⁽¹⁾.

المطلب الثاني: مسيرة جهود العلماء والمفكرين القدامى والمعاصرين في خدمة السنن الإلهية.

أولاً: جهود العلماء القدامى في خدمة السنن الإلهية.

” بالرغم من أن الدرس السنني كان حضوره في القرآن الكريم والسنة النبوية حضوراً ملفتاً إلا أن الأمة فرطت في سنن الله ونواميسه الكونية ولم تسع إلى تدوينها ودراستها ضمن العلوم الكثيرة والتي أولتها الحفظ والعناية والاهتمام. ومع ظهور بعض المحاولات بين الفينة والفينة إلا أنها لم ترق إلى الاهتمام اللائق والمناسب بل كان يصيبها الإهمال والطي⁽²⁾.”

ثانياً: جهود العلماء والمفكرين والمعاصرين في خدمة السنن الإلهية.

يعد محمد عبده أول من قدّم مفهوم السنن الإلهية كمفهوم قرآني مركزي وذلك في تفسيره للقرآن الكريم، ولم يتبلور مفهوم السنن الإلهية إلا في الفكر الإسلامي المعاصر مع بروز الاتجاه الاجتماعي في التفسير⁽³⁾.

ومن تلاميذ محمد عبده الذين تأثروا بفكره السنني؛ محمد رشيد رضا في تفسير المنار، ومحمد المراغي وشكيب أرسلان، ومن المفسرين أيضاً الطاهر محمد بنعاشور، وعبد الحميد بن ياديس. ومن كتب التفسير التي أفاض صاحبها في الحديث عن السنن الإلهية، تفسير ”في ظلال القرآن“ لسيد القطب والذي أضاف للموضوع إضافات جيدة.

” وعلى الرغم مما قيل حتى الآن من تعريف للسنن وإدراك لإهميتها وضرورة التعامل معها إلا أن رصيدها لم يخرج من ذلك عن بدايات ونظرات لم تتجاوز إلى الكنه ولم تتسع لتشكّل مجرى ثقافياً عاماً في الأمة وإنما بقيت في إطار بعض المفكرين والمتأملين الذين يمكن اعتبارهم رواد الاستطلاع والاستشراق⁽⁴⁾”

1- الوزاني، الطيب: جهود الامّة في خدمة القرآن الكريم من خلال مفهوم السنن الإلهية في التاريخ والاجتماع البشريين، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع: جهود الأمة في خدمة القرآن وعلومه، فاس، إبريل 2011م/843
2- البحث الفائق بجائزة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية المحكمة لعام 2011م، ط1 (الدوحة): وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2012/ص2
3- انظر: فرحات، أحمد حسن: أصول تفسير القرآن الكريم السننية: الواقع والآفاق جامعة قطر، المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، ص990
4- كنعان، محمد أحمد، أزمنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، كتاب الأمة وقضية الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني للبحوث والدراسات، 2011/ص12

المطلب الثالث: مصادر معرفة السنن الإلهية وأهميتها

أولاً: مصادر معرفة السنن:

إن المتدبر لكتاب الله تعالى ولسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليجد عناية ملحوظة بإبراز السنن الإلهية وتوجيه النظر إليها واستخراج العبرة منها والعمل بمقتضياتها لتكوين المجتمع السليم والمستقيم على أمر الله . والسنن الواردة في كتاب الله والسننة المطهرة تشمل سنن الله في الكون والنفس والحياة، بين الشارح الكثير منها وترك للإنسان ودعاه بقوة إلى التعرف عليها واستكشافها فهي كثيرة لا تكاد تعد ولا تحصى ومن أمثلتها في القرآن: سنة التدرج، سنة الأجل، سنة المدافعة، سنة التداول الحضاري وسنة التسخير، وسنن الله الأخرى في الأنفس والآفاق والكون (1) فمن الأمثلة على السنن النفسية قوله تعالى "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" (2)، وقوله تعالى "لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ" (3) وقوله أيضاً "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغَى" (4).

ومن أغزر موارد السنن لإلهية في القرآن والسنة: القصص القرآني والنبوي، والأمثال القرآنية والنبوية المتعلقة بكيفية معاملة الله للبشر بناء على سلوكهم وتصرفاتهم (5).

"كما ويمكن لأي إنسان أن يطلع على الكثير من طبائع الأشياء وسنة الله تعالى الثابتة في هذا الكون بشرط واحد هو أن يبحث عنها بالمنهجية الصحيحة موفراً أدوات البحث وشروطه" (6).

ثانياً: أهمية السنن الإلهية وعلاقتها بالعلوم الشرعية:

إن قضية السنن الإلهية قضية أكثر ما تكون التصاقاً بعقيدة العبد وإيمانه بالله تعالى فيقصد من بيانها تعظيم الله عز وجل ومزيد الإيمان به وذلك بالإطلاع على شيء من حكمته وعظم صبغته، فيعرف الإنسان أنه لا مكان في الحياة للصدفة العمياء ولا الفوضى والارتجال (7)، قال تعالى "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" (8).

فمعرفة سنة الله جزء من معرفة الدين وإن هذه المعرفة ضرورية ومن الواجبات الدينية لأنها

1- الغزالي، محمد: كيف نتعامل مع القرآن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط1991/1، ص142

2- سورة إبراهيم : 34

3- سورة فصلت : 49

4- سورة العلق : 7/6

5- انظر: عاشور، مجدي: السنن الإلهية مصادرها وضوابطها، مجلة المسلم المعاصر العدد111، مارس/2004

6- بكار، عبد الكريم: هي هكذا، ط1، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ص15، 1429هـ.

7- انظر: قطب، محمد، حول التفسير الإسلامي للتاريخ، (القاهرة: دار الشروق) 2008م/ص88

8- سورة القمر: 49

تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا تقع في الخطأ والعتار والغرور والأمان الكاذبة وبذلك ننجو مما حذرنا الله منه⁽¹⁾.

وإن معرفة الإنسان لهذه السنة تمنحه بإذنه تعالى قدرة على تفسير الأحداث وتحليلها - خاصة الكبرى - تفسيراً شرعياً سليماً. قال تعالى: "أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (2)" (3).

كما وأن معرفة السنن والسير عليها هداها تحقيق لمعنى الاستخلاف في الأرض وترشيد العمل الدعوي، وتنشيط حركة البحث في إمكانية بعث الأمة. وتأهيل العنصر البشري وتنمية المواهب والقدرات والتخلص من عقدة الغرب وغزوه الفكري. 24'

أما بالنسبة لأهمية معرفة السنن الإلهية لطالب العلم الشرعي؛ تورد الباحثة كلاماً في هذا الموضوع من الدراسة الأنضج والأحدث في فقه السنن للباحث عادل عيساوي والتي بعنوان "فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري" حيث يقوم بتوصيف للحال التي آلت إليه منظومات التعليم في العالم الإسلامي والذي أدى إلى أزمة معرفية وأخطاء منهجية متتالية لا تزال الأمة تكوى بها إلى اليوم وما ذلك إلا لغياب علم سنني إرشادي كامل المعالم في المناهج التربوية والبرامج التعليمية، فيقول: "فأنت ترى الفقيه وهو يصنع فتواه، ويكيفها ينظر في الأدلة ليستنبط منها الأحكام" وليس له التفاتة إلى نظام العوائد والسنن؛ لأن الفقهاء لم يعملوا السنن الاجتماعية، كما لم يعملوا السنن النفسية لفهم نص شرعي موضوعه ومجاله السنن الاجتماعية، كما لم يعملوا السنن النفسية لفهم نص موضوعه وبنيته السنن النفسية، ولم يعملوا السنن التاريخية لفهم آية أو حديث موضوعه السنن التاريخية، فليست القواعد الاجتماعية عند الفقهاء من مخصصات العموم ولا من مقيدات المطلق بحسب المنج الأصولي، وإنما تعاملت المدارس الفقهية مع النص من خلال الأدوات الشرعية التي تبحث في ثبوت النص ووضوحه، وفي المخصصات المعروفة في باب البيان عند الأصوليين"،... ومع ذلك فنحن لا نطالب الفقهاء أن يجعلوا من السنن مصدراً من مصادر الأحكام أو التشريع، بقدر ما نطالبهم أن يجعلوا منه سنداً في تنزيل أحكامهم على الوقائع والأحداث .

وإذا عرجنا إلى مجال آخر كالتصوف مثلاً، فإنك تجد الصوفي يمارس صناعة الزهديات بعيداً

1- انظر: زيدان، عبد الكريم: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ط3 (بيروت: مؤسسة الرسالة) 1994/ص16

2- انظر: سعيد، جودت: حتى يغيروا ما بأنفسهم، ط6 (دمشق، دار الثقافة للجميع) 1980/ص138. خليل، عماد الدين: حول تشكيل العقل المسلم، ط1989، م/ص53.

3- سورة الملك : 22

عن سنن الله التي هي قوالب المصالح وأنواعها، فتجده يفني العمر الذي وهب للعمارة يصارعها ويغالبا، فيعلن الحرب بين أجزائها ومنظوماتها ومسخراتها، حتى إذا روض نفسه عن شهوات الدنيا، وأقنعها بالسفة والسفتين أعلن إنتصاره على الحياة... فنشأت الأمة -جاء ذلك- في تطبيع مع الفقر والرداءة، والعجز والكسل في كل ميادين الحياة الدنيا، كما انسحب هذا الوضع على الكثير من حركات الإصلاح في العالم الإسلامي .

أما علماء الكلام فمع كونهم أكثر العلماء أهلية للخوض في مسائل هذا العلم، وإخراجه إلى الناس عذبا فراتا؛ لكونهم أقدر على فهم مقولاته الكلامية والفلسفية ومنطلقاته القرآنية، إلا أنهم كانوا السبب فيغوره وتكدر دلائه، إذ طفقوا يتنازعون ويترافعون في دفاعاتهم الكلامية بمصطلحات مستوردة من أقوام لم يذكروا اسم الله عليها فجنحوا بعيدا....

ومن مظاهر هذه الأزمة التي أفرزها غياب علم السنن الإلهية كمؤشر للفهم، ومسدد للممارسة أن تجد جهود الدعاة والعلماء والمصلحين بل والحركات الإصلاحية " طلبة فارغة تحدث دويبا ولا تصيب هدفا " فكثيرا ما نأمر بالمعروف فيكون سببا في ظهور المنكر ونهى عن المنكر فيكون سبب إثارته.

المبحث الثاني علم الاجتماع الإسلامي وعلاقته بالسنن الإلهية

المطلب الأول: علم الاجتماع الإسلامي: تعريفه، نشأته، ودواعي صياغته

المطلب الثاني: علم الاجتماع الغربي والدافع لفكرة أسلمه المعرفة

المطلب الأول: علم الاجتماع الإسلامي: تعريفه، نشأته ودواعي صياغته.

أولا : تعريف علم الاجتماع الإسلامي :

هو تلك المعرفة القائمة على الدراسة المنهجية الرامية إلى اكتشاف السنن الإلهية المتعلقة بالظواهر المجتمعية من منظور إسلامي⁽¹⁾.

ثانيا : نشأة علم الاجتماع الإسلامي ودواعي صياغته

لما رأى ابن خلدون توقف الحضارة الإسلامية بل تراجعها، بدأ حركته في تأسيس العلوم الاجتماعية من منظوره الإسلامي ليتم تشكيل المحتوى الفكري والنسق الثقافي اللذين كانا لعمران الإسلامي في أمس الحاجة إليهما ليستأنف دورته الحضارية على أساس متين، لكن جهود ابن

1- دليو، فضيل وآخرون : علم الاجتماع من التغريب إلى التأميل (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1990، ص7

خلدون لم يقدر لها أن تتابع في الوقت الذي تلقف فكره وتابعه وتمثله الغربيون⁽¹⁾.

أما في العصر الحديث فكان أول من دعا إلى تأسيس علم السنن الإلهية هو محمد عبده والذي سماه بعلم الاجتماع الديني⁽²⁾.

إنّ المحاولة الجادة لتجديد المفهوم الاجتماعي للدين والتي كان روادها أصحاب الاتجاه الاجتماعي في التفسير، كان لها أثرها الخطير في ضبط عملية الاستمداد من الحضارة الغربية بعد أن اشتد اتصال المسلمين لها، وتأثرهم بأفكارها، وإعجابهم بمدى ثمتها .

ولو لم يبرز الدين عاملا اجتماعيا هاما تركز حوله قيم المسلمين ومثلهم لكان من الممكن لهذا الاستمداد أن يدمر للشخصية الإسلامية⁽³⁾.

وقد اتفق كل مفكري العصر الحديث المجددين أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد إقبال، وعباس العقاد، ومالك بن نبي، والطاهر بن عاشور على أهمية تحرير العقل وإصلاح الفكر في دفع حركة الإصلاح الاجتماعي والتقدم الحضاري للأمة⁽⁴⁾ فإيرالطاهر بن عاشور أن الميل الطبيعي نحو التمدن لا يكفي لإنجاح الاجتماع البشري وإنما يجب إصلاح التفكير في نواحي مختلفة⁽⁵⁾.

المطلب الثاني : علم الاجتماع الغربي والدافع لفكرة اسلمة المعرفة.

أولا : الدافع الفكرة اسلمة المعرفة.

إن العلوم الاجتماعية الغربية لم تكن إلا امتدادا لعقلية دراسة السنن والنواميس الكونية في عالم المادة والتي نقلوها عن علماء الإسلام والتي استمدوها من فهم الكتاب والسنة، ثم امتدت لاحقا إلى دراستهم (أي الغربيون) للفطرة الإنسانية الاجتماعية والتعرف على أسرارها وتوليد الفكر الاجتماعي والقانوني اللازم لإدارة شؤون مجتمعها وفق رؤية حضارتهم ومفاهيمهم المادية التي مازال العالم يعاني بسببها حتى اليوم والتي أفرزت ويلات الاستعمار والظلم والعدوان، في الوقت الذي كان المسلمون أولى من سواهم للريادة في مجالات الدراسات العلمية للفطرة الإنسانية والسنن

1- انظر: العلواني، طه جابر، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، ورقة عمل (فريجينا، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي) 1991/ص29

2- عمارة، محمد: الإصلاح في الإسلام، ط2 (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر)، 2007

3- الشرقاوي، عفت محمد: الفكر الديني في مواجهة العصر، ط2 (بيروت: دار العودة) ص286

4- عبد المجيد ضان محمد، التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص68

5- ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط2 (تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1985/م/ص53

والنواحي الإلهية⁽¹⁾ لذا كان لزاماً على الباحث المسلم في العلوم الاجتماعية أن يقوم بأربعة أمور⁽²⁾ :

1. أن يؤهل نفسه لمعرفة الرؤية القرآنية الكونية الحضارية وقيمها ومفاهيمها ومبادئها وثوابتها.

2. أن يخلص نفسه من داء التقليد والمتابعة وان يسبح نفسه بالعقلية الشمولية التحليلية العلمية الناقدة المبدعة.

3. أن يؤهل نفسه بمعرفة المنهج العلمي لدراسات الفطرات الإنسانية والكونية ودراسة الواقع وطاقاته وإمكاناته في الزمان والمكان .

4. أن يستفيد من التراث الإسلامي وان يفيد من الانجازات العلمية المعاصرة الموضوعية ، ليواصل بها ارتياد آفاق أسرار النفوس والكون وإيداع الوسائل والسبل لتمكين الإنسان من الرقي بعالمه وتحقيق (الحياة الطيبة) في الدارين .

لهذا ظهرت فكرة مشروع "إسلامية المعرفة" للقيام بمهام لا تختلف عما يقوم به العلماء والدارسون كافة في مجالات العلوم . فما هي أسلمة المعرفة؟ وما علاقتها بالسنن وعلم الاجتماع الإسلامي؟

ثانياً: التعريف بمشروع (أسلمة المعرفة).

إسلامية المعرفة تعني " إيجاد علاقة بين المعارف والعلوم وبين السنن الإلهية التي جاء بها الوحي في الكون والإنسان والاجتماع وكذلك توظيفها لتحقيق المقاصد والغايات الشرعية التي حددها الوحي لخلق الله سبحانه وتعالى: الكون والإنسان"⁽³⁾

فإسلامية المعرفة وإسلامية العلوم الاجتماعية وجهان لعملة واحدة⁽⁴⁾ .

بعد الغزو الغربي للوطن العربي وعالم الإسلام ، منذ نحو قرنين من الزمان ، اقتحم الفكر الغربي على العقل المسلم دياره ومعاقله محاولاً أن يفرض عليه نموذج الحضاري الغربي المؤسس على النزعة المادية والحسية في المعرفة ، الأمر الذي جعل من شعار "إسلامية المعرفة" التعبير عن مهمة ثقافية ورسالة فكرية وأعظم من هم "أكاديمي" إنها جزء من المشروع الحضاري الإسلامي الذي يمثل بالنسبة ليقظتها الإسلامية الحديثة دليل العمل الذي ينير لهذه اليقظة الطريق ، وطوق النجاة لامتنا من هاوية الاستلاب الحضاري الذي أقامه له (الأخر الحضاري) في عقردارنا

1- أبو سليمان ، عبد الحميد : الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، ص200

2- المرجع السابق، ص207

3- عمارة ، محمد ، إسلامية المعرفة - ماذا تعني، ط1 (القاهرة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع) 2007م /ص82

4- أبو سليمان ، عبد الحميد، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية ص190

المؤسسات التي ثبت مذهبها في المعرفة ومناهجها في صياغة الواقع وتشكيل الحياة⁽¹⁾.

ثالثا : محاولات المشروع والمنظمة لتحقيق أهدافه :

منذ بدء الدعوة بأسلمة المعرفة في عقدي الستينيات والسبعينيات ووصولاً إلى قيام المعهد العالمي للفكر الإسلامي في بداية الثمانينات لكي يتولى كبر المهمة ... مروراً بالمحاولات التنفيذية المخلصة لعدد من الجامعات وبالنسبة لبعض الفروع والتخصصات : شهدت الساحة أنماطاً من الأنشطة الإعلامية والتنظيرية والعملية يمكن أن نعملها في السياقات التالية :⁽²⁾

• أولاً : المؤلفات والنشریات

• ثانياً : المؤتمرات والندوات والمحاضرات

• ثالثاً : المؤسسات

خطة العمل : في البدء لابد من رسم الخطوط العريضة للتصور الإسلامي لأسلمة كل فرع من فروع المعرفة : مثلاً خطوط عريضة لمنهج مقترح لأسلمة الاقتصاد أو الإدارة أو التاريخ أو الأدب .. الخ .

يسهم في صياغته أستاذ أو أكثر ممن تتوفر منهم شروط التخصص : خلفية ثقافية واسعة ، ورؤية إسلامية دقيقة وإيماناً عميقاً بضرورة عملهم هذا ، وقدرة على تحقق الوثام والانسجام بين مفردات تخصصهم وبين "الإسلامية" .

وهنا أيضاً يتحتم على مهندسي حركة "أسلمة المعرفة" ألا يتوهموا بإمكانية البدء من نقطة الصفر ، فكلما كان ضروريا الرجوع إلى التراث المعرفي الإسلامي والاستمداد منه - فإنه من الضروري - كذلك - احتضان المعطيات الإسلامية الحديثة والمعاصرة والتعامل معها بالجديّة المطلوبة التي قد ترفد الأسلمة بالكثير من الأعمال القيمة .. إن أعمال مفكرين كالندوي وإقبال المودودي والسباعي والجسر وابن نبي وسيد قطب ومحمد قطب . ومحمد البهي والغزالي والقرضاوي والنورسي ومحمد أسد وروجيه جارودي وغيرهم عشرات بل مئات لا يحصيهم العد على مدى قرن ونصف القرن - هذه الأعمال لا يمكن إلا أن تكون فرصة طيبة لتقديم المادة المناسبة لإقامة البناء وتوفير الكثير من الوقت والجهد⁽³⁾.

إن عصب المحاولة وأداتها الرئيسية في تحولها إلى واقع منظور هو المؤسسة التعليمية عبر مراحلها

1- عبارة ، محمد ، إسلامية المعرفة ، ص 82

2- خليل ، عماد الدين ، مدخل إلى إسلامية المعرفة مع مخطط مقترح للإسلامية علم التاريخ ، ط 2 ، المعهد العالمي الفكري الإسلامي 1992م ، ص 50 .

3- المرجع السابق : ص 48

الزمنية العديدة التي تبدأ في المدرسة الابتدائية وتنتهي بمعاهد الدراسات العليا للمجستير والدكتوراه.

ولعل مما يبشر بالخير توجه الكثير من الباحثين والدارسين إلى هذا اللون من الدراسات (الدراسات الاجتماعية) واختيار موضوعاتها لتكون مجالاً للدراسات الجامعية والرسائل الأكاديمية في الماجستير والدكتوراه، إضافة إلى فسح مجالات في بعض الجامعات الإسلامية إلى مقررات في العلوم الاجتماعية علاوة على ما تتضمنه مناهج مادة الثقافة الإسلامية التي تدرس في الجامعات '38' كما وقد أثارت العلاقة بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية مسألة في غاية الأهمية، ألا وهي مسألة استنباط المناهج من العلوم الشرعية واستخدامها في دراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية. فالعلوم الشرعية تذخر بالعديد من المناهج والنظريات التي يمكن الاستفادة منها في مجال العلوم الاجتماعية؛ مثل نظرية الاعتماد المستمدة من علم الحديث، التي توصل لمفهوم الجماعة العلمية في العلوم المختلفة... وغيرها. بل، وفي المقابل، إنشاء واستنباط علوم وموضوعات جديدة حول القرآن الكريم، بما يخدم الواقع ويحقق التفاعل المتبادل بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية، مثل التفسير الموضوعي للقرآن، الاستنباط القرآني... فهذا الأمر، المتعلق باستنباط المناهج والموضوعات، يمكن أن يمثل الإفادة الأساسية على المستوى المنهجي والنظري التي يمكن أن تتحقق لدارسي ومتخصصي العلوم الاجتماعية من العلوم الشرعية المختلفة.

ومن ثم، فإن الأمر يحتاج تكاتفًا وتعاونًا بين دارسي العلوم الشرعية والاجتماعية، يهدف إلى قراءة تلك العلوم من زاوية مختلفة، بما يساعد على تفعيل النص وفهم الواقع من خلاله.

واختتم هذه الورقة بكلام حامد عبد الله ربيع حيث يضع مواصفات الجامعة الحضارية ويضرب مثلاً فيه رد على من لا يؤيد أسلمة المعرفة فيقول:

” إن علينا أن نتذكر أن الجامعة الحضارية ليست وظيفتها تخريج كوادر أو التعامل مع الوظائف المهنية أساساً، وإنما تتحدد المهام الملقاة على عاتقها بأنها أداة لخلق التكامل المعنوي حول مفهوم الوظيفة الحضارية، وهي بهذا المعنى تجميع للقدرات الفكرية الخلاقة ومسرح يسمح بخلق المدارس العلمية المختلفة، وأداة تسهيل إحياء التراث القومي ومرصد وظيفته طبخ المشكلات وتقديم الحلول، وكل ذلك دائماً من منطلق أساسه الدواعي والإمكان، ولنستمع للكلمات التي جاءت على لسان ”ماجوس“ أول رئيس للجامعة العبرية بالقدس في عام 1924 وهو يعكس بوضوح هذه المفاهيم: ”نريد أن نصير هذه الجامعة مكاناً، حيث اليهودية تخضع

للدراصة في جميع مراحلها ، بل وفي الوقت نفسه حيث يمكن دراسة الإنسانيات ، وذلك الذي منه تتكون الحضارة المعاصرة . هنا لن توجد اليهودية في جانب والإنسانيات في جانب آخر ، بل أكثر من ذلك يجب أن يتحقق نوع من الدمج بين كليهما في كل متناسق ، بحيث نعاصر يهودية وقد اغتنت بدورها واتسعت . إن هدفنا أن نستقبل التطور الاجتماعي خلال القرن الماضي ليس بمعنى التشبه بين الشعوب ولكن بمعنى الاستيعاب في داخل اليهودية بالكنوز المعنوية للإنسانية . نريد بمساعدة البحث العلمي المتخصص أن نلقي بنظرتنا على الإنسانية من خلال عيوننا ومسلكتنا في التصور دون أن تعمينا حضارة تبدو وقد حكم عليها بالفناء بسبب تورطها في الترابط مع حياة ميكانيكية وارتباطها بالمنجزات المادية .”

إن الطريق لا شك طويل ، والجهود التي يتطلبها تبدو للوهلة الأولى من قبيل المستحيلات ولكن القيمة الكبرى للمحاولة وهي إنهاء عصر الفصام النكد بين العلم والإيمان تستحق العناء . سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة.

بعد أن انتهيت من هذا البحث - بحمد الله - خلّصت إلى النتائج التالية .

- أولاً: عرّف القدماء السنن بما هو لغوي وقلمًا توقفوا عندها مسندةً لله تعالى في حين أضاف المعاصرون إلى جانب تعريف السنن الإلهية لغةً تعريفًا علمياً قريباً من المجال العلمي الدقيق .
- ذي كان له الآثار السلبية على شتى مناحي الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية .
- ثالثاً: صنّف المتقدمون والمتأخرون في العلوم تصنيفاً يعبر عن الإبداع الذي وصلت إليه الحضارة الإسلامية ومع ذلك لا نجد بين تلك التصنيفات محاولات لتأسيس علم سنني مستقل .
- رابعاً: إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يخرّنان في طياتهما مادة سننية بارزة من خلال التصريح بلفظ السنة او ما يقاربه من مصطلحات ومفاهيم دالة عليها مع رصيد هام من القصص والأمثال والأحكام المطعمة والمذيلة بجقائق سننية تصريحا وتلميحا .
- خامساً: إن معرفة سنن الله جزء من معرفة الدين فهي تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة وتفسير الاحداث وتحليلها وبالسير على هداها تحقيقاً لمعنى الاستخلاف في الارض .
- سادساً: علم السنن في صورته النهائية هو حلقة وصل وساحة والتقاء بين كل العلوم والتخصصات ، خاصة العلوم الشرعية حيث سيمدها بمفردات ومعطيات جديدة

سيكون النافذة التي تُطل منها على مختلف العلوم في شتى الميادين.

يعتبر ابن خلدون أول من أسس للعلوم الاجتماعية من منظورها الإسلامي، أما في العصر الحديث فيعد محمد عبده أول من دعى المسلمين إلى السعي للتأسيس لعلم الاجتماع الديني أو علم السنن وكان الأكثر تحديداً لمفهوم السنة في مدلولها الاجتماعي، مقارنةً بمن سبقه من العلماء والمفسرين.

إن (إسلامية المعرفة) و(إسلامية العلوم الاجتماعية) هما وجهان لعملة واحدة حيث تهدف إلى إيجاد علاقة بين المعارف والعلوم وبين السنة الإلهية التي جاء بها الوحي في الكون والإنسان والاجتماع وكذلك توظيفها لتحقيق المقاصد والغايات الشرعية التي حددها الوحي لخلق الله سبحانه وتعالى: الكون والإنسان.

التوصيات

- أولاً: العمل على نشر الوعي السنني والثقافة السننية في براية المراحل العلمية وذلك بتشكيل لجان خبراء لاعداد مشروع تدريس مادة السنن الالهية في مختلف المراحل التعليمية، ولا بأس بالاستعانة بمؤتمرات دولية تعقد خصيصاً لهذا الغرض تنفرد عنها ورش عمل هدفها متابعة هذا المشروع واعداد مقررات دراسية لذلك.
- ثانياً: تأسيس تخصص للسنن الإلهية في الجامعات الإسلامية كتخصص دقيق في اطار الفكر الإسلامي على غرار باقي التخصصات في العلوم الشرعية
- ثالثاً: اقتراح مادة السنن الالهية لمختلف التخصصات وتخصص السنن الالهية فكرة مكمله ولربما تكون بديلة عن (فكرة نظام التخصص المزدوج) الذي طرحته كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الانسانية بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.
- رابعاً: هناك تطور نوعي في الكثير من العلوم الشرعية والانسانية يحتاج الى تامين واستثمار ضمن اطار علم وتخصص السنن الالهية من هذه العلوم مقاصد الشرعية الإسلامية، باعتباره فع عن المقاصد التكوينية والعقدية ومن ضمن العلوم الشرعية المساوقة لهذا التخصص (علم الكلام) فقد آن الأوان لهذا العلم ان يسترجع دوره في المرافعة عن العقائد الإسلامية ولكن بلغة معاصرة بعيدة عن لغة المتكلمين القديمة ولا يرى اطار مناسب لذلك الا من خلال علم السنن الالهية ونفس الامر ينطبق على تخصص الاعجاز العلمي في القران والعلوم الاجتماعية بفروعها المختلفة
- خامساً: اقتراح مشروع المصحف السنني وهي فكرة تعتمد على استثمار هوامش صفحات المصحف في بيان السنن الالهية الواردة في كل صفحة وهي فكرة على بساطتها تساهم في استصحاب الرؤية السننية في قراءة كتاب الله.

المراجع الخاصة

1. الشرقاوي، عفت محمد، الفكر الديني في مواجهة العصر، ط2، (بيروت: دار العودة)
2. العلواني، طه جابر، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991م
3. الغزالي، محمد، كيف نتعامل مع القرآن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1991م
4. الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية في تربية
5. المطيري، منصور، الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع الدواعي والإمكان، كتاب الأمة، 33، دار الكتب القطرية، الدوحة، ط2، 1992م
6. الوزاني، الطيب، جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم من خلال مفهوم السنن الإلهية في التاريخ والاجتماع البشريين، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع: جهود الأمة في خدمة القرآن وعلومه، فاس، إبريل 2011.
7. أبو سليمان، عبد الحميد أحمد، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، ط1 (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2009م
8. بكار، عبد الكريم؛ هي هكذا، كيف نفهم الأشياء من حولنا، ط1، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1429هـ
9. دليو، فضيلو آخرون، علم الاجتماع من التعريب إلى التأصيل (الاسكندرية: دارالمعرفة الجامعية)، 1995م
10. حيدروسي، عمر؛ السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في العلوم الإسلامية تخصص كتاب وسنة، إشراف الدكتور عبد الحميد بوكعباش، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، العام الدراسي 2011-2012
11. خليل، عماد الدين، حول تشكيل العقل المسلم، ط3، 1989 م
12. خليل، عماد الدين، مدخل إلى إسلامية المعرفة مع مخطط مقترح للإسلامية علم التاريخ، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1992م.
13. ربيع، حامد عبد الله، مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي، ط1، (القاهرة: مكتبة الشرقاوي الدولية)، 2007م
14. رمضان، طارق، الإصلاح الجذري: الأخلاقيات الإسلامية والتحرر، ترجمة أمين الأيوبي، ط1 (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر)، 2010م
15. زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ط3 (بيروت: مؤسسة الرسالة)، 1994م
16. سعيد، جودت، حتى يغيروا ما بأنفسهم، ط5 (دمشق: دار الثقافة للجميع)، 1980
17. شهبان، راشد سعيد، بحث بعنوان تأصيل عم السنن الربانية، جامعة البلقاء التطبيقية، كلية أصول الدين الجامعية، عمان
18. عاشور، مجدي، السنن الإلهية مصادرها وضوابطها، مقال في مجلة المسلم المعاصر العدد 111، مارس/2004م
19. عبد المجيد، حنان محمد، التغيير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث، المعهد العالمي للفكر الإسلامي
20. عمارة، محمد، إسلامية المعرفة ماذا تعني، ط1 (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر)، 2007م
21. عيساوي، عادل بن بوزيد، فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري، البحث الفائز بجائزة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية المحكمة لعام 2011م، ط1 (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية)، 2012
22. فرحات، أحمد حسن، أصول تفسير القرآن الكريم السننية: الواقع والآفاق جامعة قطر، المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، 2009م
23. قطب، محمد، حول التفسير الإسلامي للتاريخ (القاهرة: دار الشروق)، 2008م
24. كنعان، محمد أحمد، أزمنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، كتاب الأمة ووقفة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني للمعلومات والدراسات، 2011م

“الوقف الإلكتروني ودوره في جودة التعليم الشرعي”

إعداد: الدكتور عبد القادر مهاوات،
رئيس قسم الشريعة، جامعة الوادي، الجزائر*
والباحث محمد العربي بيوش، طالب دكتوراه،
جامعة الوادي، الجزائر**

*دكتوراه في الفقه وأصوله، عنوان الأطروحة: “أحكام الرياضات البدنية في الفقه الإسلامي”، أستاذ محاضر ورئيس قسم الشريعة بمعهد العلوم الإسلامية بجامعة الوادي-الجزائر، له العديد من المداخلات الأكاديمية والبحوث المنشورة وأربعة كتب مطبوعة: الخطب المنبرية والمحاضرات المسجدية والقواعد الفقهية والشيخ مختار هنيئات وجهوده في خدمة القرآن الكريم.
**ماستر في الفقه وأصوله، وباحث في مرحلة الدكتوراه، عنوان الأطروحة: “أحكام التواصل بين الجنسين عبر وسائل الاتصال الحديثة في الفقه الإسلامي”، وأستاذ متعاقد مع معهد العلوم الإسلامية بجامعة الوادي-الجزائر، له مداخلتان أكاديميتان ومبحث منشور موسوم ب: “دور الوسائل الإلكترونية الحديثة في خدمة البحث الفقهي”.

مقدمة:

يعتبر الوقف من أهم الموارد الشرعية المساهمة في جودة التعليم وتطور البحث العلمي عبر العصور في تاريخ الحضارة الإسلامية، ونظرا للدعوات المتجددة لتطوير تدريس العلوم الشرعية بما يواكب العصر، والثورة الهائلة في مجال الوسائل الإلكترونية الحديثة وتقنيات الاتصال والتواصل، يمكن أن تُثار الإشكالية الآتية: ما هو دور الوقف الإلكتروني في جودة التعليم الشرعي؟ وينبغي على هذه الإشكالية عدة تساؤلات أهمها:

1. ما المقصود بالوقف الإلكتروني؟ وفيم تتجلى أهميته؟ وما هي أهم صوره وكيفية المساهمة فيه؟
2. ما هو دور المواقع التعليمية في جودة التعليم الشرعي؟
3. فيم يتمثل دور المكتبات والجامعات الإلكترونية في خدمة التعليم الشرعي؟
4. ما هو أثر المنتديات الحوارية والبرامج الإلكترونية وتطبيقات الهواتف الذكية في تطوير التعليم الشرعي؟

ولعالجة هذه الإشكالية، والإجابة عن سائر التساؤلات المتعلقة بها، تمَّ استخدام المنهج الوصفي بشكلٍ أساسي، مع استعمال متفاوت لمنهجي التحليل والاستقراء. كما تمَّ عرض المادة العلمية لهذا البحث وفق خطة تضمنت مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة، وتفصيلها كالآتي:

المقدمة: وفيها توطئة لموضوع البحث، وعرض لإشكاليته، وبيان للمنهج المتبع فيه، وبسطُ لخطته.

المطلب الأول: تعريف الوقف الإلكتروني وأهميته وأهم صوره وطرق المساهمة فيه

الفرع الأول: تعريف الوقف الإلكتروني

الفرع الثاني: أهمية الوقف الإلكتروني وأهم صوره وطرق المساهمة فيه

المطلب الثاني: دور المواقع التعليمية في جودة التعليم الشرعي

الفرع الأول: المقرأة الإلكترونية

الفرع الثاني: مجالس السماع الإلكترونية

الفرع الثالث: مجالس تعليم المتون والعلوم الشرعية الإلكترونية

المطلب الثالث: دور المكتبات والجامعات الإلكترونية في جودة التعليم الشرعي

الفرع الأول: دور المكتبات الإلكترونية في جودة التعليم الشرعي

الفرع الثاني: دور الجامعات الإلكترونية في جودة التعليم الشرعي

المطلب الرابع: دور المنتديات الحوارية والبرامج الإلكترونية وتطبيقات الهواتف الذكية في

جودة التعليم الشرعي

الفرع الأول: دور المنتديات الحوارية في جودة التعليم الشرعي

الفرع الثاني: دور البرامج الإلكترونية وتطبيقات الهواتف الذكية في جودة التعليم الشرعي

الخاتمة: وفيها إثبات لأهم النتائج المتوصل إليها، واقتراح لعددٍ من التوصيات.

المطلب الأول: تعريف الوقف الإلكتروني وأهميته وأهم صورته وطرق المساهمة فيه

سنحدد في هذا المطلب تعريف الوقف الإلكتروني، ونبيّن أهميته، ونوضّح أهم صورته

وطرق المساهمة فيه، وذلك كمدخلٍ لا بد منه لبيان دوره في جودة التعليم الشرعي.

الفرع الأول: تعريف الوقف الإلكتروني

قبل تحديد تعريفٍ للوقف الإلكتروني كان لزاماً على الباحث الانطلاق من تعريف الوقف

بصفة عامة؛ باعتبار الوقف الإلكتروني أحد أنواعه أو مجالاته.

أولاً- تعريف الوقف:

أ- لغة: تكاد تتفق تعريفات اللغويين للوقف فهي لا تحيد عن مَعْنَى الحبس والمنع¹.

ب- اصطلاحاً: اختلفت تعريفات الفقهاء للوقف نظراً لاختلاف مذاهبهم فيه من حيث

أحكامه وشروطه، فكل منهم يدرج في التعريف من القيود ما يتوافق مع مذهبه (باعتبار من

يصح منه وما يصح فيه، ولزومه من عدمه، وتأيبه وتأقيته)، لكن من التعريفات الأكثر تعميماً

وتمييزاً لحقيقة الوقف المتفق عليه بعيداً عن كل القيود: تعريف ابن قدامة الحنبلي؛ حيث عرفه

بأنه: "تَحْبِيسُ الْأَصْلِ، وَتَسْيِيلُ الثَّمَرَةِ"²، فقد جاء موافقاً لنص الحديث النبوي الوارد من

طريق ابن عمر رضي الله عنهما؛ فإنه قال: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْمَائَةَ سَهْمٍ

الَّتِي بِحَيْبِ، لَمْ أُصَبْ مَا لَأَقْطُ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحْبِسْ أَصْلَهَا، وَسَيِّلْ ثَمَرَتَهَا»³.

ويُعدّ الوقف من أوسع أبواب الفقه التي تقوم على الاجتهاد؛ فهو تصرف معقول المعنى

مرتبط بمقاصد الشرع، مبتغاه تحقيق مصالح الوقف للواقف والموقوف عليهم⁴.

ثانياً- تعريف الوقف الإلكتروني: وهو مصطلح جديد ظهر مع الثورة الهائلة في مجال تقنية المعلومات 5 ووسائل الاتصال والتواصل، ولكونه من المستجدات العصرية في باب الوقف لازالت المؤلفات والأبحاث العلمية فيه شحيحة⁶، وقد اكتفت بعض البحوث ببيان صورته وأشكاله ولم تتعرض لتعريفه استقلالاً باعتباره فرعاً عن الوقف، ومجالاً من مجالاته المعاصرة⁷.

وممن تعرض لتعريف هذا المصطلح على وجه الخصوص الدكتور ظافر بن حسن آل جبعان؛ فقد عرفه بأنه: "تجسس الأصول الإلكترونية، وتسهيل منافعتها في أوجه الخير، وبيانه: أنه حبس للأصول الإلكترونية من برامج، ومواقع، وحسابات، وقوالب، وسيرفات ونحوها؛ وهذه الأصول تعمل بطريقة تقنية إلكترونية، من خلال إعدادات وبيانات ومعطيات، يحصل المستفيد على منافع وخدمات معينة في جميع المجالات الدنيوية والدنيوية المباحة، فهو وقف منافع خيرياً تقنياً إلكترونياً دائماً"⁸.

ويلاحظ على هذا التعريف التعميم؛ لأن صاحبه قد خرج على تعريف ابن قدامة المتقدم، وهذا التخريج يحتاج إلى تحقيق وزيادة تفصيل؛ نظراً لطبيعة المصادر الإلكترونية الحديثة، وكونها من النوازل والمستجدات العصرية التي تتطلب دراسات علمية متأنية، والتي يمكن الاستفادة منها في التأصيل الشرعي للوقف الإلكتروني بتحديد تعريف دقيق جامع مانع حسب ما تقتضيه المنهجية العلمية من حصر ضوابطه وشروطه الخاصة⁹، وهذا مما يقصر عنه هذا البحث الموجز؛ والذي من شأنه أن يتميز بحسن اختيار النماذج الإلكترونية الرائدة في مجال الوقف، والتي في غالبها ترعاها مؤسسات علمية معروفة أو هيئات رسمية، وبيان دورها في جودة التعليم الشرعي.

ويجدر التنبيه إلى أنه قد يطلق الوقف الإلكتروني ويُراد به معنى آخر مغاير غير مقصود في هذا البحث ألا وهو: "توفير قنوات الدفع الإلكتروني لمختلف فئات المجتمع وشرائح الراغبين في تقديم أوقافهم بكل سهولة ويسر وفي أي وقت يشاؤون في إطار نظم أمان وحماية عالية الكفاءة والجودة، ويُعد مشروع الوقف الإلكتروني أحد أهم الإنجازات الرائدة للثورة الرقمية، ومن صورته: الوقف الإلكتروني عن طريق الرسائل القصيرة (SMS))، أو عن طريق بوابة الدفع الإلكترونية أو الأكشاك الإلكترونية المنتشرة في أغلب المحلات والمجمعات التجارية، أو باستخدام بطاقة الائتمان (Card Credit) أو بطاقة السحب الآلي (net-k)"¹⁰.

الفرع الثاني: أهمية الوقف الإلكتروني وأهم صورته وطرق المساهمة فيه

أولاً- أهمية الوقف الإلكتروني وأهم صورته: تُعد الأوقاف من أهم مميزات الحضارة الإسلامية على مر العصور؛ إذ تمثل أكبر الموارد المالية التي تغطي احتياجات الدولة والمجتمع على حد سواء، وتساهم مساهمة فعالة في النهوض بهما في جميع المجالات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والخدماتية، ونظراً للتطور التكنولوجي المتسارع لوسائل تقنيات الاتصال والتواصل، وتعدد صورها، وسلاسة استخدامها، واستقطابها لشريحة كبيرة من المجتمع، كانت الحاجة مُلِحَّةً لتطوير التعليم الشرعي وخدمته بوسائل التقنية الحديثة، وهذا ما يمكن للوقف الإلكتروني أن يحققه؛ إحياء لسنة الوقف، وتجديده له، وتفعيلاً لدوره في الحياة المعاصرة.

وقد قررت لجنة الإفتاء لموقع "إسلام ويب نت" أن "وقف المال لصالح المواقع الإلكترونية التي تبث النافع وتنشره عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً، وتزيل الشبهه، من أجل ما توقف له الأموال وتنفق فيه، بل هي أولى وأحق ما تُصرف فيه الأموال"¹¹.

والوقف الإلكتروني له مجالات وصور عديدة، لكننا سنقتصر على الصور المتعلقة بخدمة التعليم والمعرفة¹²، ومنها:

1. إنشاء مواقع أو منصات أو مدونات أو منتديات إلكترونية على شبكة الإنترنت تحتوي على دروس علمية وتربوية ومحاضرات مفيدة في شتى الفنون والتخصصات.
2. فتح مواقع للاستشارات الشرعية والقانونية أو هيئات للفتوى أو مراكز للأبحاث والدراسات تقدم خدماتها مجاناً.
3. استحداث جامعات وكليات افتراضية للتعليم عن بعد باستخدام تقنيات التواصل في التعليم الإلكتروني.
4. تحويل المؤلف إصداراته النافعة إلى صورة الكترونية ونشرها مع إمكانية استخدامها مجاناً للجميع.
5. إنشاء مكتبات الكترونية وقفية تشمل المصادر والمراجع المختلفة التي يحتاجها الدارسون.
6. إنشاء حسابات تعليمية في مواقع التواصل الاجتماعي كـ "تويتر" و "فيسبوك" و "جوجل بلس" و "اليوتيوب"، تُنشر فيه آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأقوال مأثورة، وِحكم وعِظَات تُفيدُ الكبير وتُعلِّمُ الصغير، أو تكوين مجموعات نافعة للبحث والنقاش في المسائل والقضايا العلمية المتعددة.
7. تكوين مقارئ إلكترونية لإقراء القرآن الكريم وتعلم أحكام التجويد وتصحيح التلاوة.
8. كتابة برمجيات حاسوبية تعليمية وجعلها متاحة للاستخدام من قبل الجميع، ومن

أمثلته رخصة وقف العامة 13.

9. إعداد تطبيقات للهواتف الذكية تُخدمُ المسلمين بمحتواها الهادف، أو تُساعدُ على دعم المشاريع الخيرية، مع العناية بها وحُسن مُتَابَعَتِهَا.

01. إنشاء إذاعات صوتية مُتَخَصِّصَة في القرآن الكريم، أو العلوم الشرعية، أو الدعوة.

ثانياً- طرق المساهمة في الوقف الإلكتروني: من خلال الصور السابقة يتبين لنا أنَّ المساهمة في الوقف الإلكتروني ليست حكراً على المؤسسات وأصحاب الأموال، بل تتعداها إلى شرائح أخرى من المجتمع، ونقصد أهل العلم أو الذين لهم قدر ذوبال من العلوم المتعددة مع إتقانهم استخدام الوسائل التقنية الحديثة، وإتاحة الفرصة لفئات أكبر استحدثت بعض المؤسسات عن طريق مواقعها الإلكترونية طرقاً مبتكرة تُمكنُ فئات كثيرة من المساهمة في الوقف الإلكتروني، نذكر منها:

1. بوابة أوقاف تك 14: وهي بوابة إلكترونية شعارها ”الوقف بمفهوم مبتكر وقف للمسلمين جميعاً“، وهي أحد مشاريع المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بحي الروضة بالرياض بالملكة العربية السعودية؛ حيث يُعد من المشاريع المُؤَسَّسَة والمُشَجَّعة لفكرة الوقف الإلكتروني؛ فهي تتيح للمشارك فيها إمكانية تملك وقف إلكتروني في صورة تطبيق للهواتف الذكية يختاره من ضمن التطبيقات المعروضة في الموقع، وبمجرد تحويل قيمة التطبيق لحساب ”أوقاف تك“ يبدأ الموقع بتنفيذه لنشره باسم المشترك أو باسم من يحب بمعارض التطبيقات العالمية، ويقدم الموقع محتوى هادف من التطبيقات يخدم المسلمين في شتى المجالات: الدعوة والترفيهية والأسرية والتعليمية والشرعية والصحية والإدارية والاستراتيجية، ويساعد ريعه في دعم المشاريع الدعوية.

2. موقع صدقة جارية 15: وهو موقع شعاره ”الوقف والصدقة الجارية بمفهوم مبتكر“، يُوفّر نوعين من الخدمات وهما:

أ- الخدمة المدفوعة: يقوم بتصميم ونشر تطبيق القرآن الكريم الخاص بالمشترك على موقع صدقة جارية وعلى سوق جوجل بلاي Google Play ويتم وضع التراجم والتفسير حسب اختياره (ثلاث لغات للترجمة وتفسير واحد)، حسب نموذج طلب وحجز الخدمة، ويُطلب منه دفع قيمة التطبيق خلال 48 ساعة من نشره، وإلا يتم إلغاؤه.

ب- الخدمة المجانية: يقوم الموقع بتصميم تطبيقات القرآن باسم المشترك واسم من يحب مع نشره على موقع صدقة جارية فقط، ولا يتم نشره على بلاي ستور (Goggle Play) إلا بعد الحصول على موافقه كتابية من موقع صدقة جارية.

3. موقع بلغوا عني ولو آية 16: وهو موقع دعوي يمثل شعاره جزءاً من حديث نبوي

شريف 17 كما هو ظاهر، ويوفر للمشارك فيه خدمة الوقف الإلكتروني الخيري عن طريق المساهمة في الدعوة الإسلامية والتعليم الشرعي، ويتم هذا بنشر عظات يومية قصيرة أو أحاديث نبوية شريفة أو لمسات بيانية من آيات قرآنية أو مواد صوتية عن طريق إرسالها إلى البريد المخصص لذلك في الموقع 18، وهو بدوره سيرسلها إلى بريد ملايين المشتركين به. وتبقى هذه المبادرات لتفعيل الوقف الإلكتروني من خلال هذه الصور وغيرها تتطلب تكييفاً فقهيًا مُؤصلاً يوضح شروط وضوابط التعامل معها.

المطلب الثاني: دور المواقع التعليمية في جودة التعليم الشرعي

سنعرض في هذا المطلب دور المقرأة الإلكترونية ومجالس السماع وتعليم المتون الشرعية بطريق الاتصال الإلكتروني في جودة التعليم الشرعي.

الفرع الأول: المقرأة الإلكترونية

عُرِفَتْ بأنها: نظام عصري يمكّن المسلم من قراءة القرآن الكريم على الشيخ من خلال الإنترنت؛ وذلك لتصحيح التلاوة، أو التسميع، ليجيزه الشيخ بعد ذلك بقراءته إذا ختم المصحف 19، وقد عرّفها الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم بتعريف أعم من ذلك جاء فيه أنها: عملية تعليم القرآن الكريم عبر وسيط إلكتروني (تقنيات الاتصال بشبكة الإنترنت أو ما يقوم مقامها)، وتشمل عملية التعليم تصحيح التلاوة، وشرح الأحكام التجويدية، ودراسة المنظومات في علم التجويد والقراءات كالجزية والشاطبية وغيرها 20.

وهذا النظام يعين الأشخاص الذين لا يجدون شيوخاً يقرؤون عليهم في بلادهم، وكذلك النساء اللاتي لا يتمكنّ من الذهاب إلى المسجد بشكل متكرر 21، ويتم الإقراء عن طريق غرف المحادثة الإلكترونية 22 بحيث يقرأ القارئ ويستمع الشيخ ويصحح في الوقت نفسه، وقد يكون الاتصال مرئياً 23، وقد انتشرت المقارئ الإلكترونية في الآونة الأخيرة انتشاراً كبيراً، فتنوعت خدماتها فمنها ما يقتصر على تصحيح التلاوة والإجازة في القرآن الكريم، ومنها ما يتعدى إلى تدريس العلوم المتعلقة به كالتفسير وغيره، كما تنوعت مصادرها والهيئات القائمة على شؤونها، من علماء أو أكاديميات وجامعات إلكترونية أو مؤسسات وهيئات رسمية، ونظراً لاختصار البحث سنعرض نموذجاً واحداً هو كالآتي:

المقرأة الإلكترونية العالمية: هي إحدى الأنشطة والأعمال التابعة للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، تم بدء العمل بها سنة 1429 هـ. وهي تهتم بتعليم وإقراء القرآن الكريم وعلومه، وتعليم التجويد للمعاهد والمقارئ القرآنية وأيضاً الأفراد في كافة أنحاء العالم، وتعمل على تأهيل

الحفاظ بتحسين تلاوتهم من خلال دروس تطبيقية ونظرية، وترتقي بهم لنيل الإجازة في الروايات والقراءات المختلفة، كل ذلك عن طريق برنامج التواصل الاسكاي بي؛ ففي عام 2016م قامت الهيئة بـ104 دورة في علم التجويد، وكان عدد المستفيدين من إجمالي نشاطاتها 6095 مستفيدا من 51 دولة 24.

غير أن الحصول على الإجازة القرآنية عن طريق هذه الوسائل الحديثة أثار جدلا علميا كبيرا بين مجيزومانع، وأحسن ما وقفنا عليه في هذه المسألة ما كان وسطا بين الرأيين وجمعا بينهما، وهو ما أقره المجلس العلمي بالهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم من ضوابط لإقراء القرآن عبر المقارئ الإلكترونية على شبكة الإنترنت، منها: "أن يقرأ الطالب على مُعلّمه بالرواية التي يختارها القرآن الكريم كاملاً عبر المقراءة الإلكترونية إلا مقداراً لا يقل عن جزء من القرآن، فلا بد فيه من القراءة المباشرة باللقياً بين المعلم والمتعلم" 25.

الفرع الثاني: مجالس السماع الإلكترونية

ويُقصد بها: المواقع الإلكترونية التي تعقد مجالس لتسميع الحديث النبوي بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن طريق وسيلة من وسائل الاتصال والتواصل الحديثة كغرف المحادثة الصوتية، أو أحد برامج المحادثة المرئية كالواتس أب؛ حيث يتحصل الطالب المنخرط فيها على إجازة من الشيخ المُسند، ومن أمثلتها:

نموذج غرفة ميراث النبوة: وهي غرفة صوتية تندرج ضمن خدمات موقع معهد الماهر بالقرآن، يتم فيها عقد مجالس لسماع الأحاديث النبوية دراية ورواية بالسند المتصل من كتب السنة المشهورة كالصحيح والسنن والمسانيد، مع الاهتمام بالتنقيب والبحث عن المُعَمَّرين من علماء الحديث المُسندين، فيقرأ فيها الشيخ المُسند الأحاديث من الكتاب المقرر على الحضور أعضاء الغرفة في توقيت خاص يُعلن عنه مُسبقاً في المواقع والمليقات المهتمة بالرواية والأسانيد، وتسلم الإجازات للحاضرين عقب إتمام المجلس 26، وقد يتم نقل مجالس سماع حديثية تنظمها بعض الهيئات في المساجد عبر الغرفة لمن لا يستطيع الحضور 27، وتنظم الغرفة أيضاً مجالس لتدريس المتون وعلوم الحديث.

وفي موضوع الإجازة الحديثية عن طريق الوسائل الحديثة قد ألفت رسالة علمية، بين فيها صاحبها الضوابط التي تحدد كيفية تعامل طلاب الحديث مع وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة فيما يتعلق بعلم الإسناد والإجازات الحديثية، والمقصود من هذه الضوابط معرفة

المقبول من المردود في علم طرق التلقي، والإجازات الحديثة التي تتم عبر وسائل التواصل الحديثة؛ وذلك بتطبيق قواعد علم المصطلح على الوسائل الحديثة؛ فذهب إلى صحة السماع عبر وسائل التواصل المباشر الشخصي إذا تحققت شروط معينة لصحة السماع، مع النصّ صراحةً على أنه سَمِعَ عبر وسائل التواصل المباشر الشخصي 28.

الفرع الثالث: مجالس تعليم المتون والعلوم الشرعية الإلكترونية

وهي مواقع تعليمية تهتم بتدريس العلوم الشرعية عن طريق المتون العلمية، باستعمال الوسائل التقنية الحديثة في التواصل، ويتحصل الطالب المنتسب لهذه المجالس على إجازة في الكتب والمتون العلمية التي درسها إلكترونياً بعد إجراء اختبار له من طرف الأساتذة المدرسين، ومن نماذج هذه المجالس:

قسم المتون العلمية (التعليم عن بعد): وهي حلقات تَعْلُمِيَّة افتراضية عن طريق الإنترنت، بإشراف الدكتور عبد المحسن بن محمد القاسم، يسمع فيها الطلاب المتون العملية في غرف صوتية خلال ساعات دراسية معينة، وتهدف إلى إخراج جيل مسلم حافظ للمتون العلمية، واع بأصول الفنون الشرعية، يسير على خطى العلماء الراسخين، ونفع من لا يستطيع الوصول إلى المسجد النبوي من طلاب العلم في شتى بقاع الأرض 29.

وما يمكن استخلاصه مما سبق أنّ المواقع التعليمية الإلكترونية لها دور مهم في جودة التعليم الشرعي؛ لتمكينها فئات عديدة من المسلمين عبر العالم من تعلم أمور دينهم في شتى العلوم الشرعية، متجاوزة بذلك حدود الزمان والمكان، غير أنّه لا بد من التثبت من مرجعية هذه المواقع ومن مناهجها المعتمدة؛ بأن تكون تحت إشراف أحد العلماء الموثوقين، أو أحد الهيئات الرسمية المعروفة حكومية كانت أو خاصة؛ ”لأنّ الانفتاح في استعمال الشبكة، وسهولة الدخول إلى الإنترنت، يضع طالب العلم أمام قدر عظيم من المعلومات والثقافات، كما تفتح عليه أبواباً من تيارات الضلالة والفساد؛ مما يستوجب إعداد منهج تربوي متخصص يرشد المبتدئ إلى الطريقة الشرعية الصحيحة في استعمال تلك التقنيات، ولا سيما في مجال تخصصه في العلوم الشرعية، ويوفر له الحصانة العقديّة والفكرية والثقافية“ 30.

المطلب الثالث: دور المكتبات والجامعات الإلكترونية في جودة التعليم الشرعي

بعد بيان دور المواقع الإلكترونية التعليمية في جودة التعليم الشرعي، نريد في هذا المطلب أن نبرز الدور ذاته من خلال المكتبات والجامعات الإلكترونية.

الفرع الأول: دور المكتبات الإلكترونية في جودة التعليم الشرعي

المكتبات الإلكترونية هي نمط عصري من المكتبات تحوي مجموعة من المواد (نصوص وصور وفيديوهات وغيرها) مخزنة بصيغة رقمية، ويمكن الوصول إليها عبر مختلف الوسائط والشبكات كالإنترنت³¹، ولقد ساهمت هذه المكتبات في خدمة البحث العلمي من خلال عديد خصائصها، والتي من بينها:

1. توفير الكم الهائل من المعلومات للباحث؛ مما يوفر له الجهد والوقت والمال في الحصول على المراجع.

2. سهولة البحث داخل المحتوى، ومعالجته إلكترونياً بالقص واللصق والتعديل والإضافة.

3. إتاحة الفرصة للباحث للاطلاع على أهم البحوث والندوات والمؤتمرات العلمية وتوفير الفرصة اللازمة لنشر أبحاثه³².

ومنه، فإن المكتبات الإلكترونية أصبحت حاجة عامة لا غنى للمجتمعات والأفراد عنها؛ لكونها شرطاً من شروط التعليم المميز كما أثبتت بعض الدراسات الأكاديمية³³، وهي من أجل ما توفّر له الأموال وتنفق فيه، بل هي أولى وأحق³⁴، ويظهر دورها في جودة التعليم الشرعي على وجه الخصوص من خلال النماذج الآتية:

أولاً- المكتبة الشاملة: وهو برنامج وقفي مجاني ضخم برعاية المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بحي الروضة بالرياض بالملكة العربية السعودية، متاح للتحميل عبر موقعه الرسمي³⁵، وهو يهدف ليكون شاملاً لأغلب ما يحتاجه طالب العلم من كتب وبحوث، وهو يُعد من الفتوح العظيمة في مجال البحث في العلوم الشرعية على وجه الخصوص أو ما يتعلق بها من علوم الآلة؛ حيث يحوي البرنامج حوالي 7000 مرجعاً علمياً متاحاً للباحثين مجاناً مع إمكانية البحث الدقيقة والمتطورة بعدة طرق مرنة، تتيح للباحثين النسخ والاقتباس بكل سهولة؛ لكون كتب الشاملة مرفوعة بصيغة خاصة بالبرنامج هي: صيغة "bok".

ويتضمن البرنامج عدداً من الخدمات المفيدة للباحثين كخدمة التفسير، وخدمة تراجم الأعلام، وخدمة تخريج الأحاديث وشرحها، وغيرها³⁶.

ثانياً- المكتبة الوقفية: هي من المكتبات الإلكترونية التي كان الهدف الأساس من إنشائها الوقف العلمي، وهي تحوي مجموعة هائلة من الكتب بلغت 10311 كتاباً، في علوم شتى كالعلوم الشرعية والعلوم السياسية والعلوم القانونية وعلم النفس وغيرها، مصنفة ومرتبطة ومتاحة للتحميل عبر موقعها الرسمي على الشبكة العنكبوتية³⁷، إلا أن أغلب اهتمامها بكتب العلوم

الشرعية؛ حيث تم تصنيفها بحسب تقسيم العلوم الشرعية، كعلم العقيدة والفرق وعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلم أصول الفقه، والفقه الإسلامي على المذاهب الأربعة.

كما تتضمن قسما للدوريات والمجلات يحوي 38 مجلة عالمية في علوم الشريعة، وقسما خاصا بالمخطوطات في علوم متنوعة يحوي 136 مخطوطا، وقسما خاصا بالبرامج الإسلامية المجانية يحوي 14 برنامجا.

وبالرغم من النقلة النوعية التي أحدثتها هذه المكتبات في تطور التعليم الشرعي إلا أنه قد توجه إليها بعض الانتقادات بخصوص انتهاك حقوق الملكية الفكرية؛ وذلك بتصويرها للكتب المطبوعة بغير إذن مؤلفيها، وهذه المسألة تحتاج إلى بحث محكم يراعي المستجدات والمتغيرات الحديثة في النشر الإلكتروني، ويحاول الموازنة بين مصلحة المؤلف الخاصة، والمصلحة العامة في نشر الكتاب للإفادة منه.

الفرع الثاني: دور الجامعات الإلكترونية في جودة التعليم الشرعي

الجامعة الإلكترونية هي الجامعة التي تعتمد عملية التعلم أو تلقي المعلومة العلمية عن طريق استخدام تقنيات الوسائط المتعددة بمعزل عن ظرفي الزمان والمكان؛ حيث يتم التواصل بين الدارسين والأساتذة عبر الإنترنت، وتتم عملية التعليم وفق المكان والزمان والكمية والنوعية التي يختارها المتعلم، وذلك وفق معايير دولية تتضمن استيعاب الدارس للمناهج والبرامج التي يتحصل عليها، وتقع مسؤولية التعلم بصفة أساسية على عاتق المتعلم ذاته 38، وسينحصر بحثنا في نوع خاص منها، وهي التي تهتم بتدريس العلوم الشرعية، ولا تفرض رسوما معينة على المنتسب إليها؛ لأن أساس إنشائها هو الوقف، وقد بات من أهم معالم التجديد في العلوم الإسلامية استغلال الوسائل التكنولوجية الحديثة في عمليتي التعلم والتعليم، وقد أثبتت جُل الدراسات والبحوث العلمية نجاحها إلى حد كبير في جميع الأطوار التعليمية 39، وفي التعليم العالي على وجه الخصوص 40.

ولا شك أن لهذه الجامعات الإسلامية الإلكترونية دورا هاما في جودة التعليم الشرعي؛ حيث إنها توفر فرص تعلم العلوم الإسلامية بجميع تخصصاتها لكل الفئات والأعمار والأجناس، وبمختلف اللغات ممن قد تعوقهم ظروف العمل أو اللغة أو البعد الجغرافي أو الإعاقة أو المرض عن الالتحاق بالجامعة الإسلامية التقليدية، كما توفر فرصة جيدة للتعليم الشرعي لخريجي الجامعات غير الشرعية 41، ومن أهم النماذج عنها ما يأتي:

أولاً- الأكاديمية الإسلامية العلمية الإلكترونية⁴²: مؤسسة تعليمية تربوية مستقلة غير ربحية، مقرها جمهورية مصر العربية -محافظة القليوبية- مدينة بنها، يُشرف عليها الدكتور أسامة زيدان، وتقف الأكاديمية على ثغرة عظيمة هي أمانة نشر العلم الشرعي، المستند إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإيصاله إلى كل راغب فيه، مع استخدام أحدث وسائل التقنية المعاصرة لطريقة التعليم عن بعد، بضوابطه التي تقربه من التعليم المباشر، وقد استفاد منها كثير من الدارسين والدارسات؛ حيث تتكون الدراسة من دورة تأهيلية، و8 مستويات متدرجة.

أما الدورة التأهيلية: فهي دورة دراسية تتكون من 10 مواد دراسية، مدتها فصل دراسي واحد (4 أشهر)، وهدفها تأهيل جميع الطلاب والطالبات الراغبين بالدراسة في الأكاديمية بمعرفة ما لا يسع المسلم جهله من أحكام الشريعة؛ ليكونوا جاهزين بعد ذلك للبدء بالدراسة في المستويات الثمانية: التي يدرس بها الطالب مواد متنوعة تمكنه من التأصيل العلمي للمواد الشرعية، وما يميز هذه الأكاديمية عن غيرها من الأكاديميات الإسلامية المجانية أنها تمنح للطالب المنتسب إليها شهادة تمكنه من معادلتها في الجامعة الإسلامية العالمية⁴³: شهادة ليسانس دراسات إسلامية، بموجب اتفاقية تعاون بينهما، مما يتيح له إتمام دراسته العليا⁴⁴.

ثانياً- أكاديمية زاد⁴⁵: وهي أكاديمية افتراضية تابعة لـ"مجموعة زاد التعليمية" التي يُشرف عليها الشيخ محمد صالح المنجد، والأكاديمية تقدم برنامجاً تعليمياً يهدف إلى تقريب العلم الشرعي للراغبين فيه، عن طريق شبكة الإنترنت، وعن طريق قناة زاد ZAD TV.K، والهدف الأساسي من إنشائها هو توعية المسلم بما لا يسعه جهله من دينه، ونشر وترسيخ العلم الشرعي الرصين، القائم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، صافياً نقياً، بفهم خير القرون، وبطرح عصري ميسر، وإخراج احترافي.

ويقوم برنامج الأكاديمية بتدريس سبع مواد علمية شرعية عن طريق التعليم عن بعد، وهي: العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والسيرة النبوية، واللغة العربية، والتربية الإسلامية، كما يتكفل بسائر الإجراءات المطلوبة لإتمام عملية التعليم، من رفع المناهج بالصورة النصية، والمقاطع المرئية المتممة للعملية التعليمية، وإجراء الاختبارات الأسبوعية والشهرية والنهائية ومتابعة الطلاب، وإتمام عملية التواصل بين الدارسين أعضاء هيئة التدريس؛ حيث يتمكن الطالب من متابعة المحاضرات يومياً عن طريق قناة زاد التلفزيونية.

أما مدة استكمال الدراسة في برنامج الأكاديمية فهي سنتان، مقسمةً على أربعة مستويات،

وينال الطالب درجة التخرج بعد اجتياز اختبارات المواد المقررة في البرنامج بنجاح، بنسبة لا تقل عن 60 %.

المطلب الرابع: دور المنتديات الحوارية والبرامج الإلكترونية وتطبيقات الهواتف الذكية في جودة التعليم الشرعي

في هذا المطلب الأخير إظهار لدور المنتديات الحوارية في إضفاء الجودة على التعليم الشرعي، وتجلية دور البرامج الإلكترونية وتطبيقات الهواتف الذكية في تطويره.

الفرع الأول: دور المنتديات الحوارية في جودة التعليم الشرعي

المنتديات الحوارية عبارة عن "مواقع على الإنترنت يتجمع الأشخاص حولها من ذوي الاهتمامات المشتركة؛ ليتبادلوا الأفكار والنقاش عن طريق إنشاء موضوع من قبيل أحد أعضاء المنتدى، ومن ثمَّ يقوم باقي الأعضاء بعمل مشاركات وردود داخل الموضوع؛ للنقاش مع صاحب الموضوع بالشكر أو التعليق أو النقد"، ولهذه المنتديات دور فعال في جودة التعليم الشرعي من خلال مناقشة المسائل المتعددة في شتى العلوم الشرعية من طرف المختصين من الدكاترة والعلماء وطلبة العلم أعضاء المنتدى؛ يتبادل الخبرات وتلاقح الأفكار، والإحالة على المراجع من الكتب والدراسات، مما يثري البحث الشرعي، ويضفي عليه الجودة في الطرح، ومن بين أهم المنتديات:

1. المجلس العلمي (الألوكة): وهو ملتقى إسلامي متخصص في العلوم الشرعية تابع لموقع شبكة الألوكة 46، يشارك فيه عدد هائل من المهتمين بالدراسات الشرعية من تخصصات مختلفة، بلغ عددهم: 123891 عضواً، تُناقش فيه المسائل والقضايا الشرعية في شتى المجالات؛ فقد بلغ عدد المواضيع فيه: 139647 موضوعاً، والمشاركات: 807982 مشاركة، ويضم في طياته العديد من المجالس الشرعية المتنوعة التي تفيده طلبه العلم والباحثين، أهمها: مجلس العقيدة والقضايا الفكرية المعاصرة، ومجلس التفسير وعلوم القرآن، ومجلس الحديث وعلومه، ومجلس الفقه وأصوله، ومجلس الرقائق وتهذيب السلوك، ومجلس اللغة العربية وعلومها، ومجلس السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ومجلس تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، ومجلس المنهجية في طلب العلم. هذا بالإضافة إلى مجالس أخرى تتعلق بالكتب والمخطوطات والأبحاث العلمية. ومجالس خاصة بالصوتيات والمرئيات العلمية، والبرامج والموسوعات الإسلامية، ومجالس لطالبات العلم خاصة 47.

2. الملتقى الفقهي: وهو أحد أفرع موقع الشبكة الفقهية الوقفية 48، ويُعدّ من أهم

الملتقيات الفقهية المتخصصة، وتقوم فكرة هذا الملتقى على ثلاثة أمور رئيسية: التخصص الفقهي الدقيق، وتجويد المادة الفقهية وإحكامها، وتأطير المناقشات العلمية وضبطها بقانون الجدل والمناظرة، وللملتقى ستة فروع في ثمانية وعشرين ملتقى أهمها: أ. ملتقى المذاهب الفقهية: وتندرج تحتها ملتقيات المذاهب الفقهية الأربعة، مع خزانة فقهية لكل مذهب.

ب. الملتقى الأصولي: وتندرج تحته ملتقيات عديدة منها: فقه الأصول والمقاصد، والتنظير الأصولي.

ج. الملتقى الفقهي المتخصص: ويضم ملتقيات خاصة بأبواب فقهية عديدة منها: فقه أركان الإسلام، والمعاملات، والأوقاف، والأسرة، والجنائيات، والسياسة الشرعية، وغيرها.

د. ملتقى صناعة البحث العلمي: وتندرج تحته ملتقيات متنوعة منها: الصناعة البحثية، والرسائل الجامعية والمنشورات البحثية، والدورات العلمية والمؤتمرات والندوات، وآداب الجدل وقوانين النظر⁴⁹.

الفرع الثاني: دور البرامج الإلكترونية وتطبيقات الهواتف الذكية في جودة التعليم الشرعي

أولاً- البرامج الإلكترونية: والمقصود منها في هذا البحث البرامج التي تحوي كتباً إسلامية علمية بنصوصها الكاملة، أو معلومات حول أحكام وقضايا شرعية وفقهية على شكل نصوص وبيانات مقروءة، إضافة إلى مجموعة خدمات بحثية في تلك المعلومات والبيانات المخزنة في البرنامج؛ كالفهرسة بجميع أنواعها، ومحركات البحث الإلكتروني بجميع أنواعها، وخاصة النسخ والحفظ والتعليق الهامشي، إلى غير ذلك من الخدمات البحثية⁵⁰، وهذا كله يساعد على تطوير البحث الشرعي، ويساهم في جودته، ومن أهم البرامج ما يأتي:

1. برنامج معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية: وهو الصورة الإلكترونية لأحد أكبر الأعمال الوقفية في مجال العلوم الشرعية في هذا العصر، وهي عبارة موسوعة علمية خاصة بالقواعد الفقهية والأصولية، والمبادئ والأسس التشريعية، والقواعد المقاصدية، والضوابط الفقهية للتشريع الإسلامي، وقد ضمت الموسوعة ما يزيد على 2000 قاعدة وضابط، أُستخرجت وُشِّرحت من خلال عدد كبير من المصادر والمراجع المذهبية وغير المذهبية القديمة والحديثة، مع التركيز على فقه المذاهب الثمانية⁵¹.

وقد قام على هذا المشروع العظيم مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان 52 تمويلاً ورعاية بالتعاون مع مجمع الفقه الإسلامي، ويتأطير منظمة التعاون الإسلامي، وهو نموذج فريد في منهجه ومحتواه، دام العمل فيه زهاء 20 سنة، من قبل خيرة المتخصصين في العلوم الشرعية من

شئى دول العالم، وقد تم طبع الموسوعة في 41 مجلداً، وفي صورة برنامج إلكتروني يقدم خدمات بحث متميزة ومتطورة داخل الموسوعة 53.

2. برنامج فتاوى دار الإفتاء المصرية: وهو برنامج رائع ومهم جداً يحتوي على فتاوى دار الإفتاء المصرية، ولجنة الفتوى بالأزهر لمدة مائة عام، وحقوق نشره وتوزيعه محفوظة للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية، ويضم آلاف الفتاوى التي تهتم كل مسلم في مختلف الموضوعات الحياتية والأخرى؛ كباب العبادات، والمعاملات والنكاح وغيرها، ويتميز البرنامج بسهولة استخدامه، وبخدماته المتميزة في البحث والنسخ والطباعة 54.

ولا شك أنّ لهذه البرامج وغيرها دوراً رائداً في مساعدة الباحثين في المجال الشرعي لتحصيل المعلومات ومعالجتها بأيسر السبل.

ثانياً - تطبيقات الهواتف الذكية (Mobile Apps): هي برامج تعمل على أحد الهواتف الذكية 55 بالاعتماد على عدد من المزايا التي تقدمها هذه الهواتف؛ بحيث تقدم خدمة معينة لمستخدميها، وتعتمد في الغالب على الاتصال بالإنترنت الذي توفره هذه الهواتف 56، وهذه التطبيقات تسهل على الباحث التصفح والبحث عن المعلومات بأيسر سبيل، وفي كل مكان يحل فيه؛ لكونها مرتبطة بهاتفه المحمول، ومن أهم التطبيقات المساعدة في البحث الفقهي ما يأتي:

1. تطبيق جامع الكتب التسعة: وهو أحد تطبيقات وقف والدة بدرين صالح الراجحي وأولادها 57، يشتمل على الكتب الحديثية التسعة المشهورة 58 لدى العلماء والباحثين، والتي هي أهم دواوين السنة وأوقافها وأشملها للأحاديث النبوية، وعليها مدار الأحكام واعتماد علماء الإسلام، ويعرضها التطبيق في ثوب إلكتروني حديث، يجمع بين أصالة التحقيق وقوة التقنية، وهو الشعار الذي رفعته الشركة المَطوّرة للتطبيق، وهي شركة الدار العربية لتقنية المعلومات، ومع هذا التطبيق المُعدّ خصيصاً للأجهزة الذكية، أصبح بإمكان الباحث التنقل بمكتبة حديثة شاملة للاستفادة منها أينما كان، سهولة الاستخدام؛ فلن يكون مقيداً بمكان، ويستطيع الرجوع إليها متى شاء، كما يتيح التطبيق إمكانية البحث عن كلمة أو جملة في أي كتاب من الكتب التسعة، وقد تم إضافة خدمة التخرّيج؛ فبمجرد الضغط على الأيقونة يتم تخرّيج الحديث آلياً، فتظهر النتائج مباشرة دون أي عناء أو مجهود، مع وجود تقسيمات للأحاديث حسب الموضوع الذي يتحدث عنه الحديث، إضافة إلى أنّه يحتوي على شروحات، وتعريف بالراوي صاحب الحديث 59.

2. تطبيق المكتبة الإسلامية الصوتية: من أكبر الموسوعات الصوتية للدروس والخطب والمحاضرات الإسلامية؛ حيث تحوي أكثر من 60000 درس لـ 795 شيخ وداعية، مع

إمكانية الاستماع عبر الإنترنت أو عن طريق تحميلها والاستماع إليها من دون انترنت. ويتضمن التطبيق قائمة بالخطب والدروس المحملة، وأخرى بالخطب والدروس المفضلة، مع خصائص متميزة في البحث؛ كالبحث ضمن أسماء الشيوخ والدعاة، أو ضمن مواضيع الخطب والدروس، بالإضافة إلى ترتيب الشيوخ حسب عدد الخطب وحسب الاسم وحسب المفضلة، مع إتاحة تحميل أكثر من درس في نفس الوقت، ويتوقف الدرس تلقائياً عند تلقي مكالمات هاتفية ويستمر بعد الانتهاء منها، مع التحكم بالتطبيق عن طريق الشاشة الرئيسية للهاتف أو مشغل الوسائط، بالإضافة إلى التكرار ومميزات تصميمية جميلة 60.

ويُستخلص مما سبق أن البرامج الإلكترونية وتطبيقات الهواتف الذكية لها دور فعال في جودة التعليم الشرعي، غير أنها كثيرة العدد ومتنوعة الخدمات، ومتعددة المصادر؛ لذلك كان لزاماً على طالب العلم الشرعي أن يتحرى الموثوق منها؛ كالتطبيقات التي ترعاها مؤسسات علمية معروفة أو هيئات رسمية.

خاتمة:

بعد هذا العرض يأتي بياناً لأهم النتائج التي توصلنا إليها، وبعض التوصيات والمقترحات التي هُدينا إليها أثناء تحريرنا لهذا البحث؛ مما يزيد في خدمة موضوعه، وييسر الانتفاع به. أولاً- أهم النتائج:

1. الوقف الإلكتروني مصطلح جديد ظهر مع الثورة الهائلة في مجال الاتصال والتواصل، ويُقصد به تحييس الأصول الإلكترونية، وتسجيل منافعها في أوجه الخير، وهو من أجل ما تُوقَّف فيه الأموال وتُنْفَقُ.
2. الوقف الإلكتروني له مجالات وصور عديدة منها: المواقع التعليمية، والمنتديات الحوارية، والكليات الافتراضية، والمكتبات الإلكترونية، وتطبيقات الهواتف الذكية.
3. استحدثت بعض المؤسسات عن طريق مواقعها الإلكترونية طرقاً مبتكرة تُمكن فئات كثيرة من المساهمة في الوقف الإلكتروني منها: بوابة "أوقاف تك"، وموقع "صدقة جارية"، وموقع "بلغواعني ولو آية".
4. يظهر دور المواقع التعليمية في خدمة التعليم الشرعي وتعميم الاستفادة منه من خلال إلقاء القرآن الكريم والإجازة في الحديث والمتون الشرعية بواسطة المقارئ ومجالس السماع الإلكترونية.
5. المكتبات الإلكترونية توفّر زخماً هائلاً من المصادر والمراجع للباحث في العلوم الشرعية؛ الأمر الذي يوفر له الجهد والوقت والمال.

6. تُتيح الجامعات الإسلامية الإلكترونية فُرصَ تعلّم العلوم الشرعية بجميع تخصصاتها لكل الفئات والأعمار والأجناس، وبمختلف اللغات ممن قد تعوقهم ظروف العمل أو اللغة أو البعد الجغرافي.
7. تساهم المنتديات والمتقيات الحوارية في خدمة التعليم الشرعي من خلال مناقشة المسائل الشرعية من طرف المختصين من الدكاترة والعلماء وطلبة العلم؛ بتبادل الخبرات وتلاقح الأفكار، وإحالة على المراجع من الكتب والدراسات.
8. إنّ البرامج الإلكترونية وتطبيقات الهواتف الذكية لها دور فعال في تطوير التعليم الشرعي، وهي كثيرة العدد، متنوعّة الخدمات، ومتعددة المصادر؛ لذا كان لزاماً على طالب العلم الشرعي أن يتحرى الموثوق منها؛ كالتطبيقات التي ترعاها مؤسسات علمية معروفة أو هيئات رسمية.

ثانياً- أهم التوصيات:

1. إرشاد الباحثين وطلبة العلم الشرعي إلى ضرورة القيام بدراسات تهتم بالتأصيل الشرعي للوقف الإلكتروني من حيث شروطه وضوابطه وصوره المشروعة.
2. توجيه ذوي البر والإحسان إلى استثمار أموالهم لصالح الوقف الإلكتروني بشتى صوره لخدمة العلوم الشرعية.
3. تشجيع طلبة العلم على إصدار المنتجات التعليمية الوقفية الإلكترونية من قبيل مخابر ووحدات البحث في الجامعات.

الهوامش

1. يُنظر: محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، ط:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، 251/9، ومحمد بن منظور، لسان العرب، ط:1، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ النشر، 359/9، ومحمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط:8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ-2005م، ص860، ومحمد بن عبد الرزاق الزبيدي، تاج العروس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون مكان وتاريخ النشر، 523/15.
2. عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، المغني، ط:1، دار الفكر، بيروت، 1405هـ، 206/6.
3. رواه ابن ماجه في سننه، كتاب أبواب الصدقات، باب من وقف، حديث رقم: 2397. يُنظر: محمد بن يزيد بن ماجه، سنن ابن ماجه، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط:1، دار الرسالة العالمية، بدون مكان النشر، 1430هـ-2009م، 476/3، ورواه النسائي في سننه، كتاب الأحباس، باب حبس المشاع، حديث رقم: 3605. يُنظر: أحمد بن شعيب النسائي، السنن الصغرى، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ط:2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ-1986م، 232/6. قال الألباني في إرواء الغليل: "إسناده صحيح". يُنظر: محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل، ط:2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ-1985م، حديث رقم: 31/6.
4. مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته التاسعة عشرة في إمارة الشارقة (دولة الإمارات العربية المتحدة) من 1 إلى 5 جمادى الأولى 1430هـ الموافق 26-30 نيسان (إبريل) 2009م، قرار رقم 181 (19/7)، أخذ يوم: 2017/06/03م من موقعه الرسمي على الرابط: <http://www.iifa-aifi.org/2307.html>
5. هي ثورة المعلومات المرتبطة بصناعة وحياسة المعلومات وتسويقها وتخزينها واسترجاعها وعرضها وتوزيعها من خلال وسائل تكنولوجيا حديثة ومتطورة وسريعة وذلك من خلال الاستخدام المشترك للحاسبات الإلكترونية ونظم الاتصالات الحديثة. ينظر: عبد الحق حميش، المصادر الإلكترونية للعلوم الشرعية، ط:1، عالم المعرفة، الجزائر، 2014م، ص26.
6. على سبيل المثال: عند الاطلاع على موقع "مركز واقف" وهو موقع متخصص بكل ما يتعلق بالوقف والوصايا من استشارات

- ودراسات، لم نحصل في المحتوى الخاص بالتقنية على أي مادة. شوهد يوم: 2017/06/05 في الساعة: 19:19 من الرابط: waqef.com.sa/contact_us.php
7. منها: عبد الله بن منصور الغفيلي، المنتجات الوقفية التعليمية، بدون رقم ط، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1435هـ وراضي الخوالدة البلعماوي، الوقف الإلكتروني ودوره في النهوض بالأمة والمجتمع، مقال أخذ يوم: 2017/06/02 في الساعة 18:20 من مدونة الباحث الشخصية من الرابط: <http://radikh.blogspot.com/2015/blog-post.html/04>
 8. ظافر بن حسن آل جبعان، الوقف الخيري الإلكتروني، بحث أخذ يوم: 2017/06/02 في الساعة: 18:11 من الموقع الرسمي للباحث من الرابط: <http://www.aljebaan.com/play-862.html>
 9. الدكتور ظافر بن حسن آل جبعان في مقاله ذكر شروطا للوقف الإلكتروني لكنها شروط للوقف بصفة عامة ولا تراعي خصوصية المصادر الإلكترونية الحديثة.
 10. - يُنظر: حسين عبد المطلب الأسرج، مستقبل الوقف الإسلامي في ظل الثورة الرقمية، بحث أخذ يوم: 2017/06/02 في الساعة: 18:46 من "منتدى التمويل الإسلامي" من الرابط: <http://islamfin.go-forum.net/t4204-topic>
 11. أخذ يوم 2017/02/01، في الساعة: 22:00 من الموقع الرسمي "إسلام ويب نت" من الرابط: <http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=77883>
 12. يُنظر: عبد الله بن منصور الغفيلي، المنتجات الوقفية التعليمية، مرجع سابق ص120-103، وظافر بن حسن آل جبعان، الوقف الخيري الإلكتروني، مرجع سابق، وراضي الخوالدة البلعماوي، الوقف الإلكتروني ودوره في النهوض بالأمة والمجتمع، مرجع سابق.
 13. هي رخصة لتوزيع العمل الفكري من برمجيات أو مؤلفات مكتوبة أو إنتاج فني مجاناً بالإضافة منها أو إعادة توزيعها أو حتى تطويرها وفق شروط معينة. يُنظر: نظام وثائق أعجوبة، رخصة وقف العامة، كتاب حمل على شكل "pdf" يوم: 2017/06/04 في الساعة: 1:46 من موقع "أعجوبة" من الرابط: <https://zlug.files.wordpress.com/2009/waqf.pdf/03>
 14. يُنظر موقعها الرسمي على الرابط: <http://www.awqaftec.com>
 15. يُنظر موقعها الرسمي على الرابط: <http://www.sadaqagarea.work>
 16. يُنظر موقعها الرسمي على الرابط: <http://www.balligho.com>
 17. الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم 3274. يُنظر: محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، ت: مصطفى ديب البغا، ط:3، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ-1987م، ص1275/3.
 18. البريد المقصود هو: donation@balligho.com
 19. أخذ هذا التعريف يوم: 2017/06/06 في الساعة: 9:51 من موقع "الموسوعة الإسلامية": <http://islamspedia.com>
 20. أخذ التعريف يوم: 2017/06/06 في الساعة: 17:28 من الموقع الرسمي للهيئة من الرابط: <http://www.hqmi.org/page.php?op=pg&id=146>
 21. - أخذ يوم: 2017/06/06 في الساعة: 9:51 من موقع "الموسوعة الإسلامية": <http://islamspedia.com>
 22. وتسمى غرف الدردشة "online chat rooms"؛ وهي وسيلة من وسائل التواصل فتحت المجال واسعا للناس لإجراء المحادثات عبر شبكة الإنترنت مع الآخرين الذين يتقاسمون الاهتمامات نفسها. يُنظر: نديم منصوري، سوسيولوجيا الإنترنت، ط:1، منتدى المعارف، بيروت، 2014م، ص29.
 23. يُنظر: محمد يحيى حسين غيلان، الأحكام الفقهية المتعلقة بالمقارن الإلكترونية، ندوة القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة، يومي: 24-26 شوال 1430هـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، حمل إلكترونياً في شكل "pdf" يوم: 2017/06/06 في الساعة: 10:40 من الرابط: https://d1.islamhouse.com/data/ar/ih_books/single8/ar_Alahkam_Alfegheya_Almqare3_Alelektroneya.pdf
 24. ينظر: الموقع الرسمي للمقرأة الإلكترونية العالمية على الرابط: <http://www.quranschool.org.sa/about/1>
 25. الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، ضوابط إلقاء القرآن الكريم عبر المقارن الإلكترونية على شبكة الإنترنت، أخذت يوم: 2017/04/01 في الساعة: 00:40 من الموقع الرسمي للهيئة على الرابط: <http://www.hqmi.org/page.php?op=pg&id=146>
 26. يُنظر الموقع الرسمي للغرفة على الرابط: <http://qorana2.s.islamrooms.com/?z=0>
 27. كنموذج يوضح ذلك؛ فقد نُقل عبر الغرفة مجلس سماع مسند أبي حنيفة الذي عُقد بمسجد مدحت شيخ الأرض، بمكة، يوم: 1438/07/04هـ، بإشراف مشروع إسنادكم التابع لأوقاف الرضوان الخيرية بالتعاون مع مجموعة عوائد الخير لاستثمار الوقف. يُنظر: <http://www.ablaldeeth.com/vb/showthread.php?t=373137>
 28. يُنظر: أسامة بديع سعيدان، الإجازات الحديثة وضوابطها في وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، رسالة ماجستير غير مطبوعة بإشراف: إبراهيم انداهود، كلية العلوم الإسلامية بجامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 1435هـ-2014م، ص74.
 29. يُنظر الموقع الرسمي: <http://www.mottoon.com/Registration.aspx>
 30. محمد سعد اليوبي، ضوابط مهمة في تعليم العلوم الشرعية وتعلمها، بحث أخذ يوم: 2017/03/31 في الساعة: 23:52 من موقع: "طريق الإسلام" من الرابط: <http://ar.islamway.net/article/41923>
 31. يُنظر: عبد النبي شنته فرج، المكتبة الإلكترونية بين الواقع والطموح في مكتبات جامعة البصرة، مجلة دراسات البصرة، السنة السابعة، العدد: 12، 2011م، ص357، وتعريف أخذ يوم: 2017/01/28 في الساعة: 16:45، من موقع "قاموس كامبردج" على الشبكة العنكبوتية من الرابط: <http://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/e-library>

32. يُنظر للإفادة أكثر بخصوص ميزات المكتبة الإلكترونية: عادل محمد خليفة، النشر الإلكتروني مزاياه ومشاكله، مجلة: الأمن والحياء، ع: 366، 1433 هـ جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية، ص55، ومحمد الهادي الدهوي، توظيف المكتبة الإلكترونية في التعليم العالي، مداخلة ضمن المؤتمر العربي حول التعليم العالي وسوق العمل، ص11، حملتها في نسخة pdf يوم: 2017/01/17 في الساعة: 23:48 من الرابط: <http://www.7ou.edu.ly/alsatil/conf42010.pdf>
33. منها: محمد الهادي الدهوي، توظيف المكتبة الإلكترونية في التعليم العالي، مرجع سابق، وعكنوش نبيل، المكتبة الرقمية بالجامعة الجزائرية: تصميمها وإنشائها، رسالة دكتوراه غير مطبوعة بإشراف: أ.د. بن السبتي عبد المالك، بقسم علم المكتبات بجامعة منتوري، قسنطينة، 2010م.
34. يُنظر: محمد العربي بيوش، المكتبات الإلكترونية الوقفية ودورها في تطوير البحث العلمي، مداخلة قدمت للملتقى الوطني الرابع: "الوقف العلمي وسبل تفعيله في الحياة المعاصرة"، المنظم من طرف قسم الشريعة، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، في: 01 و02 مارس 2017م، ص10.
35. يُنظر: <http://shamela.ws/>
36. يُنظر: موقع المكتب التعاوني للدعوة بالروضة على الرابط: <http://www.arrawdah.com/dimofinf/page.php?do=show&action=shamela>
37. يُنظر: <http://waqfeya.com/index.php>
38. يُنظر: فياض عبد الله علي وحيدر عبود نعمة، التعليم الإلكتروني والتعليم التقليدي، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، ع: 19، 2009، بغداد، ويُنظر أيضا تعريفات أخرى: أسماء بنت محمد بن خلف الزائدي، نموذج مقترح لجامعة افتراضية بالتعليم الجامعي السعودي، رسالة ماجستير غير مطبوعة بإشراف هاشم بكر حريري، كلية التربية بجامعة أم القرى، السعودية، 1430 هـ- 2009م، ص84، ويذكر بن عبد الله الصالح، التعليم الجامعي الافتراضي: دراسة مقارنة لجامعات عربية وأجنبية افتراضية مختارة، مجلة كليات المعلمين: العلوم التربوية، م: 7، ع: 1، 1428 هـ- 2007م، وكالة وزارة التعليم العالي لكليات المعلمين، الرياض، ص7.
39. منها: أ-جواهر بنت ظاهر محمد العنزي، فاعلية استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في تحصيل العلوم والاتجاه نحو مجتمع المعرفة، رسالة دكتوراه غير مطبوعة بإشراف: علياء بنت عبد الله الجندي، كلية التربية بجامعة أم القرى، السعودية، 1433-1434 هـ.
- ب- نهال رجب عبد الرزاق، دور شبكات التواصل الاجتماعي في العملية التعليمية-دراسة حالة طلاب جامعة السودان، رسالة ماجستير غير مطبوعة بإشراف: عز الدين إبراهيم محمد، كلية الدراسات العليا بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، 2013م.
- ج-رشا أديب محمد عوض، آثار استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على التحصيل الدراسي للبناء في محافظة طولكرم، مذكرة بكالوريوس غير مطبوعة بإشراف: إياد عماوي، كلية التنمية الاجتماعية والأسرية بجامعة القدس المفتوحة، طولكرم، 2013-2014م.
40. منها: أنوال عزيزي وإلهام شيلي، دور التعليم الإلكتروني في تحسين جودة التعليم العالي في المؤسسات الجامعية (التجربة الإماراتية)، ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر الدولي الرابع "التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد"، المنظم من طرف المركز الوطني للتعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، السعودية، يومي: 2-5 مارس 2015م، بالرياض، حُمِلت على شكل ملف "pdf" من الموقع الرسمي للمؤتمر يوم: 2017/03/24م في الساعة: 21:15، من الرابط: <http://eli.elc.edu.sa/2015/sites/default/files/248.pdf>
- ب- عصام إدريس كمتور الحسن، التعليم الإلكتروني المنتشر نقله جديدة نحو تفريد التعليم الجامعي، ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر الدولي الرابع "التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد"، المنظم من طرف المركز الوطني للتعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، السعودية، يومي: 2-5 مارس 2015م، بالرياض، حُمِلت على شكل ملف "pdf" من الموقع الرسمي للمؤتمر يوم: 2017/03/24م في الساعة: 21:25، من الرابط: [http://eli.elc.edu.sa/2015/sites/default/files/\(110\)%20%D8%A7%D9%85%D8%B9%D8%B5%D8%A7%D9%86%84%D8%AD%D8%B3%D9%20%D8%A7%D9%85%D8%B9%D8%B5%D8%A7%D9](http://eli.elc.edu.sa/2015/sites/default/files/(110)%20%D8%A7%D9%85%D8%B9%D8%B5%D8%A7%D9%86%84%D8%AD%D8%B3%D9%20%D8%A7%D9%85%D8%B9%D8%B5%D8%A7%D9)
41. يُنظر: عبد القادر مهاوات ومحمد العربي بيوش، "أفاق تدريس العلوم الإسلامية من خلال الجامعات الإلكترونية- نماذج مختارة"، مداخلة قُدِّمَتْ إلى الملتقى الوطني حول "مستقبل العلوم الإسلامية في مؤسسات التعليم العالي-الواقع والآفاق"، المنظم من طرف كلية الشريعة والاقتصاد بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة، يومي: 23-24 أبريل 2017م.
42. يُنظر موقع الأكاديمية الرسمي: <http://isa-eg.com/about-us/>
43. يُنظر موقعها الرسمي على الرابط: <http://www.uislamic.com/estmara.html>
44. يُنظر مجموعة الأكاديمية الرسمية على الفايستوك من الرابط: <https://www.facebook.com/photo.php?fbid=56307720472&set=gm.767914126575987&type=1>
45. يُنظر موقع الأكاديمية الرسمي على الرابط: <http://www.zad-academy.com/>
46. هو موقع غنيّ شامل: إعلامي، وثقافي، وعلمي، وأدبي، يتألف من 13 موقعا، يشارك فيه نخبة من أهل العلم والفكر والدعوة، بإشراف الشيخ الدكتور سعد الحميد والدكتور خالد الجريسي.



د. عبد الكريم بن محمد بنانيل*

-
- * خريج دار الحديث الحسنية الرباط، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس.
- عضو مؤسس لجمعية البحث في الفكر المقاصدي بالمغرب
 - محكم مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية المملكة العربية السعودية.
 - عضو اللجنة العلمية لكتاب "فضايا مقاصدية" الذي تصدره الجمعية المغربية للبحث في الفكر المقاصدي.
 - عضو جمعية العلامة ابن بري لتحفيظ القرآن الكريم وتدرّيس علومه .
 - عضوية المعاملات المالية والمجتمع لمختبر الدراسات والأبحاث في المالية الإسلامية والتنمية، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الشريعة بفاس / سايس .
- مشارك في عدد من المؤتمرات والندوات الدولية بالمملكة العربية السعودية، الإمارات، المغرب، الجزائر...

الحمد لله الذي أنقذنا بنور العلم من ظلمات الجهالة، وهدانا بالاستبصار به عن الوقوع في عمية الضلالة ونصب لنا من شريعة سيدنا ومولانا محمد أعلى علم وأوضح دلالة، وبعد، فإن نظام الوقف من الأنظمة المالية الإسلامية التي اعتنى بها المسلمون عناية فائقة في كل مكان وزمان، منذ عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وعبر العصور المتوالية، فقد ظل المسلمون في مختلف عهودهم ومستوياتهم الاجتماعية يحرصون على وقف ممتلكاتهم والتسابق إلى تحبيس شيء منها في سبيل الله، من أجل صرف ريعها ومدخولها المائي في وجوه البر والإحسان وإقامة شعائر الدين الإسلامي، وتحقيق المنافع العامة للمسلمين، ويعتبرون ذلك من الأعمال الصالحة التي تقرب إلى الله ومن الصدقة الجارية التي شرعها الإسلام ورغب فيها الرسول الكريم والتي يبقى أجرها خالدا وثوابها مستمرا بعد حياة الإنسان مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾¹. وارتباطا بهذا الأساس الديني القويم في مشروعية الوقف ومقاصده الحميدة، وغاياته ومرايمه النبيلة، كانت الأمة الإسلامية في سائر عهودها المتواصلة، وعلى اختلاف شرائحها الاجتماعية ومستوياتها المادية والفكرية لأفرادها يبادرون إلى التعاون على البر والتقوى، ويسارعون إلى الخيرات والمكرمات، والقيام بما يصلح أحوالهم ويسعدهم في دنياهم وآخرتهم. فكان الناس يحبسون شيئا من ممتلكاتهم الخاصة من دور وأراضي وحوانيت ورياع ليصرف مدخولها في تشييد المساجد وإقامة شعائر الدين الذي جعله الله قوام وصلاح هذه الأمة، ويتحقق بذلك النفع العام للمؤمنين الصالحين ويولون الوقف رعاية خاصة من خلال حسن إدارته وتسيير ريعه وتطوير منظومته التشريعية لتتماشى مع مستجدات ومتطلبات العصر، فأسهمت هذه الأوقاف في خلق تجربة فريدة شملت مناحي الحياة المتعددة واستطاعت أن تلامس واقع الناس في مستويات متعددة ومتنوعة، منها: العلمية والثقافية بإنشاء المكتبات العلمية وتحبيس الكتب على المكتبات ومساعدة الطلبة على تحصيل العلم ببناء المعاهد الشرعية، والإنفاق على الطلبة الوافدين من الخارج للدراسة بالمعاهد، وغير ذلك من الأوقاف التي اعتنت بجانب التعليم الشرعي بقصد تطوير منظومته ليساير المستجدات ويواكب التطورات.

أهمية البحث

تتبع أهمية تناول الوقف في جانبه التعليمي والثقافي في كونه يمثل مدخلا أساسيا لفهم التطور الحضاري الذي عرفه الفكر الإسلامي الذي أسهم الوقف في تطويره وتنميته، حيث

1- سورة سبأ. الآية 38.

برز التنوع الوقفي كمنهج حضاري يؤكد رقي التجربة الإسلامية التي أخذت أبعادها العالمية في تمثّلات التجارب الغربية التي اقتبست من نور الوقف الإسلامي بمسمّيات متنوعة ومختلفة ترتبط بنفس البعد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، مثل مؤسسات American Endowment Foundation و Children's Trust Trust Foundation، وهي مؤسسات عالمية "تقوم على وجود مال دائم يستثمر والعائد منها ينفق على الأعمال الخيرية وإن كانت تختلف عن الوقف في بعض جوانبها"¹، إلا أنها اقتبست من المنهجية الإسلامية، ومن التنوع الوقفي الإسلامي الذي شمل مجالات متعددة.

لذلك تكمن أهمية الموضوع في تركيزه على بعدٍ فكري يبين أهمية التجربة الوقفية الإسلامية، وبعدها الحضاري من خلال تأثيرها في المنظومة التعليمية الشرعية، وهو البعد الذي أغفلته التجربة الغربية في اقتباسها للوقف الخيري الإسلامي.

منهجية البحث وخطته

الهدف من هذه الدراسة هي بيان الدور الذي قام به الوقف في مجال التعليم الشرعي، بدءاً من الكتابات القرآنية أو المَحَصَّن القرآني الأول وانتهاءً بالجامعة أو بمنظومة التعليم العالي، لذلك تعتمد الدراسة المنهجية الوصفية والتحليلية من خلال رصد الأوقاف التي اعتنت بالجانب التعليمي بالبلاد الإسلامية مع بيان ما يميزها عن غيرها من الأوقاف ثم دراسة وتحليل هذه التجربة على مستوى البنية الفكرية والتعلمية بما حققته وما تتوخاه من مقاصد وأهداف.

وتبعاً لذلك، انتظمت الدراسة في تمهيد وأربعة مباحث

التمهيد خصصته لبيان مفهوم الوقف وحكمته وسماته الأساسية

المبحث الأول، يتحدث عن المنطلقات التأسيسية للوقف التعليمي في البلاد الإسلامية

المبحث الثاني، يرصد الوقف على أماكن تحفيظ القرآن والمعاهد الشرعية ودوره في دعم التعليم الشرعي

أما المبحث الثالث، فموسوم بوقف المكتبات الإسلامية ودوره في دعم العلم الشرعي وتطويره

فيما المبحث الرابع خصصته للحديث عن الوقف على الكراسي العلمية ودوره في خدمة العلوم الشرعية

خاتمة، ضممتها خلاصة لما جاء في البحث وبعض الاستنتاجات المرتبطة به

فأقول وبالله التوفيق، ومنه أستمد العون والهداية

1- كونها تقوم على وجود مال دائم يستثمر والعائد منها ينفق على الأعمال الخيرية وإن كانت تختلف عن الوقف في بعض جوانبها. دراسة مقارنة. أ.د. محمد عبد الحليم عمر. ص. 7. بحث مقدم إلى المؤتمر الثاني للأوقاف "الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية" جامعة أم القرى- مكة المكرمة.

تمهيد: مفهوم الوقف، حكمه، وسماته الأساسية

الوقف نظام إسلامي انبثق من الخلق الإسلامي الذي يسمو بالفرد سموًا يحقق له الجزاء في الدنيا والآخرة، وقبل الحديث عن أثر الوقف في البناء الاجتماعي والاقتصادي وأثر التجربة المغربية في تقنين نظام الوقف، أرى من الضروري توضيح المفهوم المراد من الوقف وبيان حكمه وسماته الأساسية، كمدخل تمهيدي لفهم آليات الاشتغال ضمن منظومة الوقف.

أولاً: مفهوم الوقف لغة واصطلاحاً

أ- لغة: الوقف والحبس والتسبيل بمعنى واحد. والوقف من وقف، يقف، وقوفاً: دام قائماً، ووقفته أنا وقفاً: فعلت به ما وقف، والنصراني وقيفي كخلفي: خدم البيعة، والدار حبسه: كأوقفه، وهذه رديئة هي لغة تميمية وعكسها أحبس، فإنها أفصح من حبس التي هي لغة رديئة لكنها أي حبس هي الواردة في الأحاديث.¹

وفي لسان العرب يقال: حبست، أحبس، حبسا وأحبست أحبس أحباساً أي وقفت، والإسم الحبيس بالضم، وكان الوقف أول عهده يسمى صدقة وحبسا وحبيساً.²

- اصطلاحاً: الوقف له عند فقهاء المسلمين تعاريف ثلاثة:

- التعريف الأول لأبي حنيفة (ت150هـ): "حبس العين على حكم ملك الواقف والتصدق بالمنفعة على جهة الخير".³

ومن تعريف أبي حنيفة للوقف، يظهر أن الوقف عنده بمنزلة العارية، ولم يجعله عارية حقيقية لأنه لا يسلمه إلى المستوفي للمنفعة بل يسلمه إلى المتولي أو يجعله في يده ويصرف المنفعة إلى من أراد، وأما العارية فتسلم إلى من يستوفي منفعتها.⁴

- التعريف الثاني للجمهور والصاحبان (أبو يوسف (ت182هـ) ومحمد بن الحسن الشيباني (ت189هـ)) وبرأيهما يفتى عند الحنفية والشافعية والحنابلة على الأصح: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته من الواقف وغيره على مصرف مباح موجود، أو بتصرف ريعه على جهة بر وخير تقرباً إلى الله تعالى، ويصير حبساً على ملك الله تعالى

1- القاموس المحيط للفيروز آباد-مج3/باب الفاء فصل الواو.مكتبة النوري دمشق. بدون تاريخ.

2- لسان العرب.ابن منظور-مج6/دار الفكر بدون تاريخ.

3- فتح القدير-مج5.ص37 لابن الهمام/طبعة القاهرة-مصر1316-هـ.

4- المعاملات المدنية والأدبية-علي فكري-299/2.مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر.ط1/1938م.

ويمتنع على الواقف تصرفه فيه ويلزم التبرع بريعه على جهة الوقف¹.
يفهم من هذا التعريف أن ما لا يمكن الانتفاع به أو لا يحق المنفعة لعموم المسلمين من المال لا يعتبر تحققاً مقاصدياً لمعنى التحبّيس .

-التعريف الثالث للمالكية: "جعل المالك منفعة مملوكة ولو كان مملوكاً بأجرة أو جعل غلته كدراهم مستحق بصيغة، مدة ما يراه المحبس" أي أن المالك يحبس العين عن أي تصرف تمليكى، ويتبرع بريعه لجهة خيرية تبرعاً لازماً مع بقاء العين مدة معينة من الزمان فلا يشترط فيه التأييد².

ثانياً: حكمة الوقف وسماته الأساسية

أ-حكمة الوقف

من الفقهاء من هم عاجزون عن الكسب إما لصغر سن أو ضعف في القوى لمرض أو لغير مرض كالنساء اللاتي لا قدرة لهن على مباشرة الحرف والصنائع، وغير ذلك من أعمال الرجال، فهؤلاء هم أولى الناس بالرحمة والشفقة والحنان "فإذا ما حبست عليهم الأعيان وأجريت عليهم الصدقات، استراحوا من عناء الفقر وخرجوا من ربة العسر وهانت عليهم مصائب الدهر"³.
يقول صاحب "رد المحتار على الدر المختار" أن الحكمة من الوقف دنيوية وأخروية، ففي الدنيا: بر الأحاب، وفي الآخرة: تحصيل الثواب⁴.

فبالوقف إذا تحقق مصلحة الواقف في الآخرة والموقوف عليه في الدنيا، يشير العزبن عبد السلام (ت 660هـ) إلى هذا الأمر حين يقسم الطاعات إلى نوعان: "أحدهما ما هو مصلحة في الآخرة كالصوم والصلاة والنسك والاعتكاف، والثاني: ما هو مصلحة في الآخرة لباذله، وفي الدنيا لأخذه، كالزكاة والصدقات والضحايا والهدايا والأوقاف"⁵.

ب- السمات الأساسية للوقف

الوقف سمة من سمات المجتمع المسلم الذي يقوم على أساس التكافل والتعاون بين أفراد، تحقيقاً لمعاني الأخوة الإسلامية التي نطق بها الحديث الشريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"⁶، فأساسه التعاون على البر والتقوى من خلال صرف المال في وجوه الخير المعلومة

1- الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي-د.وهبة الزحيلي، ص154 . دار الجامعية للطباعة والنشر بيروت/4/1982.

2- الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي-وهبة الزحيلي ص155.مرجع سابق.

3- المعاملات المادية والأدبية لعلي فكري 2/326.مرجع سابق.

4- محمد أمين المشهور بابن عابدين، 3/ 392 . المطبعة الكبرى الأميرية. مصر سنة 1326هـ.

5- قواعد الأحكام في مصالح الأنام. دراسة وتحقيق:محمود بن التلاميذ الشنقيطي، ص17.دار المعارف، بيروت لبنان.

6- البخاري، ج.552، مسلم، ج.4586.

لتحقيق المنفعة العامة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية وقامت عليها كركيزة أساسية مصداقا لقول الحق سبحانه (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)¹، فتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي ”من أهم المقاصد الإسلامية الذي أوجب الإسلام من أجله الزكاة، وحث على الصدقة، وأوجب الإنفاق عند الحاجة الماسة، بما فضل من المال، لتتحقق صورة الإخاء الإيماني الذي هو فرض على المسلمين، ومقصد شرعي عام².

والوقف أيضا من التصرفات التطوعية النابعة من صدق عقيدة المسلم التي تتسم بشمول أنواعه ومجالاته، لكل ما يعود بالخير على الواقف نفسه وعلى أفراد مجتمعه، تحقيقا لمجتمع الاستخلاف وحفاظا على غاياته المتميزة³.

فالواقف ينزل عن شطر من أمواله العقارية أو المنقولة إيمانا بمبدأ الاستخلاف، فالكون وما فيه ومن فيه مملوك ملكية مطلقة لخالقه سبحانه (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ)⁴، وما ملكية المستخلفين لإحياء أمانة أو ودیعة فهي ملكية منفعة على النحو الذي يحق إعمار الأرض وفق الشريعة.

والواقف أيضا بتنازله عن جزء من ماله ”إنما يحق الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل، فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام، وهو أصل من أصول النجاة، وهو بذلك يجعل دنياه خير مزرعة لآخرته⁵.

كما أن من شأن الصدقة التي تخرج عن طريق الوقف ”أن تبقى مستمرة العطاء بينما الصدقة تؤتي أكلها في حينها ثم تنقضي، فيحتاج الفقراء وذوو الحاجة إلى صدقات مثلها⁶.

المبحث الأول: منطلقات تأسيسية للوقف التعليمي في البلاد الإسلامية

لا يمكن الحديث عن الوقف التعليمي مستقلا عن الوقف الإسلامي بشكل عام، فالوقف يرتبط أيما ارتباط بالمسجد، وهذا أمر طبيعي لأن الوقف يتعلق بالوازع الديني وبالقوة الإيمانية التي تدفع الإنسان إلى تحبب جزء من ممتلكاته، وإخراجها عن منفعته إلى منفعة الغير، فكان هذا الوازع دافعا إلى تحبب الأوقاف المرتبطة بالمساجد كالوقف على الحرمين والوقف ببناء المساجد

1- المائدة.2.

2- وقف النقود واستثمارها.د.أحمد بن عبد العزيز الحداد.ص.22.مقدم لأشغال المؤتمر الدولي الثاني للوقف المنعقد بمكة المكرمة. مارس2006.

3- البعد المقاصدي للوقف.د.عبد الكريم بناني.ص.18.أفريقيا الشرق.ط.2014/1.

4- آل عمران.26.

5- أثر الوقف في تنمية المجتمع.ص.39-400.بتصرف.د.نعمت عبد اللطيف مشهور.المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.1996.

6- الوقف الخيري في الإسلام وأبعاده التنموية، د.السعيد بوركبة.ص.24، دار أبي رزاق للطباعة والنشر ط.1..

كجامع القرويين بالمغرب والجامع الأزهر بمصر والزيتونة بتونس .

غير أن ارتباط المسجد بالتعليم الشرعي باعتباره المحصن الرئيس الأول لهذا النوع من التعليم دفعت بالمحبسين إلى تأسيس أوقاف خاصة لتسيير المؤسسات التعليمية أو التحبب على بناء معاهد شرعية خاصة، أو المساعدة في خدمة الدراسة الشرعية من خلال إنشاء مكاتب وقفية أو وقف الكتب عليها أو إيواء الطلبة والعناية بمعيشتهم، ولعل أقدم مؤسسة جامعية قامت على الوقف في العالم الإسلامي هي جامع القرويين، الذي أنشئ من طرف "فتاة مسلمة تدعى فاطمة الفهرية وتكنى أم البنين، وهي من جملة من هاجر من القيروان إلى المغرب، وكان ابتداء تأسيسه في يوم السبت فاتح رمضان عام 245هـ وذلك في عهد الملك الخامس من ملوك الأدارسة وهو يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس¹"، ولعل ما قام به هذا الجامع بفضل الأوقاف التي أقيمت على الكراسي العلمية وعلى تسيير الدراسة به أكثر من أن يحصى بأبعاده الدينية والتعليمية والاجتماعية، فقد خرج أفواجا من العلماء والفقهاء استطاعوا أن يحرروا المجتمع من ريقه الجهل والأمية وأن ينيرو العقول بما استفادوا من علوم شرعية وكونية ازدانت بها رحاب هذه الجامعة. ثم انتشرت "دور العلم والحكمة والمدارس وما فيها من مرافق ومكاتب وقفية، بدءا من القرن الرابع وما بعده، وقد تبع ذلك كله أوقاف استثمارية تعود غلتها عليها كما هو معروف من صنيع السلف"².

وهكذا بدأ انتشار المدارس والمعاهد الشرعية المرتبطة بالمسجد أو المستقلة عنه والمخصصة للتعليم الشرعي، ومنها جامع ابن يوسف بمراكش الذي أسسه علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي (ت 537هـ) لتدرس فيه "العلوم الفقهية والكلامية والقرآنية والحديثية والتاريخية والأدبية والجغرافية والفلسفية وغيرها"³، فكانا جامع القرويين بفاس وابن يوسف بمراكش "يدعمان بالأوقاف الخيرية من طرف المحسنين على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم العلمية والسياسية وغيرهما، ومن هنالك كانت لهما أبعاد تنموية في الثقافة بصفة عامة، وفي الإسلامية بصفة خاصة"⁴.

أما ببلاد الحرمين فقد ذكر العلامة تقي الدين الفاسي في كتابه "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام" إحدى عشرة مدرسة بمكة المكرمة ذكراً مواقعها من المسجد الحرام، والمؤسسين لها،

1- الوقف الخيري في الإسلام، ص 69-70. مرجع سابق.

2- دور الوقف في المجال التعليمي. بحث منشور بموقع الألوكة على الشبكة. www.alukah.net/sharia/0/izx4iTVk2DN#81046.

3- الوقف الخيري في الإسلام، ص 71. مرجع سابق.

4- الوقف الخيري في الإسلام، ص 71. مرجع سابق.

وشروطهم، والعقارات الموقوفة عليها¹.

أما بالمدينة المنورة، فذكر طارق حجار في كتاب تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة بأنه: "يتعذر تعيين تاريخ محدد للمدارس الوقفية بالمدينة النبوية، غير أن أول من ذكرها هو المؤرخ محمد بن أحمد المطري (ت741هـ) حيث أورد اسم اليازكوجية والشهابية كما ذكر زين الدين أبي بكر المراغي نفس المدرستين في تاريخه"².

ومن هذه المدارس، في القرن السابع الهجري، المدرسة الجوبانية: لصاحبها جوبان بن تدوان، ثم أنشأت المدرسة الشيرازية: لصاحبها إبراهيم العريان الرومي الذي اشترى نخلاً وأوقفه عليها واجتهد في عمارتها بنفسه وماله توفي سنة 730هـ، ثم ظهرت المدرسة اليازكوجية الحنفية، ثم المدرسة الشهابية: لمؤسسها الملك المظفر شهاب الدين بن غازي الأيوبي، في مكان دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، ثم المدرسة الأركوجية: ذكرت في تاريخ ابن فرحون الذي عاش بين 693 - 769هـ.

وأما المدارس الوقفية في القرن الثامن الهجري فمنها: المدرسة الجوبانية: عام 724هـ، ثم المدرسة الغيائية.

وأما المدارس الوقفية في القرن التاسع الهجري فمنها: المدرسة الكليرجية: لمؤسسها السلطان شهاب الدين أحمد سلطان كليرجة، وقد قال عنه السخاوي "أنشأ بالمدينة مدرسة في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة بالقرب من باب الرحمة، وأرسل بقنديل زنته أربعة آلاف وستمائة قفلة، علق في جهة الوجه الشريف، وكذا له مدرسة بمكة، بالقرب من باب الصفا"³، وبعدهما ظهرت المدرسة الباسطية: لمؤسسها القاضي عبد الباسط، سنة بضع وأربعين وثمانمائة من الهجرة، ثم المدرسة الزمنية.

ثم ظهرت المدرسة الأشرفية أو الحصن العتيق: لمؤسسها السلطان الأشرف قايتباي سلطان المماليك عام 887هـ، وهي مدرسة كبيرة لها مرافق كثيرة، ووُقفت عليها أوقاف استثمارية عظيمة يرجع خيرها عليها وعلى المسجد النبوي، ثم ظهرت المدرسة الرستمية: لمؤسسها رستم باشا ابن الوزير قاسم باشا سنة 880هـ.

وأما المدارس الوقفية في القرن العاشر الهجري زمن الدولة العثمانية فمنها: المدرسة المزهرية:

1- عناية المسلمين بالوقف، ص26.

2- تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة. طارق بن عبد الله حجار، 480/1. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. العدد 120 - السنة 35 - 1423هـ/2003م

3- التحفة اللطيفة (161/1). السخاوي.

لمؤسسها الزيني.

وأما المدارس الوقفية في القرن الحادي عشر زمن العثمانيين: مدرسة قرّة باش: أنشئت عام 1031هـ، ثم مدرسة الصاقرزي: عام 1125هـ، ثم مدرسة كبرلي أو المدرسة الجديدة: عام 1150هـ، ثم مدرسة دار الحديث بشيرأغا، ثم المدرسة الحميدية: ما بين عامي 1187 - 1203، وأما المدارس الوقفية في القرن الثالث عشر فمنها: المدرسة المحمودية، ثم مدرسة كيلى ناظري: عام 1254هـ، ثم مدرسة حسين أغا: عام 1273هـ، ثم الاحسانية: عام 1275هـ، وأخيرا المدرسة الباركوجية.

وأما المدارس الوقفية في القرن الرابع عشر حتى ما قبل عام 1340هـ: فمن أشهرها: المدرسة الكشميرية: للوزير علم الدين عام 1301هـ، ثم المدرسة القازلية: عام 1311هـ، ثم المدرسة العرفانية: عام 1314هـ، ثم المدرسة الخاسكية: عام 1314هـ، ثم المدرسة النظامية: عام 1324هـ، ثم مدرسة أمان الله خوجة: عام 1324هـ، وأخيرا مدرسة نور الدين نمكاني: أوقفها نور الدين نمكاني عام 1331هـ بسقيفة شيخي¹، ويذكر ابن بطوطة حال ترحاله في بلاد العرب أن العشرات من المدارس من المستوى الابتدائي إلى الجامعي كانت قائمة على أموال الوقف، وأن الأموال الموقوفة قد فاضت على الطلبة المنتسبين لها²، "وقد كان الوقف وراء تشييد أربعمائة مدرسة بدمشق في القرن السابع الهجري"³ أيضا.

كما وجدت الأوقاف على التعليم في مصر، قبل المدارس النظامية، وذلك في عهد العزيز بالله سنة 378هـ، حيث أصبح الجامع الأزهر معهدا علميا أكثر منه مسجدا، ولذلك فقد سأل الوزير يعقوب بن كلس الخليفة في تحديد أجور لجماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفي، وأمر بشراء دار وبنائها، فبنيت بجانب الجامع وشهد العصر الفاطمي في مصر توسعا في أعمال الوقف، حيث وقف الحاكم بأمر الله الفاطمي أوقافا كثيرة للصرف على المساجد وغيرها من المؤسسات التعليمية، وكذلك فعل الوزير الفاطمي الصالح طلائع بن رزيك (سنة 556هـ)⁴.

ووجد أيضا عدّة مدارس اعتنت بجانب التوعية الأساسية للطلبة والمتعلمين، نذكر منها

- 1- انظر بحث دور الوقف في المجال التعليمي، مرجع سابق.
- 2- انظر الوقف الإسلامي، مجالاته وأبعاده، أحمد الريسوني، ص7. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.
- 3- دعم الوقف للموازنة العامة للدولة. عمر الكتاني، ص4. بحث مقدم لمنتدى قضايا الوقف الفقهية الرابع المنعقد بالرباط من 30 مارس إلى 1 أبريل والمنظم من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية بتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف الكويتية والبنك الإسلامي للتنمية.
- 4- انظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. المعروف بـ (الخطط المقرئية) المقرئ 294/2-295. طبعة مكتبة الثقافة الدينية، ط2-1987م. وانظر بحث الوقف التعليمي وأثره في التنمية دولة الإمارات العربية مؤدجا عمر عبد عباس الجميلي، ص11. بحث مقدم لمنتدى فقه الاقتصاد الإسلامي الثالث دبي 2017.

بمدينة فاس: مدرسة الصابرين التي أنشأها يوسف بن تاشفين بعد دخوله مدينة فاس حوالي 462هـ، مدرسة الحلفاويين التي أنشأها يعقوب بن عبد الحق الميرني سنة 670هـ، مدرسة دار المخزن التي أنشأها السلطان السعيد بفضل الله عثمان بن عبد الحق الميرني سنة 670هـ، مدرسة الصهرح التي أسسها علي بن سعيد الميرني سنة 721هـ، مدرسة السبعين سنة 721هـ، مدرسة الوادي سنة 721هـ، مدرسة المصباحية سنة 745هـ، المدرسة البوعنانية أو المتوكلية سنة 756هـ، مدرسة الشراطين سنة 1081هـ¹.

وينضاف إلى جامع القرويين وابن يوسف والأزهر والزيتونة وهذه المدارس العلمية وغيرها، في العصر الحديث مؤسسة دار الحديث الحسنية التي أوقفها الحاج محمد بن ادريس البحرأوي²، لخدمة الثقافة الإسلامية وجعلها وقفا في سبيل الله، لتكون بذلك لبنة أساسية في سبيل تطوير المنظومة التعليمية الشرعية بالمغرب، وقد خَرَجَتْ أفواجا من العلماء أسهموا بدورهم في خدمة الدين والمجتمع من مختلف الأماكن التي اشتغلوا فيها، بل إن عددا منهم كَوْنُوا دعائم للمجالس العلمية والرابطة المحمدية للعلماء التي صارت منابر للتوجيه والتوعية، وينطبق عليها بحق جانب حفظ العقل عن طريق الدروس الوعظية والمحاضرات العلمية والندوات الثقافية وتكوين الأئمة وتوجيه الشباب وإصلاح ذات البين بين الأزواج وغير ذلك مما يمكن من حفظ مصالح الناس جميعا.

لقد استهل الوقف التعليمي والثقافي في المجتمع الإسلامي عن طريق المساجد والكتاتيب بصورة بدائية نظرا لمحدودية الأدوات والإمكانات في ذلك الزمان، وكانت الانطلاقة من باحات المسجد وأروقته الجامعية ثم إلى الكليات والمؤسسات³، فقد كانت منطلقاته التأسيسية مرتبطة بالمسجد، محافظة على طابعه العام، متشبهة بروافده الإيمانية، فتأسس المنهج الخاص بالوقف التعليمي الذي اعتنى بمنظومة التعليم الشرعي وأسهم في تطويره وتنميته، فقد شكل الوقف أهم

1- انظر دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب، د.السعيد بوركبة، 1/60-61-62، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1417هـ/1996.

2- أوقف قصره الرائع الأنيق على القرآن والحديث، عام 1388هـ، وقد جاء نص خطابه لدى إعلان الوقفية: "إنني أحبس هاته الدار على القرآن والحديث، ولا أريد أن تكون في المستقبل لإلهاته الغاية، ولا تحول إلى أية غاية أخرى، بحيث تركت الحق للورثة بالرجوع في هذا التحبب فيما إذا أريد تحويلها عن غايتها". قوبلت هذه الوقفية بالاستحسان، تجاوب فيها الملك الحسن الثاني رحمه الله "وقد أجابه على لسانه الوزير الفقيه السيد الحاج أحمد بركاش بتأثر بالغ، وانفعال مثير، وهو يتسلم مفاتيح دار الحديث الحسنية بيد الشكر والتقدير، قائلا: "إنني جئت مرسلًا من قبل صاحب الجلالة الملك المعظم جلاله الحسن الثاني حفظه الله لأنسلم الدار، وأنه بعدكم بأن الدار ستبقى موقوفة على القرآن، والسنة، والحديث، ولا تتحول إلى أي هدف آخر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين". انظر الوقف في الفكر الإسلامي، محمد بنعبد العزيز بعبد الله، 358/1، ط.وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1416هـ/1996م.

3- دور الوقف في تفعيل التعليم العالي في الجامعات الإسلامية: قراءة في خطة مؤسسة الوقف للدراسات العليا، د.سامي الصلاحات، ص5، مجلة الجامعة، اتحاد الجامعات الإسلامية، إسككو، 2004.

المصادر التمويلية بعد ذلك لدعم البحوث العلمية الشرعية وتشجيع الدراسة بالكليات والمعاهد الشرعية وخاصة ما يعرف بالتعليم العتيق أو التعليم الأصيل الذي يقوم في بنائه وتطويره على الوقف والتحبيس .

المبحث الثاني: الوقف على أماكن تحفيظ القرآن والمعاهد الشرعية ودوره في دعم التعليم الشرعي

لعل أبرز أدوار الوقف في ارتباطه بالمجال التعليمي، هو مساهمته في إنشاء مؤسسات علمية خاصة تعتنى بتدريس العلوم الشرعية، بدءاً من مراحلها الأولى وانتهاء بمراحلها الجامعية النهائية، بل إن دور الوقف يظهر بشكل جلي في عنايته بحفظ وتعهّد القرآن الكريم وتعلم المتون والعلوم الشرعية، انطلاقاً من الوازع الديني الذي يدفع الناس إلى العناية بكلام ربهم والاجتهاد في دفع أبنائهم لتحفيظه وتحبيس الممتلكات على منهجية التدبير بالمؤسسات التي تعمل على ذلك .

إن أول بذرة انطلق منها الوقف التعليمي تأسست من الكتاب القرآني، حين اعتنى المسلمون بتحفيظ الغلمان والصبيان القرآن الكريم والعلوم المرتبطة به، ففي مختصر تاريخ دمشق أن أبا المعطل مولى بني كلاب أدرك معاوية قال: "مرّ بنا معاوية ونحن في "المكتب"، يعود درة في نحو من عشرة، فقال لنا المعلم: "ما سلمتم على أمير المؤمنين، إذا رجع فسلموا عليه، فلما رجع قمنا إليه، فقلنا: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال: اللهم بارك في ذراري أهل الإسلام، اللهم بارك في ذراري أهل الإسلام"¹.

فهذا الأثر يوضح لنا أن تعليم الصبيان الكتابة وجد منذ السنة الثانية للهجرة حينما دشّن بطريقة رائعة، لما كلف بذلك بعض أسرى بدر²... غير أن ذلك لم يكن في مقر مخصص لذلك، وربما أخذ هذا المكان صفة تخصّص في زمان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، ولذلك اعتبر أول من جمع الصبيان في المكتب (أي الكتاب القرآني³)، حيث جاء في كتاب "ليس الصباح بقريب": "إن أول من جمع الصبيان في المكتب "أي الكتاب القرآني" هو عمر بن الخطاب رضي الله

1- مختصر تاريخ دمشق. أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الإفريقي. تحقيق: روحية النحاس. محمد مطيع. 163/29. دار الفكر للطباعة والنشر. سوريا. ط1/1402هـ-1984.

2- أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: "كان ناس من الأشرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يُعلّموا أولاد الأنصار الكتابة". انظر الحديث في المسند ورقمه: 2106.

3- لفظ "الكتاب" إذا أطلق فيراد به موضع تعلّم الكتاب. قال المبرد: المكتب موضع التعليم والجمع الكتابيب والكتابتب. لسان العرب. ابن منظور الإفريقي. ج13. مادة "كتب". مرجع سابق. وإذا بقي لفظ "الكتاب منفرداً ومستقلاً دون إضافته إلى وصف بجانبه، يكون معناه، تعليم مطلق الكتابة: إملائية، عربية، أجنبية، الخ، أي مجرد محو الأمية حتى يعرف المتعلم القراءة والكتابة... أما إذا أضيف إلى لفظ "كتاب" صفة "قرآن" ليصبح مركباً من الصفة والموصوف هكذا "الكتاب القرآني" معرفاً أو نكرة "كتاب قرآني" فحينئذ يكون مبناه اللغوي في الاصطلاح خاصاً بالمكان الذي يعلم فيه القرآن: كتابته- رسمه- قراءته، وتهجي حروفه والنطق بكلماته ثم تحفيظه". الكتاب القرآني بالمغرب والرواية المتواترة المحفوظة فيه. أحمد بوهان. 57/2. مطبوع في كتاب "الكتاتيب القرآنية الآليات-الأهداف-الأفاق". منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ط1/1430-2009.

عنه الخليفة الثاني، حيث أقام ابن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم، وجعل له رزقا من بيت المال، وأمره أن يجلس لتعليم من صلاة الصبح إلى الضحى العالي، ومن صلاة الظهر إلى صلاة العصر ويستريحون بقية النهار¹.

فالحديث عن نشأة الكتاب القرآني وما قام به من أدوار تعليمية وتنويرية، يرتبط بالحديث عن المسجد، فهو المحضن الأول لهذا التعليم، فالمسجد كان كل شيء ”روضة أطفال، ومحضن تربية الصبيان، يحافظ على الفطرة، وينمي الموهبة، وينشئ النشأة الحسنة، ويربط الطفل بربه من أول ظهور الإدراك وبروز علامات التمييز... والرسول صلى الله عليه وسلم كان له ارتباط وثيق بالصغار يحتضنهم بالمسجد، ويرعاهم ويعلمهم ويلاعبهم ويحترم مشاعرهم، وتذرف عيناه عند فقد أحدهم، ويعزي فيهم عزاء صادقا².

وهذا التنظيم الذي خضع له الكتاب القرآني، تشكلت معالمُ مناهجه التربوية مع ظهور المؤلفات التي تُعنى بأداب وأحكام تعليم الصبيان، منها رسالة محمد بن سحنون (ت256هـ) ”آداب المعلمين“ في القرن الثالث الهجري، ورسالة أبي الحسن علي بن محمد القاسبي (ت403هـ) ”الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين“ في القرن الخامس الهجري، فرسالة ابن سحنون التي انتظمت في 15 صفحة توزعت بين تعلم القرآن وتعليمه، وتأديب الصبي والتربية الدينية ومواد التعليم والحقوق المادية للمعلم، ومسؤولية المعلم إذا تجاوز حدود التأديب الشرعية، أما رسالة القاسبي فتوزعت بين فضل القرآن وتعليم القرآن ومن يتولاه، واستئجار المعلم لتعليم القرآن والتكوين الديني والأدبي³... وغيرها من المواضيع المرتبطة بتنظيم مناهج التعليم بالكتاتيب القرآنية، حيث تبين أن النشأة الحقيقية للكتاب القرآني بدت معالمها واضحة في القرن الثالث الهجري حين صار للعلماء رؤية تصورية منضبطة بخصوص هذه المناهج التي اختلفت باختلاف البلدان الإسلامية، ففي بلاد الغرب الإسلامي، اقتصر في الكتاب على تحفيظ القرآن الكريم بالنسبة للطلاب الملتحق دون خلطه بغيره، بخلاف ما عرف عن أهل المشرق وأهل الأندلس، ”فقد كانت الكتاتيب في المشرق تهتم بالجمع بين تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ العربية والهجاء والإملاء والخط في آن واحد، وأما أهل الأندلس فقد كانوا يهتمون بتعليم الأطفال

1- أليس الصبح بقريب. الطاهر بن عاشور، ص55. دار السلام. مصر. ط1/1427هـ-2006. وانظر لمزيد تفصيل في الأمر: ”الكتاتيب القرآنية في المغرب بين الأحكام الفقهية والممارسة العملية والأفاق المنشودة“. الحسن بن أحمد مفرح، ص18. مطبوع في كتاب ”الكتاتيب القرآنية...“ مرجع سابق. و”الأنصاف القرآنية (رواية ورش)“. عبد العزيز العيادي العروسي، 24/1. مطبعة سبارطيل. طنجة. ط3/1999.

2- المسجد نشاطه الاجتماعي على مر التاريخ. عبد الله قاسم الوشيلي، ص44. سلسلة إحياء رسالة المسجد. ط1/1990.

3- انظر التأصيل للمناهج التربوية والتعليمية السائدة في الكتاتيب القرآنية. عبد المجيد الكتاني، ص7-8. مجلة التبصرة. يصدرها لمجلس العلمي لمولاي يعقوب. العدد الرابع صفر 1434هـ-2013.

بالإضافة إلى أجديات القراءة والكتابة والشعر والآداب، فإذا أتقن الطفل ذلك انتقلوا به إلى حفظ القرآن الكريم¹.

وهذا المنهج يوضّحه ابن خلدون (ت808هـ) في مقدمته، فيقول: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحدّق فيه، أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشيبه وكذا في الكبير إذا راجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمره"².

وقد ظلت هذه الكتابات الوقفية وفيّة للمنهج الذي نشأت عليه وللهدف الذي تأسست من أجله، وهو تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ الكتابة والقراءة وحفظ بعض المتون الشرعية، لذلك تمركزت في المساجد، أو بمكان بجانبها، حيث يشرف عليها فقيه المسجد ونادراً ما يستعان بمدبراً ومحفّظ خارج هذه الفئة، كما كان تقصد هدفاً آخر وهو "تأهيل الطلاب لمواصلة تعليمهم في المرحلة التالية"³، واعتمدت على أريحية المحسنين، وعلى ما تقدمه الجماعة لهذا الإمام أو المدرّز بناء على اتفاق مسبق بينهما.

وقد بيّن الونشريسي (ت914هـ) أهداف نشأة الكتابات القرآنية وأدوارها التعليمية بكونها محدّدة في تعليم الصبيان حفظاً وقراءة، والشكل والهجاء والخط وأحكام الوضوء والصلاة من فرائض وسنن⁴، فجمعت بين الحفظ والدراية بالعلوم الشرعية، وكان لها الأثر الكبير على منظومة التعليم الشرعي، بما أسهمت من حفظ المتون والتعريف بكتب الفقه والتفسير والحديث والسيرة.

فكانت هذه الكتابات التي سرت في بلاد الإسلام سريان الماء في العود الأخضر، المنبت الأول للتعليم الشرعي، بما تؤهله من طلبة حافظين لكتاب ربهم، ملّمين بالعلوم الشرعية وبالمتون الضرورية التي تعينهم على تحمل أعباء مسؤولية إمامة الناس في الصلاة، أو توعيتهم وتفقيهم في أحكام دينهم، لتتطور ملكتهم الفقهية والشرعية بعد الالتحاق بالمعاهد والمؤسسات والجامعات

1- الكتابات القرآنية: الواقع والآفاق. عبد الفتاح الفريسي، 120/1. مطبوع في كتاب "الكتابات القرآنية...". مرجع سابق.

2- المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون. تحقيق: عبد السلام الشدادى، 220/3. نشر بيت الفنون والعلوم والآداب. ط. 2005/1.

3- أهداف وخصائص التعليم الإسلامي. فاروق عبد المجيد السمراني، ص. 62. دار النفاثس. الأردن، 1999/1.

4- المعيار المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب، 19/8. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المغرب، 1981.

الشرعية.

وتعدّ المعاهد الشرعية ومؤسسات التعليم العتيق والجامعات الإسلامية عموماً، المحصّن الرئيسي لطلبة الكتابيين القرآنية، نظراً للإمكانات التي تتيحها لهؤلاء الطلبة لإكمال دراستهم، ولأن شرط الولوج إليها يرتبط بحفظ القرآن الكريم، فلا يسمح لغير حافظ لكتاب الله بالولوج إلى هذه المعاهد الشرعية العتيقة، ولعلّ جامع القرويين بفاس، بما قدمه من خدمات جليلة للعلم الشرعي يعدّ النموذج الأمثل، للجامعة الإسلامية الوقفية العتيقة، يقول الدكتور عبد الهادي التازي عن دور القرويين كمركز ديني تعليمي: ”...ولكنما وضعها لمركز ديني ظل على مرّ الزمن قبلة للمؤمنين، يحجون إليها من مختلف الأفاق لتصفية نفوسهم وتبيين طريق وجهتهم“¹، والحديث عن دور هذه الجامعة في خدمة العلم الشرعي، تكفي فيه الإشارة إلى أن أوّل من أدخل مدونة الإمام مالك إلى المغرب هو من علماء القرويين درّاس بن إسماعيل² الذين استفادوا من نظام الوقف فأسهّموا في رفع لواء العلم عبر الأفاق، وقد امتد دور الجامعة، ليكون لها الإسهام في التأليف الفقهي والأصولي والشرعي عموماً، فأغلب الطلبة الذين درّسوا بالقرويين وكذا درّسوا بها كانت لهم مؤلفات علمية خدموا بها التعليم الشرعي، بل كانت لهم اليد الطولى في الشرح والاختصار كما هو حالهم مع مختصر خليل الذي ظهر في القرن الثامن الهجري، كما عرفت هذه الجامعات في فترات تاريخية زيارة علماء من المشرق قصدوا نشر علمهم والاستفادة من تجربة تدريس العلوم الشرعية بالجامعة.

وتعدّ المدرسة المستنصرية التي أنشأت عام 631هـ، أول نواة لمؤسسة جامعية مستقلة قائمة على مال الوقف، حيث تدرس فيها العلوم الشرعية والطبيعية والرياضية وغير ذلك³، وقد أورد ابن كثير الدمشقي في حوادث عام 631هـ أن فيها ”كامل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنين وستين فقيها وأربعة معيدين، ومدرسا لكل مذهب، وشيخ حديث، وقارئ وعشرة مستمعين وشيخ طب، وعشرة من المسلمين، يشتغلون بعلم الطب

1- جامع القرويين، المسجد والجامعة بمدينة فاس، د: عبد الهادي التازي ج1/ص125. دار الكتاب اللبناني بيروت 1973م.

2- هو الشيخ أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل دفين خارج باب الفتوح محروسة فاس. ارتبط اسم درّاس بن إسماعيل بالجهود التي بذلها في نشر المذهب المالكي بالمغرب، وقد كانوا قبله على مذهب أبي حنيفة، وفي هذا السياق اعتبر غير واحد من مترجميه أنه أول من أدخل مدونة سحنون مدينة فاس، وكان له مسجد بحي يسمى مضمودة من عدوة الأندلس؛ يتجمع فيه الطلبة لقراءة الفقه، ويقال: إن قبله أقوم قبلة بفاس... قال القاضي عياض: ”كان أبو ميمونة من الحفاظ المعدودين، والأئمة المبرزين من أهل الفضل والدين، ولما طرأ إلى القيروان اطلع الناس من حفظه على أمر عظيم حتى كان يقال: ليس في وقته أحفظ منه“، ص357هـ. انظر ترتيب المدارك للقاضي عياض 81/6 ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب. ونيل الإبتهاج بتطريز الديباج. أحمد بابا التنبكتي، ص175. ط. كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس. 1989م.

3- دور الوقف في تفعيل التعليم العالي، ص13. مرجع سابق.

ومكتبة للأيتام، ووقفت خزائن كتب لم يسمع بمثلها¹ وقد تغير اسمها من المدرسة المستنصرية إلى الجامعة المستنصرية وكانت تستقبل الطلبة من مختلف الأقطار العربية للدراسة فيها²، كما أوقف صلاح الدين الأيوبي مدرسة بمصر متخصصة في تدريس الفقه المالكي ووقف عليها أراضاً من الفيوم تغل القمح فسميت بالمدرسة القمحية³... كما بنيت بمصر أيضاً مدارس شرعية وقفية قريبة من النظام الجامعي، مثل المدرسة الصالحية الوقفية، أقامها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 641هـ، وهي أول مدرسة تدرس المذاهب الأربعة، وبنيت فيها كذلك مدارس للعلوم التطبيقية والطبية، مثل مدرسة المنصورية التي أنشأها المنصور بن قلاوون عام 683هـ، وأوقف عليها الكثير من الحوانيت والأطيان ولقد اشتهر الوقف التعليمي الثقافي في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي - بعد سقوط الدولة الفاطمية - الذي أوقف الكثير من الأراضي الزراعية والمباني والعقارات للمدارس ودور الكتب والمجالس العلمية كما يذكر ذلك ابن خلدون (ت 808هـ) عند زيارته للقاهرة، حتى أصبحت القاهرة محطة علمية لطلبة المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية لمجانبة التعليم فيها ولكثرة الأوقاف المخصصة للتعليم⁴، وما زال جامع الأزهر - الذي بني عام 359هـ - وافتتح بعد عامين على يد الفاطميين، المؤسسة الإسلامية العريقة التي يتوافد إليها معظم طلبة العالم الإسلامي، وما زال يعطي لكثير من طلبة العلم راتباً شهرياً مع دراسة مجانية بفضل ريع الوقف المخصص للطلبة⁵.

كما وجدت بالمغرب أيضاً عدّة مدارس وجامعات كان لها الأثر المتميز في تطوير منظومة التعليم الشرعي، لأنها فتحت الأفق للطلبة لأخذ العلم الشرعي من منابعه الصافية، وتخرج منها علماء أفذاذ تمكنوا من الإسهام في رفع الوعي والثقافة الإسلامية، نذكر منها بمدينة فاس: مدرسة الصابرين التي أنشأها يوسف بن تاشفين بعد دخوله مدينة فاس حوالي 462هـ، مدرسة الحلفاويين التي أنشأها يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 670هـ، مدرسة دار المخزن التي أنشأها السلطان السعيد بفضل الله عثمان بن عبد الحق المريني سنة 670هـ، مدرسة الصهريج التي أسسها علي بن سعيد المريني سنة 721هـ، مدرسة السبعين سنة 721هـ، مدرسة الوادي سنة 721هـ، مدرسة المصباحية سنة 745هـ، المدرسة البوعنانية أو المتوكلية سنة 756هـ، مدرسة

1- البداية والنهاية. إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي. 13/139. مكتبة المعارف بيروت. لبنان.

2- مقال: الكراسي العلمية ثمرة من ثمار الوقف الخيري. د. خالد بن هذوب المهيدب. منشور بجريدة الرياض. العدد 15189. 24/يناير 2010.

3- انظر مقال: الكراسي العلمية ثمرة من ثمار الوقف الخيري. مرجع سابق.

4- دور الوقف في التعليم العالي. ص 14. مرجع سابق.

5- دور الوقف في التعليم العالي. ص 15. مرجع سابق.

الشراطين سنة 1081هـ¹، وكلها مدارس وقفية خاصة بالتعليم الشرعي، شهدت في فترات معينة من تاريخها وفود الطلبة من البلاد المختلفة للدراسة والتحصيل، لأنها تميزت هندسيا بوجود مساكن خاصة بالطلبة الأجانب والوافدين.

ومكة المكرمة أوقفت الكثير من المدارس، منها مدرسة الأرسوفي نسبة إلى عبد الله الأرسوفي، التي أنشأت عام 571هـ، ومدرسة الزنجبيلي 583هـ، أنشأها الأمير فخر الدين الزنجبيلي 2، وأوقف المنصور غياث الدين المدرسة الغياثية عام 813هـ، وجعل عليها أموالا كثيرة، كما فعل السلطان قايتباي بمدرسته الكبيرة التي عام 883هـ، وضمت الكثير من الأموال الوقفية خدمة لطلبتها وروادها، 927- أوقف السلطان سليمان القانوني أموالا طائلة على المدرسة لتدريس المذاهب الأربعة 3، وبذلك يتضح الدور الذي قامت به هذه المدرسة في تنمية وعي الطلبة بالفقه المذهبي وبالخلاف العالي المرتبط بالمذاهب الفقهية.

كما مكن إنشاء هذه المدارس والمعاهد من تحصين المقدسات الإسلامية والحفاظ على إسلامية المدينة، كما فعل صلاح الدين الأيوبي الذي "اعتنى بعد تحرير القدس في سنة 583هـ/1187م بتحسين أوضاع المدينة المقدسة وإعادتها إلى ما كانت عليه قبل احتلالها من الفرنج، فقام بتدشين المؤسسات العلمية والدينية والصوفية فضلاً عن اهتمامه بعمارة القدس وتحصين سورها ودفاعاتها، ومن الأوقاف التي حبسها السلطان صلاح الدين الأيوبي في القدس وقفية المدرسة الصلاحية، والخانقاه الصلاحية، والبيمارستان الصلاحي"⁴

إن ما قامت به هذه المؤسسات الوقفية وغيرها من المدارس والمعاهد والجامعات بالبلاد الإسلامية، أسهم بشكل جلي وواضح في تطوير العلوم الشرعية، حيث كان لها الفضل في ظهور مؤلفات علمية متميزة جمعت بين النظر والتطبيق، ووازنت بين النقل والعقل، فقدمت بذلك خدمات جليلة للفكر الإسلامي، فأغلب العلماء الذين عرفهم العالم الإسلامي، والذين أسهموا في خدمة العلوم الشرعية بمؤلفاتهم ومراجعهم ومناهج تدريسيهم وتنظيرهم لمنهجية تدريس العلوم الشرعية، درسوا وتعلموا بالكتاتيب القرآنية، والتحقوا بهذه المعاهد والمدارس الوقفية التي تخرجوا منها ونهلوا من علومها، وما زال عطاء ما بقي منها مستمرا ومثمرا كحال جامع القرويين ومؤسسة مسجد الحسن الثاني ومدرسة فاطمة الفهرية ومعهد أبي بكر الصديق، ومؤسسة

1- انظر دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب، د. السعيد بوركبة، 1/60-61-62. مرجع سابق.

2- زنجبيلة من قرى دمشق.

3- الدور الاجتماعي للوقف، عبد المالك السيد، ص 240. البنك الإسلامي للتنمية جدة.

4- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية. بهاء الدين بن شداد. ص: 320. منشورات مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2/1994.

الأزهر ومدرسة الحديث وغيرها، بل أثر هذه الأوقاف كان حافزاً للمحسنين للاستمرار في دعم التعليم الشرعي بإنشاء المؤسسات الشرعية والمعاهد العتيقة على مستوى البلاد الإسلامية دون استثناء.

المبحث الثالث: وقف المكتبات الإسلامية ودوره في دعم العلم الشرعي وتطويره

لا يمكن الحديث عن الوقف التعليمي دون الحديث عن أحد أركان هذا الوقف، وهو المكتبة الإسلامية، فهي الأساس الذي يقوم عليه بنیان التعليم الشرعي في البلدان الإسلامية، ويمكن الاستدلال على هذه الأهمية ببيان أنواع الوقف التي اعتنت بالمكتبة الإسلامية على مر التاريخ وما زالت، فأغلب المساجد والمعاهد الشرعية تتوفر على مكتبات علمية أنشئت من الأوقاف وقامت من مال الوقف، بل إن بعض الملوك والأمراء كانوا يجسسون آلاف المخطوطات على هذه المكتبات ليستفيد منها الطالب وتكون في خدمته لتطوير مناهج التعليم الشرعي، بل إنه في بعض البلاد الإسلامية كان يعاب على مشتري الكتب عنايته باقتناء الكتاب ما دام أن الوقف ييسر أمر ذلك¹.

فالوقف يعدّ من أهم المؤسسات التي كان لها الدور الفاعل في تنمية التعليم سواء داخل المساجد أو في المدارس أو في المكتبات أو في غيرها من المؤسسات الخيرية الأخرى²، وأول اعتناء للوقف بالمكتبات كان بمكتبة المسجد، حيث أن التاريخ الإسلامي يرشدنا إلى مكتبات المساجد التي اشتهرت في الأفاق لما تقدمه من خدمات جليلة للعلماء والباحثين، بل كانت تشد إليها الرحال والرحلات العلمية بقصد الوقوف على ما تضمّه من كنوز علمية، وما زالت هذه المكتبات تشهد نفس الحركة العلمية، حيث يلجأ إليها الباحثون والطلبة على حد سواء خاصة للبحث عن المخطوطات العلمية للمقارنة والتحقيق.

ومن المكتبات العلمية المهمة التي أسهمت بشكل كبير في تطوير منظومة التعليم الشرعي، نذكر:

مكتبة جامع القرويين بفاس، فقد أنشئت المكتبة بجانب المسجد الجامع، لمساعدة الطلبة والمدرسين في مهمة التدريس والتحصيل، وبقيت تؤدي مهمتها بعد أن أغدق عليها الوقف بنسخ نادرة من المخطوطات والكتب العلمية، إلى أن قام السلطان المريني أبو عنان بالاعتناء بها رسمياً

1- انظر نفح الطيب، المقري، تحقيق: إحسان عباس، 7/ 673، ط 1، دار صادر بيروت 1968.

2- دور الوقف في العملية التعليمية، د. عبد العزيز بن عبد الله المعيلي، ص 16. ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، مكة المكرمة، شوال 1420 هـ.

عام 750 هـ / 1349م، ووضع لها قانونا للقراءة والمطالعة والنسخ وزودها بكتب نفيسة في مختلف العلوم والفنون، وقد زودها برصيد من الكتب والمؤلفات القيمة والنادرة، وازداد إليها السعديون خلال القرن الـ16 الميلادي كتبا كثيرة نقلوها من الخزانة المرينية بالمدينة نفسها وأغناها بمخطوطات ووثائق فريدة فتجاوزت محتوياتها 32 الف مجلد سنة 1613م.

وتعد مكتبة القرويين من أوائل المكتبات في العالم الإسلامي التي شكلت موردا للطلاب والباحثين في العلوم الشرعية لتوفرها على مخطوطات نادرة، جعلت منها قبلة للباحثين والعلماء، ولأهميتها العلمية كان العلماء يجلسون عليها كتبهم ومخطوطاتهم، فأصبحت موردا لا ينضب وقبلة لا يجيب قاصدها.

وقد حافظت خزانة القرويين على دورها البارز في ميادين العلم والمعرفة، لفائدة الباحثين والطلبة بعد إغناء رصيدها الوثائقي من هبات أوقاف السلاطين والأمراء، والعلماء الذين زودوها بكتب نادرة ونفيسة، ونقلها إلى مكان فسيح بساحة الصفارين ليتمكن الباحثون والطلبة من الوفود والوصول، فأصبحت تضم 3823 مخطوط وأكثر من 24000 عنوان من الكتب والمؤلفات العلمية إضافة إلى الدوريات والطبعات الحجرية وغيرها¹.

مكتبة المسجد الأعظم بقرطبة التي أسسها الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله سنة 350هـ، وقد أقام لها موظفين مخصوصين للقيام بشؤونها، وجمع فيها النسخ وعين لها كبيرا من المجلدين، وقد ظلت محط أنظار العلماء وطلاب العلم في الأندلس²، بل شكلت مرجعا علميا مهما للباحثين وللعلماء على حد سواء وذاع صيتها وارتبط دورها بدور المسجد الجامع بقرطبة الذي عرف تعاقب عدد من العلماء المرموقين على التدريس والخطابة به.

مكتبة مسجد طليطلة حيث كان من المساجد الشهيرة وتعد فيه حلقات الدروس التي تجتذب الطلاب المسلمين والنصارى على السواء، حتى كان يقصدها طلاب نصارى من جميع أنحاء أوروبا بما فيها إنجلترا وأسكتلندا، وقد بلغت شهرة مكتبتها من حيث مركز للثقافة إلى أقصى البلاد النصرانية في الشمال³.

مكتبة المسجد الأعظم بتازا العليا، والتي أنشئت في عهد الدولة الموحدية ما بين عام

1- انظر موقع وزارة الثقافة والاتصال على الشبكة: www.minculture.gov.ma

2- التكملة لكتاب الصلة، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار. تحقيق: إبراهيم الأبيار. 1/ 91. دار الكتاب اللبناني. ودار الكتاب المصري. د.ت.

3- تاريخ الفلسفة في الإسلام. دي بور. ص283. ترجمة وتحقيق: محمد عبد الهادي أبوريدة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1983م. وانظر الوقف على المكتبات في الحضارة الإسلامية: الأندلس نموذجاً. د.أنوار محمود زنتاني. بحث منشور بموجع شبكة الألوكة على النت.

527 و528هـ / 1133 و1134م، وذلك بغرض حفظ كتاب "الشفاء بالتعريف بحقوق المصطفى" للقاضي عياض السبتي المغربي (ت544هـ) مع رسائل الموحدين الأصلية التي في مجملها للمهدي بن تومرت (ت524هـ)، نشر بعضها في كتاب "أعز ما يطلب"¹، يؤكد ذلك الأستاذ محمد بن ابراهيم الكتاني² بقوله: "وعثرت في مكتبة الجامع الأعظم بمدينة تازة على مجموعة من الأوراق المختلطة تبين بعد ترتيبها الذي تطلب وقتا طويلا أنها تتضمن: حوالي عشرين رسالة موحدية أغلبها من مؤلفات المهدي بن تومرت (514هـ/1130م)،... كما أن بها رسالتين موحديتين غير معروفتين: إحداهما بعنوان: رسالة أمير المؤمنين أيده الله إلى جزولة، والثانية: إلى جماعة أهل التوحيد، وبها كذلك (كتاب الجهاد) الذي أكمله الخليفة أبو يوسف يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن (580-594هـ/1180-1199م) وهو بتاريخ ربيع الأول 595هـ/يناير 1199م)، ولا تعرف منه نسخة في مكان آخر، وهذه أول مرة يعلن فيها عن العثور على هذه المجموعة"³.

وتعدّ هذه المكتبة أقدم مركز لحفظ الكتب المخطوطة عرفها المغرب - ولا تزال قائمة إلى الآن - بل يعتبرها عدد من الباحثين من أقدم الخزانات العلمية بالغرب الإسلامي، فمنذ إنشائها حبس عليها السلاطين وعموم الناس المخطوطات العلمية، فأصبحت الخزانة غنيّة بالوادرن من الكتب العلمية، حيث تكونت بها ثروة علمية هامة صقل منها الكثير من العلماء والفقهاء فكرهم وعلمهم، سواء الذين أقاموا مؤقتا بمدينة تازة أو الذين قصدوها للنهل من منبعها العلمي الغني.

ولأهمية المخطوطات التي احتوت عليها الخزانة، وضعت لها عدّة فهارس علمية، بغرض إحصاء وضبط ما تتضمنه من مخطوطات وذخائر وكنوز علمية ومعرفية، ابتدورها الأستاذ محمد المنوني رحمه الله بمختصر سنة 1973م⁴، ثم وضع لها محمد بن إبراهيم الكتاني الجذاذات ليجيء بعدهما عبد الرحيم العلمي فيحكم فهرستها في جزأين⁵، قامت بطبعه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب سنة 1423هـ/2002م.

مكتبة المسجد الأعظم بمكناس: والتي أحيا السعديون العمل بها وأوقفوا عليها العديد من الكتب العلمية المهمة، وما زالت مرجعا لرواد وطلبة العلم الشرعي يقصدونها للتزود بالعلوم والمعارف التي تضمها.

وإضافة إلى إنشاء هذه المكتبات الوقفية وتأثيث فضاءها بالكتب العلمية، فقد وجدت في بعض الأزمنة أوقاف خاصة اعتنت بأمر العناية بالمكتبات العلمية خاصة، وتزويدها بالكتب

1- طبع بالجزائر العاصمة سنة 1321هـ/1903م.

2- محافظ قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط سابقا.

3- مقال طبيعة دور المحفوظات في المغرب وعلاقتها بدراسة تاريخ المغرب. مجلة دعوة الحق، العدد 104، السنة 22، يونيو-يوليو 1988.

4- الفهرسة مرقونة بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد: 3847د.

5- كتاب علماء تازة، ص 27 وما بعدها.

اللازمة، وأداء أجور القيمين عليها، ومن هذه الأوقاف، الوقف الذي ابتنته أم المنصور السعدي (مسعودة الوزكيتية) التي حبست حوالي سبعين حانوتا غير نصف حانوت الواجبة لها في نصفها من القيسارية المشتركة بينها وبين مساكين المارستان المخترعة لها وسط سوق الخضرا المراكشية دون البقعة المتصلة بقلعتها، وجميع بيت الأرجاء الجديدة المخترعة لها على وادي تسلطانت القريب من أرجاء اولاد الأمين محمد بن القاسم القسطلاني، وهذا الوقف كان يجري على الجامع العظيم بباب دكالة بمراكش وعلى خزائن كتبه وكراسي علمه¹.

إن الوقف على المكتبات العلمية سواء بالإنشاء والتأسيس أم بالتطوير والتنظيم، أسهم بشكل واضح وجلي في تطوير العلوم الشرعية نظرا لقيامها بإمداد الباحثين والمؤلفين بمصادر المعلومات التي كان لها الأثر الكبير على تأليفهم، بل كان لها الإسهام الفعال في تأسيس لبنات العلم الشرعي وتطوير مناهجه، فقد "ثلثت المكتبات المدعومة بالمال الوقفي منحى جديدا للعلماء والباحثين في تحديد مناهجهم وطرق تعاملهم مع النصوص الشرعية بحرية واستقلال، وشكلت لكل عالم وباحث أتباعا وأنصارا بحسب كفاءة منهجه وأسلوبه"²، ويكفي هنا أن نستدل بالدور الذي قامت به مكتبة جامع القرويين، في خدمة العلوم الشرعية بالجامع، وفي تطوير الدراسة به، وفي إصلاح التعليم في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي الذي أصدر مرسومها عام 1192هـ، يحدّد فيه أولويات إصلاح التعليم الشرعي بالقرويين انطلاقا مما تتوفر عليه مكتبة الجامع من كتب التفسير والحديث والفقه والحساب والمنطق والكلام وغيرها، فجاء مرسومه منسجما مع ما تقوم به المكتبة من دور تعليمي وهو المرسوم الذي حدّد الكتب التي ينبغي أن تدرس بالجامع دون غيرها، وجاء فيه: "فإننا أمرنا ألا يدرسوا إلا "كتاب الله تعالى" بتفسيره، وكتاب "دلائل الخيرات" والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كتب الحديث "المسانيد" والكتب المستخرجة منها و"البخاري ومسلم" وغيرها من الكتب الصحاح، ومن كتب الفقه "المدونة" و"البيان والتحصيل" و"مقدمات ابن رشد" و"الجواهر لابن شاس" و"النوادر" و"الرسالة لأبن أبي زيد"، وغير ذلك من كتب الأقدمين، ومن أراد تدريس "مختصر خليل" فإنما يدرسه بشرح "بهرام الكبير" و"المواق" و"الحطاب" و"الشيخ علي الأجهوري" و"الخرشي الكبير" لا غير"³. فقام منهج الإصلاح مرتبطا أيما ارتباط بالمكتبة، التي لم تكن مجرد مكتبة تحوي الكتب والمخطوطات، بل كانت مؤسسة تعليمية وتربوية، "فقد كانت أشبه ما تكون بالمدارس والجامعات،

1- انظر كتاب البعد المقاصدي للوقف بالمغرب.د.عبد الكريم بناني.ص35.أفريقيا الشرق ط1/2014.

2- دور الوقف في التعليم العالي.ص19.مرجع سابق.

3- السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي راند إصلاح التعليم بجامع القرويين.الزبير مهداد.بحث منشور بمجلة دعوة الحق.العدد

367.ص115.ماي-يونيو2002.

وبالتالي أسهمت بنصيب وافر في العملية التعليمية، فكانت مكانا لعقد حلقات الدرس والمحاورات والمناقشات بين العلماء وأهل العلم، مما يتيح الفرصة للطلاب لعرض الأسئلة والاستفسارات وتلقي الإجابة عنها¹.

المبحث الرابع: الوقف على الكراسي العلمية ودوره في خدمة العلوم الشرعية

لا يخفى على الباحث أهمية الكراسي العلمية بالنسبة للعلوم الشرعية، حيث أن النظر فيما حققته من أهداف ومزايا جعل منها مركز إشعاع في الثقافة الإسلامية ومحط إعجاب بالرؤية التنظيرية التي لم تغفل ما يخدم العلوم الشرعية ويؤسس لبناتها في المجتمع إلا واشتغلت عليه، لذلك اعتبر الدكتور محمد الحجوي أن الكراسي العلمية ظاهرة تربوية تعليمية تميّزت بها الجوامع والمدارس في المغرب²، كما تميّزت بها باقي المدارس والمساجد بالبلاد الإسلامية الأخرى.

ولأهمية هذه الكراسي العلمية، كان التنافس قويا بين العلماء في التفرد بكرسي علمي أو بمجموعة من الكراسي الخاصة بالتعليم العالي التي كان يحضرها الطلبة والعلماء والمختصون، وقد اشتهرت كراسي علمية بأسماء أصحابها، من أبرزهم: الونشريشي أبو الربيع سليمان الفارسي (ت 507هـ)، والفيح المتكلم أبو عبد الله محمد بن أحمد المعافري التلمساني (ت 771هـ)، وعبد العزيز الورياغلي (ت 880هـ)، وابن غازي المراكشي أبو محمد (ت 919هـ)، والخطيب أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد العاصمي (ت 958هـ). وكانت أجور هؤلاء العلماء تؤدى من مال الوقف³.

وقد أحصى الدكتور عبد الهادي التازي الكراسي العلمية التي كانت مدعومة من الوقف بجوامع القرويين ب(18) كرسيًا، منها ما هو مخصص لدراسة السيرة النبوية ومنها ما هو مخصص للتفسير ومنها ما هو مخصص للعلوم والفنون ومنها ما هو مخصص للرقائق والزهد⁴، ومن هذه الكراسي التي اشتهرت بالقرويين، كرسي المحراب الذي أنشأ سنة 651هـ والخاص بتدريس تفسير القرآن الكريم للثعلبي، وكرسي تدريس كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي، وكرسي تدريس كتاب الشفا للقاضي عياض، وبلغ عدد العقارات المحبسة على هذا الكرسي ب21 عقارا، منها 12 عقارا للقراءة صباحا، و9 عقارات للقراءة مساء⁵، وكراسي التفسير والسيرة للفيح أبو العباس

1- الوقف على المكتبات في الحضارة الإسلامية. ص2. مرجع سابق.

2- الجوامع والمدارس والزوايا والخزانات التي ازدهرت بمال الوقف في المغرب للدكتور محمد الحجوي، ص 103. مجلة أوقاف، العدد 7.

3- الجوامع والمدارس والزوايا والخزانات. ص104. مرجع سابق. وانظر الوقف على المؤسسات التعليمية: كلية التكنولوجيا نموذجاً. د. حسن محمد رفاعي. ص26.

4- جامع القرويين 372/2-373. مرجع سابق.

5- انظر دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية. د. السعيد بوركبة. 136/1. مرجع سابق.

أحمد بن علي المنجور (ت995هـ)، وكان أجر هذه الكراسي تؤدّى من مال الوقف¹.

وقد تميزت هذه الكراسي العلمية ونشطت حركتها لارتباطها بالمدارس الشرعية، لأن هدفها الأساسي ومقصدها الأسمى هو ترسيخ العلوم الشرعية وربط مناهج تدريسها بين الخاصة والعامّة، فإذا كانت حلقات التدريس بالمعاهد والمدارس الشرعية تُخصّص للطلبة المسجلين والمدرسين، فإن حضور الكرسي العلمي الوقفي يشترك فيه الطالب وغيره، فيحصل للناس تفقه في الدين وكمال فهم لعلوم الشريعة مما يجعلهم أكثر ارتباطاً بعلوم الشرع الحكيم، فيحصل منهم الإنفاق والتوسعة على العلوم الشرعية، فالكراسي العلمية "لم تكن لتزدهر بمعزل عن المدارس، التي كانت تبنى من مال الوقف، ويرفق معها مرافق أساسية من سكن الطلبة وأساتذتهم، وتخصّص منح للطلبة المنتسبين إلى المدرسة، وهي كالأحياء الجامعية بكل متطلباتها، وكان لنماء مال الوقف دور في الإنفاق الباهظ على تلك المدارس ومرافقها"².

ولأهمية الدور الذي قامت به هذه الكراسي العلمية، في الحفاظ على الهوية الإسلامية، وتطوير مناهج التعليم الشرعي، ظل العمل بها سائراً في بعض البلاد الإسلامية ومنها المغرب، وسارعت دول أخرى إلى إنشائها وتأسيسها لتقوم بهذا الدور، فنجد في هذا العصر، "وقف كرسي سمير شما لتاريخ المسكوكات والحضارة الإسلامية في جامعة اليرموك بالأردن، وقد أسس هذا الكرسي بموجب وقفية اتفافية خاصة بين رجل الأعمال والباحث المعروف في مجال المسكوكات الإسلامية المرحوم سمير شما (توفي 2002م) وجامعة اليرموك في 1985م، وبموجب هذه الوقفية الاتفافية، فقد تأسس في كلية الآداب كرسي سمير شما للمسكوكات الإسلامية، بهدف تشجيع البحث العلمي في هذا المجال"³.

وهناك وقفية مشابهة للوقفية السابقة يعمل بها في جامعة اليرموك أيضاً ذكرها الدكتور الأرنؤوط، وهي وقفية "كرسي الشيخ صالح كامل للاقتصاد الإسلامي" في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، والتي أنشئت عام 1990م، لتحقيق عدّة أمور؛ منها تعيين أستاذ متخصص لتدريس مادّة الاقتصاد الإسلامي على حساب الكرسي⁴.

ومنه أيضاً مصادقة مجلس جامعة الملك فيصل بجلسته الخامسة للعام الجامعي 1430هـ،

1- جامع القرويين: المسجد والجامعة بفاس. 278/2. مرجع سابق.

2- انظر مقال: الكراسي العلمية بين الماضي والحاضر. منشور بموقع الفرقان على الشبكة: <https://www.al-forqan.net/articles/print-2828.html>

3- انظر الوقف على المؤسسات التعليمية. ص. 25. مرجع سابق.

4- انظر الوقف على المؤسسات التعليمية. ص. 26. مرجع سابق.

على قرار بإحداث كرسي علمي وقفي يتم تمويله من ريع وقفي، والهدف أن يكون الكراسي العلمية بالجامعة محركاً أساسياً وداعماً متجدداً لجهود الأبداع والتميز البحثي والتطوير العلمي والمعرفي وقناة رئيسية لتحقيق الشراكة الاستراتيجية مع المجتمع والرفع من مكانة الجامعة وريادتها محلياً وإقليمياً ودولياً¹.

كما شملت هذه الكراسي الوقفية المعاصرة، كراسي علمية بجامعة عالمية، ككرسي الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية بجامعة كاليفورنيا الأمريكية، ويهدف الكرسي إلى تشجيع البحث العلمي، وكرسي الملك فهد للدراسات الإسلامية بجامعة أوكسفورد، وكرسي الملك فهد للدراسات الفقهية بجامعة هارفارد (أمريكا) بكلية الحقوق وتبلغ قيمة منحة الكرسي خمسة ملايين دولار، ويعنى بالدراسات الشرعية الإسلامية، إذ يستهدف الكرسي تشجيع البحث العلمي، ويوفر الكرسي منحة دراسية للأساتذة ويعمل على تمويل البحث العلمي، وكرسي الملك فهد بجامعة لندن بريطانيا، في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية وتبلغ قيمة منحة الكرسي مليون جنيه استرليني، ويهدف الكرسي إلى تشجيع البحث العلمي والتحفيز على دراسات القرآن الكريم والحديث الشريف والتاريخ والحضارة الإسلامية، ككرسي الملك فيصل للدراسات الإسلامية بجامعة جنوب كاليفورنيا، وكرسي البنوي² للاقتصاد الإسلامي بجامعة راييس³... وتهدف هذه الكراسي في عمومها إلى تعميم العلوم الشرعية، وتطوير مناهجها الدراسية وتحفيز البحث العلمي بهذه البلاد وخدمتها بالجامعات العالمية، وبعد نجاح هذه التجارب الوقفية العالمية، اهتمت الجامعات السعودية بهذه الكراسي وأعطتها الأولوية "فسارعت إلى تبني عشرات الكراسي العلمية في شتى العلوم والمعارف وتصدر لتمويل هذه الكراسي رجال الأعمال والموسرين والشركات وقد وصل إجمال عدد الكراسي القائمة حالياً ما يزيد على (200) كرسي"⁴.

ومثل هذه الكراسي، نجد ما يعرف بالمسجد الأقصى بالمصاطب العلمية، وهي عبارة عن حلقات علمية "يتحلق المشاركون حول الشيخ أو المدرّس الذي يعطي الدرس في الهواء الطلق تحت ظلال الأشجار ويجلسون على كراسي بلاستيكية أو يفترشون الأرض في ساحات المسجد الأقصى

1- انظر اللائحة المنظمة للكراسي العلمية بجامعة الملك فيصل 1430هـ/2009..ص2. منشورة بموقع: <https://www.kfu.edu.sa/ar/Departments/knowledgeExchange>

2- رجل أعمال سعودي.

3- الوقف على الكراسي العلمية: كراسي الحسبة أهودجا.د. خالد بن هذوب المهيدب.ص13 بتصرف. بحث مقدم لمؤتمر أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية بالشارقة. والوقف على المؤسسات التعليمية: كلية التكنولوجيا أهودجا.ص26 بتصرف. مرجع سابق.

4- الوقف على الكراسي العلمية.ص15. مرجع سابق. وانظر الكراسي العلمية السعودية.د. عبد الرحمن بن محمد المغذوي.ص132. الجامعة الإسلامية. ط1/1430هـ.

الواسعة"¹، وهي مشروع يزخر بزخم من التراث التاريخي والعراقية تعود جذورها لـ30 مصطبة علمية في العهد العثماني، قبل أن تتوقف ليعاد تفعيلها عام 2001 في بداية ما يعرف بـ"انتفاضة الأقصى" كردة فعل على زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق أريئيل شارون، قبل أن يتراجع الاهتمام لاحقاً إلى أن تم زيادة التفاعل والإحياء من جديد خلال السنوات الثلاث الماضية، وتتنوع الدروس التي يتلقاها طلبة العلم وهم من فئات عمرية مختلفة ومن الجنسين، بين موضوعات العلم الشرعي في الحديث الشريف والسيرة النبوية والتفسير والثقافة الإسلامية والفقه وتفتح على بعض العلوم الأخرى كاللغة العربية والرسم².

وهذه المصاطب أو الكراسي العلمية، تحقق هدفين أساسيين أولهما إحياء دور المسجد الأقصى في الإشعاع المعرفي والديني كما كان في السابق منارة علمية تستقطب طلبة العلم والعلماء، إلى جانب ضمان تواجد أعداد كبيرة لإفشال أي محاولة للمساس بالمسجد من قبل متطرفين يهود يحاولون هدم المسجد وإقامة ما يعرف بهيكل سليمان³.

كما أطلق بالمغرب مشروع "الكراسي العلمية بصائر وبشائر"، سنة 2010، تأسس بالمنهج الذي اشتغل عليه السلف وقدم خدمات جليلة للعلوم الشرعية، ولحاجة مدارس التعليم العتيق اليوم التي تدرّس العلوم الشرعية وكذا الجامعات الإسلامية لهذه الكراسي، وجاءت هذه المبادرة التي أطلقتها المندوبية الجهوية للشؤون الإسلامية بالرباط بتنسيق مع المجلس العلمي المحلي، وأشرفت عليها بعد ذلك مؤسسة محمد السادس للنهوض بالأعمال الاجتماعية للقيمين الدينيين، لتشمل كراسي علمية في العقيدة والسلوك والتفسير والحديث والسيرة النبوية وأصول الفقه ومقاصد الشريعة، وتحمل هذه الكراسي العلمية أسماء علماء كبار في التاريخ الإسلامي، ككرسي الإمام بن عطية في التفسير، وكرسي الإمام السهيلي في السيرة النبوية، وكرسي الإمام مالك في الفقه، وكرسي الإمام أبي الحسن الأشعري في العقيدة، وكرسي الإمام الجنيد في التصوف، وكرسي الإمام ابن أجيروم في النحو، وكرسي الإمام ورش في القراءات والتجويد، وكرسي الإمام الزقاق في القواعد الفقهية، كرسى الإمام القرافي في أصول الفقه، كرسى الإمام الشاطبي في القراءات السبع⁴، ويتابعها عبر قناة محمد السادس للقرآن الكريم عدد لا يحصى من طلبة العلوم الشرعية

1- انظر موقع القدس العربي على الشبكة: <http://www.alquds.co.uk/?p=100785>

2- المرجع السابق.

3- المرجع السابق.

4- انظر موقع الكراسي العلمية بصائر وبشائر على الشبكة: <http://www.alkarassi.com/index.php/description-du-proje>

والمهتمين والباحثين.

إن إعادة الاعتبار لهذا المشروع التعليمي الأصيل يراد منه تيسير سبل تحصيل العلوم المرتبطة بالشريعة الإسلامية الغراء وتقريبها من كافة الناس وإشاعتها بينهم حماية لعقيدتهم وفكرهم، وترسيخا للمنهج الوسطي المعتدل في فهم الدين الإسلامي الحنيف¹.

إن الدور الذي قامت به الكراسي العلمية بداية من القرن الثالث الهجري، وما زال، خدمة للعلوم الشرعية وسعيًا لتطويرها وتعميم الاستفادة منها، تحقق منها على مستوى البلاد الإسلامية ما يثلج الصدر، ويؤكد صوابية تعميمها بهذه البلاد، سواء في ارتباط بالمسجد أم بالجامعات والمعاهد الشرعية، كما تدفع إلى بذل المزيد من الجهود للتعريف بها على مستوى العالم الإسلامي.

خاتمة، خلاصة واستنتاجات

بعد أن بينت في العنصر الأول من التمهيد مفهوم الوقف في اللغة وفي اصطلاحات المذاهب الفقهية، تحدثت في العنصر الثاني عن الحكمة من تشريع الوقف، وبيان سماته الأساسية في المجتمع، باعتباره تعبيرًا حقيقيًا عن الإيمان الصادق الذي ينبع من عقيدة صافية نقية.

وفي المبحث الأول، تناولت أهم المنطلقات المرتبطة بالوقف التعليمي، والتي قامت على أساس التلازم بين المسجد والوقف، انطلاقًا من الوازع الديني الذي يدفع الإنسان إلى التحسيس على المسجد، قبل أن يستقل هذا النوع من الوقف، فيبادر الناس إلى تأسيس مؤسسات ومعاهد خاصة بالتعليم الشرعي، ليصبح الوقف من أهم المصادر التمويلية بعد ذلك لدعم البحوث العلمية الشرعية وتشجيع الدراسة بالكليات والمعاهد الشرعية، أما المبحث الثاني، فبينت فيه أن أول بذرة انطلق منها الوقف التعليمي تأسست من الكتاب القرآني، لأنه المحضن الطبيعي للأطفال لتعلم كتاب الله ودراسة العلوم المرتبطة به، فكانت هذه الكتابات التي سرت في بلاد الإسلام سريان الماء في العود الأخضر، المنبت الأول للتعليم الشرعي، بما تؤهله من طلبة حافظين لكتاب ربهم، ملتمين بالعلوم الشرعية وبالمتون الضرورية التي تعينهم على تحمل أعباء مسؤولية إمامة الناس في الصلاة، أو توعيتهم وتفقيهم في أحكام دينهم، لتتطور ملكتهم الفقهية والشرعية بعد الالتحاق بالمعاهد والمؤسسات والجامعات الشرعية، فيصير الكتاب من أهم روافد مدارس التعليم الشرعي

1- انظر التعريف بالمشروع في موقع : <http://www.alkarassi.com/index.php/description-du-projet>

أو العتيق، التي خدمت العلوم الشرعية وأسهمت في تطويرها، بينما تناولت في المبحث الثالث، الوقف على المكتبات الإسلامية، سواء بالتأسيس أم بالتطوير والتنظيم، باعتبارها مرجعاً أساسياً للعلماء والباحثين، وبما قدمته من خدمات جليلة لطلبة العلوم الشرعية، الذين أسهموا في نشر الثقافة الإسلامية بما ألفوه من كتب وبحوث وحققوا من مخطوطات احتفظت بها هذه المكتبات والخزانات العلمية، وفي المبحث الرابع، رصدت ما حققه الوقف على الكراسي العلمية من دعم وتطوير للعلوم الشرعية، حيث استطاعت هذه الكراسي أن تؤسس للبنات علمية تمكّن من ربط عموم الناس بالعلوم الشرعية، إضافة إلى الطلبة الذين يدفعهم تحصيل العلوم الشرعية إلى حضورها والاستفادة منها.

وقد خلصت الدراسة إلى ما يلي:

- أن نشأة الوقف التعليمي انطلقت من المسجد، في ارتباط بالوازع الديني وبالقوة الإيمانية التي تدفع الناس إلى تحييس جزء من ممتلكاتهم على المسجد والمدرسة المرتبطة به، لذلك ينبغي العناية بأمر المسجد بالجامعات والكليات والمعاهد الشرعية، ولا يقتصر على تلك القاعة التي يلجأ إليها الطلبة لأداء فرائض الصلاة فرادى، بغية تأسيس دافع وحافز إيماني للمزيد من التحييس على التعليم الشرعي.
 - ضرورة العناية بالكتاتيب القرآنية، لأنها المحضن الأول للتعليم الشرعي، ولأن ثمارها تظهر بشكل واضح وجلي في الطلبة الذين التحقوا بها وحفظوا كتاب الله تعالى منها، كما ينبغي أن تشمل هذه العناية محاولة تطويرها مادياً، بتوفير الوسائل المساعدة على التحفيظ والتلقين مع حفظ خصوصيات البلاد الإسلامية فيها.
 - أن الوقف على المكتبات العلمية، شكّل داعماً للعلوم الشرعية، لذلك ينبغي التركيز على تأسيس مكتبات وقفية على مستوى كل جامعة أو كلية للعلوم الشرعية، فمناخ التحصيل منها مستمر وثوابه خالد، وهي صروح علمية يتزود منها الطلبة ليضعوا بعد ذلك بصمتهم العلمية بمؤلفات رصينة تخدم الثقافة الإسلامية، وتحقق المطلوب منهم.
 - أن تجربة الكراسي العلمي بما قدمته من خدمات جليلة ومنافع عظيمة، تستدعي الاجتهاد في تأسيسها بالجامعات والكليات، والمساجد الملحقة بها، لأنها بمثابة الخيط الناظم بين العامة والخاصة، ينهل الجميع منها.
- والحمد لله رب العالمين

المراجع الخاصة

1. أثر الوقف في تنمية المجتمع. د. نعمت عبد اللطيف مشهور. المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع 1996.
2. أليس الصبح بقریب. الطاهر بن عاشور. دار السلام. مصر. ط 1427/1هـ 2006.
3. تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة. طارق بن عبد الله حجار. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. العدد 120 - السنة 35 - 1423هـ/2003م
4. الجوامع والمدارس والزوايا والخزانات التي ازدهرت بمال الوقف في المغرب للدكتور محمد الحجوي. مجلة أوقاف، العدد 7.
5. دعم الوقف للموازنة العامة للدولة. عمر الكتاني. بحث مقدم لمنتدى قضايا الوقف الفقهية الرابع المنعقد بالرباط من 30 مارس إلى 1 أبريل والمنظم من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية بتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف الكويتية والبنك الإسلامي للتنمية.
6. الدور الاجتماعي للوقف. عبد المالك السيد. البنك الإسلامي للتنمية جدة.
7. دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب. د. السعيد بوركبة. طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب. 1417هـ/1996.
8. دور الوقف في العملية التعليمية. د. عبد العزيز بن عبد الله المعيلي. ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية. مكة المكرمة. شوال 1420هـ.
9. دور الوقف في المجال التعليمي. بحث منشور بموقع الألوكة على الشبكة. www.alukah.net
10. دور الوقف في تفعيل التعليم العالي في الجامعات الإسلامية: قراءة في خطة مؤسسة الوقف للدراسات العليا. د. سامي الصلحات. مجلة الجامعة. اتحاد الجامعات الإسلامية. إسكوا. 2004.
11. السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي رائد إصلاح التعليم بجامع القرويين. الزبير مهدي. بحث منشور بمجلة دعوة الحق. العدد 367. ماي-يونيو 2002.
12. عناية المسلمين بالوقف خدمة للقرآن الكريم. عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 1421هـ.
13. الكتاب القرآني بالمغرب والرواية المتواترة المحفوظة فيه. أحمد بودهان. مطبوع في كتاب "الكتاتيب القرآنية الآليات-الأهداف-الأفاق". منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ط 1430/1-2009.
14. الكتاتيب القرآنية في المغرب بين الأحكام الفقهية والممارسة العملية والأفاق المنشودة". الحسن بن أحمد مفرح. مطبوع "الكتاتيب القرآنية الآليات-الأهداف-الأفاق". منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ط 1430/1-2009.
15. الكتاتيب القرآنية: الواقع والأفاق. عبد الفتاح الفريسي. مطبوع في "الكتاتيب القرآنية الآليات-الأهداف-الأفاق". منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ط 1430/1-2009.
16. الكراسي العلمية السعودية. د. عبد الرحمن بن محمد المغذوي. الجامعة الإسلامية. ط 1430/1هـ.
17. الكراسي العلمية بين الماضي والحاضر. منشور بموقع الفرقان على الشبكة: <https://www.al-forqan.net>
18. الكراسي العلمية ثمرة من ثمار الوقف الخيري. د. خالد بن هدوب المهيدب. منشور بجريدة الرياض. العدد 15189. 24/يناير 2010.
19. اللاتحة المنظمة للكراسي العلمية بجامعة الملك فيصل 1430هـ/2009. منشورة بموقع: <https://www.kfu.edu.sa>
20. المسجد نشاطه الاجتماعي على مر التاريخ. عبد الله قاسم الوشيلي. سلسلة إحياء رسالة المسجد. ط 1990/1.
21. نظام الوقف الإسلامي والنظم المشابهة في العالم الغربي. "Endowment - Foundation - Trust" دراسة مقارنة. أ.د. محمد عبد الحليم عمر. ص 7. بحث مقدم إلى المؤتمر الثاني للأوقاف "الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية" جامعة أم القرى - مكة المكرمة.
22. الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي. د. وهبة الزحيلي. الدار الجامعية للطباعة والنشر بيروت/ط 1982/4.
23. الوقف الإسلامي، مجالاته وأبعاده. د. أحمد الريسوني. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.
24. الوقف التعليمي وأثره في التنمية دولة الإمارات العربية نموذجاً. عمر عبد عباس الجميلي. ص 11. بحث مقدم لمنتدى فقه الاقتصاد الإسلامي الثالث دبي 2017.
25. الوقف الخيري في الإسلام وأبعاده التنموية. د. السعيد بوركبة. دار أبي رقرق للطباعة والنشر ط 1.
26. وقف النقود واستثمارها. د. أحمد بن عبد العزيز الحداد. مقدم لأشغال المؤتمر الدولي الثاني للوقف المنعقد بمكة المكرمة. مارس 2006.
27. الوقف على الكراسي العلمية: كراسي الحسبة أمودجا. د. خالد بن هدوب المهيدب. بحث مقدم لمؤتمر أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية بالشارقة.
28. الوقف على المكتبات في الحضارة الإسلامية: الأندلس نموذجاً. د. أنوار محمود زناقي. بحث منشور بموقع شبكة الألوكة على النت.
29. الوقف على المؤسسات التعليمية: كلية التكنولوجيا نموذجاً. د. حسن محمد رفاعي. منشور بموقع: iefpedia.com
30. الوقف في الفكر الإسلامي. محمد بن عبد العزيز بن عبد الله. ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب. 1416هـ/1996م.



دور طالب العلم الشرعي في محاربة الفكر المتطرف وبيان سماحة الإسلام



الدكتورة فاطمة داود*

*بكالوريوس شريعة جامعة الخليل- فلسطين ، ماجستير تخصص فقه مقارنة
جامعة الفasher-السودان و دكتوراة فقه إسلامي جامعة بخت الرضا -السودان
الرتبة محاضر متفرغ في جامعة البلقاء التطبيقية كلية الزرقاء الجامعية - الأردن

مقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام والدين القويم وجعلنا من أمة محمد صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن سار على هديه إلى يوم الدين .

أجريت هذه الدراسة لغرض تقييم المناهج الشرعية ومدى قدرتها على تمييز طالب العلوم الشرعية ومعرفة بسماحة الإسلام والوقوف على أسباب التطرف وظهورها في المجتمعات الإسلامية ومدى كفاية المواد الاختيارية بما يتعلق بالثقافة الإسلامية من خلال بيان قدرة الطالب على مواجهة التحديات المعاصرة في الفكر المتطرف وتغطيته للمناهج السليمة للإسلام.

مشكلة البحث

يتعلق البحث في أهم التحديات المعاصرة التي يواجهها الفكر الإسلامي ومدى قدرة طالب العلوم الشرعية والعلوم الأخرى لمواجهة التحديات وكفاية المناهج الدراسية التي تطرح في الجامعة للقضاء على التطرف وإظهار سماحة الإسلام.

أهمية الدراسة

يهدف هذا البحث إلى معالجة فكرة التطرف وبيان كفاية المناهج ومتطلبات الجامعة الاختيارية وكفايتها لإظهار سماحة الإسلام من خلال بيان معنى الإسلام ووسطيته ورفض الإرهاب وطرح استبيان لطلبة العلوم الشرعية والتخصصات الأخرى للوقوف على وجهة نظرهم في الفكر المتطرف وتغطية المناهج السليمة للإسلام.

منهجية البحث

تم اتباع المنهج الاستقرائي من خلال الخطوات التالية:

- الرجوع إلى المعاجم اللغوية والفقهية للتعريف بالمصطلحات والمفاهيم الواردة في البحث
- توثيق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من صحيح البخاري وصحيح مسلم
- اعتماد المنهج الوصفي التحليلي من خلال عمل استبانة تدور (حول دور طالب العلم الشرعي في محاربة الفكر المتطرف وبيان سماحة الإسلام) وبيان نتائجها والتوصيات

دراسات سابقة

بعد البحث والاستفسار لم أجد مؤلف جامع في موضوع البحث وإنما متناثراً ومن كتب في

هذا الموضوع:

- كتاب الغلو في الدين / عبد الرحمن اللويحق - مؤسسة الرسالة ط 3 , 1413 هـ .
- الإعتدال في التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً للدكتور محمد الزهيلي / داراليمامة ط 3 , 1413 هـ .

• التربية الإسلامية في مواجهة التطرف الديني والإرهاب لدى بعض الشباب الجامعي (دراسة ميدانية - كلية التربية جامعة المنصورة 2006)

- الإرهاب والوقاية والعلاج اعداد سامي البراق - رسالة ماجستير حول الإرهاب الدولي
- أثر مكافحة الإرهاب على الحريات العامة - رسالة ماجستير آل البيت 2008 اعداد الحسن محمد ارشيد الشريف

وأثناء قراءة هذه الرسائل تبين أن موضوعاتها مختلفة عن موضوع البحث وكانت الفائدة لتحصيل المعرفة والوقوف على المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي

هيكلية البحث:

المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للغلو والإرهاب والتطرف والسماحة والجهاد.

المبحث الثاني: مفهوم التطرف الفكري.

المبحث الثالث: دور طالب العلم الشرعي في مواجهة التطرف.

المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للغلو والإرهاب والتطرف والسماحة والجهاد

- الغلولغة⁽¹⁾: من (غلا) السعرو غيره - غُلُوًّا , وغلاءً: زاد وارتفع . وجاوز الحد فهو غَالٍ ,

غلا النبات ارتفع وعظم والتفّ .

غلا فلان في الأمر والدين: تشدد فيه وجاوز الحد وأفرط . فهو غَالٍ .

وفي التنزيل العزيز (لا تغلوا في دينكم)⁽²⁾ . غلواً وغلُواً: ارتفع في ذهابه وجاوز المدى .

- الإرهاب: أَرهَب فلاناً: خوفه وفزعه .

في التنزيل العزيز : (واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم)⁽³⁾

استرهبه : رهّبه

1- . المعجم الوسيط ص 660

2- . سورة النساء، آية 171

3- . سورة الأعراف، آية 116

الإرهابيون : وصف يطلق على الذين يسلكون طريق العنف والإرهاب ؛ لتحقيق أهدافهم السياسية⁽¹⁾.

- السماحة : الجود والكرم والسهولة⁽²⁾
- التطرف : جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط⁽³⁾.

الجهاد :

الجهاد لغة : مصدر من الفعل الرباعي جاهد علة وزن فعال بمعنى المفاعلة والفعل الثلاثي للكلمة هو : جهد أو الجُهد .⁽⁴⁾ , والجهاد استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل⁽⁵⁾ .

- وجاء في شرح القسطلاني على صحيح البخاري : مشتق من الجهد من الجهد بفتح الجيم وهو التعب والمشقة لما فيه من الجهد والطاقة .⁽⁶⁾
- جميع المعاني لغة تدل على بذل الجد .

الجهاد اصطلاحاً : ييقصد به قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله⁽⁷⁾

- مفهوم الفكر لغة : التفكير والتأمل
- الفكر : إعمال عقل في شيء⁸

فكر في الأمر ك تفكر فيه تأمله , إعمال العقل فيه ليصل إلى نتيجة أو حل أو قرار

الفكر اصطلاحاً : طلب المعنى بالقلب من جهة الذكر⁹.

مفهوم الفكر الإسلامي :

- هو التفكير في آيات الله وتأمل معانيه والإعتبار بآياته وأحكامه⁽¹⁰⁾.

1- المعجم الوسيط ص 376 .

2- . المعجم الوسيط ص 447

3- . المعجم الوسيط ص 555.

4- الفيروز آبادي , مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط , ط 2 - مصطفى الباني الحلبي / 1952 ص 296 ج 1 فصل الجيم و الحاء باب الدال .

5- ابن منظور , جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري , لسان العرب ج 20 , طبعة مصورة عن طبعة بولاق , الدار المصرية للنشر ج 4 ص 107 فصل الجيم و حرف الدال .

6- القسطلاني , أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج 10 ط 6 المطبعة الأميرية مصر 1304 هـ ج 5 ص 31 , كتاب الجهاد والسير , باب فضل الجهاد والسير .

7- شرح القسطلاني على صحيح البخاري , ج 5 ص 31 كتاب الجهاد والسير , باب فضل الجهاد والسير .

8- لسان العرب

9- فيض القدير لمحمد عبد الرؤوف المناوي , جار الفكر ط 1 1410 هـ , ص 701 - 702.

10- المناوي - فيض القدير .

- والتدبر والتحقيق والتركيز الموصل إلى معرفة الله (1).

المبحث الثاني: مفهوم التطرف الفكري

• تستعمل كلمة "تطرف" في اللغة على هيكلي معنيين:

الأول: حد الشيء.

الثاني: الحركة في بعض الأعضاء. (2)

والذي يهمننا هو المعنى الأول وهو حد الشيء وحرفه، أو غاية الشيء ومنتهاه، وعليه فالتطرف تفعل من الطرف، فمن تجاوز حد الاعتدال يصح في اللغة أن يسمى بالتطرف، جاء في المعجم الوسيط ما يؤيد هذا المعنى في قوله في معنى تطرف: "تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط" (3).

يمكن تحديد مفهوم التطرف الفكري من الناحية الاصطلاحية بأنه: "الغلو والتنطع في قضايا الشرع، والانحراف المتشدد في فهم قضايا الواقع والحياة". فالميل نحو أي طرف سواء كان غلواً أو تقصيراً، تشدداً أو انحرافاً يعتبر أمراً مذموماً في العقل والشرع والذي دعاني في البداية إلى تحديد هذا المفهوم وضبط معناه الاستعمال الشائع لهذا المصطلح والذي حمل معه الكثير من التجاوزات والمبالغات، فلم يسلم مصطلح "التطرف الفكري" من تطرف في فهمه واتهام الغريبه من غير مبرر علمي أو مسوغ لغوي.

• أسباب التطرف (4):

1. عدم المعرفة الشاملة بالأحكام الشرعية.
2. الاعتداد بالنفس وعدم التواضع والاستماع لرأي الآخرين.
3. الانشغال بالأمر الجانبية عن القضايا الكبرى الأساسية.
4. اختيار الرأي الفقهي المشدد مع وجود القول المخفف، وإطلاق لفظ الحرام على الكثير من المكروهات.
5. الوقوف الحرفي عند النصوص دون النظر إلى فحواها وعملها.

المشكلة ترجع في جوهرها إلى فرض "العلمانية" على المجتمع الإسلامي، وهي اتجاه دخيل عليه، غريب عنه، مجاف لكل موارثه وقيمه، يدعو إلى فصل الدين عن الدولة وعن الحكم و

1- لسان العرب .

2- معجم مقاييس اللغة لابن فارس 3 / 447.

3- المعجم الوسيط 2/ 511.

4- الثقافة الإسلامية، منشور جامعة القدس المفتوحة ص 408-409، ويوسف القرضاوي، مرجع سابق 5-125.

التشريع⁽¹⁾. فلا غرو بعد ذلك أن يجد المسلم نفسه في صراع بين عقيدته وبين واقعه , بين دينه وبين مجتمعه .

الفرق بين التطرف و الإرهاب :

إذاً من خلال ما تحدثنا سالفاً فالتفريق بين الإرهاب والتطرف هو مسألة جداً شائكة , وذلك لشيوع التطرف والإرهاب لهدف واحد , حيث يمكن رسم معادلة الاختلاف بينهما من خلال أن التطرف يرتبط بالفكر والإرهاب يرتبط بالفعل . إذ أن التطرف يرتبط بأفكار بعيدة عما هو معتاد ومتعارف عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً , دون أن ترتبط تلك المعتقدات والأفكار بسلوكيات مادية عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة , فالتطرف دائماً في دائرة الفكر , أما عندما يتحول الفكر المتطرف إلى أنماط عنيفة من السلوك من اعتداءات على الحريات أو الممتلكات أو الأرواح أو تشكيل التنظيمات المسلحة التي تستخدم في مواجهة المجتمع والدولة فهو عندئذ يتحول إلى إرهاب . كما أن التطرف لا يعاقب عليه القانون ولا يعتبر جريمة بينما الإرهاب هو جريمة يعاقب عليها القانون , فالتطرف هو حركة اتجاه القاعدة والقانونية ومن ثم يصعب تجريمه , فتطرف الفكر لا يعاقب عليه القانون باعتبار أن القانون لا يعاقب على النوايا والأفكار , في حين أن السلوك الإرهابي وإجرامه هو حركة عكس القاعدة القانونية ومن ثم يتم تجريمه⁽²⁾ . كما يختلف التطرف عن الإرهاب أيضاً من خلال طرق معالجته فالتطرف في الفكر تكون وسيلة علاجه هو الفكر والحوار , أما إذا تحول التطرف إلى تصادم فهو يخرج عن حدود الفكر إلى نطاق الجريمة مما يستلزم تغيير مدخل المعاملة وأسلوبها داخل قانون الدولة .

مع ضرورة الإشارة الى أن التطرف ليس حكراً على دين أو طائفة أو مجموعة بشرية وإنما هو ظاهرة منتشرة وممكن أ، تحصل لدى أي مجموعة بشرية إذا ما توفرت الظروف المناسبة

أهمية الجهاد باعتباره حقاً للشعوب الإسلامية بالدفاع عن نفسها :

الجهاد فرض من أجل الدفاع عن الدين والنفس والمال والبلاد وأهلها ومن يقتل في ذلك يعتبر شهيداً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ” من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ”⁽³⁾ ودل القرآن

1- . القرضاوي، مرجع سابق ص 111-112.

2- . صيام، عبد الحميد، مانيفستو حول جدلية العلاقة بين العنصرية والإرهاب: دعوة للحوار، مجلة القدس العربي، 15 يناير/كانون الثاني 2015

3- . رواه الترمذي في الديانات , باب ما جاء في من قتل دون ماله فهو شهيد .

الكريم أن الرباط من الجهاد في سبيل الله

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (1) . و حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها) (2) اليوم الجهاد فرض عين لانتهاك حرمت وبلاد المسلمين وخاصة ما يواجهه أهل الرباط في فلسطين المحتلة من عدو أثبتت سلوكياته أنه لا يراعي عهداً ولا يحفظ حقاً وأن أعلى الجهاد من قاتل لإعلاء كلمة الله , قال عليه السلام : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (3) .

وإذا راجعنا مجموعة القرارات الصادرة عن الجمعية العامة لوجدنا أن هناك منذ العام 1975, نصاً يتكرر سنوياً ويتضمن إعادة تأكيد الجمعية ”على شرعية كفاح الشعوب في سبيل الاستقلال والسلامة الإقليمية والوحدة الوطنية والتحرر من سيطرة الاستعمارية والأجنبية, ومن التحكم الأجنبي بكل ما تملك هذه الشعوب من وسائل, بما في ذلك الكفاح المسلح“. وحذت لجنة حقوق الانسان التابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي في الأمم المتحدة, حذو الجمعية العامة, فتبنت النص نفسه في دورتها 36 القرار رقم 5 تاريخ 15/2/1980. وهكذا تكون المقاومة قد دخلت ضمير الانسانية التي أسبغ عليها الرأي العام العالمي الشرعية, وكرستها نصوص قانونية في اتفاقية دولية عديدة.

الفرق بين الجهاد والإرهاب:

الجهاد مشروع ويتميز بوضوح هدفه والتزامه بأحكام الشرع ومكارم الأخلاق التي جاء بها الإسلام وثمرته رضا الله سبحانه وتعالى ورفعته الدين والتمكين له ودفع الفتنة أما الإرهاب هدفه وقوع الفتنة والفساد لعدم وضوح الرؤيا وعدم المعرفة للأهداف والضابط الشرعية التي ثمرته تشويه الدين ووقوع الفتنة والتجاهل ووسطية الإسلام في الجهاد، فأعداء الإسلام يرونه إرهاباً وفساداً وخلاصة الأمر الجهاد فريضة شرعية والإرهاب عدوان وجريمة ضد البشرية وشتان بينهما

المبحث الثالث

دور طالب العلم الشرعي في مواجهة التطرف

- 1- سورة آل عمران آية 200 .
- 2- رواه البخاري (الجهاد و السير) باب فضل رباط يوم في سبيل الله , رقم 2892 .
- 3- صحيح البخاري « كتاب الجهاد والسير » باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا رقم 2655

العلم من أجل نعم الله علينا وهو هداية ورحمة ونور وعصمة ورفعة ، قال تعالى :

(يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (1) . وقال تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (2) ، وللعلم فضل على الإنسانية وما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك (من يرد الله به خيراً يفقهه بالدين) (3) . وما أثر عن السلف أن تعلمه خشية وطلبه عبادة يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم ويحتذى بأفعالهم .

• فعلم الشريعة من العلوم النافعة لأن به معرفة كتاب الله وسنة رسوله .

ودور طالب علوم الشريعة في محاربة الفكر المتطرف الذي يعتبر من أهم المواضيع التي تطرح على الساحة حالياً وأن منطلق محاربته يأتي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن أغلب المشاكل تندرج في الفهم الخاطئ للشريعة والدين . ويجب الرجوع لأصول ديننا الثابت من أجل التفاهم مع الناس في أمور الدين وأمور الحياة ولهذا يجب تغذية الفكر بالمعلومات الصحيحة والسليمة ، وأهمية دور طالب العلوم الشرعية نشر الوعي بين الناس لمواجهة الأفكار التكفيرية والتنظيمات الإرهابية المتطرفة التي اتخذت من الإسلام شعراً يهدف إلى نشر معتقداتها وأفكارها الهدامة البعيدة كل البعد عن قيم وجوهر ديننا الإسلامي ، والخطة الدراسية لعلوم الشريعة كافية لبيان وسطية الإسلام بما فيها من مساقات إجبارية واختيارية الهدف منها بناء منهجية رسول الله وسماحة الإسلام .

بيان خطة علوم الشريعة

خطة علوم الشريعة تغطي كل جوانب الثقافة الإسلامية ، العقديّة ، الاجتماعيّة ، الأخلاقيّة ، السياسيّة ، الاقتصاديّة والعبادات .

وخطة علوم الشريعة بما فيها من متطلبات إجبارية واختيارية تغطي هذه الجوانب سواء لطلاب الدبلوم والبيكالوريوس .

هذه المتطلبات المطروحة في الخطة 4 كافية لتحصيل وترسيخ مفاهيم الإسلام السمحة و مبدأ الإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم بالتركيز على المبادئ الأساسية للقرآن والسنة ، أما ما يطرح لطلاب العلوم الأخرى على مستوى متطلبات الجامعة من مواد ثقافية فهي غير متاحة

1 - سورة المجادلة آية (11).

2 - سورة الزمر آية (9)

3 - صحيح البخاري ومسلم.

4 - (الخطة الدراسية لطلبة علوم الشريعة جامعة البلقاء التطبيقية دبلوم

لكل الطلبة بكونها اختيارية , و متاحة لبعض التخصصات دون الأخرى .

حل مشكلة التطرف

دعى الإسلام المسلمين إلى التحلي بخلق السماحة لأن السماحة خلق الإسلام نفسه؛ فمعنى السماحة : عفو الله و مغفرته للمذنبين من عباده , و حلمه تبارك و تعالى على عباده و تيسير الشريعة عليهم , و تخفيف التكاليف عنهم و نهيهم عن الغلو في الدين و نهيهم عن التشدد في الدين على عباد الله (1).

حل مشكلة التطرف يكون ببيان مدى سماحة الإسلام حيث أنه نبذ التطرف بجميع أشكاله، و في المقابل دعا إلى الوسطية و الاعتدال في التصور و الاعتقاد، و التعبد و التنسك و الأخلاق و السلوك و المعاملة و التشريع .

قال تعالى: (وَكذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا). (2)

و هذا هو الصراط المستقيم الذي تميز به المسلمون عن غيرهم , قال تعالى : (اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)) (3).

وجاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ” إياكم و الغلو في الدين , فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين ” (4).

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله قوله في الحديث : (و إياكم و الفلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو في الإعتقادات و الأعمال , و الغلو مجاوزة الحد) (5)

و أما الادعاء بأن الإسلام دين العنف و القهر و القتل و الحرب , فهي دعوى استعمارية يراد منها تشويه صورة الإسلام في الغرب و عند الجهلة من المسلمين , و شبهتهم في ذلك أن الإسلام انتشر بالسيف و أنه يأمر بالقتال .

و هذه الدعوى واهية لا تصمد أمام حقائق الإسلام الساطعة التي تدل بوضوح على أن الإسلام على النقيض من ذلك فهو يدعو إلى الرحمة و التسامح و السلام , سواء أكان بين المسلمين أنفسهم أو بين المسلمين و غيرهم من الشعوب و هذه الأمور تشكل قاعدة أساسية في

1 - الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني , ج 2 ص 465.

2 - سورة البقرة آية (143).

3 - سورة الفاتحة آية 6-7 .

4 - أخرجه أبو داود (3052) عن عدة من أبناء الصحابة عن آبائهم.

5 - الصحوة الإسلامية بين الجحود و التطرف , القرضاوي ص 25-26 .

النظام التشريعي الإسلامي ويظهر ذلك فيما يلي :

1. أن الإسلام مشتق في الأصل اللغوي من السلم والسلامة والسلام , وأن من أسماء الله عزوجل السلام , قال تعالى : (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ) (1) وقال

ثالثاً: متطلبات التخصص (48 ساعة معتمدة، وهي كالآتي:

رقم المادة	اسم المادة	الساعات المعتمدة		المتطلب السابق
		نظري	عملي	
21901261	التلاوة والتجويد والحفظ	3	4	-
21901141	فقه العبادات 1	3	-	-
21901241	فقه العبادات 2	3	-	21901141
21901243	اصول الفقه	3	-	-
21901245	فقه المعاملات	3	-	-
21901142	فقه العقوبات	3	-	-
21901242	فقه الأحوال الشخصية 1	3	-	-
21901244	فقه الأحوال الشخصية 2	3	-	21901242
21901132	الهدى النبوي والرفائق	3	-	-
21901151	النحو 1	3	-	-
21901251	النحو 2	3	-	21901151
21901112	تفسير القرآن 1	3	-	-
21901211	تفسير القرآن 2	3	-	21901112
21901212	إعجاز القرآن	3	-	-
21901246	فقه الدعوة إلى الله	3	-	-
21901123	السيرة النبوية	3	-	-
المجموع		48	4	

ثانياً: متطلبات البرنامج (12 ساعة معتمدة، وهي كالآتي:

رقم المادة	اسم المادة	الساعات المعتمدة		المتطلب السابق
		نظري	عملي	
21901111	علوم القرآن	3	-	-
21901121	الحديث الشريف	3	-	-
21901131	العقيدة الإسلامية	3	-	-
21901122	علوم الحديث	3	-	-
المجموع		12	12	

تعالى : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ) (2)

2. أن الإسلام قام وانتشر على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة , وحرمة الإكراه على الدخول بالدين , ذلك أن العقائد لا تدخل النفوس إلا بالرضى والإقناع , ودليل ذلك قوله تعالى : (وَوَسَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (3) وقوله تعالى : (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (4) .

- سورة الحشر آية 23.

- (سورة يونس آية 99 .

- (سورة البقرة آية 256 .

وقرر أن الدعوة تقوم على الحجة والبرهان بالحكمة والموعظة الحسنة؛ قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (1).

لهذا أباح الإسلام لأهل الديانات الأخرى حرية العقيدة وحرية العبادات وأماكن عبادتهم وحتى الزوجة الكتابية يسمح لها أن تبقى على دينها والقيام بفروض عبادتها والذهاب إلى كنيساتها .

أما القول بأن الإسلام انتشر بالسيف ، فيدفعه ما قررته الآيات السابقة التي أثبتت أن الإكراه أو العدوان ليسا من منهج الإسلام في الدعوة إلى الله والمسلمون ما حملوا السيف إلا دفاعاً عن النفس و دفاعاً عن الحق والعدل ودفعاً للظلم أينما كان . قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (2) . أو لإزالة العقبات التي تعترض طريق الدعوة إلى الله .

يقول الدكتور حسين مؤنس: فما رفع سيف على رجل ليدخل الإسلام ، ولا أسلمت أمة و على رقاب أهلها سيف ، وإنما كان اليف لأهل السيوف المسلوثة على الإسلام وأهله ولن وقف في طريق الدعوة ، وإذا كان الله قد زوى الأرض للإسلام ، فقد كان ذلك عن طريق الإسلام نفسه الذي فتح القلوب وغزى الأفتدة بسماحته وبساطته ، وإنسانيته بتعاليمه التي كلها خير ومساواة وعدل وموافقة للفطرة ، وأكبر مدخل للإسلام ؛ كان الكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة يحملها المسلم إلى غير المسلم ، وأوسعها وأكثرها انتشاراً ؛ القدوة الحسنة ، فالمسلم الذي كان يفتد إلى بلاد غير المسلمين تاجراً أو زائراً كان خلقه الحسن ، وحسن معاملته للناس ونظافته وصدقته وأمانته تحبب الناس فيه فلا يزالون في إعجاب به حتى تهوى أفئدتهم إلى ما يؤمن به ليكونوا مثله وهذا ما حصل في جنوب شرق آسيا وأفريقيا . (3).

الشاهد التاريخي على سماحة الإسلام : بالنظر في تاريخ الدعوة الإسلامية نجد سماحة ورحمة لا مثيل لها، ففي عهد الرسو صلى الله عليه وسلم عندما فتحت مكة قال عليه الصلاة والسلام لأهلها، ما ظنكم أي فاعل بكم؟ (وهم الذين أخرجوه، وعذبوه وقتلوا أصحابه)

قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم (اذهبوا فأنتم الطلقاء) فانفتحت لهذه الرحمة قلوبهم للإسلام فأسلموا، ووصايا الصحابة تدل على ذلك أيضاً، ففي وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأسامة بن زيد قائد الحملة إلى الشام: لا تقطعوا شجرة، ولا تدبحوا شاة ولا بقرة ...

1- (سورة النحل آية 125 .

2- (سورة البقرة آية 190 .

3- (د حسين مؤنس الإسلام الفاتح ، ص 7-12 بتصرف، الحريات العامة في الإسلام د محمد غزوي ص 5-8 .

, وأعطى عمر بن الخطاب أهل إيليا : الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم و صلبانهم سقيمها و بريئها, و سائر ملتها, أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من شيء من أموالهم و لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم .⁽¹⁾

و سميت بالعهد العمرية . و صالح خالد بن الوليد رضي الله عنه أهل الحيرة على أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا يمنعون من ضرب النواقيس, و لا من إخراج الصلبان يوم عيدهم⁽²⁾. و كذلك الأمر في العصر الأموي و العباسي و ما بعده , حيث كان المسلمون يلتزمون بمعاملة أهل البلاد المفتوحة أحسن معاملة أمثالاً لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : (من ظلم متعهداً أو انتقصه , أو كلفه فوق طاقتة أو أخذ منه شيئاً من غير طيب نفس , فأنا حجيجه يوم القيامة) . و هذا هو سر سرعة إنتشار الإسلام في أرجاء الأرض .

و من هنا يخطئ من يقول : إن الإسلام انتشر بالسيف و الحرب , فالحروب لم تكن للإستيلاء على البلاد و العباد , بل لإنتزاعها من غاصبيها و ردها إلى أهلها , ثم تركهم بعد ذلك أحراراً أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا : لا إكراه في الدين⁽³⁾. و يضاف إلى ذلك أن جمهور الفقهاء اتفقوا على استثناء الرهبان و الصبيان و الشيوخ في الحرب و عدم جواز قتلهم , فلو كان القتال لحمل الناس على الإيمان لما جاز استثنائهم. و هذا برهان على أن القتال لا يكون إلا لمن يقاتل لدفع عدوانه⁽⁴⁾. و قد شهد التاريخ تعايش المسلمين مع غيرهم من أصحاب الأديان قروناً طويلة بمحبة و وئام و سلام مقابل دفع الجزية , و هي مبلغ زهيد من المال مقابل حمايتهم و توفير الحقوق لهم .

و يشهد لذلك أيضاً الكنائس التي بنيت في العصور الإسلامية كالعصر الأموي و العباسي و ما بعده و احترام المسلمين لها . و مما سبق ذكره يتبين جهالة من يقول أن الإسلام دين العنف و القهر وأنه انتشر بالحرب .

استبانة مخرجات التعليم المنشودة من تدريس العلوم الشرعية لطلبة التخصصات الأخرى

و تلخيص النتائج:

بلغت نسبة المشاركة 60% إناث و 40% ذكور على اختلاف مستويات الطلبة , حيث أن نسبة طلبة علوم الشريعة 43.5% و التخصصات الأخرى 56.5% بلغت مقررات 82.3% و

1- (الحريات العامة , د محمد الغزوي ص 6-7 , الإسلام الفاتح , د. حسني مؤنس ص 6-9.

2- (أبو يوسف , الخراج ص 173.

3- . الإسلام الفاتح, د حسين مؤنس ص 7 .

4- الحريات العامة , د. محمد عزوي ص 9 .

17.64% للتخصصات الأخرى وقد وضحت الفكر المتطرف لعلوم الشريعة 65% و 26.6% للأخرى ومواجهة التطرف تكون بالإرتقاء بالمستوى الفكرى 88.6% والتطرف 93.5% جهل في مستوى التفكير والأحزاب الدينية غير مسؤولة عن التطرف بنسبة 62.5% وأن التطرف لا علاقة له بالدين بنسبة 72.6% وتهميش الجماعات الإسلامية لا علاقة له بالتطرف بنسبة 42.5% وتدني الحالة الاقتصادية بنسبة 61.3% والتدني الأخلاقي من أخطر المشكلات بنسبة 92% وسوء فهم الدين بنسبة 98.5% والغلو بنسبة 88.5% ووسطية الإسلام بنسبة 97% ويسبب التطرف بالفوضى والفساد بنسبة 98.4% ودور الأسرة بمحاربة التطرف 98.7% , ونسبة التطرف الناتج عن التعصب الديني 81.4% وتحديد الجهة المسؤولة (المؤسسات التربوية والمناهج الدراسية) 47% ودور المدرس في بيان سماحة الإسلام وترسيخ مبادئ الإسلام الصحيحة بنسبة 93.4% , المقررات التدريسية بنسبة 47.5% غير كافية لبيان سماحة الإسلام , وطرح مواد اختيارية لطلبة التخصصات الأخرى لبيان وسطية الإسلام 56% , دور وسائل الإعلام في مكافحة التطرف بنسبة 32.2% وحذرت المناهج بنسبة 97.9% بخطورة الإرهاب , الإتجاهات الفكرية المعاصرة ظهرت بنسبة 54.2% أما صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان بنسبة 83.3% وإتتماء المواطن بنسبة 88.7% وتنميتها للأخلاق ب 80% , والحوار الإيجابي بنسبة 80% , معرفته بحوار الأديان ب 62% , دور المدرسة في بيان الفرق بين الفكر المتطرف ووسطية الإسلام 88.2% .

التوصيات :

- الحاجة إلى دراسات و بحوث علمية عن الإرهاب
- أهمية الحماية الفكرية ومبدأ الالتزام في معالجة الإرهاب
- محاربة الجهل .
- نشر العلم الصحيح بين أفراد المجتمع .
- بيان دور ومسؤولية كل فرد في المجتمع الإسلامي .
- بيان أهمية تصدي مناهج التعليم في العالم الإسلامي لمشكلة التطرف بشكل علمي .
- بيان أهمية سماحة الإسلام و يسره و وسطيته و ضمانه لجميع حقوق الأفراد في المجتمعات الإسلامية , وبيان حرمة دمائهم و أعضائهم .
- التواصل بين المؤسسات الاجتماعية للحد من لغة التطرف .
- طرح مساقات لطلاب العلوم الأخرى , تتعلق بعلوم الشريعة .
- يتاح للطالب أن يدرس تخصص فرعي متزامن مع الأصلي , بحيث يكون الطالب على ارتباط بالدين الإسلامي السمح لكي يستطيع الوقوف على وسطية الإسلام .

- طرح مادة عن الغلو والتطرف والإرهاب وخطورته.
- التركيز على أهمية دور المدرس في بيان صورة الإسلام السمحة .
- عمل ندوات في الجامعات على مستوى الطلبة والأساتذة لبيان سماحة الإسلام.

هوامش البحث

1. سورة المائدة آية 16 . سورة الحشر آية 23، سورة يونس آية 99 . سورة البقرة آية 256، سورة النحل آية 125 . سورة البقرة آية 190، سورة النساء، آية 171 سورة الأعراف، آية 116 سورة المجادلة آية (11)، سورة الزمر آية (9) سورة البقرة آية (143) . سورة الفاتحة آية 6-7 .
2. صحيح البخاري و مسلم.
3. المعجم الوسيط ص 660 . ص 376 . ص 447 ص 555 . ٥١١/٢.
4. لسان العرب
5. معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣ / ٤٤٧.
6. فيض القدير لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، جار الفكر ط 1 1410 هـ ، ص 701 – 702 .
7. الثقافة الإسلامية، منشور جامعة القدس المفتوحة ص 408-409 ، ويوسف القرضاوي، مرجع سابق 125-5.
8. القرضاوي، مرجع سابق ص 111-112.
9. لأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميدياني ، ج 2 ص 465.
10. أخرجه أبو داود (3052) عن عدة من أبناء الصحابة عن آبائهم.
11. الصحو الإسلامية بين الجحود و التطرف، القرضاوي ص 25-26
12. د حسين مؤنس الإسلام الفاتح ، ص 7-12 بتصرف، الحريات العامة في الإسلام د محمد غزوي ص 5-8
13. د حسين مؤنس الإسلام الفاتح ، ص 7-12 بتصرف، الحريات العامة في الإسلام د محمد غزوي ص 5-8
14. الحريات العامة ، د محمد الغزوي ص 6-7 ، الإسلام الفاتح ، د. حسني مؤنس ص 6-9.
15. أبو يوسف ، الخراج ص 173.
16. الإسلام الفاتح، د حسين مؤنس ص 7 .
17. الحريات العامة ، د. محمد غزوي ص 9 .



الوسائل التعليمية مفهومها أنواعها أهميتها معيقاتها في تدريس العلوم الشرعية



أ. كامل محمد حسين بشارات*

*الدرجات العلمية: حاصل على درجة الماجستير في الفقه والتشريع - جامعة النجاح الوطنية. درجة الدكتوراه في الفقه وأصوله - الجامعة الأردنية - قيد الدراسة.، حاصل على درجة المحاماة الشرعية.
مجال العمل: معلما في وزارة التربية والتعليم.، محاضر غير متفرغ في جامعة القدس المفتوحة.، محاميا شرعيا.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

حث الإسلام على استخدام الوسائل التعليمية لتتناسب مع طبيعة المادة المعروضة والإمكانات المتاحة للمعلم، فهذا النبي ﷺ يقول: " صلوا كما رأيتموني أصلي ".

تهدف الدراسة إلى بيان تطوير عرض التعليم الشرعي باستخدام الوسائل التعليمية، التي تشكل جوا مناسباً للمعلم باستخدامه أحدث الطرق التعليمية، وبأنجح الأساليب، التي تشكل الأداة التي يستخدمها المتعلم في عملية التعليم واكتساب الخبرات، لإدراك المبادئ والحصول على المعرفة، والتربية القويمة بسرعة، وبأقل كلفة، لتقوده نحو تحقيق أهدافه.

فالتطور في العصر الحاضر في شتى الميادين كان له أثر واضح في عدم اقتصار الوسائل التعليمية على شكلها التقليدي المتمثل بالكتاب، والرسوم التوضيحية، والصور، بل تنوعت الوسائل التعليمية لتشمل البرامج الإلكترونية، والمجسمات، والبرامج المحوسبة وغيرها.

وتوسيع نطاق استخدام الوسائل التعليمية على اختلاف أنواعها ذا أهمية في عرض العلوم الشرعية، لتيسير على المتعلم في الحصول على المعرفة، للارتقاء به في تحقيق الإنجاز الحضاري، والوصول إلى أعلى فاعلية وأكثر كفاية، مع وجود عدد من المعوقات التي قد تحول دون تحقق جل الفائدة من العملية التعليمية باستخدام الوسائل التعليمية.

الوسائل التعليمية مفهومها أنواعها أهميتها معيقاتها في تدريس العلوم الشرعية

المبحث الأول: الوسائل التعليمية: مفهومها، والألفاظ ذات الصلة

المطلب الأول: تعريف الوسائل التعليمية اصطلاحاً

عرفت الوسائل التعليمية بعدد من التعريفات منها أنها: الأداة التي تخرج المعلم من داء اللفضية وتجعل التعليم أكثر حيوية وواقعية¹.

وعرفت الوسائل التعليمية الحديثة بأنها: " تلك الأساليب التي تتضمن بيئة التعليم والتعلم الإلكتروني، والتي يستخدمها المعلم في تحسين أسلوبه في التدريس قولاً وفعلاً، بغرض تحقيق القدر

1- الحمروني: مصباح أبو القاسم فرج، أثر الوسائل التعليمية في تطوير العملية التعليمية في رياض الأطفال، المجلة البيئية للدراسات، دار الزاوية، عام 2014م، ص 210.

الأكبر من الأهداف التعليمية لدى الطلاب، بأقل وقت وجهد وكلفة”¹.

وعرفت الوسائل التعليمية بذكر الوسائل المستخدمة فيها على أنها: استخدام الوسائل والأجهزة والأساليب والبرامج والمنتجات العلمية من أجل تحسين فعالية التدريس².

المطلب الثاني: تعريف العلوم الشرعية اصطلاحاً

العلوم الشرعية مصطلح مركب، فيراد بالعلم هو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً. وأما الشرع: فيقصد به الشريعة الإسلامية، وهو ما يتفرع عن القرآن الكريم والسنة النبوية. ومما تقدم فإن العلوم الشرعية تعرف بأنها: العلوم التي تفرعت عن الكتاب والسنة وإجماع علماء الشرع، كالقرآن وعلومه والحديث وعلومه والعقيدة والفقه واللغة العربية وفروعها وغيرها من العلوم الشرعية.

ويعرف العلم الشرعي بأنه: علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى، الذي فيه المدح والثناء³.

المبحث الثاني: أنواع الوسائل التعليمية

اهتم الإسلام بالعلم والعلماء قال الله تعالى: ” يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ”⁴، وروى زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ” نضر الله امرأ سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ”⁵، فظهر أثر هذا في التعليم مع مرور الزمن، وتطور الفكر، واتساع المعرفة، فاستخدمت لذلك الوسائل التعليمية المختلفة التي تطورت أنواعها من عصر إلى عصر، يعرض الباحث تقسيمها في مطلبين، يتضمنها أنواع الوسائل التعليمية التقليدية، وأنواع الوسائل التعليمية الحديثة، على النحو الآتي:

المطلب الأول: أنواع الوسائل التعليمية التقليدية

- 1- عبد الكريم: سعد خليفة، أثر أساليب التدريس الحديثة على الارتياح المهني والاداء لدى معلمي العلوم، مجلة التربية العلمية، مصر، العدد الخامس، عام 2010م، ص 143.
- 2- القلا: فخر الدين، تقنيات التعليم والوسائل التعليمية، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الخامسة، عام 1994م، ص 8.
- 3- العثيمين: محمد بن صالح، كتاب العلم، ص 2.
- 4- سورة المجادلة، آية رقم: (11).
- 5- ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، عام 1421هـ - 2001م، حديث رقم (21590)، ج 35، ص 467.

العلوم الشرعية لا تختص بمجال دون آخر، بل تدخل في جميع مجالات الحياة المختلفة، مما تطلب الأمر في ذلك أن تتعدد وسائلها التعليمية بما يتناسب مع طبيعة كل مجال لاختيار الوسائل التعليمية التي تناسبه، والقدوة في اتباع استخدام الوسائل التعليمية التقليدية أول المعلمين النبي ﷺ في تعليمه لأصحابه، وذلك باستخدامه للوسائل التعليمية ضمن إمكاناته المتاحة له في زمانه بما يتناسب مع طبيعة الهدف التعليمي المراد تحقيقه، ضمن الهدف الأسمى المتمثل في قوله ﷺ: ”إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق“¹، ومن تلك الوسائل التعليمية، ما يلي:

الوسيلة الأولى: الكتابة: هي أهم وسيلة تعليمية استخدمها النبي ﷺ واستخدمها من أتى بعده من المعلمين؛ لأن بالكتابة يحفظ العلم من الضياع، وتبقى آثارها على مر العصور فيرجع إليها، ومثالها أمره ﷺ بكتاب الوحي بكتابة ما نزل من القرآن الكريم على الرقاع والخاف والعسب²، والنهي عن كتابة الحديث حتى لا يختلط بالقرآن الكريم، وكذا كتابته عليه الصلاة والسلام على الأرض تعليماً وضرباً للمثل لأصحابه فجاء عنه ﷺ أنه: ”خط خطا فقال: هذا سبيل الله، وخط خطين عن يمين وشمال، فقال: هذه سبل الشيطان“³.

الوسيلة الثانية: المحاكاة: هي وسيلة تعليمية واسعة المجال في التعليم الشرعي حيث أمر النبي ﷺ محاكاته في أمور العبادة؛ لأخذ القدوة في الإتيان لا الابتداء، فجاء عنه ﷺ أنه قال: ”صلوا كما رأيتموني أصلي“⁴، وقوله ﷺ في الحج: ”لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه“⁵.

وكذا المحاكاة في أمور المعاملات فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بلبلا فقال: ”ما هذا يا صاحب الطعام؟“ قال أصابته السماء يا رسول الله، قال: ”أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني“⁶.

وكذا المحاكاة في مجال الأخلاق فعن كرم النبي ﷺ أخبر عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ: ”أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقي جبريل، وكان جبريل

1- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (8952)، ج 14، ص 512.

2- البقاعي: إبراهيم بن عمرو بن حسن، مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، عام 1408هـ - 1987م، ج 1، ص 434.

3- المرزوي: محمد بن نصر بن الحجاج، السنة، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1418هـ، حديث رقم (13)، ج 10، ص 13.

4- ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1408هـ - 1988م، حديث رقم (1658)، ج 4، ص 541.

5- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (14419)، ج 22، ص 312.

6- مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حديث رقم (102)، ج 1، ص 99.

يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن¹، وغيرها من مجالات الحياة المختلفة التي تشكل المحاكاة فيها سبيلا ذا أثر واضح في بناء السلوك.

الوسيلة الثالثة: تغيير الهيئة: هي وسيلة لبيان أهمية الأمر وعظمه؛ لأنها وسيلة تخاطب السمع والبصر والفتوءاد، فجاء عن النبي ﷺ أنه قال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، وقال: وشهادة الزور، وشهادة الزور، وشهادة الزور، فما زال رسول الله ﷺ يكررها حتى قلنا ليته سكت"².

الوسيلة الرابعة: استخدام اليد في التمثيل: لتقريب الصورة وتوضيح المراد، فقال ﷺ: "أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى"³.

الوسيلة الخامسة: البدء في العمل: بغية الاقتداء به، لأن القدوة مدارها واسع، وأثرها عظيم في مجال التعليم الشرعي فقال ﷺ: "من سن سنة في الإسلام حسنة، فعُمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعُمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء"⁴. ومن الأمثلة أن أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية قالت: يا نبي الله أتحب ذلك أخرج، ثم لا تكلم أحدا منهم حتى تنحر هديك، وتدعو حالك فيحلقك، فقام، فخرج، فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر هديه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يخلق بعضا، حتى كاد يقتل بعضهم بعضا عما⁵.

المطلب الثاني: أنواع الوسائل التعليمية الحديثة

إن التطور التقني الذي عصف في الحياة الحديثة له وضوح الأثر في تنوع الوسائل التعليمية الحديثة وتعددتها، ومع اختلاف أنواع وسائل التعليم الحديثة لا ضير من الاستفادة منها، وتسخيرها في خدمة التعليم الشرعي، على اختلاف أنواع تلك الوسائل التعليمية الحديثة بما يناسب مجالات التعليم الشرعي في عرضه وبيانه، ومن تلك الوسائل التعليمية الحديثة ما يلي:

الوسيلة الأولى: الوسائل التعليمية المرئية، هي وسيلة عظيمة النفع، تخاطب عددا كبيرا من الجمهور، بأقل كلفة، وبأسرع وقت، ومستخدما يضم في أسلوب عرضه لهدفه كثيرا من الوسائل

1- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (2616)، ج 4، ص 375.

2- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (20385)، ج 34، ص 22.

3- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (22820)، ج 37، ص 476.

4- مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم (1017)، ج 4، ص 2059.

5- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (18928)، ج 31، ص 251.

التعليمية التقليدية عند التواصل مع الجمهور، ومن صورها:

أولاً: التلفاز: فهو يسهم في عملية التعليم على نطاق واسع، ويخاطب جميع شرائح المجتمع، ويصل أثره إلى أكبر عدد ممكن، وقد استخدمه الجزائريون كأداة للإعداد والتدريب فكان له فاعلية وأثر واسع في حصد النتائج، وبأقل التكاليف¹.

ثانياً: الفيديو: قال جونز عنه: أنه يعطي المعلم معلومات كثيرة في وقت قصير، ويزيد المعلومات العلمية عند الطالب الذي يعاني من الضعف في القراءة، ويحفز المتعلمين، ويوضح المعلومات الصعبة².

ثالثاً: الألياف الضوئية الإلكترونية: تتميز بقدرتها على البث المرئي لمسافات بعيدة، ونقل البيانات، ونقل الصور من الأماكن الصغيرة الضيقة التي يصعب الوصول إليها إلى شاشات العرض. الوسيلة الثانية: الوسائل التعليمية السمعية، هي وسيلة تعليمية عظيمة الأثر في تقريب البعيد ومخاطبة القريب، دون إحداث أثر سلبي على كثير من المخاطبين بهذه الوسيلة بتعطيلهم عن ممارساتهم الطبيعية لأعمالهم، فتوجيهها ضمن صورها لخدمة التعليم الشرعي ونشره بين الأفراد أمر في غاية الأهمية، ومن صورها:

أولاً: التسجيلات الصوتية: والتي لها الأثر في حفظ المعلومات، ونقلها، واستفادة السامع منها، والرجوع لها مرة بعد مرة، وذلك باستخدام المسجل.

ثانياً: الإذاعة: فهي تخاطب جميع شرائح المجتمع، ولها القدرة على نشر الأخبار والمعارف والثقافة، فتوصل هدفها المراد للمستمع بأقل كلفة، وبدون قطعه عن عمله، من خلال استخدام المذياع.

ثالثاً: الهاتف: وسيلة التخاطب والتواصل السمعي بين الأفراد، وإبداء الرأي وأخذ المشورة، وإن تباعدت المسافات بينهم.

الوسيلة الثالثة: وسائل التخزين الإلكتروني للمعلومات، هي وسيلة تمثل مرجعاً أساسياً للباحثين في المجال الشرعي؛ لأنها تحتوي على كم هائل من التراث العلمي الذي يصعب الوصول إليه لكثير من الباحثين عن طريق جمع الكتب، أو زيارة المكتبات العامة التي تفتقد لكثير من تلك المراجع العلمية، ومن صورها:

1- وليم بلات، التعليم بواسطة تلفزيون القمر الصناعي في الدول النامية، التربية الجديدة المجلد الأول، العدد الثالث، عام 1974، ص 41-14.

2- الفالح: ناصر بن عبد الرحمن، أثر استخدام أفلام الفيديو في تدريس العلوم على التحصيل والاتجاه نحو المادة لدى طلاب الصف الأول متوسط في مدينة الرياض، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والعربية والإنسانية، السعودية، العدد 4 عام 2004م، ص 38.

أولاً: البرامج التعليمية المخزنة على القرص الصلب في الكمبيوتر، وتشمل جميع التخصصات. ثانياً: أقراص الليزر وهي: أشبه بالكتاب، فتحتفظ بكم هائل من المعلومات، يسهل الوصول إلى المعلومة فيها والتعامل معها، سواء بالقراءة أو الكتابة. ثالثاً: الأقراص المدمجة الذاكرة الضوئية: فتستخدم لتخزين الصور والأصوات. رابعاً: الأقراص المضغوطة: وهي لنقل المعلومات المحتفظ بها من حاسوب لآخر والتعامل مع مضمونها، والرجوع لها عند الرغبة في ذلك. الوسيلة الرابعة: وسائل التعليم المكتوبة: هي التي تمكن المتعلم بالاحتفاظ بكم هائل من المعلومات دون أن يشغل ذلك حيزاً مادياً واسعاً، ومن صورها: الكتب الإلكترونية (PDF)، والمجلات والجرائد.

الوسيلة الخامسة: وسائل تعلم المهارات: هي وسيلة هامة في التعليم الشرعي، لأن كثيراً من طلاب العلم يحول بينهم وبين الوصول لتلك المهارات كثيراً من الصعوبات كبعد المسافة، والإمكانات المادية، فتلك البرامج تشكل وسيلة اكتساب المهارة والحصول عليها، وهي تختلف من علم لآخر، ومن صورها: برامج حساب الفرائض، وبرامج حساب الزكاة. الوسيلة السادسة: وسائل التواصل الإلكتروني: هي وسيلة هامة للعامّة - غير المتخصصين في مجال العلم الشرعي - في التواصل مع ذوي الاختصاص الشرعي للوصول للحكم الشرعي خاصة فيما يختص في مجال الإفتاء، وهي تمتاز بالتيسير في الحصول على المعلومة، وسرعة نشرها بين المتعلمين، كمواقع البحث الإلكتروني الانترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي على اختلاف أشكالها.

المبحث الثالث: أهمية الوسائل التعليمية

إن تنوع الوسائل التعليمية وعدم اقتصرها على الوسائل القديمة منها، بل الاستفادة من التقدم الحضاري في ابتكار وسائل تعليمية حديثة، لذو أهمية عظمى في تحديد معيار الوسيلة التعليمية المناسبة للعملية التعليمية، وذلك لارتباطها بالهدف العام، والسلوك عند المتعلم من جراء استخدامها، لتدعيم الموقف التعليمي بالفاعلية والنشاط، باستخدام الأجهزة الحديثة والبرامج الإلكترونية التي تحتاج إليها في العرض¹.

فقال النبي ﷺ: "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها"²، فكان مما لا بد منه الإشارة إلى بيان أهمية استخدام الوسائل التعليمية في التعلم، من خلال تقسيم المبحث

1- البزاز: عبد الله حكمت، أثر الوسائل التعليمية في إكساب بعض مفاهيم الإدراك المكاني لأطفال الرياض، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، عام 2000م، ص 120 - 121.

2- ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتاب العربي، حديث رقم (4169)، ج 2، ص 1395.

إلى ثلاثة مطالب تتعلق بأهمية استخدام الوسائل التعليمية بالنسبة للمعلم، والمتعلم، وللعملية التعليمية، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: أهمية استخدام الوسائل التعليمية للمعلم

المعلم المحور الأول في عملية التعليم، قال القلا: إنه يتطلب من المعلم أن يستخدم وسائل التعليم والإعلام، ونظم المعلومات استخداما فعالا حتى يتمكن من نقل هذا المخزون الهائل من المعلومات إلى الناشئة بوسائل تقنية عالية الفاعلية، وقليلة الكلفة¹.

واستخدام المعلم للوسائل التعليمية أهمية عظمى في مجال التعليم الشرعي، تتبين في الآتي:

- أولا: معالجة مشكلة النقص في أعداد الهيئة التدريسية في عدد من التخصصات الشرعية²، كالنقص في المعلمين المؤهلين لتعليم علم الفرائض.
- ثانيا: توجيه الطلاب ومساعدتهم في تنويع خبرتهم، وتنمية قدرتهم على التفكير العلمي، والابتكار والكشف عن كل ما هو جديد³، بتعلم علم المنطق مثلا.
- ثالثا: سهولة وسرعة تدريب أكبر عدد من المتعلمين في نفس الوقت؛ لتعدد الوسائل التعليمية باستخدام الأجهزة الحديثة⁴.
- رابعا: إمكانية الإشراف على أعداد المتعلمين عن بعد وتوجيههم⁵.

المطلب الثاني: أهمية استخدام الوسائل التعليمية للمتعلم

المتعلم المحور الثاني في العملية التعليمية، واستخدامه للوسائل التعليمية بالغ الأهمية في التعليم الشرعي، ويظهر في الآتي:

- أولا: الوسيلة التعليمية تهئ للمتعلم بيئة تعليمية تقلل من تشتته وعدم انتباهه، مقارنة بالعملية التعليمية العادية (التقليدية) وذلك بسبب المؤثرات المختلفة التي تسيطر على العملية التعليمية⁶.
- ثانيا: مراعاة الوسائل التعليمية الحديثة للفوارق الفردية بين المتعلمين، فيتخير المتعلم ما يناسبه من تلك الوسائل التعليمية⁷.

1- القلا: فخر الدين، دراسة ميدانية لاستخدام الفيديو في القطر العربي السوري، مجلة المعلم العربي، وزارة التربية، دمشق، العدد الثاني، عام 1983م، ص 2.

2- الطريح: سام، التعلم عن بعد والتعلم الإلكتروني - التجربة العربية، شركة الكتاب للنشر والتوزيع، الكويت، عام 2004م، ص.

3- حسن: محمد صديق محمد، التعليم الذاتي والوسائل التعليمية، مجلة التربية، قطر، العدد 113، عام 1995م، ص 76.

4- البراز، أثر الوسائل التعليمية في إكساب بعض مفاهيم الإدراك المكاني لأطفال الرياض، ص 120 - 121.

5- البراز، أثر الوسائل التعليمية في إكساب بعض مفاهيم الإدراك المكاني لأطفال الرياض، ص 36.

6- حسن، التعليم الذاتي والوسائل التعليمية، ص 76.

7- العريني: عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات حديثة في تقنية التعليم، رسالة الخليج العربي، السعودية، عام 1989، ص 172.

- ثالثاً: الوسيلة التعليمية تنمي لدى المتعلم حب الاستطلاع، وتخلق في نفسه رغبة التحصيل والمثابرة على التعلم بشوق، مستعملاً حواسه بالطريقة التي تناسبه¹.
- رابعاً: الوسيلة التعليمية تعدل سلوك المتعلمين، وتنمي الاتجاهات العلمية لديهم.
- خامساً: الوسيلة التعليمية تساعد على الإلمام بجميع مجالات المعرفة المختلفة.
- سادساً: الوسيلة التعليمية ترتب أفكار المتعلمين، وتنمي قدراتهم.

المطلب الثالث: أهمية استخدام الوسائل التعليمية في العملية التعليمية

الوسيلة التعليمية المحور الثالث للعملية التعليمية، لكونها الأداة التي تخرج من خلالها المادة التعليمية لتكون أكثر حيوية وواقعية، وأهمية استخدام الوسائل التعليمية في التعليم الشرعي، وتتضح في الآتي:

- أولاً: مراقبة تطور المتعلمين، وتصحيح مسارهم الخاطئ².
- ثانياً: تحول العملية التعليمية إلى متعة، وتعطي المتعلم شيئاً من الحرية في التعليم³.
- ثالثاً: أنها أداة لحفظ المعلومات بصورة دقيقة، والرجوع إليها مرة أخرى.
- رابعاً: الرقي بالعملية التعليمية، من خلال الحوافز التي تعطى للهيئة التدريسية، لترتقي بالأساليب التي تستخدمها في التعليم، من خلالها إعداد أفضل الوسائل التعليمية، التي تحفز المتعلم على طلب العلم والرقي به في المجال التعليمي.
- خامساً: الوسيلة التعليمية تساعد في رسوخ المعلومة في ذهن المتعلم، وتجذب انتباهه⁴.
- سادساً: الوسيلة التعليمية توضح الفكرة للمتعلم بأسرع مما لو عرضت الفكرة عن طريق الكلام المجرد.

المبحث الرابع: معيقات استخدام الوسائل التعليمية الحديثة

فمما سبق بيانه لأنواع الوسائل التعليمية القديمة منها والحديثة، وما يرتبط بهما من أهمية في العملية التعليمية بالنسبة للمعلم والمتعلم ضمن التعليم الشرعي، إلا أنه يظهر مع ذلك كله عدداً من المعوقات التي تحول دون الاستفادة من الوسائل التعليمية بشكل كامل لتطویر سبل التعليم الشرعي والارتقاء به في شتى مجالاته، من جل تحقيق الغاية المرجوة منه والمتمثلة في قول النبي ﷺ: "نصر الله امرأً سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس

1- كلش: مرهان، أثر الوسائل التعليمية في إكساب بعض مفاهيم الإدراك المكاني لأطفال الرياض، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، عام 2000م، ص 53.

2- العربي، اتجاهات حديثة في تقنية التعليم، ص 172.

3- العربي، اتجاهات حديثة في تقنية التعليم، ص 172.

4- البراز، أثر الوسائل التعليمية في إكساب بعض مفاهيم الإدراك المكاني لأطفال الرياض، ص 120 - 121.

بفقيهه، ورب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه”¹، ومن تلك المعوقات ما يلي:

- أولاً: النقص الواضح من حيث وجود الاستعدادات المناسبة لاستخدام الوسائل التعليمية في الميادين التعليمية².
- ثانياً: عدم القدرة على التعامل مع الوسائل التعليمية الحديثة من قبل المتعلمين.
- ثالثاً: صعوبة إعداد البرامج التعليمية المرتبطة بالوسائل التعليمية الحديثة بما يتناسب مع طبعة كل تخصص من التخصصات.
- رابعاً: عدم إمكانية توفير الأجهزة الحديثة والبرامج التعليمية في جميع المراكز التعليمية كالجوامع والمعاهد والمدارس؛ للكلفة العالية لذلك.
- خامساً: خشية بعض المعلمين من إخفاقهم جراء استخدامهم للبرامج التعليمية الحديثة أمام طلابهم³.
- سادساً: قلة الدورات التدريبية وورش العمل التي تعنى بالمعلمين في مجال تأهيلهم لاستخدام الوسائل التعليمية الحديثة⁴.
- سابعاً: غياب الارتياح المهني للعديد من المعلمين ونقص أدائهم بسبب تدني ميولهم الشخصي واستعداداتهم الذاتية تجاه مهنة التدريس، وبذلك يصعب الربط الوثيق بين الارتياح المهني من جانب، وبين استخدامه السليم للأساليب الحديثة ضمن الوسائل التعليمية الحديثة في التعليم لتحسن أدائه من جانب آخر⁵.

النتائج

- أولاً: الوسائل التعليمية الحديثة هي أداة بيئة التعليم والتعلم الإلكتروني بجميع وسائله، المرئية والمسموعة والمكتوبة.
- ثانياً: الوسائل التعليمية تنمي الاتجاهات الفكرية لدى المتعلم، مما تبعث فيه روح التجديد في استخدام أفضل الوسائل التعليمية للارتقاء في توصيل المعلومة بأيسر الطرق وأسهلها.
- ثالثاً: تدعيم مراكز مصادر المعلومات وتزويدها بالمواد التعليمية اللازمة والفنيين المختصين.
- رابعاً: تشجيع المعلمين على التخلي عن أساليب التعليم التقليدية في العملية التعليمية بقدر الإمكان، والتوجه نحو الأساليب الحديثة باستخدام وسائلها.

1- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (21590)، ج 35، ص 467.

2- كلش: مرهان، أثر الوسائل التعليمية في إكساب بعض مفاهيم الإدراك المكاني لأطفال الرياض، ص 54.

3- الفريج: سعاد عبد العزيز، التعلم عن بعد ودوره في تنمية المرأة العربية، ورقة بحثية لمنتدى المرأة العربية والعلوم والتكنولوجيا، القاهرة، عام 2005م، ص 163.

4- الفريج، التعلم عن بعد ودوره في تنمية المرأة العربية، ص 163.

5- الفريج، التعلم عن بعد ودوره في تنمية المرأة العربية، ص 165.

التوصيات

- أولاً: إقامة الندوات والدورات التأهيلية للمعلمين للتعرف على كل ما يستجد من وسائل تعليمية حديثة، وطرق التعامل معها.
- ثانياً: توفير أعداد كافية من الأجهزة التعليمية اللازمة للمؤسسات التعليمية من جامعات ومدارس ومراكز.
- ثالثاً: وضع مواد إجبارية واختيارية يتم التعااطي في مضمونها مع التطورات العصرية التي تؤهل الخريجين للتعامل مع والتطور العصري.
- رابعاً: وضع الحوافز المشجعة على ابتكار البرامج التعليمية في مختلف التخصصات.

المراجع

1. البزاز: عبد الله حكمت، أثر الوسائل التعليمية في إكساب بعض مفاهيم الإدراك المكاني لأطفال الرياض، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، عام 2000م.
2. البقاعي: إبراهيم بن عمرو بن حسن، مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، عام 1408هـ - 1987م.
3. الحمروني: مصباح أبو القاسم فرج، أثر الوسائل التعليمية في تطوير العملية التعليمية في رياض الأطفال، المجلة الليبية للدراسات، دار الزاوية، عام 2014م.
4. الطريح: سالم، التعلم عن بعد والتعلم الإلكتروني - التجربة العربية، شركة الكتاب للنشر والتوزيع، الكويت، عام 2004م.
5. عبد الكريم: سعد خليفة، أثر أساليب التدريس الحديثة على الارتياح المهني والاداء لدى معلمي العلوم، مجلة التربية العلمية، مصر، العدد الخامس، عام 2010م.
6. العريني: عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات حديثة في تقنية التعليم، رسالة الخليج العربي، السعودية، عام 1989.
7. القلا: فخر الدين، تقنيات التعليم والوسائل التعليمية، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الخامسة، عام 1994م.
8. القلا: فخر الدين، دراسة ميدانية لاستخدام الفيديو في القطر العربي السوري، مجلة المعلم العربي، وزارة التربية، دمشق، العدد الثاني، عام 1983م.
9. كلش: مرهان، أثر الوسائل التعليمية في إكساب بعض مفاهيم الإدراك المكاني لأطفال الرياض، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، عام 2000م.
10. وليم بلات، التعليم بواسطة تلفزيون القمر الصناعي في الدول النامية، التربية الجديدة المجلد الأول، العدد الثالث، عام 1974.



العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة وأهميتها لطالب العلم الشرعي



إعداد:
لين رياض دويكات*

*المؤهل العلمي: بكالوريوس فقه وتشريع جامعة النجاح الوطنية
العمل الحالي: محامية شرعية تحت التدريب

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين من بعث معلما وهاديا للناس كافة، ”وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا“ ﴿سبأ/ 28﴾، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين، أما بعد،

تهدف هذه الدراسة الى بيان أهمية الربط بين تخصصات العلم الشرعي والعلوم الاجتماعية والإنسانية، والدمج المعرفي بينهم وفق منهجية علمية قائمة على التجديد في عقلية طالب العلوم الشرعية على وجه الخصوص وطالب العلوم الاجتماعية والإنسانية على وجه العموم، ضمن ما يعرف ”بالتكامل المعرفي المنهجي“ الذي سيساهم في رفع درجة الوعي المجتمعي، والقدرة على الإلمام بالقضايا والقيم والمعايير في مواجهة ما يتجدد في المجتمع من قضايا وأحداث، وهو ما سيكون محور ورقة البحث والدراسة، من خلال التعريف بالعلوم الشرعية والاجتماعية والإنسانية كمصطلحات، وأهميتها كعلوم دينوية تتكامل مع العلوم الدينية، وأهميتها لطالب العلم الشرعي التي ستمكنه بأن يكون على إطلاع واسع وبعقلية منفتحة وجديدة على العلوم الأخرى، وكيفية تطوير ودمج هذه العلوم مع العلوم الشرعية للخروج بنتائج أفضل وبعقليات أكثر وعيا، والخروج من حالة الجمود والاقتصار على العلوم الشرعية والتي هي علوم أساسية، ولكن بحاجة لتدعيم من علوم ثانوية تشكل لدى طالب العلم الشرعي رؤية جديدة وتصورا أفضل لواقعه ومجتمعهم، مما يساهم في حل الكثير من المشكلات والتعقيدات التي قد تواجهه نتيجة عدم معرفة مسبقة بهذا الواقع واحتياجاته.

المبحث الأول: المقصود بالعلوم الشرعية والإنسانية والاجتماعية

تعرف العلوم الشرعية بأنها: العلوم التي تقوم بتدريس كل ما يتعلق بالشريعة الإسلامية كفقهاء العبادات، والمعاملات، وعلم تفسير القرآن الكريم، والعقيدة الإسلامية، وعلم الحديث النبوي الشريف، وعلم القراءات وأحكام التجويد⁽¹⁾، وأيضا ما سنّه الله لعباده من أحكام عقائدية أو عملية أو خلقية. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ (المائدة/ 48). هذا وفي العصر الحديث شاع استخدام لفظ الشريعة على ما شرعه الله من أحكام عملية، وبهذا العرف المستحدث أطلقوا على الكليات التي تعنى بدراسة الفروع بما تشمله من أحكام وفتاوى

1- 1- مشعل، طلال، ”فوائد العلم الشرعي“، موضوع كوم، 4-يونيو 2015-.

84%D8%A3%D9%A8%D8%A7%D9%8A%D8%A9_%D8%B7%D9%85%D9%87%D9%http://mawdoo3.com/%D8%A3%D9%8A%D8%B4%D8%B1%D8%B9%D9%D8%A7%D9%_85%D9%D8%B9%D9

بدراسة علم النفس والفنون والتاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد السياسي والجغرافيا السياسية، للخروج بنتائج خاضعة للنقد والتحليل الذاتي والموضوعي، من أجل محاولة الوصول إلى الحقيقة أو الاقتراب منها على الأقل، ومع التقدم العلمي والمعرفي البشري ازداد اهتمام المشتغلين بالعلوم الإنسانية على العمل أكثر في المساحات المشتركة بين العلوم، حيث يهتم العلماء في الوقت الحالي بدراسة التاريخ الاجتماعي، أو التاريخ الاقتصادي، وذلك يشير إلى أهمية التكامل المعرفي المنهجي بين التخصصات العلمية، ومن ذلك العلوم الشرعية وأهمية تكاملها مع العلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك بعد بيان أهمية كل علم على حدة، والأهمية التكاملية التي تتحقق بدمج هذه العلوم معاً، لطالب العلم الشرعي.

وقد أخذت بعض المصطلحات موقِعاً أثيراً في الكتابات الفكرية والثقافية، ويشيع استعمالها دون أن يتمَّ تحديد دلالاتها بصورة واضحة. ولذلك ليس من الغريب أن تجد المصطلح يُستخدم بدلالاتٍ مختلفة، وربما متناقضة. ولعلَّ هذا هو الحال مع مصطلح التكامل المعرفي. ذلك أنَّ المصطلح يُستخدم في كثير من الأحيان ليعني أنَّ شخصاً ما موسوعيٌّ في معرفته وثقافته؛ لأنَّه يُلمُّ بكثير من العلوم، ولو كان إمامه من باب الثقافة العامة وليس المعرفة التخصصية. وفي هذا السياق يجري التَّنويهُ ببعض العلماء المسلمين الذي اتصفوا بالتكامل المعرفي، بمعنى الموسوعية، في اللغة والأدب، والفقه، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، والتاريخ، وربما الفلك، أو الطب، أو الرياضيات. فالإمام الطبري مثلاً هو مفسِّرٌ ومؤرِّخٌ، وفقه، وعالمٌ لغَةٌ وشعر.

وابنُ تيمية كَتَبَ في الفقه والأصول والسنة والتصوف والمنطق. وهكذا. ولا شكَّ في أنَّ ظاهرة الإبداع في أكثر من علمٍ واحد، كانت صفةً مميزة لكثير من علماء المسلمين، لكنَّ هذه الظاهرة كانت أيضاً معروفةً عند العلماء والمفكرين والفلاسفة الأقدمين بصورة عامة في الحضارة اليونانية وغيرها. وربما كانت ظاهرةً التخصص في علم واحد والتفرُّغ له ظاهرةً حديثة في التاريخ الإنساني، بسبب التوسُّع الكبير الذي طرأ على المعرفة البشرية؛ حتى أصبح من غير الميسور على العالم الواحد أن يتخصَّص في أكثر من علم، بل إنَّ العلم الواحد قد تجرَّأ إلى علوم فرعية لا يكاد العالم يتقن واحداً من هذه الأجزاء.

وفي حوالي منتصف القرن العشرين لاحظ اللورد البريطاني "س. ب. سنو" الفجوة في القدرة على التواصل بين من يتخصصون في العلوم الإنسانية ومن يتخصصون في العلوم الطبيعية والتطبيقية، حتى إنَّه وصف كلَّ فئة من الفئتين بأنَّها تملك ثقافةً خاصة بها، لا علاقة لها بالثقافة الأخرى. وكتب تقريره المعروف "الثقافتان: two cultures the" داعياً إلى التكامل

بين الثقافتين .

ومن قديم كان الحكماء والعلماء يتحدثون عن التكامل بين العلم والعمل. وأكد ابن رشد إمكانية الاتصال بين "الحكمة والشريعة"، وأكد ابن تيمية على التكامل و"درء التعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول"، ثم جاءت محاولات بناء التكامل بين المبادئ والنظريات والبحوث العلمية من جهة وتطبيقاتها العملية من جهة أخرى. وظهرت في مطلع القرن العشرين حاجة الفيزياء إلى الرياضيات، وحاجة البيولوجيا إلى الكيمياء، فظهرت العلوم البينية التي تؤكد اعتماد التطور والتقدم في علم من العلوم على علم آخر أو علوم أخرى. كما طرحت أفكار عديدة حول التكامل بين العلم والدين، وفي التربية والتعليم اعتمد التكامل واحداً من المداخل المهمة في بناء المناهج التعليمية. ثم طرأت الحاجة إلى أفكار الجمع والتكامل بين الأصالة والمعاصرة...

ونظراً لتعدد مفاهيم الوحدة والتكامل بين العلوم وارتباطها بمرجعيات ميتافيزيقية، فإن هذه المفاهيم يصاحبها في كثير من الأحيان قدر من التشويش بصورة لا تتحقق من ورائها أغراض عملية مهمة. وربما يكون مصطلح التكامل أكثر وضوحاً في دلالاته من مصطلح الوحدة، وبخاصة إذا كان التكامل يعني أن علماً معيناً يحتاج إلى أن يتكامل مع علم آخر أو أكثر، من أجل تطويره وتقديمه؛ أو يعني حاجة الإنسان في فهمه لعلم معين إلى علوم أخرى تعين في تحقيق هذا الفهم. وتبدو مسألة التكامل في هذه الحالة أكثر وضوحاً، ويكون المفهوم مفتوحاً بحيث تضاف إليه أبعاد جديدة كلما لزم. فمثلاً يسهل القول بضرورة تكامل جهود العلماء من التخصص العلمي نفسه، الذين يسعون إلى حل مشكلة علمية معينة وتحقيق إنجاز فيها. ويكون التكامل هنا منصباً على اجتماع الجهود الفردية للعلماء؛ لبناء رؤية جماعية أكثر عمقاً واتساعاً وموضوعية، مما يعين في تحقيق إنجاز ملموس، ويسهل أمر قبوله والاعتراف به من (الجماعة العلمية). ومثال ذلك ما ذكره محمد عبد السلام في خطاب تسلمه لجائزة نوبل في الفيزياء عام 1979؛ إذ ذكر أسماء أكثر من خمسين عالماً في مجال البحث المتخصص في الفيزياء الذي حصل فيه على الجائزة. وقد أشار إلى أن هؤلاء العلماء بنوا على أعمال بعضهم بعضاً وتحاوروا واختلفوا واتفقوا، وقد جرب بعضهم مقولات الآخرين واختبرها، قبل أن يصل عبد السلام وزملائه إلى نظريتهم في توحيد القوى.

وقد يعني التكامل المعرفي تكامل جهود العلماء من تخصصات مختلفة، ولكنها ضرورية لمعالجة مشكلة معينة، وبخاصة في القضايا الإستراتيجية الكبيرة والتطوير العلمي والتكنولوجي المعاصر في مجالات مثل الطب، وقد يتعلق أحد الجوانب الأساسية في هذا النوع من التكامل بإدارة المشروع العلمي وتنظيم أدوار العاملين فيه، لتوفير المعلومة الضرورية لكل خطوة من خطوات المشروع وفي

الوقت المناسب، إضافة إلى مواجهة الطوارئ والمستجدات.

ويمكن التوسع في بيان صور التكامل ليتضمن ذلك تكامل جهود العلماء في الأجيال المختلفة، بحيث يبني كل جيل على خبرة الجيل الذي سبقه، حتى إنه ليصعب تصور تحقيق إنجازات جيل لاحق لو لم يعتمد على إنجازات الجيل السابق. وكذلك الأمر في تكامل جهود الشعوب والأمم؛ إذ ينبئنا التاريخ أنّ حضارة أمةٍ كانت في الغالب نتيجة التفاعل والاستيعاب والاقتراض الثقافي والحضاري من الأمم الأخرى، المعاصرة لها أو السابقة عليها. وفي هذا المجال يرى أبو الوليد ابن رشد أنّه يلزم الاستعانة ببعض العطاء الفكري والعلمي الذي توصل إليه اليونانيون، وأنّ كونهم وثنيين لا يمنع من الانتفاع بالحقائق العلمية التي كشفوا عنها، وذلك حتى نوفّر على أنفسنا كثيراً من الجهود، ونبدأ من حيث انتهى الآخرون. وليس من السهل على فرد واحد، أو جيل واحد، أو أمة واحدة، أن تحصّل كلّ ما يلزم لبناء العمران البشري. ويلفظ ابن رشد: إنّهُ "عسيراً أو غير ممكن أن يقف واحد من الناس من تلقائه على جميع ما يحتاج إليه من ذلك". فإنّ التكامل بين العلوم المختلفة لا يعني أنّها جميعاً في مرتبة واحدة من حيث علاقتها بالحقيقة أو من حيث أهميتها وأولويتها. فتكامل أعضاء الجسم البشري في أدائها لوظائفها لا تجعل أطراف الجسم في أهمية القلب أو الدماغ مثلاً، ولكن بحاجة لبعضها البعض حتى تقوم بوظائفها على أكل وجه⁽¹⁾. وعليه يمكن تعريف التكامل المعرفي بأنه: الإلمام بعلوم متعددة في مقابل الاقتصار على الاختصاص الدقيق، وفي العموم تعنى حاجة العلوم بعضها إلى بعض في نمو العلم وتقدمه من جهة، أو في تطبيقه وتوظيف مبادئه عملياً من جهة ثانية⁽²⁾، وهذه من مفاهيم التكامل المعرفي وهو محور هذه الورقة البحثية.

المبحث الثاني: أهمية العلوم الشرعية وتكاملها مع العلوم الإنسانية والاجتماعية.

أهمية العلوم الشرعية: لعله من نافلة القول لدينا كمسلمين، إن العلوم الشرعية من أفضل العلوم وأشرفها، وذلك لا نشرف العلوم من شرف المعلوم، وهي علوم متعلقة بكتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم، ويدلنا على ذلك حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب

1- 6ملاكو، فتحي، "مفاهيم في التكامل المعرفي"، 2013.

85-%8A%D9%87%D9%81%D8%A7%D9%85%D9%http://iitjordan.org/index.php/component/k2/item/316-%D9
85%D%84%D9%84-%D8%A7%D9%85%D9%83%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%A7%D9%81%D9%D9

8A#.WZs0afgjHIU%81%D9%8B%D8%B1%D9

2- 7ملاكو، فتحي، "منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية"، (ص:291).

العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر⁽¹⁾، فهي تزيد من إيمان الفرد وتوثق علاقته بالله سبحانه وتعالى، وهو سبب لنيل رضا الله سبحانه وتعالى، وتبين أهمية هذا العلم من خلال أن طالب العلم الشرعي دائما في موضع السؤال والاستفسار من الناس حول قضايا حياتها الدينية والدنيوية لمعرفة الحكم الشرعي في الإشكالات التي تواجههم⁽²⁾، وتعتبر تخصصات العلم الشرعي من فقه وحديث وتفسير والاقتصاد الإسلامي التي ظهرت حديثا، مهمة جدا لطالب العلم الشرعي، حيث أن التكامل في هذه المواضيع يجعل طالب العلم الشرعي على إطلاع شامل بالمواضيع المستجدة بالفقه والحديث والمقاصد وعلم النفس والاجتماع... الخ، في كل مواضيع الشريعة الإسلامية للخروج بأحكام صحيحة لمعالجة القضايا المستجدة بالعصر من هنا تبرز أهمية العلوم الشرعية في الحياة الدنيوية والدينية للناس فلا تكاد تخلو أي مواضيع في الحياة ولا تكون متعلقة بالعلوم الشرعية بكافة تخصصاتها من معرفة أحكام من حيث الحل والحرمة وماذا يترتب على أفعالهم وأقوالهم من أحكام، وعلى ذلك لا بد أن يكون طالب العلم الشرعي على قدر عال من المعرفة والشمولية وخصوصا في القضايا والمواضيع التي تتعلق بحياة الأفراد والمجتمع من حوله.

أهمية العلوم الإنسانية والاجتماعية: تساعد العلوم الإنسانية على إعطاء تصور سليم وحقيقي بالنسيج الإنساني والمجتمعي العام، وتركيباته الفطرية التي تساعد على زيادة الالتفاف حول القواسم المشتركة بين المواضيع للانطلاق نحو البناء والتنمية المجتمعية، يفهم الفرد الإنساني على أنه جزء من منظومة مركبة، لا بد أن يتماشي معها لإحداث أثر طيب وفاعل في مجتمعه، إعطاء الإنسان وعي بتركيبته البشرية وحاجتها إلى التلاؤم مع المكونات الأخرى للكون والحياة، وأنه لا بد من وجود تناغم جيد مع هذه المكونات⁽³⁾، أهمية العلوم الاجتماعية تكمن بأنها تعمل على رفع المستوى الذهني والفكري لدى أفراد المجتمع، وتزويد الفرد بمواقف واتجاهات سلوكية تعمل على إيجاد مجتمع قادر على الارتقاء بذاته والتكيف مع المستجدات والتغيرات المعاصرة،

1- أبو داود، "السنن"، (317/3).

2- مشعل، طلال، "فوائد العلم الشرعي"، موضوع كوم، 24 يوليو 2016م.

D%85%84%D9%84%D8%B9%D9%88%D8%A7%D8%A6%D8%AF_%D8%A7%D9%81%D9%http://mawdoo3.com/%D9
8A%84%D8%B4%D8%B1%D8%B9%D9%8A7%D9

3- 10 أمبوعلي، يوسف، "العلوم الإنسانية ودورها في التنمية البشرية"، 15 أبريل 2011م.

http://www.alfalq.com/?p=2510

كما أنها أداة للتخطيط لعمليات التنمية البشرية والاجتماعية، تعمل على تنمية الوعي والإرادة لدى الأفراد، للتحكم في نتائج أفعاله وتحقيق أهدافه دون الإخلال بالمبادئ والمعايير والقيم المتفق عليها في المجتمع الإنساني، وبذلك تعتبر العلوم الاجتماعية كطليعة للنهضة واحداث التقدم في المجتمع، فأصبحت هذه العلوم مركز الحياة الثقافية للفرد ولها دور إيجابي في إنتاج المجتمع⁽¹⁾.

بهذا العرض الموجز لأهمية العلوم الشرعية والإنسانية والاجتماعية، يتبين أهمية كل من هذه العلوم في حياة الأفراد وتنمية المجتمع، وأنه بحاجة لهذه العلوم للتطور والتقدم ومعالجة مشكلاته، فلو نظرنا من خلال هذا الجانب لوجدنا أهمية التكاملية بين هذه العلوم مع العلوم الشرعية، وأنها قد تحقق نتائج أفضل اذا ما تم الربط بينها وبين العلوم الشرعية، في محاولة لخلق تكامل بين هذه العلوم والاستفادة من التجارب الإنسانية والاجتماعية، لفهم أكثر ووعي وإدراك بمتطلبات الفرد والمجتمع، فتكاملها مع العلوم الشرعية أصبح مطلباً مهماً وأساسياً للخروج من حالة الجمود في العلوم الشرعية، وإظهارها كعلوم حيوية تتماشى مع حياة الأفراد والمجتمع ولحدوث ذلك لابد من نظرة جديدة وتوسعية نحو تطوير المواد العلمية عبر إضافة علوم إنسانية واجتماعية، تخدم هذا التطور بشكل خاصة لطلبة العلوم الشرعية، وعامة لطلبة العلوم الإنسانية والاجتماعية.

المبحث الثالث: أهمية العلوم الإنسانية والاجتماعية لطالب العلم الشرعي وسبل تطوير التكامل المعرفي

تتمثل أهمية هذه العلوم بالنسبة لطالب العلم الشرعي، من خلال أنه على علاقة دائمة ومباشرة بالناس وقضاياهم المعاصرة في المجتمع، فهو بحاجة مستمرة للإطلاع عما يدور حوله من مستجدات تخص الأفراد والمجتمع، وذلك لا يتحقق بالاقتصار على العلوم الشرعية فقط، بل لا بد أن يكون مطلعاً على العلوم الأخرى وخاصة التي تهتم بقضايا الفرد والمجتمع، وتأكيداً لذلك تتناول ورقة البحث نماذج من عملية التكامل بين العلوم الإنسانية والاجتماعية، مع العلوم الشرعية كعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها من الأمثلة في العلوم الإنسانية والاجتماعية وعلوم التاريخ، والاقتصاد والعلوم اللغوية والجغرافيا وغيرها من التخصصات... وفي هذه الورقة العلمية سنتناول علم الاجتماع وعلم النفس كنموذج تكاملي مع العلوم الشرعية.

النموذج الأول (علم الاجتماع): هو العلم الذي يتناول دراسة المجتمع الإنساني، وعلاقة الناس

1- مصطفى، حمدي، "العلوم الاجتماعية ودورها في تنمية المجتمع"، 4 يوليو 2010م.

blog-post_8240.html/07/http://hamdisocio.blogspot.com/2010

بعضهم ببعض، وما ينتج عن هذه العلاقات من ظواهر اجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات الإنسانية، وتتغير بتغير الزمان والمكان⁽¹⁾، وتستنبط بعد كل هذه الملاحظات والمشاهدات قوانين علم الاجتماع التي تحدد مدى تقدم المجتمع وازدهاره أو تخلفه وتراجعته، وببساطة: هو علم دراسة المجتمع.

أهمية علم الاجتماع: يلعب دوراً أساسياً في تحديد الأهداف ويساعد في تحديد الوسائل التي تساعد على بلوغها، ويلعب دوراً في رسم السياسات الاجتماعية في مجتمع متغير باستمرار، حيث يقدم علم الاجتماع الخلفية الثقافية والاجتماعية والتي من خلالها يستطيع الفرد أن يفهم الصورة المتكاملة لحياة المجتمع، وفهم العلاقات الاجتماعية ويهتم بفهم القيم والسلوك الناجمة عنهما، وهو يعني التكافل الاجتماعي، ويسهم علم الاجتماع إسهاماً جوهرياً في تقدم المجتمع وفهم الناحية الشخصية للفرد، ومن خلال علم الاجتماع يستطيع الفرد أن يفهم نفسه والآخرين، ويتيح هذا الفهم للفرد مرونة إزاء المواقف الجديدة في حياته⁽²⁾.

أهمية التكامل بين علم الاجتماع والعلوم الشرعية لطالب العلم الشرعي: فهو كعلم يعتبر مساعداً للعلوم الشرعية في محاولة توطيد العلاقات بين المجتمع والمؤسسات الدينية لفهم واقع الناس ومتغيرات عصرهم، وقد يحقق هذا التكامل فهم عميق للقوانين الاجتماعية التي تحكم ظواهر المجتمع وبالتالي لا يكون طالب العلم الشرعي بمعزل عن مجتمعه ومتطلباته⁽³⁾، الاشتراك في حل المشكلات التربوية والأخلاقية والفلسفية والدينية من وجهة نظر واقعية ودينية، معرفة الدوافع السلوكية والأخلاقية للسلوك البشري، ومحاولة معرفة أسبابها ومعالجتها بناء على وجهة نظر دينية بعيدة وخصوصاً أن نظريات علم الاجتماع وضعت بناء على نظام الحياة الاجتماعية في الغرب وهذا لا يتناسب مع المجتمعات الإسلامية التي تحكم في أحكام إلى شرع ونهج رباني، وذلك ربما بحاجة لتدعيم تلك العلوم للتوصل إلى تحليلات للمشكلات التي يعاني منها المجتمع بتضافر جهود علماء العلم الشرعي والاجتماعي والإنسانية للوصول إلى حلول، فكل علم بحاجة للاستفادة من الآخر من العلوم الأخرى للخروج بنتائج أفضل للمجتمع المتكامل، من خلال الجمع بين المؤسسات الدينية والاجتماعية والاقتصادية. وتحقيق هذا التكامل يرمي إلى تخفيف

1- 12- سنجد، رانيا، "أهمية علم الاجتماع"، موضوع كوم، 10-يناير-2017م.

84%D%D8%A7%D9%_85%84%D9%8A%D8%A9_%D8%B9%D9%85%D9%87%D9%http://mawdoo3.com/%D8%A3%D9
85%D8%A7%D8%B9%8A7%D8%AC%D8%AA%D9

2- 3- حلس، موسى، "مدخل إلى علم الاجتماع"، (ص:11).

3- 14- سنجد، رانيا، "أهمية علم الاجتماع"، موضوع كوم، 10-يناير-2017م.

84%D%D8%A7%D9%_85%84%D9%8A%D8%A9_%D8%B9%D9%85%D9%87%D9%http://mawdoo3.com/%D8%A3%D9
85%D8%A7%D8%B9%8A7%D8%AC%D8%AA%D9

مجتمعه وكيفية تفكيرهم وتقديم الحلول المناسبة لهم من خلال فهم نفسيات الأفراد، ولكن لا بد لضوابط لهذه العلاقة التكاملية كلا الطرفين، ومن ذلك الإلمام الواسع بالتراث الإسلامي، والإطلاع على علم النفس المعاصر، وعدم التعجيل بتأصيل مبادئ علم النفس دون فهمه جيداً، حتى نستطيع إيجاد نقاط الاختلاف والاتفاق بينها كعلوم حيوية، وأن لا نحاول إقصاء علم واستبقاء آخر، وإنما هما علمان متكاملان يسيران جنباً إلى جنب لتحقيق هدف واحد مشترك، وهو فهم السلوك الإنساني والتأثيرات التي تؤثر عليه للخروج بحلول وسطية من هذه المشكلات بناء علم نفسي وديني متكامل يفهم طبيعة النفس البشرية واحتياجاته، وأحوج ما يكون لهذا العلم هو طالب العلم الشرعي الذي هو على احتكاك دائم ومباشر بالناس من كافة الأعمار والتفكير المختلف الذي يجب عليه فهمها ومعرفة كيفية التعامل معها حتى يستطيع مساعدته، فالعلم النظري قد يخلق تمام في التطبيق الواقعي فلا بد لطالب العلم الشرعي أن يكون من مجتمعه ويفهم متطلباته حتى لا يقع بالضيق والحرج عندما يأتي في مواجهة مع الواقع العملي، الذي قد يكون مختلف تمام عن الواقع النظري، فنحن بحاجة لنوع من التغيير والتطوير، للخروج من حالة الركود والانحسار على العلوم الشرعية التي هي علوم صالحة لكل زمان ومكان ولكل بحاجة لمعرفة واقع المكان والزمان الذي نعيشه حتى تكون الأحكام متكيفة مع مستجدات العصر.

سبل تطوير التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية والإنسانية والاجتماعية:

من أجل تحقيق تقدم في عملية التكامل بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية الأخرى، لا بد من اتخاذ بعض الخطوات لإنجاز هذا الأمر، ومن ذلك:

1. تفعيل التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية، والإنسانية والاجتماعية عن طريق دمج بعض من مساقات تدرس في كليات العلم الاجتماعي والإنساني والشرعي مع الخطط الدراسية لكل علم وحبذا لو تكون هناك بعض المساقات المشتركة لتفعيل التواصل والاستفادة من كل العلوم بين الطلاب.
2. عقد ورش عمل وندوات مع طلبة تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية، وإطلاع طلبة العلم الشرعي على المستجدات المعاصرة في المجتمع ودراساتها من ناحية شرعية دينية واجتماعية.
3. عمل مواقع إلكترونية متخصصة لمناقشة المواضيع والقضايا المجتمعية والإنسانية المعاصرة، يضم أفراد الهيئة التدريسية وطلاباً وباحثين متخصصين بالعلوم الشرعية والاجتماعية والإنسانية وعاملين في المجتمع، ومن أبناء المجتمع نفسه، كموقع يقدم خدمات تعليمية واستشارية وتربوية هدفه الاستفادة من التجارب الإنسانية وتطويرها

للمستقبل .

4. توطيد العلاقات بين مؤسسات المجتمع المدني والتربوية والمؤسسات الدينية، مع كليات العلوم الشرعية، عن طريق طرح مشروع كخدمة مجتمعية أو تدريبية ضمن هذه المؤسسات وفق جدول زمني محدد يطلع فيه طالب العلم الشرعي عن قرب على مجتمعه ونمط حياة الأفراد .

5. من الممكن تطبيق هذا التكامل كنموذج يحتذى به في كليات العلوم الشرعية الأخرى بين تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية، وتطبيقه كنموذج في جامعة النجاح الوطنية في فلسطين، في تخصصات علم الاجتماع وعلم النفس، من خلال طرح مساق يحمل اسم علم الاجتماع الديني لطلبة العلوم الاجتماعية كمساق اختياري، من الممكن تطويره كي يكون مساقاً مشتركاً بين كليات العلوم الشرعية والاجتماعية.

6. إنَّ على التعليم الجامعي أن يوضح للطلبة أنَّ الخريجين الذين سيعملون في المهن المختلفة في العقود التي أمامهم من مطلع القرن الحادي والعشرين، لن تكفي فيها وفرة المعلومات. فقد أصبح الحصول على المعلومات ميسراً، وسوف يصبح أكثر يسراً مع تزايد اتجاهات عولمة التعليم العالي. ”إننا نغرق في المعلومات ونموت جوعاً إلى الحكمة.“
وعندها ستكون الحاجة إلى نوع آخر من المهارة والكفاءة. التي ستتحقق من خلال التكامل المعرفي بين العلوم حيث أنها ستوفر التركيب والتأليف بين المعلومات المطلوبة في الوقت المطلوب، والتفكير النقدي فيها، ووزن البدائل المحتملة، وعمل الاختيارات الحكيمة من خلال تحقيق التكامل المعرفي بين العلوم.

ونتيجة لتحقيق التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية والإنسانية والاجتماعية: عندما تُبذل الجهود الكافية وتتوافر الإرادة المطلوبة للتعامل مع العلوم الإنسانية والاجتماعية والشرعية، على أساس إبراز التكاملية المعرفية بينها في برامج التعليم، فسوف تجد الجامعات نفسها بحاجة ماسة إلى إعادة تصميم برامجها، بحيث يكون المتخصص في المجالات العلمية مثلاً أكثر قدرة على اتخاذ قرارات حكيمة في بحثه في قضايا العلوم الأخرى وفي تصميمه لتطبيقاتها في الأعمال والخدمات، وبحيث يكون المتخصص في العلوم الإنسانية والاجتماعية قادراً على المشاركة الواعية في الاختيار الحكيم واتخاذ الموقف إزاء قضايا مجتمعه ذات علاقة بالعلوم الأخرى وذلك لا يقل أهمية لطالب العلم الشرعي.

وسوف تقفز بعض التخصصات وبعض الحقول المعرفية، وبخاصة تلك المتعلقة بطبيعة الفكر الإنساني، وتاريخ العلوم، والاقتراض الثقافي، وطبيعة القيم، ومبادئ الأخلاق، وعلم الجمال، وأنماط التنمية البيئية والبشرية، والأديان المقارنة، وغيرها من الموضوعات، التي تطرح

أسئلةً جوهرية حول الوجود الإنساني: أصله وصورته ومصيره، إلى دائرة الاهتمام والنظر في تصميم البرامج والمناهج الدراسية التي كطالب علم شرعي يجب أن يكون على إطلاع واسع بها. إن مهمة تكامل العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الطبيعية الشرعية ليست مهمة سهلة بالتأكيد. ولكن كم من المهام البالغة الصعوبة أمكن تذليلها؟ لقد أصبحت العمليات الجراحية في القلب المفتوح، وتحديد خريطة المورثات البشرية، إجراءات روتينية، مع أنها مهمات في غاية الصعوبة من حيث طبيعة المعارف اللازمة لإتقان مهاراتها، وحجم الجهود المتكاثفة والمتكاملة لتنفيذها، والأموال اللازمة للإنفاق عليها. وقد تمَّ ذلك لإن إدارة حازمة كانت وراءها، وعلماء يمتلكون الكفاءة تفرغوا لها، ومعرفة عميقة بأهمية هذا التكامل المعرفي الذي سيحصل بين العلوم المختلفة⁽¹⁾.

المراجع الخاصة

1. _حلس، موسى، "مدخل إلى علم الاجتماع"، ط1، مكتبة ومطبعة دار المنارة، -غزة، 2003م.
2. _ملكاوي، فتحي حسن، "منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية"، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2016م.
3. _أبوعلي، يوسف، "العلوم الإنسانية ودورها في التنمية الموارد البشرية"، -15 أبريل 2011م. <http://www.alfalq.com/?p=2510>
4. _سنجق، رانيا، "أهمية علم الاجتماع"، موضوع كوم، -10 يناير 2017م.
5. _شحاتة، عبد المنعم، "دورة بين علوم الشريعة والعلوم الاجتماعية والإنسانية والكونية"، -19 يونيو 2012م. <http://arabic.iiit.org/Default.aspx?tabid=71&articleType=ArticleView&articleId=88>
6. _عبد المجيد، حنان، "دورة بين علوم الشريعة والعلوم الاجتماعية والإنسانية والكونية"، -19 يونيو 2012م. <http://arabic.iiit.org/Default.aspx?tabid=71&articleType=ArticleView&articleId=88>
7. _لحدوا، ساندرا، "أهمية علم النفس"، موضوع كوم، -24 أغسطس 2016م.
8. _مشعل، طلال، "فوائد العلم الشرعي"، موضوع كوم، -24 يوليو 2016م.
9. _مصطفى، حمدي، "العلوم الاجتماعية ودورها في تنمية المجتمع"، -4 يوليو 2010م. http://hamdisocio.blog-post_8240.html/07/blogspot.com/2010
10. - ملكاوي، فتحي حسن، "مفاهيم التكامل المعرفي"، المركز العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 2013.

19- ملكاوي، فتحي، "مفاهيم في التكامل المعرفي"، 2013.



(تطوير مناهج التعليم الشرعي والخطط الدراسية لكليات الشريعة)



أ. ماجد طقر*

* ماجستير إدارة تربية - جامعة بيرزيت 2004. بكالوريوس تربية إسلامية - جامعة القدس المفتوحة 2002. دبلوم محاسبة - كلية الأمة 1987.
حاليا مدير دائرة إعداد الدعاة في وزارة الأوقاف الفلسطينية .
2007 مدير أوقاف محافظة رام الله والبيرة
الكتابة في العديد من المجلات والصحف اليومية / وتأليف مجموعة من الكتب منها كتاب المرأة بين الفهم المغلوط وظلم الموروث، وكتاب الرحمة في الإسلام، وكتاب مفاهيم ينبغي أن تصحح، وكتاب رحمة الموت وأحوال القبر، وكتاب نهضة الأمة بين الواقع والمأمول.
المشاركة في العديد من المؤتمرات الدولية، وتقديم أوراق بحثية.

المقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على أنبيائه الذين اصطفى،،،

في البداية نشكر الإخوة القائمين على هذا المؤتمر وعلى هذه الجهود الطيبة وخاصة في إختيار مواضيع هامة تعمل على تطوير المجتمع وتطوير الجانب التعليمي فيه لما لذلك من أثر على نهضة الأمة، فنهوض الأمة ورفيها معقود بصحة التعليم وجودة التربية لتصحو من كبوتها ولتعود لسابق عزاها في قيادة الأمم. إن تطوير التعليم أصبح ضرورة تفرضها متغيرات الحاضر والمستقبل، وذلك نظراً لأهمية التعليم في تربية النشء، وإعداد الأجيال لخدمة الأمة والوطن، وخصوصاً التعليم الشرعي لما له من تأثير على بناء الشخصية المستقيمة البناءة في المجتمع، ونرى ذلك جلياً في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما ربي جيلاً فريداً فحولهم من رعاة أغنام الى رعاة أمم، ومن مجتمع أمي الى مجتمع يصدر العلم للأخرين، وما كان ذلك الا بالتعليم الذي بدأ الاهتمام به منذ بداية دعوة الاسلام بقوله تعالى: (اقرأ...1)، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)2 وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تعليم الصحابة يبرز في تعليم عشرة من الصحابة في فداء كل مشرك من أسرى بدر، فالتعليم كان من أوامر الدين الأولى فأهتم المسلمون بالتعليم - بشكل عام - وبالتعليم الشرعي - بشكل خاص - المبني على فهم معاني الدين الحقيقية من عبادات ومعاملات وأخلاق وقيم ونهوض بالمجتمع.

ونحن نلاحظ هذه الأيام حدوث نكسات على المجتمعات العربية والاسلامية على جميع المستويات بما فيها السياسية والاقتصادية والاعلامية والعلمية بما يتضمنه من علوم متعددة بما فيها التعليم الشرعي الذي هو أهم أعمدة بناء المجتمع المسلم لارتباطه بسلوكيات وأخلاقيات ومعاملات المسلم مع غيره، مما يؤدي لنهوض الأمة من كبوتها. فعماد نهوض أي أمة يعتمد على مرتكزات عدة أهمها المنظومة التعليمية في المجتمع والمنظومة الأخلاقية والمنظومة الصناعية والمنظومة القضائية والمنظومة الإعلامية... وإذا ما أردنا ربط هذه المنظومات الاساسية في نهضة أي أمة نجدها مرتبطة بالتعليم وخاصة التعليم الديني أو الشرعي لما فيه من غرز القيم والأخلاق والمفاهيم التي تبني ذات الانسان الذي هو محور التغيير في كل الأمم وخاصة الأمة الاسلامية التي تؤكد على دور التعليم الشرعي والعلماء في الأمة. فالعالم كان بفتواه يحرك الأمة يميناً وشمالاً عندما كان رأيه مبني على تقوى الله وعلى فهمه للواقع، أما أن يصبح العالم مجرد موظف لا يستطيع ان يخرج من بوتقة الوظيفة فهنا يضمحل دور العالم ودور التعليم الشرعي. لذلك جاء

1- سورة العلق.

2- صححه الألباني.

هذا البحث لنبين كيفية النهوض وتطوير مناهج التعليم الشرعي وخاصة لطلاب كلية الشريعة في الجامعات ليكون لبنة من لبنات البناء للصرح العلمي الشرعي في وطننا الغالي.

العلم الشرعي

العلم: اسم جنس، يدخل فيه جملة العلوم والمعارف والفنون المختلفة، ولا يتحدد إلا بالتقييد بالإضافة أو الصفة، فيقال: علم النحو، وعلم الفقه، وعلم الطب، أو يقال: العلم الشرعي، والعلم الطبيعي، وبالإضافة يتحدد التخصص، وبالصفة يتحدد المجال، هذا في الغالب.. فإذا أطلق لفظ (العلم) فإن السياق هو الذي يقيده ويبينه. فالعلم عند العرب هو المعرفة، ويعرفه أهل اللغة بالمقابلة، فيقولون: العلم: ضد الجهل¹. وأما لفظة (الشرعي) فهي منسوبة للشرع وهو في الأصل يطلق على نهج الطريق الواضح، فقال أبو البقاء الكفوي: (والشريعة اسم للأحكام الجزئية التي يتهدب بها المكلف معاشاً ومعاداً، سواء كانت منصوصة من الشارع، أو راجعة إليه)² أما الشريعة عند الإطلاق فإنها تشمل كل ما نزل به الوحي مما يتعلق بالعقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب. وعلى هذا فالمراد بالعلم الشرعي: العلم الذي جاءت به الشريعة أو دلت عليه بأي طريق من الدلالات (عبارة النص، أو إشارته، أو دلالاته، أو اقتضائه) مما هو معروف عند علماء الفقه وأصوله. ويلحظ مما سبق، أن العلم الشرعي له عمق رأسي واتساع أفقي، نظراً إلى أنه يتعلق بكل شعب الحياة، ومجالاتها، العقيدية والفكرية، والثقافية والاجتماعية والمالية، والسياسية والإدارية والقانونية وغيرها، مما ينظم حياة الفرد والمجتمع والدولة سواء وجدت النصوص المباشرة والمفصلة أو ما يستنبط منها وما تدل عليه القواعد العامة ونحن نقول ذلك لأننا على ثقة، أن ديننا الإسلامي قد جاء بالمصالح كلها (ضرورياتها، وحاجياتها، وتحسيناتها) بالإضافة إلى درء المفسد كلها كبيرها وصغيرها مما يضر بمصلحة الدين والدنيا. وتعرف العلوم الشرعية بأنها العلوم التي تقوم بتدريس كل ما يتعلق بالشريعة الإسلامية كفقه العبادات، والمعاملات، وعلم تفسير القرآن الكريم، والعقيدة الإسلامية، وعلم الحديث النبوي الشريف، وعلم القراءات وأحكام التجويد. وإنحكم طلب العلم الشرعي ينقسم إلى قسمين، فقد يكون طلب العلم الشرعي واجباً عينياً على كل مسلم إذا تعلق بفعل واجب من الواجبات التي افترضها الله تعالى على العباد، أو معرفة المحرمات التي نهى الله تعالى عنها، أما ما زاد عن ذلك من العلوم الشرعية فهي فرض كفاية إذا تعلمها البعض سقطت عن الباقيين وإذا تركتها الأمة كلها كانت آثمة.

1- لسان العرب 12-417

2- كتاب الكليات ص 524

أهمية طلب العلم الشرعيّ

تكمّن أهمية طلب العلم الشرعي فيأن النبي عليه الصلاة والسلام بين أن من خير الناس من تعلم القرآن وعلمه حيث قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)¹، كما بين عليه الصلاة والسلام أن من أراد الله به خيراً فقهه في الدين، كما أنه من سلك طريقاً يبتغي به علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة. طلب العلم الشرعي يورث الخشية في قلوب المتعلمين والعلماء، فطالب العلم الشرعي يطلع على أسرار الآيات القرآنية ويتلمس آيات الإعجاز في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وكذلك يقربه من ربه سبحانه فيزداد إيمانه وتزداد خشيته، قال تعالى "إنما يخشى الله من عباده العلماء"². ودراسة العلم الشرعي ترفد المجتمع بالعلماء المؤهلين في كل مجالٍ من مجالات الشريعة، كما أن العلم الشرعي يقوم برفد المجتمع بالأئمة والخطباء الذين يعقلون منابر المساجد ليعلموا الناس شؤون دينهم ويقدموا لهم النصيحة والموعظة الحسنة. والعلم الشرعي هو وسيلة لإعداد الدعاة وتأهيلهم لحمل رسالة الدعوة إلى الله تعالى إلى جميع أنحاء المعمورة، فكثير من الناس في العالم لم تصلهم رسالة الإسلام وهنا يكمن دور الدعاة إلى الله في تبليغ تلك الدعوة وتعريف الناس بها، كما يقوم الدعاة بدور كبير في استقبال الداخلين في دين الإسلام وتعليمهم أحكام الدين الإسلامي. والعلماء الشرعيون هم ورثة الأنبياء وفي علمهم صلاح الدين وحفظ الشريعة، وبغياب العلماء يشيع الجهل ويسود الضلال، وإن من علامات الساعة أن يقبض الله تعالى العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فأفتوا فاضلوا وأضلوا قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله لا يقبض العلمَ انتزاعاً ينتزعه من العبادِ ولكن يقبض العلمَ بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ففسلوا فأفتوا بغير علم فاضلوا وأضلوا)³.

تطور العلم الشرعي

بدأ التعليم الشرعي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم بن أبي الأرقم حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدرس الصحابة العقيدة والتوحيد، وبعدها أنتقل الرسول عليه السلام للمدينة المنورة حيث كان من أول أعماله أن بنى المسجد النبوي ليكون نبزاً يجمع المسلمين في جميع المجالات الحياتية والعلمية، فمنه كانت تخرج السرايا ومنه يتعلمون أمور دينهم ومنه توسع التعليم الشرعي، حيث بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بتعليم المسلمين أمور الدين التفصيلية من عبادات وعقيدة ومعاملات وفقه، وذلك حسب حاجتهم وفيما يتلائم مع واقعهم

1- أخرجه البخاري.

2- فاطر: 28.

3- رواه البخاري.

ومع أوامر الله من خلال نزول جبريل بالتشريعات السماوية، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ ظهور نظام الكتاتيب في تعليم أمور الدين وخاصة القرآن الكريم حفظاً وتفسيراً، ومن ثم تطور التعليم الشرعي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى علماء الصحابة أمثال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، ومعاذ بن جبل.... ثم جاء جيل علماء التابعين أمثال سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعروة بن الزبير، والشعبي، والنخعي..... والكثير منهم، وبعدها ظهرت المذاهب الفقهية الأربعة وهم حسب ترتيبهم التاريخي كالآتي:

- الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، (80هـ/699م - 150هـ/767م)، ومذهبه الحنفي.
- الإمام مالك بن أنس، (93هـ/715م - 179هـ/796م)، ومذهبه المالكي.
- الإمام محمد بن إدريس الشافعي، (150هـ/766م - 204هـ/820م)، ومذهبه الشافعي.
- الإمام أحمد بن حنبل، (164هـ/780م - 241هـ/855م)، ومذهبه الحنبلي.

وهناك الكثير من المذاهب التي لم يكن لأصحابها تلاميذ ينقلوا هذا العلم فلم تبرز أمثال الحسن البصري، والأوزاعي، والكثير الذين لا مجال لحصرهم لكثرتهم، وامتدت المدارس والجامعات في الدول الإسلامية المختلفة وأخرها في زمن الدولة العثمانية وظهور جامعات باسم المساجد لارتباط التعليم الشرعي بالمساجد وبقيت هذه الجامعات منسوبة باسمها لأسماء المساجد مثل جامعة الأزهر، وجامعة الزيتونة وجامعة القيروان.... والعديد من الجامعات. وكان للمسجد الأقصى الدور البارز في نقل العلوم الشرعية للعالم العربي والإسلامي حيث ألفت في باحاته العديد من الكتب، وأشهر هذه الكتب كتابا حيا علم الدين للغزالي الذي له كرسي في المسجد الأقصى يرثه أهل العلم بعد موته لنشر العلم الشرعي، وما زال المسجد الأقصى لليوم رغم منع قوات الاحتلال العلماء من دخوله والتدريس فيه بحجج واهية، ومع ذلك التضييق إلا أن مساطب العلم اليومية متواجدة فيه. ولكن بعد تطور المجتمعات وتطور العلوم على جميع المستويات كان لا بد من تدريس العلم الشرعي في الجامعات فأنشأت كليات الشريعة المتخصصة في العالم، ففي فلسطين مثلاً أنشأت كلية الشريعة في جامعة النجاح، وكليات الشريعة التابعة لوزارة الأوقاف، وكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة القدس، وكلية الشريعة في جامعة الخليل، وجامعة الأزهر في غزة، والعديد من الجامعات التي جعلت فيها تخصصاً للتعليم الشرعي، وكان لها دوراً بارزاً في نشر تعاليم الدين والأخلاق ومجاراتها للقضايا المعاصرة التي تحتاج لتخصصات مثل الاقتصاد الإسلامي والمصارف الإسلامية والعديد من القضايا التي تحتاج لرأي للدين في حكمها.

تطوير مناهج التعليم الشرعي لكليات الشريعة

إن التطور سنة الحياة الإنسانية المتجددة دوماً والعلم الشرعي جزء من الحياة المتجددة، فينبغي أن تعكس المناهج الجامعية التطورات الحديثة في الميدان، حيث أن النمو المعرفي سريع جداً لدرجة قد يصعب ملاحقته وهذا يعني تحديث المعارف بصورة مستمرة مع الحفاظ على الأصالة والقيم والمناهج الجامعية ويجب أن تلاحق المنجزات العلمية المتجددة باستمرار. كما أن آراء الأساتذة والطلاب والمناهج الجامعي العام ومدى الرضا عن المناهج الجامعية وقد يظهر ذلك بوضوح من خلال متابعة الخريجين في أماكن عملهم بعد تخرجهم مما قد يكشف عن بعض جوانب القصور في متابعة المستحدثات العلمية ومواكبة التطورات التقنية مما يضع المسؤولية على المناهج الجامعية. وكذلك الحاجة لتطوير أهداف التعليم الجامعي وعدم ارتباطها بمجرد الحصول على الشهادات العلمية ولكن تحقيق التنافسية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي وهذا يتطلب عملاً متواصلًا على مستويات متعددة وفي مجالات مختلفة تخضع للتغيير المستمر ومواكبة العلم المعاصر. ويعبر التطوير لغة عن التحويل أو التغيير من طور إلى آخر وتطوير المناهج يعني تحسين نوعية المنهاج تحسيناً يتسم بالشمول ويرفع من كفاءة المنهاج من حيث تحقيق الأهداف المرجوة وعلى ذلك فإن تطوير أي عنصر من عناصر المنهاج لا بد أن يأخذ في الاعتبار أثر هذا التطور على بقية عناصر، وتحديث المنهاج يساعد على صقل شخصية المتعلم وجعلها مرنة ذات استجابة واعية للتغيرات العصر ويجعل له قدرة في تنمية نفسه بصورة مستمرة وملتصدة دون توقف.

خطوات هامة لتطوير مناهج كليات الشريعة في الجامعات

1. أن تكون عملية تحديث المناهج مستمرة ومتواصلة مع التغيرات العصرية المتواكبة بحيث تظهر الفروقات بين القديم والحديث وتوضح أسباب التحديث. فعلى سبيل المثال مازالت قضايا كثيرة في كتب الفقه والعقيدة والفرق الإسلامية تأخذ مساحة واسعة في كتب الفقه وهي لا تحتاج منا إلى تفصيلات كثيرة فطهارة الماء في الفقه الإسلامي مازالت تأخذ مساحة واسعة مما تحتاج إليه من تفصيلات طهارة الماء وأقسام المياه وهذا العلم كان يحتاج لتفصيلات عند الأقدمين لندرة المياه وأخذها من الآبار فيكثر السؤال كيف يصبح الماء نجساً؟ وما الذي ينجسه؟ أما اليوم فالمياه تأتينا بصورة مختلفة لذلك لا بد من استبدال هذه الإطالة بقضايا أكثر نفعاً لواقعنا المعاصر، وموضوع الفرق الإسلامية التي اندثرت في التاريخ الإسلامي ولم يبق لها وجود، لا بد من استبدالها بدراسة الفرق الجديدة التي تخرج في هذا العصر، وأحكام العبيد والإماء..... والكثير من القضايا التي

تحتاج الى إستبدال في كتب الفقه ووضع قضايا معاصرة تلامس الواقع .

2. تحديد المناهج يجب أن يستند إلى مجامع علمية تضم مجموعة من أساتذة الشريعة المتخصصين لوضع مناهج موحدة مبنية على دراسات وتوصيات علمية وليس على ميل الدكتور الذي يدرس المادة الشرعية مما يعكس على الطلاب ميوله الفكرية والثقافية وحتى منهج الدراسة يكون مختلفاً من جامعة لأخرى في نفس التخصصات، وهنا لا بد من تحييد المناهج التعليمية الشرعية للمناكفات السياسية من نظام حاكم ومعارضة مما يجعل من الدين مبرر لما يقوم به البعض بتبريرات دينية قال الدكتور عبد المجيد أبو سليمان (وحتى لا يوظف الدينُ والقدسيةُ في خدمة المصالح الخاصة، والتي سوف تنتهي ولا شك - إذا لم تفصل مهمة الدعوة والتربية عن مهمة السلطات السياسية التنفيذية - وكما أثبت تاريخ الأمة، إلى توظيف الدين والقداسة سياسياً لمصلحة المتنفذين ومصالحهم؛ الأمر الذي يؤدي حتماً إلى تمكين حكم الاستبداد، وبالتالي انتشار الفساد)1.

3. التكامل مع المساقات الدراسية الأخرى حيث يجب أن تحدد بدقة المميزات الخاصة التي يشترك فيها مع أي علم آخر وتشكل خصوصية حيث كل مجال من مجالات المعرفة يمثل بنية منطقية لها مفاهيمها وطرقها ومعاييرها الخاصة في البحث والتفكير والتكامل يساعد على الجمع بين موضوعات يربطها نوع من العلاقة دون الإجحاف بالمتطلبات المنطقية لكل مادة منهجية مع الأخذ بالاعتبار الحاجات السيكلوجية والاجتماعية وحاجات المجتمع المعاصر، "لعل من أهم أسباب تخلف فكر الأمة وللأسف أنها ركزت في علوم الشريعة على الفقه، وهو علم قانون لا يولد فكر اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي. وكتاب الفقه يسمى ما يعرف في الإسلام بالشعائر على إنها عبادات وغير ذلك يسميه معاملات بالرغم من أن كل فعل إنساني هو فعل يدخل في إطار العبادات"2

4. الموازنة حيث يجب أن يكون التحديث مناسباً للظروف الفعلية ونظام القيم الذي يجري في إطارها التحديث والتجديد.

1- محاضرة - أ. د/ عبد الحميد أبو سليمان - رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دورة بعنوان "بين علوم الشريعة والعلوم الاجتماعية والإنسانية والكونية" وذلك في الفترة من 9-10 جمادى الأولى 1433هـ / 1-2 من إبريل 2012 بقاعة رواق المعرفة - مركز الدراسات المعرفية بالقاهرة

2- محاضرة - أ. د/ عبد الحميد أبو سليمان - رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دورة بعنوان "بين علوم الشريعة والعلوم الاجتماعية والإنسانية والكونية" وذلك في الفترة من 9-10 جمادى الأولى 1433هـ / 1-2 من إبريل 2012 بقاعة رواق المعرفة - مركز الدراسات المعرفية بالقاهرة.

الخاتمة

نرى أن المناهج الشرعية لم تتطور وتتغير لما يتناسب مع حاجة المجتمع وتخريج طلاب متخصصين قادرين على الابداع في مجالهم مثل: الأئمة، والقضاة، والدعاة، والمفكرين، وهذا يحتاج منا إلى وجود مجامع علمية من أصحاب التخصصات لايجاد مناهج موحدة وخاصة معما نراه من المساحة الواسعة للدكتور المحاضر صاحب الاختصاص في اختيار المنهج التدريسي، ويؤثر اختياره للمادة التعليمية على مجموعة من العوامل منها ميوله الفقهية والمذهبية والبيئية والاجتماعية، مما يحتاج منا إلى وضع منهج موحد حتى لا يتأثر الطلبة بميول المدرس مما يجعل عندنا خطابات مختلفة وفيها نزعات متضاربة. ولا بد من إعادة النظر في المناهج التدريسية التي وضعت قبل عقود من الزمن وتحتاج إلى تعديل وتغيير، وهذا التعديل لا يتم إلا من خلال مجامع علمية متخصصة دون أن يكون لها ميول سياسية تؤثر على توجهها، فنحن في هذه الايام نعيش تجاذبات سياسية مختلفة، ويجب علينا أن نجنب التعليم الشرعي هذه التجاذبات فنحن نرى اليوم تأثير الكثير من الدول الغير الاسلامية التي تمارس ضغوط لتميع قضايا الدين مثل معنى وسطية الاسلام ومعنى الجهاد والقتال والحدود مما يؤثر على تشويه صورة الدين الحنيف. فالعلوم اليوم تميل للتخصص أكثر منها للعمومية وذلك بسبب اتساع دائرة المعرفة، وهناك الكثير من الجامعات ما زالت تدرس مساقات شرعية عامة يوظف من خلالها الإمام ومدرس التربية الدينية والقاضي والمفتي وهذا أمر لا بد أن يتغير وأن يصبح لدينا تخصصات أكثر دقة مثل تخصص إمام المسجد حيث يكون له مسمى خاص به وله مواد مرتبطة بتخصصه حتى نخرج إماماً مميزاً، وتخصص القضاء الشرعي بحاجة الى تخصيص ولا يبقى التدريس في عموميات الفقه والتشريع وأن يتم التركيز على قانون المحاكم الشرعية، وتخصص خاص للمفتين، وربط التعليم الشرعي مع التخصص بتزكية النفس حتى نخرج متخصصين قدوات قادرين على تغيير المجتمع بعلمهم وسلوكهم، مما يؤدي لايجاد قادة قادرين على انتاج المعرفة وليس نقلها فقط وذلك لتقديم الحلول للمشكلات المعاصرة.

التوصيات

1. مراجعة مناهج التعامل مع العلوم الشرعية؛ لتطويرها من حيث: الشكل، والمضمون، والمنهج، واختيار القضايا؛ حتى يكون بمقدورها تمكين الطالب من التعامل مع ما يستجد من الوقائع، وما يكتنف المجتمعات المعاصرة في عالم اليوم من متغيرات، مع مراعاة الضوابط الشرعية لهذا التطوير والتجديد.

2. بلورة منهجية للتعامل مع كتاب الله، سبحانه وتعالى، ومع السنة النبوية الشريفة، ومع التراث الإسلامي، وبيان الفرق بين ما هو مقدس وما هو موروث فالحكم الشرعي هو المقدس ولكن الرأي الفقهي المفهوم من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة هو غير مقدس مع تقديرنا لعلماء الأمة لأن الرأي الفقهي يتغير من زمان لزمان، ومن مكان لمكان ومن شخص لآخر فكثير من طلاب دراسة الفقه والتشريع الذين يدرسون الفقه المقارن ويتعلمون قواعد تقبل الآخر وقواعد ذلك مثل القاعدة الفقهية (لا ينكر المختلف فيه) وبعد تخرجه نجده يتعصب لرأيه ويلغي ويرفض الرأي الآخر.
3. تطوير منهجية معرفية لبناء العلاقة السليمة بين معارف الوحي والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك من خلال التعاون بين أعضاء هيئة التدريس في كليات علوم الشريعة وكليات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وامتلاك كل من الفريقين للقدر المناسب من المعرفة في تخصصات الفريق الآخر.
4. مراجعة الخطط الدراسية لبرامج الدرجات الجامعية المختلفة في علوم الشريعة، بحيث يحقق كل برنامج التأهيل اللازم للدعاة والقيادات الفكرية القادرة على بحث القضايا المعاصرة، والملمحة، وتحريرها، وتحقيقها، وأيجاد مساقات تبين دور الإسلام في نشر ثقافة التسامح والمحبة وتقبل الآخر ورفض ثقافة التكفير والتخوين لكل من يخالف.
5. تطوير المحتوى الدراسي لكل مادة، بحيث يوازن بين طبيعة المادة وصلتها باحتياجات العصر؛ حتى يتمكن الطالب من تحقيق الهوية الإسلامية المتميزة، والتفاعل من خلالها مع مقتضيات العصر. وتطوير طرائق التدريس الملائمة لطبيعة المادة الدراسية، ولحاجات الطلبة ومستوياتهم، بحيث تمكنهم من ممارسة التفكير السليم، والقدرة على مناقشة القضايا والتحاور فيها، والقيام بالبحث والاستقصاء، والإفادة من التقنيات التعليمية الحديثة من أساليب وأجهزة ومختبرات، وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي التي تعتبر من أسرع وأقوى الطرق الدعوية هذه الأيام.
6. العناية الفائقة باختيار المدرس القدوة في تقواه وأخلاقه، على أن تتوافر فيه الخبرة والكفاءة، والعمل على تطوير قدرات المدرسين باستمرار من خلال دورات تدريبية عالية المستوى، تمكنهم من متابعة الاتصال بمصادر المعرفة في موضوعات التخصص وفي قضايا الواقع وظروف المجتمع. وإيجاد قنوات اتصال دائم ومستمر بين أساتذة علوم الشريعة في الأقسام والكليات الجامعية، عن طريق ندوات دورية متخصصة؛ للنظر في سائر أركان العملية التعليمية وتطويرها.
7. العناية الفائقة باختيار طلبة علوم الشريعة، ممن تتوافر فيهم الاستقامة والدين والرغبة في دراسة تلك العلوم، والاهتمام بالجوانب المتعددة لشخصية الطالب من الناحية السلوكية والخلقية والفكرية، بحيث تحقق متطلبات التكامل والتوازن في هذه

- الشخصية. واختيار الطلبة المتفوقين وليس الطلبة الذين لم يحالفهم الحظ في كليات أخرى بسبب المعدل المتدني للطالب مما ينعكس على عطائهم بعد التخرج.
8. توجيه بحوث طلبة الدراسات العليا في الجامعات إلى أن تكون جزءاً من التراكمات المعرفية المنضبطة منهجياً، بحيث توجه نحو معالجة أهم المشكلات المعرفية، والتحديات التي تعاني منها الأمة في الوقت الحاضر، والعمل على تحديد الهوية الثقافية والمعرفية للأمة.
9. تشكيل لجنة متابعة من: رئيس المؤتمر، ونائبه، ومقرر المؤتمر، واثنين من أعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر، تكون مهمتها تعميم هذه التوصيات على الجامعات والمدارس ذات العلاقة، ومتابعة تنفيذها إن أمكن لتعم الفائدة.



الصعوبات التي تواجه كليات الشريعة والحلول المقترحة



إعداد: الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة*

*أستاذ العقيدة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن حاجة الناس إلى الإيمان أشد من حاجتهم للطعام والشراب واللباس والمال والمسكن. وقد نجد مجتمعاً بدون حضارة وعمران، ولكننا لن نجد مجتمعاً غير متدين بدين ما على مدار التاريخ، ومن هنا تنبع أهمية دور القائمين على أمور الدين، وهم ما يسمون في الأديان المحرفة: رجال الدين، وفي الدين الحق: علماء الإسلام.

هذا وينبغي لحامل الشريعة أن تتحقق فيه المواصفات الآتية حتى يكون داعياً إسلامياً ناجحاً:

1. الإخلاص لله تعالى، والابتعاد عن الرياء وحب الظهور.
2. المعرفة العامة بعلوم الشريعة، والتخصص العلمي الدقيق بأحد - أو ببعض فروعها - والمطالعة الدائمة، والتزود بالثقافة النافعة⁽¹⁾.
3. تطبيق التعاليم الإلهية على النفس والأهل، وعدم الفصل بين المعرفة والسلوك، وأن يكون قدوة حسنة لغيره، ومصحفاً يدب على الأرض.
4. الصبر على مشاق الدعوة، والتأني وعدم استعجال قطف الثمرة، واحتساب الأجر عند الله، والإيمان التام بأن النتائج بيد الله وحده⁽²⁾.

ومن الأهمية بمكان أن تتوفر في طالب العلم الشروط الآتية:

1. الإيمان العميق بحيث يتحقق الإسلام الصحيح في شخص الداعي إليه، أي الإيمان الحي المتحرك الذي ينبثق منه سلوك طيب وعمل صالح في الأرض، فما من آية ذكرت الإيمان في كتاب الله: إلا وقرنت معه العمل.
2. التواضع وحسن الخلق والسيرة، والتنزه عن الكبر والابتعاد عن الغرور، وتوقى مواطن الريب والشهوات.
3. الحكمة واللين والموعظة الحسنة، والابتعاد عن الجدل⁽³⁾.

1- انظر: علوان (عبدالله ناصح): ثقافة الداعية، ص 6 و5، دار السلام، ط 2، 1406هـ.

وزيدان (د. عبد الكريم): أصول الدعوة، ص 174، دار البيان، ط 3، 1396هـ.

والغزالي (محمد): خلق المسلم، ص 217 و218، دار القلم، ط 2، 1400هـ.

2- انظر: نوح (د. السيد محمد): فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي، ص 56 و57، دار الوفاء، مصر، ط 1، 1412هـ.

3- انظر: البوطي (د. محمد سعيد رمضان): هكذا فلندع إلى الإسلام، ص 10 و11، مؤسسة الرسالة ومكتبة الفارابي.

وأبو فارس (د. محمد عبد القادر): أسس في الدعوة ووسائل نشرها، ص 32 و34، دار الفرقان، الأردن، ط 1، 1412هـ.

والبهني (د. محمد): من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك، ص 29 و30، مكتبة وهبة، مصر، ط 1، 1993م.

4. أن يعد نفسه ليكون داعية بحق. وذلك بأن يصحح نظريته لدراسة الشريعة، وأنها ليست مجرد استيعاب العقل للمعلومات لإفراغها بعد ذلك في ورقة الامتحان، ولكن المطلوب: إعداد الشخصية المثقفة البناءة التي تفيد بعلمها الحياة العامة العملية.
5. أن يحسن اختيار من يصادق، وأن يضبط هذه العلاقة، وذلك بعدم طغيانها على وقته ودراسته، أن يحسن كذلك اختيار مجالات الترويح عن نفسه، فيختار النظيف الحلال النافع. وأن يعطي العلم الوقت والاهتمام اللائق به: فهذه الفترة من حياته لها ما بعدها.
6. أن يكون منظماً في شؤونه كلها، في البيت والمدرسة والكلية والمطالعة... وأن يكون نظيفاً في داخله وخارجه، حتى يستطيع التأثير في غيره¹⁽⁴⁾.

أثر كليات الشريعة:

قال تعالى: "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم والآخر"²⁽⁵⁾. ومما لا شك فيه أن عمارة المساجد مادية ومعنوية. فالمادية: بناؤها وصيانتها ونظافتها، والمعنوية: عبادة الله فيها بأوسع معاني العبادة³⁽⁶⁾.

والمسلمون جميعاً مطالبون ومعنيون بعمارة المساجد المادية والمعنوية، بشكل مباشر وغير مباشر، وعلى رأس هؤلاء جميع موظفي الأوقاف، من أئمة وخطباء ووعاظ ومؤذنين وخدم وأساتذة وطلبة كليات الشريعة، ولجان المساجد، والجماعات الإسلامية، والدعاة إلى الله، وعمامة المصلين.

ومما يؤسف له أن معظم كليات الشريعة والمساجد لا تؤدي دورها المطلوب في حياة المسلمين اليوم، بالتالي فإن أثر أساتذة وطلبة الشريعة ضعيف في حياة الأفراد والمجتمعات والدول، وذلك بسبب عوامل داخلية وخارجية لعل أهمها:

الأنظمة والسلطات الحاكمة، ومناهج التربية والتعليم المطبقة في مختلف مراحل التعليم، ووسائل الاعلام المختلفة التي تدعو للرديلة وتحارب الدعوة والدعاة، واختلاف وتعدد الجماعات الإسلامية، والجهل المطبق بأحكام وتعاليم الشريعة الإسلامية، وضعف الوازع الديني عند الناس وحب الدنيا وكراهية الموت، وسيطرة المستغربين والعلمانيين على مختلف مجالات الحياة، وتخطيط ومكر أعداء الله في الصد عن سبيل الله، ومحاربة الدعوة والدعاة، ونهب خيرات المسلمين

1- مشهور (مصطفى): القدوة على طريق الدعوة، ص138 فما بعده، ط1، 1406هـ.

2- سورة التوبة (18).

3- (6) انظر: قطب (سيد): في ظلال القرآن 1614/3، دار الشرق، ط2، 1395هـ.

وحوى (سعيد): الأساس في التفسير، 2229/4، دار السلام، ط1، 1405هـ.

عن طريق: الاستعمار (الاستخراب والاحتلال)، والتبشير (التنصير)، والاستشراق، وانتشار البدع والخرافات والعادات الجاهلية، وقلة العلماء العاملين المخلصين الريانيين الزاهدين¹ (7).

لقد كان المسجد من أقوى ما يعد النفوس لتلقي الإلهامات الروحية التي تضيء للمؤمنين سبيل الهداية والتوفيق... ومن هنا أوجب الإسلام أن يسود في المساجد مظهر الخشوع والسكينة والبعد عما يكدر صفو الروحية التي يسعون إليها ويلتمسونها بالصلاة الجامعة.

إن للمسجد مكانة هامة في الإسلام وفي حياة المسلمين: فليس هو ديراً للرهبنة، ولا زاوية للمتعتلين، ولا تكية لل دراويش... وما كان المسجد في فجر الإسلام إلا جامعة شعبية للتثقيف والتهديب، وبرلماناً محلياً للتشاور والتفاهم، ومجمعاً للتعارف والتحاب، ومعهداً للتربية العملية الأساسية² (8).

الصعوبات التي تواجه الكليات الشرعية:

هناك عوامل داخلية وخارجية وأسباب مباشرة وغير مباشرة كثيرة تعيق كليات الشريعة عن أداء دورها في حياة المسلمين، فإذا استطعنا تشخيص الداء فإن العلاج سهل بإذن الله: فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله)³ (5).

1. ضعف إيمان طلبة الشريعة بقيمة ما تعطيه كليات الشريعة من ثقافة وعلوم، وإيمانهم بضآلة الفائدة التي تحصل لهم من هذا الطريق الملتوي الطويل الشاق، المكلف للجيوب، والمرهق للجسم، والمتعب للعقل.
2. تشكك معظم الطلبة في إخلاص وعلم وخلق المدرسين والعاملين في هذه الكليات، والنظر إليهم على أنهم يجترفون بصناعة التعليم الشرعي، كغيرهم من الموظفين والمهنيين.
3. ضعف الصلة بين المدرسين والطلبة، فقد تحولت الكليات الشرعية من أسر مؤتلفة يسودها الإخاء والتعاون والحب والاحترام إلى مصالح محدودة مؤقتة، لا تأثير لها خارج قاعة التدريس.
4. عدم طرح الكليات الشرعية دعوة حقيقية يؤمن بها الشباب ويتحمسون لها بقوة،

1- (7) انظر: قطب (محمد): واقعتنا المعاصر، ص 12 و 361 و 528 فما بعدها، مؤسسة المدينة، ط 1، 1407هـ.

والباحث: حاضر العالم الإسلامي، ص 32 و 33، فلسطين، ط 1، 1411هـ.
وخطاب (محمود شيت): حاضر المسلمين بين الآمال والآمال، ص 9-16 (بدون تاريخ).

2- (8) انظر: شلتوت (محمود): الفتاوى، ص 84، دار الشروق، مصر.

والقرضاوي (د. يوسف): العبادة في الإسلام، ص 225 و 226، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط 4، 1395هـ.

3- (5) رواه مسلم في كتاب الحج، حديث 1218.

ورواه ابن حجة في كتاب المناسك، حديث 3074.

بجيث تستحوذ على مشاعرهم، وتجعلهم بمأمن من أن يكونوا فريسة الانحراف أو الدعوات الهدامة.

5. عجز الكلية عن إيجاد العاطفة القوية الدافقة والإيمان الملتهب في نفوس الطلبة، حيث إن العلاقة قائمة في معظم الأحيان على الرسميات والشكليات والعلامات فحسب.

إن إهمال هذا الجانب قد جنى على نظامنا التعليمي، وأفقدته العمق والرقعة والسمو وقوة المقاومة وصلاحيه الإبداع، فأصبح نظامنا التعليمي نظاماً جامداً لا حراك فيه، وأصبحت مراكزنا الثقافية وجامعاتنا الاسلامية مراكز حياة رتيبة جامدة راكدة تتحكم فيها القوانين واللائحات!

6. ندرة من يأتي للكليات الشرعية من الطلبة مخلصاً محباً محتسباً مرضاة لله، معترفاً بوظيفته، متضلعاً من دعوته، متسامياً برسائلته، يعطي ولا يأخذ، يؤثر ولا يتأثر، يتمرد على الشهوات ويبتعد عن الشبهات.

7. قلة المدرسين الأكفيا والأساتذة الدعاة والشخصيات المؤثرة من القائمين على الكليات الشرعية الذين يستطيعون صناعة الرجال، والذين يعتبرون أنفسهم وقفاً لله تعالى وخدمة للدعوة والدعاة.

8. قيام الأنظمة الحاكمة ووزارة الأوقاف والمسؤولين بالجامعات في معظم الدول الاسلامية بتجسيم كليات الشريعة، والتضييق عليها وشل أو اعاقة دورها ف المساجد وبين الناس¹⁽⁶⁾.

علاج هذه المشكلات وحلها:

1. إثارة الايمان والإخلاص في نفوس الشباب، والاهتمام الزائد بقيمة العلم ومنزلة العلماء، والتحذير من طلب العلم لغير الله.

إن مرض طلبتنا اليوم هو عدم الجدية وعدم التفكير في الغاية من طلب العلم، إن غالبية الطلبة لم يفكروا في يوم ما: لماذا يتعلمون؟ وبذا فقد بدأوا عملهم من غير تفكير ولا تصميم ولا غاية !!

ومن هنا تتبع أهمية الايمان في إثارة النفوس نحو بذل النفس والمال والوقت والجاء في سبيل خدمة الاسلام والمسلمين للفوز برضوان الله.

2. إن مشكلات كليات الشريعة كثيرة متجددة، والمفتاح الرئيس الوحيد لحلها جميعها: هو وجود الاساتذة الدعاة الذين أكرمهم الله بقوة الشخصية ورسوخ الايمان وغرابة العلم والتفكير السليم والحنكة السياسية. إن العاطفة الاسلامية القوية هي الثروة الكبرى

1- (6) الندوي (أبو الحسين): الطريقة المثلى لإعداد خريجي الجامعات الإسلامية، ص11، مكتبة الهداية، 1413هـ.

- والطاقة الهائلة التي يمكن الاعتماد عليها في حل جميع المشكلات.
3. إيجاد دعوة إيجابية قوية، تشغل عقول الشباب، وتستولي على مشاعرهم، وتحرك ملكاتهم العلمية وطاقاتهم العملية الكامنة في صدورهم، ولا تدع مكاناً لدعوة أخرى غيرها. ويمكن إثارة هذه الدعوة وتنميتها: عن طريق دراسة السيرة النبوية الشريفة وحياة الصحابة الكرام والمجددين والابطال والمصلحين.
 4. العمل على إيجاد نظام اجتماعي -رواقي- يعيش فيه الشباب الجامعي حياة اجتماعية اسلامية، تحت اشراف أساتذة ومراقبين اكفاء، يشعر الطلبة بحرارة إيمانهم ورقة قلوبهم، فيقتدون بهم بدافع من الحب والاجلال والجمال والكمال، ويتخذونهم قدوة في الحياة.
 5. تنظيم محاضرات عامة يدعى لها كبار العلماء وأقطاب الفكر والدعوة الإسلامية: تغرس في قلوب الطلبة العقيدة القوية، وتلهب في صدورهم الجمرة الإيمانية، وتعيد في نفوسهم الثقة في التعاليم الإلهية وحمية الحل الإسلامي، وتتناول هذه المحاضرات القضايا التي تشغل العالم الإسلامي والشباب بصفة خاصة، والتحديات التي تواجه الصحة الاسلامية المعاصرة، وطرح الحلول المناسبة لما يواجه الدعوة والدعاة من مشكلات عديدة، في ضوء الكتاب والسنة.
 6. حل العقد النفسية للشباب حلاً رقيقاً مناسباً بحيث لا يشعرون بأنهم يمرون بمرحلة عملية جراحية، وأن يتعاون الأساتذة مع الاهالي والمسؤولين على رفع مستوى الطلبة روحياً وفكرياً ودعواً.
 7. الاعتماد في انارة عقول الشباب على ندوات دورية خاصة بهم، ينتقى لها خيرة العلماء العاملين المجاهدين الصادقين الزاهدين.
 8. تذكير كل من يقف في وجه الدعوة، او يحاول التضييق على الكليات الشرعية بأيام الله!⁽⁷⁾.

إن اهم الصفات اللازمة للدعاة الى الله: من طلبة وأساتذة وموظفي أوقاف ومدرسين وخطباء وأفراد هي:

أولاً: الصفات الفردية:

وهي أن يقبل كل فرد على نفسه فيجاهدها حتى يجعلها مطيعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، خاضعة لكل ما تتلقى عنهما من أوامر ونواه. وبعد ذلك تأتي مرحلة هجرة المعاصي والشبهات والشهوات. وبعد ذلك تأتي مرحلة إصلاح البيت والأهل، والتأثير في الأقارب والأصدقاء والجيران.

1- (7) المصدر نفسه، ص 20-25 بتصرف.

ثانياً: الصفات الجماعية:

وهي أن يكون بين الدعاة التحاب والتواثق والتعاون والأخوة والإيثار والتواصي بالحق والصبر، وذلك ليتقدموا بأنفسهم ويقدموا غيرهم معهم في سبيل الدعوة الإسلامية.

ثالثاً: لوازم المجاهدة في سبيل الله:

وهي صفات كثيرة أولها: وعلى رأسها - الصبر: والصبر للجهد في سبيل الله من عدة ودوه هي: الاحتراز التام من الاستعجال، والاستقامة، والتجلد، وعدم التقهقر في مواجهة الشدائد والعقبات، وعدم اليأس والوهن إذا تأخرت النتائج المرجوة، ألا تنزل الأقدام إذا ما عرضت مواقع الخطر والطمع، وعدم فقدان التوازن في أحرج مواقف العواطف الثائرة، وعدم القيام بأي عمل إلا مع الهدوء وصحة العقل وركود القلب وسكون القوة الإرادية.

وثانيها: حماسة القلب وتعلقه بالغاية المنشودة: وهذه العاطفة ما لم تكن راسخة في أذهان الدعاة، ملتحمة مع أرواحهم ودمائهم أخذة عليهم ألبابهم وأفكارهم، فإنهم لا يقدر أن يحركوا ساكناً!!

وثالثها: الإيثار والتضحية:

التضحية بالوقت وبالجهود وبالكفاءات الفكرية وبالمستقبل اللامع والأمان والآمال.

ورابعها: التعود على العمل بسعي دائم وطريق منظم⁽⁸⁾.

1- (8) المودودي (أبو الأعلى): تذكرة دعاة الإسلام، ترجمة: خليل الحامدي، ص33-49 بتصرف، مؤسسة الرسالة، لبنان.

دور كليات الشريعة في إعداد الداعية القادر على مواجهة الغزو الفكري بمواقع التواصل الاجتماعي

أ. محمد عودة أبو ناموس*

* حاصل على درجة الماجستير في أصول التربية الاسلامية من الجامعة الاسلامية - غزة , يدرس الآن درجة الدكتوراه بجامعة الصين المركزية قسم علم النفس التطويري , وعضو اللجنة الدولية للطوارئ بالاتحاد الاوروي وممثلها بقطاع غزة والمدير التنفيذي لجمعية سنبلة للتنمية البشرية وحاصل على شهادة تقدير من جامعة اوبسالا السويدية والعديد من الجامعات ولي العديد من المنشورات الصحفية وشاركت في العديد من المؤتمرات العلمية المحلية والدولية .

مقدمة :

لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْعَالَمِينَ إِذْ بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا هَادِيًا وَرَحِيمًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَصَادِقًا وَأَمِينًا فَقَالَ تَعَالَى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ) (الجمعة : 2) وقال تَعَالَى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء : 107) فبعد أن ظلموا الناس أنفسهم وانحرفوا عن توحيد الله الواحد الاحد وشرائع رسلهم وأنبيائهم واتخذوا من دون الله أندادا وأتبعوا الطاغوت ، بعث الله عزوجل رسولنا الكريم ﷺ بدعوة الاسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور فكانت دعوة الاسلام دعوة تجديد ورقى تنسجم مع العقل والمنطق وتتناسب مع الواقع لتبني مستقبلاً يؤسس حضارة قوية توازي قوة الحضارات بل وتتفوق عليهم فتحول العرب من قبائل رعوية متفرقة متناحرة مستغلة من الفرس والروم إلى أمة واحدة ذات قوة ونفوذ تمتد حدودها من المشرق للمغرب تشتهر بالعلم والتطور فقال الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله) (ابن المبارك : 1991, 184) فلم تكن أقرأ كلمة في آية في قول الله تَعَالَى (أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق : 1) وإنما فهم شامل وأعمق لكل مناحي الحياة ليتجسد بمؤسسات علمية تغذي القول بالفعل وليقيم المسلمون أول صرح علمي جامعي في عصور الظلام فكانت أول جامعة إسلامية بيت الحكمة حيث أنشئت في بغداد سنة 830 م ، ثم تلاها جامعة القرويين سنة 859 م في فاس ثم جامعة الأزهر سنة 97 م ليدرس فيها الطلاب الأخلاق والقيم والقرآن وسائر العلوم وليتخرجوا منها سفراء للعلم ودعاة للدين ، بخلاف الكتابات ومنابر العلم بالمساجد والمكاتب فقال - جاك غودي في كتابه الإسلام في أوروبا: لقد أضحي اللباس الإسلامي العباءة والقبعة الجامعية التي كان يحمل الطلاب عليها القرآن فوق رؤوسهم علامة الوجهة العلمية إلى اليوم ، ولا سيما في المناسبات العلمية الرسمية والعالمية .

وأمام الحملات الشرسة ضد الإسلام والمسلمين منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية وصولاً لزمان سقوط الخلافة وحتى يومنا هذا ، لم يستنكف أهل الضلالة عن محاولاتهم بتدمير المجتمعات ، ومحاولين بكل قوة تفتيت المجتمع الإسلامي ، وطمس الحضارة الإسلامية ، وتعييب دور الداعية الإسلامي ، وتشكيك المسلم بعقيدته ، وأمام التطور التكنولوجي وزيادة الطلب على مواقع التواصل الاجتماعي التي أصبحت من المصادر الأساسية للمعلومات ولتطوير المهارات ، والتي يبني عليها الفرد مواقفه ، وتخطب الجماعات في المجتمع حيال مواكبة الأحداث سواء بالقبول أو الرفض ، أصبح لهذه المواقع دور ملموس إعلامياً وتربوياً وفكرياً في تشكيل موقف

الجمهور المتلقي محلياً ودولياً، فبات الفرد عرضة للانسلاخ والاعتراب الفكري والديني، مما كان له الأثر الكبير على فكر الشباب المسلم وسلوكياته، مما يعطي مؤشراً خطيراً أن هنالك مشكلة واضحة تستدعي الاهتمام والدراسة .

مشكلة الدراسة : في ظل هذه الخطورة الكبيرة والهجمة الشرسة لهذا الغزو الفكري على الإسلام والمسلمين يظهر دور الجامعات والمؤسسات الدينية للتصدي لهذه الهجمة من خلال إعداد الكوادر والوعاظ والدعاة من طلبتها لمواجهة هذا الخطر الداهم.

لذلك جاءت هذه الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيس التالي :

ما دور كليات الشريعة في إعداد الداعية القادر على مواجهة الغزو الفكري بمواقع التواصل الاجتماعي ؟

ويتفرع من السؤال الرئيس السابق الأسئلة الفرعية التالية :

1. ما مظاهر التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي في بعض متغيرات العصر؟
2. ما واقع دور كليات الشريعة في مواجهة الغزو الفكري بمواقع التواصل الاجتماعي ؟
3. ما التصور المقترح الذي يساهم في إعداد الدعاة في كليات الشريعة لمواجهة الغزو الفكري بمواقع التواصل الاجتماعي ؟

أهداف الدراسة :

1. التعرف علي بعض مظاهر التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي في ضوء الغزو الفكري بمواقع التواصل الاجتماعي .
2. التعرف علي تأثير العولمة الثقافية علي الفكر والتربية الإسلامية.
3. التعرف علي دور كليات الشريعة في إعداد الدعاة لمواجهة بعض متغيرات العصر كالعولمة الثقافية .

أهمية الدراسة :

1. تلقي الضوء علي خطورة الغزو الفكري علي الإسلام والمسلمين .
2. تلقي الضوء علي بعض الأساليب التي يقوم بها اعداء الإسلام في محاربة المسلمين باستخدام التقنيات الحديثة.
3. تبرز أهمية دور الجامعات والمؤسسات الدينية في كيفية إعداد طلبتها للتصدي لظواهر الغزو الفكري للمسلمين .
4. قد يستفيد منها الباحثون والعلماء والوعاظ .

منهج الدراسة :

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي والمنهج التحليل النوعي الذي يحاول وصف الظاهرة موضوع الدراسة وتحليل بياناتها ثم بيان العلاقة بين مكوناتها والآراء التي تطرح حولها والعمليات التي تتضمنها والآثار التي تحدثها .

مصطلحات الدراسة :

الدور :

هو السلوك والتصرفات المتوقعة من الفرد الموكل إليه بعض المهام، وقدرته على إنجاز هذه المهام من وجهة نظر المشرفين وذلك من خلال النتائج (الزيود: 25، 2003).

كلية الشريعة :

تعرف إجرائياً: هي منظومة تعليمية دينية معتمدة تخضع لقوانين المؤسسة الجامعية ومن ضمن فروعها العلمية الأكاديمية يتم من خلالها تعلم علوم الدين الإسلامي وأصول البحث العلمي، على أيدي كوادراً أكاديمية مرموقة تطبق معايير الجودة وتستثمر مستجدات التقنية، وهي منطلق الدعاة والعلماء والقضاة للمجتمع .

الداعية:

ويعرف الداعية في معجم المعاني الجامع والمعجم الوسيط :

لغويًا: جمع دُعاة: مَنْ يَدْعُو وَيُعَلِّم وَيُرْشِدُ إِلَى دِينٍ أَوْ فِكْرَةٍ (التاء للمبالغة) - داعية حَرْبٍ / سلام ، - داعية إسلامي .

اصطلاحاً: الذي يدعو إلى دين أو فكرة .

الداعية: هو كل من تتوفر فيه عوامل التأهيل والتكليف الشرعي والقائم على إيصال الدين الإسلامي إلى الناس كافة (البخاري : ج 2-1، 19) .

الغزو الفكري :

هو سلاح ثقافي يستخدمه اعداء المسلمين لحرف العقول الاسلامية وهدم الاسلام في نفوس المسلمين , وذلك من خلال مجموعة الدراسات والأعمال والثقافات التي تجرى حول المسلمين وتطبق على مجتمعاتهم فتؤدي بهم في النهاية إلى أن يتشبعوا بالفكر الغربي والحضارة الغربية

وتحت تأثيرها يقضى على شخصية المسلمين وعلى ولائهم الديني (محمود: 1979, 123).

مواقع التواصل الاجتماعي :

منظومة من الشبكات الإلكترونية , التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء مواقع خاصة بهم , ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي الكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها , أو مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية (راضي: 2003, 22).

التعريف الإجرائي للمواقع الاجتماعية : صفحة رقمية إلكترونية وهمية ضمن الشبكة العنكبوتية تجمع بين اشخاص حقيقيون على أرض الواقع يقومون بتغذيتها بالمعلومات.

الدراسات السابقة:

من خلال استقراء الباحث للدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة , تمكن من الوقوف على العديد من الدراسات حول موضوع الدراسة وهي على النحو الآتي :

1- دراسة الإدريسي (1989) بعنوان: ” أسلحة الحرب النفسية , الشائعات , غسل الدماغ , وتصور الوقاية منها“ .

هدفت الدراسة إلى التأكيد على خطورة الإشاعات , وغسيل الدماغ وقد قام الباحث بإجراء دراسة ميدانية على عينة من المعتقلين الفلسطينيين سابقاً في سجون الاحتلال الإسرائيلي , مثبتاً محاولات العدو الإسرائيلي لغسيل الدماغ لأولئك المعتقلين حسب طرق غسيل الدماغ المعروفة , وقد تطرق الباحث إلى السياق التاريخي للحرب النفسية مركزاً على الفترة الأولى للتاريخ الإسلامي , وتناول الإشاعات وغسيل الدماغ بشكل مفصل نظراً لكونها هدف هذه الدراسة , وفي نهاية الدراسة وضع الباحث تصوراً للوقاية من خطر الإشاعات وغسيل الدماغ معتمداً على أن مواجهة الإشاعات (باعتبارها الأعم والأسرع انتشاراً في المجتمع), تكمن في تحليل الإشاعات لمعرفة مفرداتها وأهدافها ومصدرها , ومن ثم اتباع المنهج الإسلامي في مواجهتها من خلال المؤسسات التربوية والإعلامية .

2- دراسة هلال (2000) بعنوان : ” أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة وكيفية مقاومته ”

هدفت الدراسة للكشف عن أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة ووضع الحلول لمقاومة تلك الغزو , واستخدم الباحث المنهج الوصفي , وكان من أبرز نتائج الدراسة ما يلي :

- إن مصطلح (الغزو الفكري) على حادثة مبناه , إلا أنه قديم المدلول والمعنى , فهو سلاح قديم , يتطور في وسائله وأساليبه بتطور العصور وقد عرفته كل جماعة بشرية واستخدمته في سبيل كسب معارك حياتها الاجتماعية والاقتصادية , بل والعسكرية .

- إن القرآن الكريم قد أفاض في الحديث عن هذا اللون من الغزو من حيث : قاداته , وأساليبه , وأهدافه , وخطورة نتائجه .

- أن فشل الحملات الصليبية كانت نقطة البداية للغزو الفكري المنظم .

- إن أعداء الإسلام لجأوا إلى الغزو الفكري , بجانب الغزو العسكري لاستئصال عقيدة المسلمين لتبقى مظهراً وليس جوهرًا .

- إن الهزيمة النفسية التي أصابت نفوس كثير من المسلمين بسبب ابتعادهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ , بسبب استعمار بلادهم أزماناً طويلة مما سهل التقليد الأعمى والانصبغ بالصبغة الغربية .

- إن الإسلام قد عني بالأسرة المسلمة عناية فائقة , تمثلت في ذلك الرصيد التشريعي الضخم الذي تناول البناء الأسري من قاعدته إلى قمته .

- إن الغزو الفكري قد نجح بمقدار في تنفيذ مخططه , ووصلت بعض سهامه فعلاً إلى (الحصن المنيع) الذي كانت الأمة وما زالت تعتصم به فأثر على الأسرة المسلمة عقدياً .

- إن الغزو الفكري استعمل في حربه ضد الأسرة المسلمة مجموعة من الوسائل والأساليب تعمل بصورة تكاملية لإضعاف الأسرة المسلمة .

- إن مقاومة الغزو الفكري للأسرة المسلمة خصوصاً , وللأمة الإسلامية عموماً ليست عملية سهلة , بل تحتاج إلى تعاون وتكامل بين جميع الأجهزة والمؤسسات على مستوى العالم الإسلامي كله .

3-دراسة الخليفي (2002) بعنوان : ” تأثير الإنترنت في المجتمع ” .

هدفت الدراسة التعرف على تأثير الإنترنت في المجتمع ومكوناته من خلال تقصي فوائد شبكة الإنترنت وسليباتها , واستخدام الباحث المنهج الوصفي التحليلي , واستخدم أداتين المقابلة والاستبيان حيث تم تطبيقهم على (137) طالباً من طلاب المرحلة الجامعية وتوصلت الدراسة إلى ما يلي :

- أن معظم أفراد مجتمع الدراسة (7,91%) لديهم رغبة في استخدام الإنترنت، وتركزت أهم الاستخدامات في أغراض الاتصال، وتبادل المعلومات مع الآخرين، والبحث عن المعلومات، والترفيه والتسلية.

- رأى المبحوثون أن سلبيات مواقع التواصل الاجتماعي تمثلت في أنها تساعد على الغزو الثقافي، وتسبب مشاكل اجتماعية وأخلاقية.

4- دراسة الشرقاوي (2002) بعنوان: "آليات وأساليب تعزيز الهوية العربية والإسلامية لمواجهة الهيمنة الثقافية في ضوء الرؤية المعاصرة للتعليم في زمن العولمة".
واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي النقدي.

وقد توصلت الباحثة إلى نتائج كان من أهمها:

- سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على الواقع الدولي، وتفردتها بزعامة العالم، وتكثيف دعايتها للقبول بهيمنة الحضارة الغربية من خلال النظام العالمي الجديد من أجل تكريس هيمنتها على العالم.

- أن كثيراً من القيم الثقافية في حاجة إلى التطوير والتجديد، حتى لا تصبح سندا للجمود والاستسلام لمعطيات التخلف.

- أن مفهوم الثقافة والهوية الثقافية هما جزء أساسي من الهوية القومية، ومن الضروري لحركة التنمية أن يتفاعل فيها الجانبان (الأصالة والمعاصرة).

- أن الهيمنة الثقافية تعني كما أشارت إلى ذلك الباحثة السيطرة على الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير والمنجزات المادية، كما تعني المراقبة الثقافية لكل ما يصنع الإنسان في البيئة الاجتماعية، وأن أمريكا تحاول فرض هيمنتها ونفوذها وثقافتها على شعوب العالم.

5- دراسة هيكل (2003) بعنوان: "كيف يمكن بناء الشخصية الإنسانية في المجتمع البشري في إطار متوازن بين ثقافة مجتمعية والاحتكاك بالثقافات المجتمعية الأخرى؟"
وقد تناول الباحث في دراسته المحاور الهامة التالية:

- وضوح مفاهيم التربية والتنشئة والثقافة والعولمة، وارتباط هذه المفاهيم بحركة المجتمع

نحو المحافظة والتغيير .

- التربية والحفاظ على ثقافة المجتمع الأصيلة .

- التربية والاحتكاك بالثقافات المجتمعية الأخرى .

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية :

أن هنالك عناصر ثقافية بديلة وافدة يمكن أن تكون نافعة وفي نفس الوقت يمكن أن تكون ضارة مثل الكمبيوتر والهاتف والإنترنت وأجهزة الإذاعة والتلفزيون وغيرها ,ومن هنا فلا بد من الحرص والحذر ,والتمهيد الفكري المبكر لأفراد المجتمع حول كيفية استخدام التكنولوجيا الحديثة وكيفية الاستفادة الحقيقية منها ,حتى لا تكون ضريبة الاحتكاك الثقافي غالية وثمنها فادح على ابنائنا وأكدت الدراسة أن وسائل الإعلام ومؤسسات الدعوة والمدرسة يمكنها لعب دور مؤثر في توعية الناشئة والكبار أيضاً تجاه هذا الأمر بحيث يتجنبوا مخاطر التكنولوجيا الحديثة ويحققوا أعلى درجة استفادة منها .

6- دراسة الزهراني (2010)) بعنوان : "أثر الحلقات القرآنية في تحقيق الأمن الاجتماعي" -

السعودية .

هدفت الدراسة إلى بيان أثر الحلقات القرآنية في تحقيق الأمن الاجتماعي لدى الطلبة ,واتبع

الباحث المنهج الوصفي .

وكان من أبرز نتائج الدراسة ما يلي :

- أن الحلقات القرآنية تربي طلابها على الفضائل من الأعمال والأقوال ,وتبعدهم عن المعيب

في الأقوال والأفعال بسبب التربية القرآنية التي تصوغ شخصياتهم على حب الخير وبغض الشر .

- إن من وسائل تحقيق الأمن الاجتماعي في ظل التحديات المعاصرة تربية الأفراد تربية قرآنية

من خلال التوسع في نشر الحلقات القرآنية وزيادتها ,والعمل على دعمها مادياً ومعنوياً .

- إن الحلقات القرآنية تشكل المصل الواقي من الأفكار المنحرفة المنتشرة اليوم بين الشباب

بسبب التغريب الفكري والتي تدفع النشء إلى الانحراف السلوكي ,لذلك باتت الحلقات القرآنية

سلاحاً فاعلاً تملكه وتتصدى به لوسائل الانحراف التي تجنح بالشباب إلى التقصير والغلو .

التعقيب على الدراسات السابقة :

- 1- اتفقت بعض الدراسات السابقة مع بعض الدراسة الحالية في استخدام منهج الدراسة (المنهج الوصفي) مثل : دراسة هلال(2000) , ودراسة الخليفي(2002) , ودراسة الشرفاوي(2002), ودراسة الزهراني (2010).
- 2- ركزت الدراسات السابقة على دور وسائل الاعلام والاتصال المختلفة في بث أساليب الحرب النفسية والغزو الفكري للنيل من معنويات الأمة .
- 3- كشفت بعض الدراسات السابقة عن خطورة الغزو الفكري ودوره في تفكك المجتمع ونشر الفتنة .
- 4- بينت بعض الدراسات السابقة آليات وأساليب تعزيز الهوية العربية وبناء الشخصية الانسانية للتعامل مع الثقافات الأخرى .
- 5- أظهرت بعض الدراسات دور المراكز والمؤسسات الدينية في تعزيز السلوك الإيجابي وتحقيق الأمن المجتمعي .
- 6- استفاد الباحث من الدراسات السابقة في بناء الإطار النظري , واستخلاص أهم النتائج والتوصيات , وكذلك التعرف إلى منهج الإسلام في الوقاية من خطر الغزو الفكري .
- 7- تميزت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أنها تظهر دور الكليات الشرعية في أعداد الداعية القادر على مواجهة الغزو الفكري بمواقع التواصل الاجتماعي , وإيجاد الحلول المناسبة للقضاء على أساليب الغزو الفكري المتنوعة وخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي .

الإطار النظري :

إن مصطلح الغزو الفكري الذي يتردد في هذا العصر على ألسنة الباحثين والمتحدثين لم يسمع به قبل القرن الرابع عشر الهجري , ولكن ليس معني هذا أن مفهومه وموضوعه لم يكن موجوداً , لأن المستقرب لأحوال الأمم والشعوب يجد أن مفهوم الغزو الفكري كان موجوداً في القديم وحديثاً . هذا التعبير (الغزو الفكري) على حادثة مبناه , إلا أنه قديم المدلول والمعني , وتتفاوت الأمم والجماعات فيه من حيث الدرجة لا النوع , ولا نبالغ إذا قلنا: إن كل جماعة بشرية (قبيلة , أمة , دولة) قد عرفت هذا اللون من الغزو واستخدمته في سبيل كسب معارك حياتها الاجتماعية والاقتصادية بل والعسكرية (السايج :33, 1994).

فالغزو الفكري سلاح قديم، وبعض الباحثين يرجع به إلى عهد آدم وحواء عليهما السلام، حيث اعتبر إبليس لعنه الله، أول من استخدم سلاح الغزو الفكري تجاه آدم وزوجه حواء، فوسوس لهما، وتقمع بقناع النصح، وارتدي رداء الصداقة والمحبة، وتسلل إلى قلوبهما من باب شهوات المتاع والملك والخلود، فغرر بهما وهو يرتدي ثوب الناصح الأمين فقال تعالي ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِمِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الاعراف: 20) نعم لقد نجح إبليس لعنه الله في مخططه وكانت النتيجة كما قال تعالي (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) (البقرة: 36)

وبهذا بدأ غزو العقل الإنساني، وتقسيم العقل البشري، ودفعه بعيداً عن الحق، وبدأ شياطين الإنس والجن يغزون عقل الإنسان، ويعبثون بفكره (حسن: 7، 1984).

ومع تتابع الأمم، ونزول الرسالات السماوية بسبب اختلاف الناس، اختلفت مظاهر وأشكال الكفار والمشركين ظاهرياً وتطورت عقولهم وأساليبهم مع تقادم الزمن، إلا أن قلوبهم ما زالت تقبع في ران الحقد والكراهية وحسب الشهوات والكيد لعباد الله فقال تعالي (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) (البقرة: 118) فالقوة والغرور والأمراض النفسية والكبت هو المحرك الأساسي لمحاولاتهم لتدمير الأمم والشعوب، فتطورت أسلحة أهل الباطل والبغي جاهدين لكسب الصراع بكل الوسائل والأساليب، فمند بزوغ شمس الإسلام أحر الرسالات السماوية لهذا الكون، انتقل الناس من معسكر الضلالة إلى معسكر الايمان فلم يصدق أهل الباطل أن العرب الرعاة قد أصبحوا أهل قوة ومنعة وأمة تضاهي قوتهم، بل وكسر المسلمون شوكتهم وتفوقوا عليهم، حتي شعر أهل الباطل بالخوف، والهلع أمام العملاق الإسلامي فأجمعوا كيدهم ضده، وتاريخ الإسلام مثخن بالجروح الدامية من أعدائه، ولولا أن الله تكفل بحفظ هذا الدين وبقائه لأصبح أثراً بعد عين ولأسدلت عليه ستائر النسيان .

فأعداء الاسلام وخصومه لم يتورعوا من استخدام كل ما أتيح لهم من وسائل وأساليب في محاربة هذا الدين العظيم، وتعددت وتنوعت أساليب الحرب المستخدمة وتطور وسائلها في كل زمان ومكان، وتعتبر محاولات أعداء الاسلام منذ بعثة النبي ﷺ حتي الهجوم الأمريكي على العراق ما هي إلا حلقات في سلسلة الصراع بين الإسلام وأعدائه، فأصيبت الأمة الاسلامية ودولها بالضعف والعجز، مما سهل مهمة الغزو الثقافي للأعداء للمجتمع الاسلامي وانتشرت في

المجتمعات الاسلامية الولع بتقليد الحضارة الغربية الأمر الذي يؤكد مقولة العلامة المسلم ابن خلدون في ولع المغلوب باقتداء الغالب (ابن خلدون، ج2-511).

ولقد ساهمت القوة العسكرية المستعمرة والحاكمة في فرض ثقافة الدول المستعمرة، ثم عندما زال الاستعمار كاحتلال عسكري للكثير من البلدان الإسلامية، ظل الغزو الثقافي قائماً، إلا أن القيم الإسلامية كانت وما زالت تحكم ضوابط المجتمع والأسرة المسلمة والعربية، فكانت الأمة كلما تعرضت الثقافة الإسلامية لشكل من أشكال الغزو الثقافي والتغريب تحتمي وتدافع بما يسمى (التحصن من الداخل) إلا أن الغزاة استحدثوا أساليب مختلفة ومتنوعة لتحقيق الغزو الثقافي أهدافه ولاختراق الحصن الداخلي التي تحتمي به الأمة وكان من أهم هذه الأساليب الغزو الفكري والذي استخدمت فيه أدوات عدة لأضعاف الأمة الإسلامية داخل الحصن الإسلامي والأسرة نفسها .

أ/ أساليب الغزو الفكري المعاصر:

1. العولمة الثقافية: فهي اختراق البنية الثقافية المحلية مع احتلال الهوية الثقافية الخصوصية لها، وبالتالي فقدان الهوية الثقافية للدول الضعيفة (عدوان: 176، 1999)، وتعرض العولمة الثقافية على الثقافة العربية والإسلامية مجموعة كبيرة من التحديات، وهي أن "العولمة تتضمن في هذا الجانب قهراً لمعتقدات ومقدسات بعض الأمم"، كما أن العولمة تحمل في طياتها نوعاً آخر من الغزو الثقافي "أي نوع من قهر الثقافة الأقوى لثقافة أخرى هي أضعف منها" (أمين: 29، 1998).

فثقافة العولمة تعتمد على النظام السمعي والبصري الذي ترعاه عشرات الوسائل الإعلامية التي تزخ ملايين الصور يومياً فيستقبلها مئات الملايين من المتلقين في سائر أنحاء الكرة الأرضية، وهي بذلك تقتل الروح وتذهب بالمحتوى الأخلاقي والإنساني لسلوك الناس .

فالثقافة الأمريكية والمنتجات الثقافية الأمريكية هي الأكثر قابلية للتسويق في العالم كله على الرغم من أنها ثقافة متدنية وهابطة، فهي موجهة إلى الأحداث والشباب الذين ليس لديهم أسر ومنازل لإعالتهم لذا فهم الفئة الأكثر استهدافاً، والأكثر تأثراً بالمنتجات الثقافية المعولمة، ويتعرض العالم الثالث وبالأخص الوطن العربي والدول الإسلامية لخطر التهميش الذي تتعرض له الثقافة والإعلام العربية بحكم تخلفه في مجال ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال أو إفلاسه في إطار عالم توحده ثقافياً الصور والرسائل الأمريكية، التي تذاع وتنشر عبر الأقمار الصناعية. (حوات: 2002، 212-213).

2. التغريب: التغريب في أبسط مفهوم له هو: " حمل المسلمين عامة والعرب خاصة على قبول ذهنية الغرب ومحاولة غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم , وتخف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية (الجندي: 1991, 223) , ويرى الباحث والكثير من الباحثين أن من وسائل صرف المسلمين عن عقيدتهم كان من خلال منهاج التعليم , ففرضوا في منهاج طلابنا ما يعزز في نفوسهم احترام فكر الغرب وازدراء الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية , وبل شن المستشرقين على اللغة العربية الفصحى لغة القرآن حرباً ضارية عن طريق الدعوة إلى استخدام العامية واللهجات الإقليمية مدعين بأن اللغة الفصحى لغة دينية ولغة جامدة , وتفقد المرح , فسعى أعدائنا لحرف اللغة العربية وخلطها باللغة الأجنبية حتى أصبح شرط الوظائف والمنح الدراسة إجادة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية والعجيب أن يمضي عدونا في حرب لغتنا ثم يجد من أبناء جلدتنا من يؤيد باطله , وفتح مدارس وجامعات أجنبية مختلطة بهدف التمدن والتطور .

بل يرى الباحث أن أعداء الإسلام لم ينسّ منهج التاريخ الإسلامي , فقاموا بتغيير معالمه وطمس حقائقه فحينما تحدثوا عن العرب في الجاهلية ذكروا أنهم كانوا يعبدون الأصنام , ويشربون الخمر ويئدون البنات , ويلعبون الميسر , فجاء الإسلام وأزال تلك المظاهر , ولم يتحدثوا عن عقيدة الإسلام وانه منهاج شامل لكل نواحي الحياة .

3. وسائل الإعلام و الأنترنت : عمل أعداء الإسلام بوسائل شتى لصرف المسلمين عن عقيدتهم من خلال وسائل الإعلام كترجمة كتب المفكرين الغربيين وبالصحافة وبالمسرح والسينما والإذاعة والفضائيات واهتموا بترويج نشر نظريات الغرب المناهية للإسلام كنظرية التطور الداروينية , ولقد استحدث الغرب وسائل وطرق جديدة لاختراق الأسرة المسلمة , واحتكار عقل الإنسان المسلم وتجاوز كل العقبات للانفراد بعقل المسلم عن طريق الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي , فعملوا على مخاطبة فكر الإنسان المسلم وإلهائه بصفحات وهمية لصرفه عن كتاب الله وعن دين الله واشغاله بالرياء وبالحرية الذاتية , وإقامة الصداقات والعلاقات المشبوهة مع الفتيات وعملوا على خلط المفاهيم والمصطلحات حتى أصبح لدى الفرد المسلم تشوه معرفي ولغوي وقيمي , بل قام أعداء الإسلام بعمل صفحات وهمية لإناث وذكور بكُنى إسلامية بهدف التناول على الإسلام والتشكيك في عقيدته وزعزعة الإيمان وإن قل في قلوب بعض الشباب المسلم الغير ملتزم , ومن المندسين من لبس ثوب الحرية في كل جوانب حياة المسلم , وبل هنالك تساوq وترويج علني إعلامي وإلكتروني تجاوز الخطوط الحمراء لدى الأسرة المسلمة في محرمات الأرحام , بل وصلت بهم الجرأة لإقامة صفحات لعبدة الشياطين قاتلهم الله , وللملحدين

والمثلية الجنسية بلسان عربي، والحقيقة كل ذلك يستحوذ ويخترق عقول الشباب المسلم من خلال الاستخدام السيئ لمواقع التواصل الاجتماعي والحرب الفكرية الموجهة لشباب الإسلام وللأسرة المسلمة، والصراعات السياسية التي تدور رحاها على مواقع التواصل الاجتماعي بين الخصوم، واستغلال الصراعات لإثارة الشبهات حول الإسلام وتراثه العريق، واستغلال المنظمات المتطرفة للمواقع الإلكترونية لترويج رعبها الدموي الذي ساهم بتخويف الناس من الإسلام ومن الدعوة إلى الله حتى أصبحت كلمة الله أكبر تهمة، والحقيقة إن مواقع التواصل الاجتماعي هي الوسيلة الوحيدة اليوم التي يستقي منها الناس معارفهم وأخبار حياتهم باختلاف ألوانهم وجنسياتهم ومعتقداتهم، فتحوّلت الحياة الواقعية إلى مجتمع افتراضي، فلا توجد عبارة موجزة تختصر وصف مواقع التواصل الاجتماعي أكثر انطباقاً في أنها "سلاح ذي حدين" في عملية النضوج الفكري للفرد وللمجتمع من وجهة نظر كل الباحثين وأنها وسيلة مخيفة للغزو الثقافي والفكري للفرد وللمجتمع.

أ/أنواع الغزو الفكري الذي تواجهه الأمة الإسلامية كما يرى الباحث:

تواجه الأمة الإسلامية نوعان من الغزو الفكري والثقافي:

النوع الأول / غزو فكري داخلي: وهو قائم على انتقاد التاريخ الإسلامي وإثارة الشبهات حول الشخصيات الإسلامية العظيمة بدءاً من الرسول ﷺ والصحابة الكرام رضوان الله عليهم وصولاً لإثارة الشبهات حول نوايا الأئمة والدعاة في زماننا، فإذا ما ذكروا التاريخ الإسلامي فإنما يذكرونه على أنه تاريخ حروب وفتن ودماء ومؤامرات وانقلابات ونساء وجواري.

النوع الثاني / غزو فكري خارجي: وهو قائم على استغلال النقاط والفجوات التي أثارها النوع الأول من الهدم ليدخل من خلالها، مستغلاً بذلك تغريب المجتمع الإسلامي ككل ووصفه بالرجعية والتخلف، وهضم حقوق المرأة، ووصف الإسلام بالإرهاب وأنه منبع الشرور، وأن مفاتيح الحياة الرغيدة تكمن معهم وفي ثقافتهم.

ب/ معززات الغزو الفكري كما يرى الباحث :

- 1- الاستبدادية الحاكمة والبعد عن الجماهير ودفن طموح الشباب.
- 2- الفقر والبطالة وضياع العدالة الاجتماعية والحلم بالتغيير.
- 3- إثارة نعرات مذهبية وطائفية .
- 4- استغلال المتشابهات ونشر لغة التحريم والتغليظ والتكفير وفي بعض الأحيان ترويج سطحية العقلية الإسلامية .

- 5- خلق أفكار وأراء وجماعات متطرفة دموية تسعى لنهب الثروات والحكم.
- 6- رفض الرأي المعتدل والمتسامح وكنتم حرية التعبير.
- 7- نشر الكراهية والخوف ومجهولية المصير.
- 8- عقد مقارنات بين الأساليب الإنسانية لمواطنين الغرب والرفق بالحيوان ودموية المسلمين فيما بينهم وتشتت أمرهم.
- 9- إثارة شبهات حول التراث الاسلامي والعربي وسوء الظن بالمسلمين.
- 10- إثارة الرغبات والتلاعب فكرياً ونفسياً في عقلية الشباب المسلم .

ت/دوافع الفرد لاستقبال الأفكار الغير منضبطة كما يرى الباحث:

- 1- ضياع الرقابة الأسرية وضياع القدوة الحسنة.
- 2- الجهل بالعقيدة والدين والتمسك بالفروع والحكم بظواهر الأمور.
- 3- الميول الجنسية والحاجة لإشباع الرغبات .
- 4 - الزواج متأخراً وانتشار نسبة العنوسة .
- 5- رفاق السوء والتنافس على المعاصي والمجاهرة بالسوء شجع البعض على ارتكاب الرذائل .
- 6- انتشار الرياء والكذب وأحلام اليقظة وحب مواكبة الموضة .
- 7- حب الدنيا ونسيان الآخرة .
- 8- عشق الهجرة للغرب .
- 9- جمود الفكر وانتظار الحلول الجاهزة .
- 10- تخوف الناس من الدعاة والخلط بين التدين والتشدد .
- 11- ترويج الداعية على إنه إما رجل درويش أو إرهابي .
- 12- ضعف الأمة الإسلامية وتمجيد التاريخ وتشتتها على أرض الواقع .
- 13- تعويم مفهوم الحرية .
- 14 - الانبهار بالثقافة الغربية وبال تقدم التكنولوجيا .
- 15- الأسلوب المتغلظ لبعض الدعاة وتسليط الضوء على هفوات بعضهم في المعترك السياسي .

دور الكليات الشرعية في اعداد الداعية :

إن الكليات الشرعية تعد من أهم المؤسسات الدينية في الأمة والدولة فهي قلعة الإسلام ورجالها حراس العقيدة والإيمان في الأمة والمجتمع العربي فدورها لا يقل أهمية عن دور المؤسسات الحكومية، فهي منبع الأمن الاجتماعي والسلم الأهلي وقيم وضوابط المجتمع، يستقى الناس من خلال خريجيتها من الأئمة، القضاة، الوعاظ، العلم الرصين والمنهج السليم، منها يدق ناقوس الخطر المحدق بالأمة، وتنكشف المؤامرات وتزول الغمة بحكمة اساتذتها المبجلين وطلابها الغر

الميامين، فهم حملة علوم الدين والدرع الحصين وهم ورثة الأنبياء والمرسلين، لهذا كان دور كلية الشريعة لا يقتصر فقط على الدعاة والدعوة وإنما على تعزيز الانتماء الديني في نفوس شباب الأمة وخروج الأمة الإسلامية من حالة الضعف والترهل إلى الرقي والنهوض.

إن النهوض بالأمة وبال دعوة، لا بد له من التعاون جاد بين كل المؤسسات الدينية والتربوية والعلمية في المجتمع ووسائل الإعلام، من أجل تهيئة المناخ التربوي والعلمي الملائم لبلوغ تلك الأهداف التي ترتقي بالأمة والمجتمع.

فينبغي علي الجامعات بشكل عام والكليات الشرعية بوجه خاص اتباع استراتيجية ملائمة لمواجهة تحديات الغزو الفكري بكل انواعه، ولا بد لهذه الاستراتيجية من أن تتبع من الداخل، من داخل أنفسنا، ومن واقع ظروفنا، ولا بد أن تبدأ بالفرد وتربيته التربية الصحيحة، فالتربية هي الملجأ الأول والأخير، وأنها إذا تمت في إطارها الديني الصحيح سوف تنتج خير فرد وخير مجتمع، وخير حضارة إنسانية، والتربية الصحيحة تُصلح كل ما نشكو منه أو نعتذر عنه، أو نود ببناءه فلا نقدر عليه (مجاهد: 2001، 195).

وهذه الاستراتيجية المقترحة تتطلب المزيد من الجهد علي مستوى المؤسسات التعليمية الجامعية وخاصة الكليات والمؤسسات الإسلامية من خلال :

1. البناء القيمي والأخلاقي للفرد .
2. تطوير مناهج التعليم الجامعي لمواجهة تحديات العولمة الثقافية.
3. زيادة فعاليات ونشاطات الجامعة علي المستوي العلمي والتربوي (العاجز- نشوان: 15، 2005).

إن الاسلام لا يرفض التجديد والتطور ولكن لهذا التطور والتجديد ضوابط ومعايير يستند عليها فالمعيار الذي يحكم عملية التجديد لدينا في مجتمعنا ” يقوم على اتخاذ الأصول الإسلامية معياراً نقوم به الأفكار الواردة وتمحيصها قبولاً أو رداً أو تعديلاً بما يتلاءم مع هذا المعيار“ (الصوفي: 2001، 19).

لهذا يرى الباحث من أجل النهوض بالأمة وسد الفجوة الحضارية بيننا وبين الغرب في التفوق في المجال العلمي التقني يتم من خلال :

- 1- ضرورة التشبيك بين الكليات الشرعية والكليات الأخرى، من أجل استغلال القدرات الإسلامية وتطوير المجتمع الإسلامي بالكلية .
- 2- صناعة ألعاب إلكترونية ومسابقات رياضية إسلامية تناسب الأطفال والشباب تنمي

- قدراتهم الذهنية وتعمق الانتماء للأمة في وجدانهم .
- 3- إنتاج أفلام تاريخية إسلامية مترجمة توضح رقي الحضارة الإسلامية وتظهر أسماء علماء الاسلام المجهولين كالعلامة ابو محمد الهمداني الذي سبق نيوتن في اكتشاف الجاذبية والذين كان لهم بصمة في الرقي البشري بالصورة الصحيحة .
- 4- استقبال الكليات الشرعية للشباب المبتكر من العالم الإسلامي والكليات الأخرى وصناعة افكارهم العلمية والترويج لهم وتقديمهم للمجتمع كأبطال مما يعزز السلوك الإيجابي .
- 5- إقامة مسابقات للغة العربية والشعر العربي بحوافز .
- 6- اختراع وسائل علمية تثبت الإعجاز العلمي بالقرآن الكريم دون انتظار شهادة من الغرب .
- 7- تطوير قدرات الداعية في الإلمام حول الشبهات التي تثار حول الإسلام وأساليب الرد عليها .
- 8- ضرورة اعطاء دورات بعلم النفس للدعاة للتعامل مع جميع أنفس البشر وخاصة المكبوتة منهم .
- 9- اعطاء المسجد دوره التربوي كمؤسسة تربوية دينية ونشر حلقات التحفيظ والتربية والرياضة .
- 10- تعريف المسلمين بدينهم والرد على الشبهات التي تثار حول الدين في خطب الجمعة .
- 11- الابتعاد عن القدر والنقد لسياسة الحكام من أجل استقطاب مواقفهم لدعم المؤسسة الدينية في مواجهة التعريب الفكري ومن أجل قطع دابر الفتنة ومداخل الغزاة الهادفة لعزل المؤسسة الدينية عن المؤسسة الحاكمة .
- 12- عقد محاضرات وندوات للأسر وللطلاب في المدارس , توضح مخاطر الغزو الفكري من خلال مواقع التواصل الاجتماعي وأساليب الوقاية .
- 13- التشبيك بين المؤسسات الدينية والمؤسسات الحكومية من أجل فرض قيود وحظر وملاحقة الصفحات الإلكترونية المشبوهة والقائمين عليها .
- 14- سن قانون يعاقب كل من يقوم بازدراء الأديان على صفحات التواصل الاجتماعي أو نشر أفكار تخالف المجتمع .

أساليب الدعوة للرد على الغزو الفكري على مواقع التواصل الاجتماعي :

1. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان لا يطيل في نصح أصحابه فالجمهور لا يحب السرد الطويل .
2. استخدام الأدلة الموجزة والمنطقية والملمجة مثل قول الله تعالي ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿﴾ (البقرة: 258) .
3. فن التعامل واللياقة اللفظية مع المسيء وعدم الانجرار للقدح فيه وتمني الهداية له .

4. نشر منشورات تعزز المحبة والأخوة وتظهر سماحة الدين الإسلامي .
5. التبشير والابتعاد عن اساليب النذير .
6. إظهار بشاشة الوجه وحُسن المظهر والخُلق واللباقة البدنية للدعاية كإنسان عصري متطور.
7. نشر الجوانب الإنسانية والمحبة للدين والتقليل من حدة المشاهد المؤلمة .
8. نشر صور الأجانب الذين أسلموا وأرائهم في الاسلام .
9. توضيح الشبهات بطريقة سلسلة ومتدرجة واسلوب جذاب ومشوق.
01. نشر ثقافة الاعتذار والاعتراف بالخطأ وتقبل الرأي الآخر.
11. تعريف الناس بدينهم من خلال تقديم علاج لمشكلاتهم الاجتماعية .
12. انشاء صفحات اسلامية يقوم عليها كبار الدعاة للإجابة على أسئلة الجمهور.
13. انشاء صفحات اسلامية تعالج المشكلات الأسرية وتقدم خدماتها للمحتاجين المسلمين في الوطن العربي وتظهر سماحة الإسلام .

نتائج الدراسة :

وتوصلت الدراسة إلى جملة النتائج تتلخص فيما يلي :

- - إن الكليات الشرعية تستثمر وسائل الاتصال الحديثة كالإنترنت لإنشاء مواقع دينية تواجه الغزو الفكري وتستخدم أساليب تربوية متنوعة وحديثة لتدريب الدعاة على نشر الدعوة بصورة صحيحة إلا ان الإعلام الغربي والعربي الموجه مهتم بتضخيم التطرف وغض الطرف عن جراحات المسلمون في العالم.
- - تستقطب الكليات الشرعية العديد من الدعاة المشهورين من العالم الإسلامي والعربي لمساعدة الكلية في إعداد طلبتها للدعوة.
- -تنظم الكليات الشرعية المؤتمرات وورش العمل المحلية لإبراز دورها في التصدي لمظاهر الغزو الفكري والتشدد.
- -الدعوة الإسلامية تخاطب المجتمع الغربي, في حين الحكومات الغربية هي من تعادي الإسلام لمكاسب سياسية واقتصادية .

توصيات الدراسة :

- ضرورة أن يكون هنالك تعاون بين وزارة التربية والتعليم ووزارة الأوقاف والمؤسسات التي تقوم بالتحفيظ, وذلك من أجل توجيه الطلاب لهذه المراكز من خلال المدارس النظامية.
- تكثيف البرامج الإرشادية لتوعية الأسرة بوظائفها التربوية, وتنمية قدراتها ومخاطر الغزو الفكري الالكتروني وذلك باستدعاء علماء قادرين على ربط الحياة العلمية بكتاب

الله وسنة الرسول ﷺ.

- ضرورة الرد على الغزو الفكري الداخلي ورد شبهاته من خلال عقد مناظرات علمية يتم نشرها على مواقع الانترنت والرد على الغزو الفكري الخارجي من خلال استقطاب دعاة من أصول نصرانية.
- وجوب دعم ومساندة أحزاب غربية برلمانية تحترم الإسلام وقيمه ووجوده بالغرب .

المراجع الخاصة

1. أمين، جلال (1998) "العولمة والدولة" مجلة المستقبل العربي " سنة 20، ع228، ص23-36.
2. الادريسي، يوسف (1989) : "أسلحة الحرب النفسية ، الشائعات ، غسل الدماغ ، وتصور الوقاية منها ، رسالة ماجستير غير منشورة ،المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ،الرياض ،السعودية .
3. الجندي ،أنور(1991) الشبهات والأخطاء الواقعة في الفكر الإسلامي ،دار الاعتصام ،القاهرة.
4. حسن ،جبر (1984) الغزو الفكري مصادره وأهدافه وموقف الإسلام منه ،رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية أصول الدين ،القاهرة.
5. حوات ،محمد علي(2002) العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل :مكتبة مدبولي. القاهرة .
6. الخلفي ،محمد صالح (2002) تأثير الإنترنت في المجتمع ،مجلة عالم الكتب ، المجلد 22، العدد 5-6.
7. راضي ،زاهر (2003) استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي ،مجلة التربية ،عدد15،جامعة عمان الأهلية ،الأردن.
8. الزهراني ،علي بن إبراهيم (2010) "أثر الحلقات القرآنية في تحقيق الأمن الاجتماعي" ، مجلة كلية التربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد (6) ، ص (56-16).
9. الزويد ،نادر فهمي(2003): " خصائص ومهارات الأخصائي الاجتماعي في العمل، محاضرة جامعة الزيتونة، الاردن.
10. السايح ،أحمد عبد الرحيم (1994) في الغزو الفكري العدد (38) سلسلة كتاب الأمة ،القاهرة.
11. الشرقاوي ،مريم إبراهيم(2002) "أساليب تعزيز الهوية في مواجهة الهيمنة الثقافية، رؤية معاصرة لإدارة التعليم في عصر العولمة" في مؤتمر بعنوان: "التعليم وإدارته في مواجهة الهيمنة الثقافية" المؤتمر السنوي الثامن، المنعقد في 27-29 يناير ص167-169.
12. الصوفي ،عبد الله (2001) "التكنولوجيا الحديثة ومراكز المعلومات والمكتبة المدرسية" ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان.
13. العاجز فؤاد ،جميل نشوان(2005)" دور الجامعة الإسلامية في إعداد الدعاة لمواجهة تحديات بعض متغيرات العصر" ،مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، المنعقد في 16-17 إبريل 2005م.
14. محمود ،علي (1979) :الغزو الفكري الثقافي وأثره في المجتمع الاسلامي المعاصر ،دار البحوث العلمية .
15. مجاهد ،محمد إبراهيم عطوة (2001) "بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها" "مجلة مستقبل التربية العربية" مج7، ع22، ص157.
16. المنصور ،محمد(2012):"تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية و المواقع الإلكترونية ، رسالة ماجستير غير منشورة ،الأكاديمية العربية المفتوحة ،الدمارك.
17. هلال ،محمد هلال (2000): " أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة وكيفية مقاومته" ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الأزهر ،القاهرة .
18. هيكال ،سالم حسن علي (2003):" تربية و تنشئة الفرد في إطار متوازن بين ثقافة مجتمعه و الاحتكاك بالثقافات المجتمعية الأخرى " ، ندوة مدرس المستقبل ، جامعة الملك سعود .



أسلوب التدريس من السلوك العفوي إلى الفعل الواعي



ذ. محمد لفرم*

*مفتش ممتاز للتعليم الثانوي، منذ 25 سنة، ودبلوم كلية علوم التربية، الماستر المتخصص في تدريس العلوم الشرعية 2014، وباحث بمركز الدكتوراه في منهجيات التدريس بالمدرسة العليا للأساتذة بفاس، وأستاذ سابق بالإجازة المهنية بالمدرسة العليا للأساتذة بفاس التابعة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس-سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله.

مقدمة أساس:

ذكر ابن عطاء الله السكندري في حكيمته العطائية الثامنة: "إذا فتح لك وجهةً من التعرف فلا تبال معها إن قلَّ عملك، فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك، ألم تعلم أن التعرف هو مُورده عليك، والأعمال أنت مُهديها إليه، وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك"¹.

مقدمة تمهيدية:

إن التدريس الراهن له دور هام منوط به نحو المجتمع والدولة، وقد أصبحت الحاجة ملحة، اليوم، وأكثر من أي وقت آخر، لتبادل الرؤى بين المهتمين، من قريب أو من بعيد، والمعنيين المباشرين بالتعليم، وتلاقح التجارب في إطار احتكاك مباشر من أجل الخروج بتصور مفاده أن من يشتغل منفرداً، في أي مجال، وفي مجال التعليم على الخصوص، لا محالة، سيتيه في طريق رملي، تتشكل منعرجاته بحسب الرياح، ولا يرسو على حال، وليس بإمكان أي مهندس أن يضع له سكة نهائية، خصوصاً إذا فكر من منطقته الخاص.

كما لا تخفى أهمية التدريس عموماً، وتدريس العلوم الشرعية خصوصاً، سواء بالتعليم المدرسي أو بالتعليم الجامعي والعالي وكذا بالتعليم الأصيل والتعليم العتيق بمختلف أسلاكها، من حيث إنه الجسر الرابط بين الأجيال السابقة التي رسمت الطريق لبناء العلوم الشرعية، وبين الأجيال الحالية والمستقبلية التي عليها إكمال المسير، سواء بالتطوير أو التصويب أو التعديل أو الإنتاج العلمي الذي يناسب التطور السريع، والفريد، الواقع في كل مجالات الحياة الفردية أو الجماعية.

وهذه الأهمية تقتضي من المعنى بالموضوع المباشر الفعل فيه أن يطور ذاته بما يجعله متيقظاً لكل جديد ليباشره بالتجربة، والتعجيل بإعطاء الصورة للوضعية التي يعيشها لكي يتسنى للآخر، الباحث، الذي عليه اكتشاف الطرق والأساليب التدريسية وعرضها للتنزيل والتطبيق والوقوف على حقيقة ذلك من الواقع التدريسي حتى يكون تصوراً يعطي المقاييس التقويمية والمعايير الكفيلة بإيجاد السبل الكفيلة لتطوير فعل التدريس بشكل مستمر ولا نهائي، إذ ليس هناك صيغة تدريسية مستقرة ودائمة.

1 - بن عجيبة، أحمد بن محمد الحسني: إبعاد الغم عن إيقاظ الهمم في شرح الحكم، تنسيق عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2009م، الجزء الأول، الصفحة 36.

مصطلحات تربوية:

إن أي بحث لا بد أن يحدد المفاهيم المفتاحية التي سيشتغل عليها حتى تكون هي معايير مناقشتها والحكم عليه، ومصطلحات التربية عديدة جدا بتعدد ميادينها وعلومها، غير أن ما يشغل بال الورقة على الخصوص مفاتيح هي:

التدريس¹:

التعريف اللغوي: السيرة والطريق الخفي، ودرسه أي قرأه²؛

التعريف الاصطلاحي: "تدخل شخص ما في نشاطات تعلم فرد آخر خاضع لإجراءات هذا التدخل، وقابل، بالنتيجة، لأن تُهيكل نشاطاته التعليمية وتُنظَّم بكيفية أو أخرى"³، فهو فعل منتظم ومستمر متكرر، كأنه صار حالة ومذهبا وسيرة، في إطار معايير ومواصفات محددة ومتعارف عليها، تلزم الالتجاء إليها أدبيات تربوية متعارف عليها وتفرضها محتويات المادة المعرفية ومضمونات العلم الشرعي الخاضع لفعل التدريس سعيا لتحقيق أهداف مسطرة ومحددة.

أسلوب:

لغة: الأسلوب الطريق، والمذهب والنمط، ومنه يقال: لكل إنسان أسلوب في الحياة، وبالعودة إلى جذر الكلمة فهو من فعل سَلَبَ، أي ما يؤخذ بالقوة، والأسلوب هو السطر من النخيل، والأسلوب أي الفن، والأسلوب الشموخ في الأنف⁴.

واصطلاحا:

"مجموعة الأنماط التدريسية الخاصة بالمعلم والمفضلة لديه"⁵.

إن أسلوب التدريس مسألة مرتبطة بشخص وشخصية المدرس غالبية عليه سواء أكان واعيا بها أم غير واع حتى أنها تصير صفة مميزة له عن غيره وتصير وصفا مرتبطا به⁶. وقد تكون صفة

1- لن يغرق البحث في التعاريف واصطباها من هنا أو هناك، بل سيذهب لاقتراح ما يراه الباحث مناسباً للموضوع المراد مناقشته والهدف المنتظر تحقيقه، انطلاقاً من التجربة الخاصة.

2- الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وآخرون، مطبعة حكومة الكويت، 1965م، باب (د ر س)

3- الفارابي وآخرون: معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى،

1994م، ص 102، باب تدريس، تعليم

4- تاج العروس، باب (س ل ب)، ج 3 ص 71.

5- سليمان، ممدوح بن محمد: أثر إدراك الطالب المعلم للحدود الفاصلة بين طرائق وأساليب واستراتيجيات التدريس في تنمية بيئة

تعليمية فعالة داخل الصف، رسالة الخليج العربي العدد 24/8، الصفحة 119 إلى 146، بتاريخ 1408هـ، 1988م.

6- مضمونه في معجم علوم التربية، ص 303.

عامة وقد تكون صفة تفرضها جدران الحجرة الدراسية تتجسد بوضوح بالغ حال عرضه للمعارف والمحتويات الدراسية. وغالبا ما تكون أساليب التدريس مختلفة بين المدرسين، وحتى ولو تم التواطؤ على اعتبارها متشابهة فإن حظ التميز سيظل قائما وواضحا وعلى أساسه يصير التمييز بين المدرسين ممكنا وجليا. ولا علاقة البتة بين طريقة التدريس¹، فقد تتشابه الطرق تشابه تطابق إلا أن أساليب التدريس تختلف وتتنوع بتنوع المدرسين كأنها بصمة وراثية. فالحديث عن المدرس البشوش قد يثير في ذهن صورة مدققة للبشاشة، لكن تتبع أساليب المدرسين المختلفين سيثير بالتبع العديد من صور البشاشة.

ومن هذه الأساليب التدريسية يمكن اختيار ما يلي، انطلاقا من كونها الأكثر ظهورا في التجارب الميدانية للمدرسين:

1. أسلوب التدريس المزاج بين المدح والنقد²، وذلك بشكل ملفت للنظر، بحيث أن المدرس لا يفتري مدح على أي فعل للمتعلم أو ينتقد أي رد فعل. والمطلوب أن يكون المدح تحفيزا، لا أن يتم استحقاره بحيث يكون من غيروعي فيكون مجرد رد، أو رد فعل آلي من المدرس. كما أنه ليس مستحبا أن تكون كل ردود المدرس ذمما واستهزاء لأي تدخل، بل لا بد أن يتحول هذا الأسلوب فعلا بوعي ليميز المدرس بين التدخل بالمدح والثناء، ومتى يتم التدخل بالنقد من غير أن يكون هذا النقد والانتقاد نقضا يعرقل نمو المتعلم فكريا ونفسيا؛
2. أسلوب التدريس القائم على الأسئلة المتكررة³، وغالبا ما يتحول الدرس إلى أسئلة كثيرة ومتعددة من فرط غياب الوعي بها والتركيز على مرادفات تصير أسئلة مكررة بل ومستهجنة من قبيل، ثم ماذا، وماذا أيضا،... فالسؤال ركن ركين في بناء التعلم وتقومها مما يفرض لها إعدادا وتخطيطا وبناء هادفا مرتبطا بالمقصود من الدرس⁴. والمدرس الذي يحسن اختيار أسئلته وهو بدورها واعٍ، وبالهدف من ورائها مدركا، فإنه سيقود المتعلمين باتجاه تحقيق الهدف المسطر؛
3. أسلوب التدريس المعتمد على ضرب الأمثال؛
4. أسلوب التدريس القائم على القصص؛

1 - أغفل البحث العرض لها بحكم الالتزام بورقة حول أساليب التدريس.
2 - قد يجمع نفس المدرس بين الأسلوبين معا، وقد يكون أحد الأسلوبين هو المفضل لديه أو قد يكون أحدهما هو الطاغى على غيره دون تغييره تماما، ويمكن الاستفادة من الرابط التالي بتاريخ 20/08/2017: <http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=502159>.
3 - يمكن الاستفادة من الرابط ففيه بعض مضمون الورقة الناتج عن تجربة 32 سنة، منها 25 سنة في مهمة التفتيش والمراقبة والتأطير التربوي، في العديد من المديرية الإقليمية والجهوية، ولقاءات تكوينية وتدريبية متعددة https://www.almaaref.org/books/contentimages/books/almaaref_alislameya/altadress_taraeq_estrageyat/page/lesson17.htm.
4 - مع ضرورة التمييز بين السؤال التعليمي والسؤال التقييمي والوقوف على الخصائص التي تميز أحدهما عن الآخر، مع استحضار المشترك بينهما، بشكل دقيق.

5. أسلوب التدريس القائم على الوعظ.

إنها أساليب تأتي بدون تخطيط، بل يغلب عليها الطبع. إلا أن الممكن القول في مثل هذه الحالة أن الأساليب التدريسية هي عبارة عن تقمص شخصيات أثرت بشكل من الأشكال في شخصية المدرس مما يجعلها فعلا مرغوبا فيه بدون وعي.

دلالة التركيب المزجي: أسلوب التدريس،

Style d'enseignement: "أسلوب خاص بشخص المدرس وعمله خلال تعامله مع (المتعلمين) داخل (الفصل) وتتدخل في تحديد هذا الأسلوب ثلاثة مفاهيم إجرائية، وهي: 1- الأسلوب الشخصي ويتعلق بالمجال المعرفي للمدرس (أسلوب معرفي، مواقف، حوافز) (style personnel)؛ 2- أسلوب علائقي ويتعلق بالمجال الاجتماعي والنفسي (تفاعلات، علاقات، مناخ التعامل، تمثلات، تكتيك، ...) (style relationnel)، 3- أسلوب ديداكتيكي يتعلق بالعوامل الإجرائية (طرائق، وسائط، تقنيات، تنظيم المادة، أشكال تجميع المتعلمين، أسلوب تخطيط الدرس) (style didactique)"¹. فالأسلوب له ارتباط وثيق بحالة المدرس أثناء تقديم المحتوى المعرفي، ويتم بشكل عفوي، في أغلب الحالات وبدون وعي. والتعليم المصغر يكون أداة مهمة في وقوف المدرس على أسلوبه التدريسي ووعيه به.

بين الطريقة والأسلوب:

إن الطريقة يحددها المحتوى المعرفي وطبيعة خصائصه، والأسلوب يحدده حال المدرس وطبيعته النفسية. وعلى هذا الأساس فإنه لا ارتباط بين الطريقة والأسلوب التدريسي، وإنما يتم تضافرهما من أجل تقديم معرفة دون أن يكون هناك تخطيط مسبق للجمع بينهما. فعادة لا يفكر المدرس في أسلوب تدريسه، هذا إذا ما خطط لطريقة تدريسه.

تحديد مفهوم العلم:

هناك هرم²، للوقوف على مظاهر العلم حتى يتسنى فهم الدلالة اللفظية والاصطلاحية،

1- الفارابي وآخرون: م. ع. ت. الصفحة 303

2- سيتم تجاوز التعريف العام وستكون التعريفات والتدقيقات التالية ذات ارتباط بالعلم الشرعي

ويشتمل على خطوات تنطلق من القاعدة إلى القمة: الحقائق¹، المفاهيم²، المبادئ³ القابلة للتعميمات، القوانين⁴ والقواعد⁵، ثم النظريات⁶. والطريق السيار المار بين القمة والقاعدة هو عمليتان: العملية الأولى الطبيعي الانطلاق منها هي العملية الصاعدة ويطلق عليها فعل الاستقراء، وهي عملية تنطلق من الجزء أو الجزيئات الصغيرة للوصول إلى الكل أو الكليات العامة. والعملية النازلة، وهي عملية ممكنة اللجوء إليها من فئات ذات كفاءات علمية ومعرفية وتنظيرية متميزة، ويطلق عليها فعل أو عملية الاستنباط⁷.

الحقائق، تنشئ المفاهيم، هذه المفاهيم هي التي تفرز المبادئ والقواعد والقوانين ترتبط معها، وترتبط هي فيما بينها، بعلاقات تمكّن من التعميم لبلوغ درجة النظرية أو مقدمة النظرية انطلاقاً من الفرضيات⁸.

تصنيف العلوم الشرعية وترتيبها

إن الوقوف على مميزات العلم الشرعي يسهّل عملية الوقوف على طريقة تدريسه وما يؤسس ذلك لأسلوب شخصي في التدريس.

ولقد تعددت تصنيفات⁹ العلم الشرعي عند العديد من المهتمين من علماء الأمة قديماً وحديثاً وألفت في ذلك كتب، والباحث يتخير من بينها ما اقتنع به التصنيف الآتي، وليس بالضرورة التوافق أو التعارض مع المهتمين:

1. العقيدة؛

2. القرآن الكريم وعلومه (والتفسير وأصوله من أهم علومه)؛

- 1- الحقائق العلمية الشرعية مصدرها الوحي، دون أن يعني ذلك عدم اقتراب العقل من التيقن منها، ولا يعني الحجر عليه في بلوغها على عمومها دون تفصيل من مثل الغيب وتحديد الأوامر والنواهي. وهناك حقائق يمكن إدراكها على وجه التفصيل بواسطة العقل مما يتعلق بالحياة الدنيوية. وهذه الحقائق هي موطن الدقة مما يعني غياب التعميمات في هذه المرحلة، بل هي موطن القدم الذي تبنى عليه ما يأتي بعدها من مفاهيم ومبادئ...
- 2- المفهوم الشرعي ما انبثق عن الحلقة السابقة، الحقيقة أو الحقائق، التي تتضمن القيم السامية من مثل المساواة والعدل...
- 3- دلالة تحمل طابع الشمولية تتشكل ويمكن تطبيقها على مثيلاتها من الظواهر أو الأحداث... شريطة توفر علاقات بيئية بينها، يمكن تبعاً لذلك تعميمها، من مثل مبدأ الحرية...
- 4- السنن الكونية المطردة من مثل القول: كثرة الاستغفار تفتح ضرع السماء بالغيث...
- 5- من مثل: الضرورة تبيح المحظورة.
- 6- لن يدخل الباحث في الرد والتوضيح على من زعم أن العلم الشرعي لا يوجد نظريات، وإنما تصورات كلية وعامة تمثل في المجمل الإسلام كله وتنبثق من الكتاب والسنة ويمكننا تسميتها بالنظرية مجازاً، فالكلام ليس هنا.
- 7- تجد روح الفكرة وأهم مضامينها المتفككة مع الوجهة البحثية في الرابط التالي بتاريخ 2017/08/20: http://drasmaalshaikh.blog-post_7362.html/11/blogspot.com/2010
- 8- يمكن الإفادة من الرابط التالي بتاريخ 2017/08/20: http://psych.net/sci_concepts.htm
- 9- من مثل أبجد العلوم للفتوح، إعداد عبد الجبار زكار، دمشق، 1978م، وخصوصاً في المجلد الثالث،

3. الفقه؛
4. أصول الفقه؛
5. الحديث وأصوله.

أسباب اختيار هذا التصنيف:

إن تصنيف العلوم ضرورة لتحقيق العديد من الأهداف التي من ضمنها التمكن من تجميع العلوم ضمن مجالات جامعة لتجاوز الانقسام النكد الحاصل بين مختلف العلوم الشرعية حتى تحولت إلى جزر معرفية ليس بينها من رابط إلا لفظها الجامع في حين أن واقعها العلمي وكذا التعليمي يؤكد الغياب التام لأي ترابط ولو شكلي، بل إن مدرسيها يكرسون، باستمرار، هذا الانفصال بالتعبير غير الواعي لمدى خطورته المتجلي في دعوى تفاضل العلوم الشرعية؛

والبحث يقتضي الانطلاق من العقيدة¹ باعتبارها المحرك الفاعل لطلب العلم الشرعي. ففي غياب العقيدة الصحيحة يصبح طلب العلم إما عبء أو وسيلة للترقية أو للتجادل به. لكن متى صحت العقيدة فإنها تجعل العلم عبادة؛

هذه العبادة التي تستمد طقوسها من القرآن الكريم باعتباره المصدر الأساس لتحديد الأوامر والنواهي الشرعية، وفهم القرآن وتفهمه للغير تفسيراً، هو السبيل الأهم لمعرفة مراد الشارع الحكيم؛

والعبادة لا تفهم بدون فقه؛ هذا الفقه الذي دوره الفهم من الوحي لتنوير الناس وإيجاد حلول لمشاكلهم الآنية واليومية، هو فقه لا يُفهم بدون وحي، ولا قيمة لوحي بدون فقه يتجسد في شعائر محددة تعبر عن الفهم والوعي والرضا؛

ولا قيمة لأي علم من دون أصول، هي أصول الفهم والفقه، هذه الأصول هي العلم الذي يؤسس لحلول مستقبلية قياساً على حلول آنية.

ولا تكامل لهذه العلوم إلا في ظل الحديث الشريف الذي يمثل الجانب الآخر للوحي. هذا الجانب التنزيلي والتطبيقي لكل فقه.

وهذا ليس ترتيباً تفضيلياً ولا حتى ضرورياً، بل هو ترتيب إجرائي، وإلا فالعلم الشرعي في

1 - تجد مضمونه عند فتحي ملكاوي: منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2013م، الصفحة 16، وطه جابر العلواني: التوحيد والتزكية والعمران: محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م، الصفحة 12 وما بعدها

أشكاله الخمسة يكتسي نفس الأهمية، فلا عقيدة بدون وحي ولا وحي بدون فقه ولا فقه بدون أصول وضوابط.

أساليب تدريس العلوم الشرعية

عند الحديث عن أساليب التدريس تتحول المسألة من عمل منظم وفق خطوات وشروط ومعايير ومقاييس إلى الحديث عن "شخصية" المدرس. وهذه المسألة لأهميتها تصعب فعل التفضيل بين الأساليب التدريسية.

التفكير في تطوير أساليب تدريس العلوم الشرعية

أول خطوة تتطلب تحديد مصطلح التطوير حتى يفهم في سياقه ويكون كل متتبع رؤية دقيقة حول هذا المصطلح تلافيا لكل سوء فهم أو سوء تفهيم.

الدلالة اللغوية لمصطلح التطوير:

التطوير اسم، مصدر طَوَّرَ، وطَوَّرَهُ: أي عدَّله وحسَّنه، حوَّله من طورٍ إلى طورٍ، وهو مشتق من الطَّوْر. وطور الشيء نقله من طورٍ إلى طورٍ، أي من حالٍ إلى حالٍ¹،

الدلالة الاصطلاحية:

التطوير² والتجديد من المفاهيم التي نزلت بثقلها منذ القرن الثامن عشر الميلادي³، وترتبط بجملة من المفاهيم الأخرى ذات الصلة، من قريب أو حتى من بعيد بمجال التطوير، من مثل: التغيير، التحوُّل، التقدم، التطوُّر، الإبداع، الاكتشاف، وغيرها.

والتطور هو التحوُّل بشكل واع وموجه، سواء أكان ذلك بمنهج استقرائي بالانتقال من البسيط إلى المركب، وهي الطريقة المناسبة للتدريس المدرسي ما قبل الجامعي، إذا تيقنا من كون المتعلم في هذا المستوى يكون خاضعا للتوجيه الخارجي أكثر من الاعتماد على الذات، ويكون مستواه التجريدي لا زال في بداية تكوينه، أو بمنهج استنباطي ينتقل من كل إلى جزء، بل وفي كل الاتجاهات، وهو الطريقة المثلى للتعليم الجامعي والعالي متى علمنا أن المستوى التجريدي للمتعلم قد اكتمل وأصبح بإمكانه تشكيل معارفه وبناء تعلماته وفق تصور واعٍ.

1 - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، مراجعة عبد الستار أحمد فراج، 1393هـ، 1973م، مطبعة حكومة الكويت، الجزء 12، باب طور من حرف الطاء، ص 439.

2 - صهيب كمال الأغا وآخر: الإدارة والتخطيط التربوي، نماذج وتطبيقات عملية، الجندرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2015م، الصفحة 324، قال: "إن مصطلح تطوير التعليم يشير إلى إحداث تغييرات أو تعديلات في نظام التعليم".

3 - ولد تشارلز داروين في 1809م.

وابتداء، فإن الحديث عن التطوير يهدف بناء تصور يؤسس لجعل الأساليب التدريسية، رغم كونها مرتبطة بشخصية الفاعل التربوي، تنتظم في الوعي بالذات ابتداء ثم التحري بين أسلوب وآخر بحسب الوضعيات التعليمية، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بتحديد صور التطوير الممكنة وفق الحاجيات والإمكانات المتاحة من جهة، ووفق الطرق التدريسية وكذا وفق المحتويات والمضامين التي هي في مجال التدريس.

وللوقوف على حقيقة التطوير فإن ذلك يتطلب الوقوف على خصائص العلم الشرعي.

خصائص العلم الشرعي:

1. تتعدد هذه الخصائص بتعدد العلوم، لكن البحث سيركز على المشترك بينها.
2. تحديد دلالة العلم:
3. العلم هو الإدراك مطلقاً، تصوراً كان أو تصديقاً يقينياً أو غير يقيني¹؛
والعلم الشرعي فهو ما نسب للشرع²، الذي عند الإطلاق يشمل كل ما ارتبط بالوحي من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وآداب.
والعلم الشرعي مرتبط من حيث المصدر بالوحي؛
والعلم الشرعي واضح الهدف، حيث يقصد إلى ضبط العلاقة بين العبد وربه؛
والعلم الشرعي من حيث الفهم فهو يولد المعاني تبعاً بحيث لا تنحصر بحد ولا عد، بل تنفتح أمامه الآفاق، فكل يوم معاني تظهر وأفكار تبسط والحديث حولها يولد أسئلة وتساؤلات يكون الجواب عنها سبيلاً لتقريب العبد من ربه.

وعلى هذا الأساس فالعلم الشرعي مظاهر ثلاث مترابطة ومتداخلة³:

1. كونه فرض عين: وهو ما لا تستقيم حياة الفرد العقدي بدون الوقوف عليه في مجمله؛
2. وكونه فرض كفاية: ولا يمكن الحديث عن فرض العين إلا بعد استيفاء العلم الكفائي، وهذا رأي قد لا يوافق ما عليه الناس من كون العلم الفرض الكفائي ما ارتبط فعله بالبعض ليسقط عن الباقيين ولا يجدون له من مثال غير صلاة الجنازة، وكأن العلم

1 - القنوجي: أبجد العلوم، الجزء 1، الوشي المرقوم في بيان أحول العلوم، اعتنى به عبد الجبار زكار، ص 12، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1978، والبسط في التعريفات قد يطيل المقال ويبعد عن المراد، والكفاية تمت بما هو مسطور لجلائه ووضوحه.

2 - تجد مضمونه بمقال عبدالله بن إبراهيم بن علي الطريقي: العلم الشرعي دلالات وتقسيمات، منشور بمجلة الألوكة الإلكترونية تحت الرابط بتاريخ 20/08/2017: <http://www.alukah.net/web/triqi/0/31473/>.

3 - الغزالي: إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م، الصفحة 21 إلى 38، والموسوعة الفقهية الجزء 29 الصفحة 77 وما بعدها، وغيرها.

بذلك في طريقه للموت. فأما العلم الكفائي فهو الذي يجب أن يتم الالتفات إليه ابتداءً ويُدعى له من الجميع، ويدعوله الجميع بدون استثناء، فمتى أقام البعض عند بابه وأفوه حقه فلا بأس على الباقيين للتوجه لغيره. وكل العلوم كفاية واجب تحمل الجميع المسؤولية فيه. فلا حياة بدون طب أو هندسة أو تعليم... إلا إذا قام البعض للتخصص فيها، ومتى وقع عجز في إحداها صار الكل مسؤولاً عنها اليوم وغداً.

3. وكونه مستحسباً: ويتمظهر ذلك في باب التوسع في أصول الأدلة، والاستزادة منها حتى بلوغ درجة ما وراء القدر الذي يحصل به فرض الكفاية.

ركائز خصائص العلم الشرعي¹:

توقفه على الوحي: فالعلم الشرعي قد تأسس حول الوحي لحفظه ابتداءً وتفهمه ثانياً وتسهيل التعامل معه ثالثاً؛

ارتباط التصور بالنظر والفعل والتنزيل: فلا قيمة لعلم لا يرتبط بالواقع ويكون ممكن التنزيل وقابلاً للممارسة؛

تكامل النقل والعقل في تحديد مضامينه: فلا يفهم النقل في غياب العقل ولا تسلط للعقل على النص، بل يتكاملان من أجل الاقتراب من توضيح بعض مراد الشارع الحكيم.

تطبيقات حول تدريس العلم الشرعي: أصول الفقه أنموذج²

علم أصول الفقه هو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف، أو هو علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الإجمالية اليقينية، معرفة دلائل الفقه إجمالاً وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد³.

وقد تولد هذا العلم من أجل المحافظة على الشريعة الإسلامية بصيانة أدلة التشريع وحفظ حججها ومستنداتها⁴؛

ونشأ من أجل تقريب وجهات النظر وتضييق صور ومظاهر الاختلاف بين المجتهدين⁵؛

- 1- الارتباط بالقدر الذي يوضح دلالة مفهوم التطوير في أساليب تدريس العلوم الشرعية.
- 2- لا تخلو النظرة من تجديد، يمكن العودة إلى عدنان محمد أمامة: التجديد في الفكر الإسلامي، رسالة دكتوراه، 2001م، عارضاً لمختلف العلوم الشرعية في مختلف فصول الرسالة.
- 3- شعبان محمد اسماعيل: أصول الفقه تاريخه ورجاله (الطبعة الأولى)، 1401هـ، 1981م، الرياض: دار المريخ، صفحة 20-21. بتصرف، وهو يحيل على مختلف المصادر.
- 4- انظر نور الدين الخادمي: تعليم علم الأصول، بشرح واضح وأسلوب عصري وتطبيق ميسر واختصار فريد، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى 2002م، الصفحة 38.
- 5- يقول الفخر الرازي: "كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه، ويستدلون ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون

وموضوع بحثه ينحصر في الأدلة الشرعية الكلية¹ من حيث كيفية استنباط الأحكام الشرعية منها، سواء أكانت مصادر متفق على العمل بها بين المسلمين كافة، وهي القرآن والسنة والإجماع والقياس، أو مختلف حول العمل بها من مثل الاستحسان والمصلحة المرسلة وقول الصحابي وسد الذرائع والاستصحاب وشرع من قبلنا.

علماء الأصول وطرق تدريسهم لعلم أصول الفقه²:

طريقة الشافعية تمثلت في نهج طريقة رسالة الشافعي، وأما أسلوب تدريسهم فقد تجلت في اتخاذهم أسلوب السؤال والجواب، والنظر إلى الحقائق المجردة؛

طريقة الحنفية فقد تأسست على طريقة سرد مبادئ الأصول وقواعده وانتهجوا أسلوباً يتمثل في عرض المعرفة بأسلوب متتابع، واستنباط القواعد الأصولية من مجموع الفروع الفقهية المتشابهة لتحويلها إلى قواعد كلية..

وعلم أصول الفقه ذو ارتباط وثيق بمختلف العلوم الأخرى ويستمد³ على الخصوص من علوم اللغة العربية الأصوات والتصريف والنحو، وذلك ليعرف الدارس الأصولي دلالات الحرف والكلمة والجملة ليتمكنه الانطلاق في دراسة النص الشرعي؛

علم اللغة العام: الذي تقاسم بينه وبين علم أصول الفقه نشأة اللغة، وعلاقة اللفظ بالمعنى، والكلمة في مادتها وهيئتها والجملة في دلالاتها منطوقاً ومفهوماً؛

علم الدلالة⁴: ذلك أنه يدرس وسائل نقل المعاني من ذهن الملقى إلى ذهن المتلقي؛

علم الاجتماع اللغوي: لأنه يضع أمام الباحث الأصولي خصائص وسمات الظاهرة اللغوية الاجتماعية، ويساعده على بحثها والطريق إلى تعرّف شموليتها؛

علم النفس اللغوي: لما له من ارتباط في معرفة آثار الظواهر النفسية على الظواهر اللغوية؛

كُلِّي يرجعون إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كَيْفِيَّة معارضتها وترجيحاتها، فاستنبط لهم الشافعي علم أصول الفقه، ووضَّح للخَلْق قانوناً كلياً، يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع، فثبت أنَّ نسبة الشافعي إلى علم الشرع، كنسبة أرسطاطليس إلى علم العقل؛ نقلًا عن عابد الجابري: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة العاشرة، 2009م، الصفحة 113 عن هامس رقم 13.

1 - الغزالي: المستصفى من علم الأصول، تحقيق حمزة بن زهير حافظ، ب.ت.، بدون دار النشر، الصفحة 9 وما بعدها، كما يمكن الاستفادة من الرابط: <http://www.almoaiyad.com/Research&Studies/g6.htm>

2 - عبد الكريم النملة: المهذب في علم أصول الفقه المقارن، المكتبة الشاملة، الباب 1، الفصل 1، المبحث 11، الصفحة 59.

3 - عياض بن نايي السلمي: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى 2005م، الصفحة 21.

4 - محمد همام: تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، دراسة في العلاقات بين العلوم، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، الطبعة الأولى 2017م، الصفحة 193 وما قبلها وما بعدها.

علم الأسلوب وهو من العلوم الحديثة التي تقوم بدور علم البلاغة بتعرف الأسلوب في خصائصه ومميزاته، مما يلقي الضوء على معرفة أساليب النصوص الشرعية التي يتعامل معها الباحث الأصولي؛

علم الحديث: لمعرفة الحديث الذي قد يستدل به هل يصح الاستدلال به أو لا يصح؛

الفلسفة: حيث كانت التربة الخصبة التي نبتت فيها النظريات اللغوية الاجتماعية التي يتناولها علم الأصول بالدرس والنظر فيها؛

وكذلك منها استمدَّ البحث الأصولي المبادئ العقلية العامة، أمثال: مبدأ العلية، ومبدأ استحالة التناقض وامتناع الدور والتسلسل؛

علم الفقه: باعتبار علم أصول الفقه قام من أجل ضبط مسار الفقه؛

كيف يجب تدريس علم أصول الفقه بالجامعة؟

إن كل هذا التراكم العلمي والمعرفي لن يسهل تدريسه بمحتوى علمي أصولي مفصل وإلا فإن المدة لتدريسه ستطول لسنوات ليست سنوات الجامعة بكافية للإلمام بمختصرها ناهيك عن تفاصيلها ودقائقها، مما يتطلب التفكير في ابتكار وسيلة تعليمية وطريقة تدريسية تناسب المدة الزمنية ولا تكلف المتعلم أكثر من طاقته.

التدريس بالمفهوم:

أ- المفهوم في اللغة:

ثلاث معانٍ كلها مجردة: المعرفة، والعقل، والعلم، يقال: فهمتُ الشيء، أي: عرَفْتُهُ وعَقَلْتُهُ وعلمته¹، والصيغة التي ورد بها المفهوم: اسم مفعول، ومن المعاني المستفادة من صيغة المفعول: أنَّ المفهوم، هو نتيجة حاصلة؛ أي: ما يصبح به الشيء معروفاً لدي.

ب- في الاصطلاح:

وجاء في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم؛ للتهانوي (ت 1158هـ): "المفهوم عند المنطقيين: ما حصل في العقل"².

1- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ج4، باب (ف ه م)، وغيره من كتب اللغة، بتصرف، ويمكن الرجوع لحمزة شلهاوي في الرابط: <http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=14779>.

2- التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مراجعة رفيع العجم، تحقيق علي دروج، نقله للعربية عبد الله الخالدي،

خصائص المفهوم¹:

1. التجريد: وهو إما مفهوم قريب من مجال التجربة، وهذا هو المفهوم المحسوس، من مثل مفهوم 'كتاب'؛ أو مفهوم ذوارتباط بمجال الخبرات الحسية، وهذا هو المفهوم المجرد، من مثل مفهوم الوسطية؛
 2. التعميم: عملية جمع خصائص مشتركة بين موضوعات متعددة ومتنوعة داخل مفهوم واحد، ومن ثمة تعميمها على فئات لا متناهية من الموضوعات الممكنة المشابهة لها؛
 3. التعقد: تختلف المفاهيم من حيث تعقدها وفي عدد أبعادها اللازمة لتعريفها، مثال: مفهوم (الدخان) مفهوم بسيط؛ في حين أن مفهوم العدل مثلاً؛ فهو معقد؛ لاحتوائه على أبعاد كثيرة؛ مثل: مدارس، قوانين، وكل منها مفهوم مركب لوحده.
 4. التمايز: تختلف المفاهيم في عدد المفاهيم المتشابهة التي قد تجتمع معها في بعض التقاطعات: فمفهوم المطر مثلاً يتمايز مع الوابل، الرذاذ، الظل.
- ولا مجال للتوسع هنا، إنما المقصود بذلك التعبير على أن علم أصول الفقه مجال غني بالمفاهيم، فعلى مدرسه أن ينطلق منها بدل الانطلاق من المعرفة المشتتة، إذ المفاهيم كلية ترفع من مستوى التجريد لدى المتعلم/ الطالب، وتجعله قادراً على تشكيل خريطة مفاهيمية. ولن يتأتى ذلك إلا بأسلوب واع يدرك المدرس منه مراده بكل وعي ويستطيع به شد انتباه المتعلم ويشتركا معاً في بناء المفهوم.

خاتمة وتوصيات

لقد صار من المحتم، اليوم وقبل الغد، إعادة النظر في طرق وأساليب تدريس العلوم الشرعية خصوصاً مع التطور الهائل والمستمر في كل شيء، وخصوصاً التطور العلمي والتقني من جهة، والتطور في العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تساعد في تفهم الاتجاهات ومن ثمة التمكين من مساعدة المتعلم على تبني مواقف والقدرة على الدفاع عنها، من جهة أولى، ومن جهة ثانية السعي في ضمان الجودة الشاملة بما يواكب متطلبات العصر؛

وفي هذا المضمار لا بد من تحديد المصطلحات والمفاهيم ذات الصلة بالتربية والتعليم والتدريس ومحاولة توحيدها في كل البلاد العربية والإسلامية باعتبارها تنغبي تدريس نفس العلوم الشرعية وتستهدف فرداً تريد منه أن يكون مثال الفرد النافع لأمتة ووطنه ومجتمعه وذاته؛

1 - هناك خصائص متعددة باختلاف زوايا النظر، وقد تختلف عما ذهب إليه الباحث أو قد تتقاطع، يمكن الرجوع للروابط التالية: <http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/665110>. <http://social-studies74.ahlamontada.com/t1334-topic> وغيرها.

تبادل الخبرات بين مراكز البحث التربوي في مختلف البلاد المعنية، وتركيز البحوث الميدانية ذات الصلة بتطوير أساليب التدريس باعتبار هذا الجانب مغيبا بشكل كبير في الدراسات التربوية حيث الاهتمام بجانب الطرق بشكل غطى وأهم جانب الأساليب خصوصا لكونه بابا لم يفتح إلا أخيرا؛

الاهتمام بالأساليب التدريسية لكونها ذات صلة مباشرة بالمدرس وعلاقته بالمتعلمين مما يتطلب تعميق البحوث في هذا المجال بشكل يجعل لكل أسلوب خصائص تتحول من اللاوعي إلى الوعي التام بهذا الأسلوب أو ذاك مع التمكن من التنوع بينها حتى لا يبقى المدرس رهين أسلوب واحد وأوحد يجعله عمله نمطا؛

جعل التعليم والتدريس الإلكترونيين وسيلة مساعدة في تجويد التعليمات لا غاية في حد ذاتها تحول دون تعميق المعرفة وتصير الوسائط مشوشات؛

استحضار أسلوب التدريس مع أسلوب التمدرس¹ وجعلهما مجالا للبحث والتنقيب المستمرين من أجل تطويرهما خصوصا في مجال الدراسات الشرعية.

وفي الختام، أتقدم بالشكر لمنظمي هذا الملتقى خصوصا بالتركيز على مجال يكاد يكون مغيبا من الدراسات والأبحاث والملتقيات. كما يستدعي الموقف الدعوة لتعزيز هذا التوجه لكون الساحة التربوية والتعليمية والتدريسية لا زالت في حاجة ماسة للبحث في مجال الأساليب التدريسية مع ضرورة تحديد مفاهيمها وتعميمها وتوحيدها لتحقيق الغاية السامية: تطوير تدريس العلم الشرعي من أجل بناء المجتمع الإسلامي المتميز بالوسطية والاعتدال في كل شيء.

وعلى هذا الأساس، فالختام يفتح آفاق مزيد من البحث بالتساؤل بصوت مسموع، وهذا يفيد أنه لا بد من التصريح بالتساؤلات المركزية من نموذج: كيف يمكن تطوير أساليب تدريس العلوم الإسلامية؟ وماهي النماذج التي يمكن تبنيها من أجل الرقي بالجامعات الإسلامية تماشيا مع المتغيرات العالمية الحالية؟

والحمد لله والسلام

1 - فكرة يطرحها الباحث لأول مرة في مؤتمر علمي، بعد مناقشتها في بعض التكوينات ذات الطابع المرتبط بالتكوين العلمي البيداغوجي الموجه للمدرسين دون غيرهم.

القدوة الحسنة لدى مدرس التربية الإسلامية ودوره في غرس القيم والتغيير لدى الآخرين

إعداد وتقديم الباحث
أ . مخلص إبراهيم سماره*

- * حاصل على شهادة البكالوريوس في الفقه والتشريع من جامعة النجاح الوطنية 2006
- حاصل على ماجستير في الإدارة التربوية من جامعة النجاح الوطنية 2011
- طالب في الدراسات العليا / كلية الشريعة / قسم الفقه والتشريع / جامعة النجاح / حتى الآن
- مدرس في التربية والتعليم لمادة التربية الإسلامية .
- عامل في مجال الصحافة والإعلام منذ 2006
- ناشط في الإعلام الاجتماعي والتربوي .
- مدرب في التنمية البشرية ومختص في الشأن التربوي .

مقدمة

يتبوأ المعلم مكانة مرموقة بين شعوب الأمم العريقة ، فهم يجلونه ويحلونه المكانة اللانقة به ، وذلك لأنه هو الذي يقدم الخدمة الأسمى للمجتمع من خلال تعليم أبنائه المعارف والمثل ، وتمكينهم من تذوق الحرية والجمال ، وتحمل المسؤولية ، وإكسابهم ميزة التفكير السليم الناقد ، والقدرة على حل المشكلات واتخاذ القرارات ،... والجرأة الموزونة في القول والعمل وحفزهم للسعي نحو أهداف سامية وإعدادهم لحياة كريمة يحققون فيها ذواتهم .

لذلك فقد كان المسلمون الأوائل يهيئون للمعلم كل ما يحتاج إليه ، ولسان حالهم يقول له : خذ كل ما تريد واصنع لنا أنسانا عقائديا ، ولا غرو في ذلك فقد كانوا يرون في المعلم صانع أجيال وباني حضارة ، ويكفيه فخرا تكريم النبي العربي له بالقول : " إنما بعثت معلما " . (الدكتور محمود طافش / 2011 ، صفحة 9) .

المعلم الناجح قدوة في أمور الخير ، منارة هدى ، ودليل إرشاد وتوعية ، فهو صادق اللسان ، عفيف المنطق ، حزم في غير عنف ، ولين في غير ضعف ، قدوة في الأقوال والأفعال ، طاهر العرض ، نقي السريرة ، صبور على طلابه ، بعيد كل البعد عن رديء القول وفاحش العبارات ، طيب المخبر ، حسن المظهر ، إذا قال فعل ، وإذا نطق سلب طلابه بما يجري الله على لسانه من جميل القول ورفيع العبارات ، لا يعرف السباب ولا الشتم ولا اللعن ولا الاستهزاء طريقا في قاموس مفرداته ، فهو لمنطقه فلا يسمع منه الطلابي إلا خيرا ، وحين يعاتب أو يحاسب فلا يليق به وهو المرابي والموجه أن يتجاوز أو يرمي بالكلمات التي لا تليق بمثل رسالته ولا بمثل مهمته . (عبد الله العامري / 2008 ، صفحة 42)

أهمية الدراسة :

1. بيان أهمية صفة القدوة لدى معلمي التربية الإسلامية وأثرها على الطلبة .
2. التعرف على صفات المعلم الناجح والمؤثر في نفوس الطلبة .
3. حصر السلوكيات الإيجابية وبالمقابل السلبية التي تترك أثرا لدى الطلبة .
4. لفت الأنظار إلى أهمية التكوين السلوكي والأخلاقي لدى الطلبة من خلال الممارسة العلية من قبل المعلم
5. توجيه الأنظار إلى ضرورة وجود ضوابط ومعايير حاسمة لدى كليات الشريعة في معايير قبول الطلبة .
6. رفع سقف قبول الخريج لوظيفة "معلم تربية إسلامية" وإخضاعها لمعايير تضمن المحافظة على هذه الرسالة وقيمة حاملها .

مشكلة الدراسة :

باتت ظاهرة غياب الثقة بين الطالب والمعلم ولا سيما معلمي التربية الإسلامية وتلاشي التأثير الذي من الأصل أن يعكسه المعلم على طلبة قولا وفعلا وترجمة ذلك من خلال السلوكيات على ارض الواقع ظاهرة مؤرقة تدق ناقوس الخطر حول حقيقة اذا ما كان المعلم بشكل عام ومعلم التربية الإسلامية على وجه الخصوص يمتلك الصفات والمهارات والممارسات التي تجعل منه مغناطيس يجذب إليه كل من ينهل من ينبوع علمه وأخلاقه

وأمام ما تقدمت به فان مشكلة الدراسة تجيب عن الأسئلة التالية :

أولا: ما المقصود بالقدوة وما هي أنواعها ؟

ثانيا: ما هي الصفات الخلقية التي يجب على المعلم التمتع بها كي يكون قدوة أمام طلبته ؟

ثالثا: ما هي الصفات المهنية التي يفضل ان تكون أيضا متوفرة في المعلم كي يمتلك سحر التأثير ؟

رابعا: ما هي الشروط الواجب توفرها في المعلم كي يحظى بهذه الوظيفة ومكانتها وقداستها . ؟

هذا ويمكن الإجابة عن الأسئلة سالفة الذكر من خلال التركيز على المحاور التالية بذات

الرتابة التي وردت في التساؤلات :

أولا : المحور الأول: القدوة تعريفها وأنواعها .

ثانيا : المعلم صفاته الشخصية والمهنية ؟.

ثالثا : السبيل نحو معلمين مؤثرين في الأجيال ..

المحور الأول : مقصود القدوة ومعناها وأنواعها :

مقصود القدوة ومعناها : الأسوة والقدوة بمعنى واحد ويقصد بها السير والإتباع على طريق المقتدي به .

وهي نوعان : حسنة وسيئة .

أولاً : القدوة الحسنة :

فالحسنة الاقتداء بأهل الخير والفضل والصلاح في كل ما يتعلق بمعالى الأمور وفضائلها، من القوة والحق والعدل .

وقدوة المسلمين الأولى صاحب الخلق الأكمل والمنهج الأعظم رسولنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول الله - عز وجل - : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]

ومن دقيق المعنى في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه جعل الأسوة في رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولم يحصره في وصف خاص من أوصافه أو خلق من أخلاقه أو عمل من أعماله الكريمة، وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الاقتداء أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وسيرته كلها فيقتدي به، صلى الله عليه وسلم، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ويقتدي بأفعاله وسلوكه من الصبر والشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه، كما يشمل الاقتداء بأنواع درجات الاقتداء من الواجب والمستحب وغير ذلك مما هو محل الاقتداء .

والنوع الثاني: الأسوة السيئة:

ويعني السير في المسالك المذمومة وإتباع أهل السوء والاقتداء من غير حجة أو برهان ومن ذلك قول المشركين : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23] ولهذا رد عليهم القرآن بقوله : ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الزخرف: 24] ، وفي آية أخرى : ﴿أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: 104] (صالح بن عبد الله بن حميد / 2010 / صفحة 4-5) .

المحور الثاني : المعلم صفاته الشخصية والمهنية

المعلم والمتعلم هما قطبا العملية التعليمية ويرتبطان فيما بينهما ارتباطا وثيقا ، لدرجة ان المرين المسلمين اعتبروا المعلم بمثابة الوالد للمتعلم .

فالمعلم هو محور الرسالة التربوية والركيزة الأهم في نجاحها فمهما كان الكتاب المدرسي جيد العبارة رفيع الأسلوب وافي الفكرة ، وانه مهما روعي في وضعه من القواعد والأسس فانه يحقق الهدف المنشود اذ لم يقم على تدريسه معلم يتمتع بالكفاءة والوعي والإخلاص والتقوى .

من هو المعلم؟:

المعلم هو: القائد التربوي الذي يتصدر لعمله توصيل الخبرات والمعلومات التربوية وتوجيه السلوك لدى المتعلمين الذين يقوم بتعليمهم .

وبناء على ما تقدم نجد ان علماء التربية والمهتمين بالتعليم عكفوا على دراسة الأمور التي تخص المعلم فمن الباحثين من درس صفات المعلم النفسية ، وخصائصه المعرفية ، ومنهم من درس سلوكه وأثره على المتعلمين ومنهم من درس كيفية تعامله مع الطلاب ومنهم من بحث اساليب التدريس السليمة .. الخ .

وقد تحدث (ايرل بولياس ، وجيمس يونغ) في كتابهما عن المعلم والذي كان عنوانه: ”

A Teacher is many Things عن صفات وخصائص يتصف بها المعلم وزادت عن

عشرين صفة أهمها :

1. المعلم مرشد فهو مرشد في رحلة معرفية .
2. المعلم مرب
3. المعلم مجدد وهو جسرين الأجيال .
4. المعلم قدوة ومثل ، في المواقف ، في الكلام ، في العادات ، اللباس .
5. المعلم باحث يطلب المزيد من المعرفة .
6. المعلم ناصح أمين وصديق حميم ومبدع وحافظ على الإبداع .
7. المعلم خبير وإنسان يعرف ويعرف انه يعرف أن عليه أن يكون واسع المعرفة .
8. المعلم رجل متنقل ، قصاص ، ممثل ، مناظر ، باني مجتمع . (عبد الله العامري / ص 13-15)

المحور الثالث : السبيل نحو معلمين مؤثرين بالأجيال :

وتطرق الدكتور عبد اللطيف فرج في كتابه المعلم ومشكلاته الصفية السلوكية التعليمية للتلاميذ أسبابها وعلاجها الى بعض معايير تمهين التعليم داخل كل حلقة من حلقات التكوين للمعلم حيث أورد عدة معايير نورد منها ما يلي :

أولا : معايير الاختبار للدلتحاق بجامعة وكليات إعداد المعلمين :

1. الرغبة في ممارسة التعليم .
2. القدرة على التعبير والتفكير السليم .
3. مستوى من القدرات العقلية يضمن القيام بأدوار عمليات التعليم .
4. مستوى عال من الاتزان النفسي .
5. الخلو من العيوب الخلقية .

ثانيا : معايير الإعداد للمهنة :

1. الاهتمام بالجانب الأخلاقي والقيمي .
2. استخدام البحوث في تطوير برنامج إعداد المعلمين .
3. الإعداد الثقافي للمعلم من خلال الإلمام بأبرز الأحداث التاريخية لامته ، وقيم المجتمع ، وخصائص ومتغيرات المجتمع .

بالإضافة إلى جملة من المعايير التي انطوت تحت عناوين أخرى اذكر منها ما يلي :

1. أن يظل من تخرج تحت التدريب لمدة عام كامل .
2. أشراك المعلمين في القرارات التي تخص مهنة التعليم .
3. أن تتم عملية توجيه المعلم وإرشاده في إطار العلاقات الإنسانية .
4. توفير فرص التنمية المهنية للمعلم (عبد اللطيف فرج / 2006 / صفحة 11-13)

الصفات المهنية للمعلم الناجح :

1. احترام شخصية الطالب .
2. القدرة على ضبط الصف .
3. إتاحة الفرصة للتلميذ كي يتحدث معظم الوقت .
4. تشجيع التلاميذ على المساهمة في النشاطات المدرسية .
5. مراعاة الفروق الفردية .
6. حسن التعامل مع السلوكيات غير اللائقة .
7. التشجيع على حسن الأدب والجد والاجتهاد في الدراسة .
8. تزويد الدرس بمروحات عن النفس . (عبد الله العامري ” ص 47-48)

وفي نفس الوقت هناك فواصل عميقة بين المعلم وتلاميذه بوسائل قائمة على السلطة المباشرة والقسوة من قبل المعلم وتكاد تنعدم العلاقة المطلوب إيجادها وهناك العديد من المعوقات التي

تعارض العلاقة بين المعلم وتلاميذه منها :

1. اقتصار المعلم على تقديم المعلومات .

2. العلاقة الفوقية من قبل المعلم .
3. صرامة المعلم وقسوته على تلاميذه .
4. عدم عدل المعلم بين تلاميذه .
5. سخرية المعلم من تلاميذه .
6. جمود العلاقة بين المعلم وتلاميذه وتواضعه لهم. (عبد الله العامري / 2009 / ص 61) .

وأوصت الدكتورة انتصار غازي مصطفى في ختام بحثها العلمي الذي جاء تحت عنوان : "خصائص معلم التربية الإسلامية الفعال في المرحلة الثانوية من وجهة نظر الطلبة" . بجملة من النصائح التي يجب مراعاتها في معلم التربية الإسلامية بعد أن استعانت خلال دراستها بالعديد من الآراء التربوية وأقوال العلماء في هذا الشأن وبن أن أخضعت دراستها إلى آراء الطلبة أنفسهم من خلال استبانته وجاء بتوصياتها ما يلي :

- ربط المعلومات النظرية بالحياة العملية للطلبة .
- - تدريب المعلمين على التدريس على شكل خطوات تعليمية تعليمية .
- أن يعامل المعلمون الطلبة بعدالة واحترام
- أن يتمكن المعلمون من مواكبة الحداثة والمستجدات العلمية في ضوء تخصصهم
- أن ينوع المعلمون في أساليب التقويم المختلفة . -
- تدريب المعلمات على إتقان المحتوى والخطوات والأهداف .
- مراعاة المعلمين للأهداف والخطوات عند تدريس طلبة التخصص العلمي (انتصار غازي مصطفى / 2009)

وان كانت الكتب التربوية قاطبة قد انكبت على الكتابة عن صفات المعلم ودور القدوة في حياته وأثره على الطلبة أثناء ممارسته لمهنته فمن الأجدر بمدرسي التربية الإسلامية بان يأخذوا بتلك النصائح والصفات وتسخيرها واستحضارها كلها أثناء تعاطيهم مع مكونات العملية التعليمية التعليمية .

واثر استقراء النصوص التي تطرقنا لها خلال العناوين والفقرات الماضية نستنتج بان معلم التربية الإسلامية هو ليس فقط معلم .. فهو الداعية والمربي والقدوة والمؤثر وصانع الأجيال ومصدر الأمل والتفاؤل وفسحة الحب والتغيير التي لا بد ان تنقل للطلاب ليس من خلال السطور وإنما من خلال التأثير المباشر وغير المباشر .

رأي الباحث :

وبعد تتبع أقوال العلماء والاستماع إلى الكثير من التجارب نجد بان هناك العديد من الصفات التي يجب على مدرس التربية الإسلامية ان يتحلى بها وإلا فانه سيكون ضرره أكثر من نفعه فما لو افتقد لتلك الممارسات والسلوكيات والصفات أثناء تعامله مع طلابه نورد منها ما يلي :

1. الصدق والابتعاد عن الكذب تحت أي ظرف من الظروف .
2. التعامل الإنساني مع الطلاب والاستماع إلى همومهم .
3. التواضع والرفق مع الطلاب وعد التعالي والتكبر معهم .
4. البعض عن التعصب للرأي .
5. لا مكان للكلمات البذيئة والسباب في قاموسه .
6. العدل والمساومة بين الطلاب .
7. يظهر بأبهى صورة ويلبس أفضل الثياب
8. التغيير بالقدوة ، فهو قائد وملهم وفي المقدمة في ذات الوقت .
9. مثقف يلامس القضايا الوطنية والدينية في ان واحد .
10. مواكب للتطور ويجاري مهارات القرن الواحد والعشرين .
11. يمتلك القدرة والمهارة على إدارة المواقف .
12. يفصل بين همومه الشخصية ورسالته في أثناء تعامله مع الطلاب .
13. يبادر في تبني الأنشطة المدرسية.
14. يشارك الطلبة في القرارات ويشاورهم في اتخاذها .

ولم أجد عبارة تجمل جمالية مهنة التعليم واثرا القدوة لدى المعلم وطبيعة الرسالة التي يجب أن يؤديها من عبارة حجة الإسلام الإمام الغزالي حين قال : " على المعلم أن يجري المتعلمين مجرى بنيه ، بان يقصد إنقاذهم من نار الآخرة ، وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ، لذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين ، فان الوالدين سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية " . (ابو حامد الغزالي / صفحة 55)

التوصيات

وفي نهاية هذه الورقة لا بد من وضع العديد من التوصيات لعدة أطراف وفي مقدمتها كليات الشريعة ومن ثم وزارة التربية والتعليم فيما يتعلق بأسس القبول في كليات الشريعة ومن ثم معايير التوظيف في المدارس للمعلمين اخذين بعين الاعتبار العديد من الاعتبارات والتوصيات التي من شأنها :

1. إعادة النظر في أسس القبول والالتحاق في كليات الشريعة .
 2. إخضاع الطالب لسنة تجريبية ينخرط خلالها في مهنة التدريس أو الامامه ومتابعة الأثر الذي يحدثه في نفوس الطلاب والناس بشكل عام ، ومتابعة اثر تلك التجربة عليه نفسه .
 3. الأخذ بعين الاعتبار المظهر والأخلاق والسلوك لدى طلبة الشريعة عند اختيارهم وقبولهم للدراسة .
 4. تركيز كليات الشريعة على نوع المقبولين وليس الكم لضمان ارفاد المجتمع بنوعيات من المعلمين تتمتع بالصفات الجميلة والأثر المباشر في التغيير المأمول .
 5. فتح حلقة تواصل مستمرة بين كليات الشريعة ووزارة التربية والتعليم ومتابعة مخرجات معلمي التربية الإسلامية وأثرهم على الطلبة في المدارس .
 6. إخضاع طلبة العلم الشرعي إلى دورات متخصصة في الاتصال والتواصل والتأثير بالآخرين وفنون الإقناع وفن التعامل مع الناس .
- وختاماً.. فرغم أهمية الدور الذي تلعبه كليات الشريعة من جانب ودور مديريات التربية والتعليم ومعابرها في اختيار المعلمين ومن ثم متابعتهم لاحقاً أثناء انخراطهم في ميادين العمل إلا أن المسؤولية الكبرى تبقى لقيادة على كاهل المعلم ذاته فلا رقابة أعظم من رقابة الله عز وجل له ، فالأجدربه أن يتعامل مع مهنته التي يعمل بها على أنها تكليف رباني ورسالة إنسانية يجب أن تؤتي أكلها وتلقى صداها في نفوس وأذهان وقلوب الطلاب .

المراجع الخاصة

1. الدكتور محمود طافش (2011) كيف تكون معلماً مبدعاً، عمان ، دار جهينة للنشر والتوزيع .
2. د. عبد الله العامري (2008) المعلم الناجح، عمان ، دار اسامة للنشر والتوزيع .
3. صالح بن عبد الله بن حميد / 2010/ القدوة مبادئ ومناذج / المكتبة الشاملة / موقع وزارة الأوقاف السعودية).
4. د. عبد اللطيف فرج (2006) المعلم والمشكلات الصفية السلوكية التعليمية للتلاميذ أسبابها وعلاجها ، عمان ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع .
5. أبو حامد الغزالي (إحياء علوم الدين) الجزء 1 .
6. الدكتورة انتصار غازي مصطفى (2009) خصائص معلم التربية الإسلامية الفعال في المرحلة الثانوية من وجهة نظر الطلبة / مجلة جامعة دمشق - المجلد 25 - العدد (4+3)



الوقف والزكاة وأثرهما في دعم التعليم الشرعي وتطويره



د. مصطفى خالد حسين سويطات*

*مدير أوقاف متقاعد، محاضر غير متفرغ في الجامعة الأمريكية وجامعة القدس المفتوحة
مدير أوقاف جنين سابقاً، خطيب لبعض المساجد في جنين

المقدمة

إن طلب العلم الشرعي من أشرف المهمات وأنبى الغايات، والسعي إليه من المراتب السنيات، وهو سبيل الدعوة إلى الله، ينير درب العارفين، وهو الطريق الموصل إلى التوحيد. وطالبه ينال أرفع الدرجات وأعلى المكرمات، ويحصل على الرفعة في الدنيا والآخرة، لأن العلم حياة القلوب ونور الأبصار من الظلم، وهو محط أنظار عامة الناس، يتبعه خيارهم وينأى عنه شرارهم، ولا بد لتحصيل ذلك من بناء المؤسسات التعليمية التي ترعى العلوم الشرعية وتختص بتدريسها دون غيرها، وهذه المدارس كانت على مر العصور الإسلامية، وعبرة حقب التاريخ المختلفة منارات للعلم، وانطلقت من المساجد الكبرى ابتداء من مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم والحرم المكي الشريف والمسجد الأقصى المبارك ثم مساجد الكوفة والبصرة والمسجد الأموي في دمشق ومسجد القيروان إلى الأندلس ثم الجامع الأزهر في القاهرة، خرجت هذه المدارس جهابذة العلماء وأعظم الدعاة إلى الله، واليوم يقع الأمر على عاتق الأمة كلها أن تنهض بالمدارس والمعاهد والكليات الشرعية للرفق بالتعليم الشرعي والنهوض به في زمان يحارب فيه الإسلام وأهله، ولكن دين الله باق لا طاقة لأحد بحربه، وسخر الله له في كل زمان من يحمل رسالته ويؤدي أمانته رغم التحديات إلى يوم الدين ..

التمهيد

أهمية طلب العلم الشرعي

طلب العلم الشرعي ضرورة في هذه الأيام لأن به تحبى النفوس وبه يعرف الله، وبه يعرف الحلال من الحرام وهو سبيل لطاعة الله وطريق إلى الجنة قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (1)

وان طلب العلوم الشرعية في هذه الأيام مطلوب من حيث الجملة، ويختلف حكم طلبها باختلاف الحاجة إليها منها طلبه فرض عين وهو تعلم المكلف ما لا يتأذى الواجب إلا به ككيفية أداء الفرائض، لحديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (2) وجاءت الأحاديث الكثيرة التي تبين فضل العلم وأهمية السعي إليه وتحصيله وفضائله منها:

1- سورة الحجرات: آية 11.

2- ابن ماجه: سنن ابن ماجه: حديث رقم 151/1/224. قال عنه حديث حسن.

قوله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) (1)

حديث أنس قال: صلى الله عليه وسلم (من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع) (2)

وقوله صلى الله عليه وسلم (من سلك طريق يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى

الجنة) (3)

قال ابن القيم: وأما سعادة العلم فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع وصدق الطلب وصحة

النية. (4)

ويقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار منه والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله تعالى في إدراكه نضا واستنباطا، والرغبة إلى الله تعالى في العون عليه. (5) وينبغي على طالب العلم الإخلاص في طلبه، وعلى العالم التواضع وعدم ابتغاء الشهرة، وقول عبد الملك بن مروان لبنيه: تعلموا العلم فإن كنتم سادة ففتم، وإن كنتم وسطا سدتتم، وإن كنتم سوقة عشتم (6) وحكى النووي أن الانشغال به أفضل من الانشغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك. (7)

وفي الأثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمه لا يسدها إلا خلف منه وقال رضي الله عنه نظما:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففر بعلم تعش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

هذا غيظ من فيض من الآثار وأقوال العلماء في فضل طلب العلم. (8)

نسأل الله أن يرزقنا علما نافعا ولسانا ذاكرا وقلبا خاشعا، وأن يهبنا علما لا رياء فيه ولا سمعة،

كما قال السلف طلبنا العلم لغير الله فأبى أن لا يكون إلا لله..... آمين

1- الإمام البخاري: صحيح البخاري: رقم 30/1/71.

2- محمد القاري: مرآة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: رقم 479/1/220.

3- الإمام أحمد: المسند: رقم 45/36/21715.

4- طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة: 108/1.

5- يعقوب: منطلقات طالب العلم: ص 120.

6- الماوردي: أدب الدين والدنيا: ص 19.

7- الموسوعة الفقهية: 80/29.

8- الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين: 17/1.

المبحث الأول

الوقف وأثره في دعم التعليم الشرعي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

ويشمل تعريف الوقف لغة واصطلاحاً وأهمية الوقف بالنسبة للمدارس الشرعية وطلبة العلم:

أولاً: الوقف لغة: الحبس، ومنه وقف الأرض على المساكين وقفاً: أي حبساً، ومنه وقفت الدار والدابة، وحبسه أوقفه. (1)

الوقف اصطلاحاً: حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة، أو إعطاء منفعة شيء مدة وجوده، لازماً بقاءه في ملك معطيه ولو تقديراً، وقيل هو حبس الأصل ويسبل المنفعة، أو حبس ملا يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود، وقيل: هو تحبيس مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينه، ويصرف إلى جهة برتقياً إلى الله تعالى. (2)

خلاصة التعريفات:

مما سبق من التعريفات نجد التلازم والتوافق بين كل من التعريفين اللغوي والشرعي بأن الوقف هو الحبس، أي حبس رقبة الموقوف على ملك الله تعالى، لا يصح لأحد التصرف بها لا بيعاً ولا شراءً، مع جواز التصرف بالمنفعة الموقوف وصرفها على جهات البر من المصارف المباحة التي يتحقق فيها مصلحة عامة لجميع المسلمين، والقصد من ذلك كله التقرب إلى الله تعالى.

ثانياً: أهمية الوقف بالنسبة للمدارس وطلبة العلم الشرعي:

لوقف أهمية بالغة في بناء المدارس الشرعية والمعاهد والكليات والنفقة عليها وعلى مرافقها، ثم على طلبة العلم الشرعي وتعهدهم حوائجهم من كتب ولوازم، وكل ما يسهل لهم تحصيل العلم الشرعي، وتعهدهم الأيتام منهم خاصة بتوفير المنامات وأجور السفر وكل ما يحتاجونه في سبيل هذا العلم.

1- ابن منظور: لسان العرب: مادة وقف 359/9، المعجم الوسيط: فصل الواو باب الفاء 212/3.

2- الجرجاني: التعريفات: ص253، الحطاب: مواهب الجليل: 18/6، القنوجي: منتهى الإرادات: 3/2، الزحيلي: المعتمد: 599/3، ابن قدامة:

المغني: 597/5، ابن مودود: الاختيار لتعليل المختار: 40/3.

ومن هنا نجد أن هناك عددا من المدارس الشرعية في فلسطين في جميع المحافظات تقوم بهذه المهمة العظيمة، من أقدمها مدرسة الأقصى الشرعية، بل كان في فلسطين قبل النكبة بعض هذه المدارس كالمدرسة الأحمدية في جامع الجزائر في مدينة عكا حيث تخرج منها العديد من طلبة العلم الشرعي حيث عمل بعضهم بالتدريس والبعض الآخر في الإمامة والوعظ والخطابة ولقد عاصرت بعضهم في الأوقاف.

المطلب الثاني:

جواز النفقة من الوقف على التعليم الشرعي وبيان أقوال الفقهاء: ويشمل فرعين:

الفرع الأول: جواز الوقف على المدارس الشرعية:

ذهب الفقهاء إلى جواز الوقف على العلماء وطلبة العلم وعلى المدارس التي تدرس العلوم الشرعية، وإذا أطلق لفظ العلماء في الوقف فهم أصحاب العلوم الشرعية، والوقف عليهم كالوصية، وقالوا أيضا بما أن الوقف يصح على المساجد والمقابر يصح على المدارس التي تعود بالنفع على عامة المسلمين، لأن منفعة تحصيل العلم الشرعي عامة وليست خاصة، والوقف لا يصرف إلا في جهات البر والقربى، وهذه المدارس من أعظم جهات البرلحاجة الناس إليها وإلى العلم في كل الأزمنة، وقال بعض الفقهاء بأنه يصح تخصيص الوقف على المدرسة، فمن خصه بوقفه اختص قطعا وأصبح لازما.⁽¹⁾

جاء في قانون العدل والإنصاف مادة (270) (من أعمال البريناء الخانات لأبناء السبيل وحضر الأبار وبناء المدارس لتعليم الطلبة وسكنى المجاورين، واتخاذ السقايات وحياض الشرب ونحو ذلك من سبيل الخيرات ووقف المستغلات لمصالحها وعمارتها ومرمتها التي تحتاج إليها).⁽²⁾

الفرع الثاني: النفقة من الوقف على طلبة العلوم الشرعية:

ذهب الفقهاء إلى جواز النفقة من الوقف على طلبة العلم الشرعي كما يصح الوقف عليهم فتجوز النفقة لأن الغالب فيهم الفقير، فإذا وقف على طلبة العلم في بلد كذا يجوز لأن الفقير غالب فيهم، وقال العلماء إذا كان طلبة العلم لا يحصون يختص بفقرائهم، وأن الوقف يتبع شرط الواقف ثم إلى ما هو أقرب إلى الفائدة وأعم للمصلحة، فإذا كان الوقف معيناً فإنه يصرف حسب شرط

1- الشيرازي: المهذب: 676/3، الشرواني وابن قاس العبادي: الحواشي: 85،86/8، الرملي: نهاية المحتاج: 369/5، النووي: روضة الطالبين: 396/4، الزحيلي: المعتمد: 106/2، الذخيرة في فروع المالكية: 455/5، الصاوي: بلغة السالك: 506/2، الفتوح الحنبلي: منتهى الإرادات: 6/2، الكاساني: بدائع الصنائع: 221/6.
2- خوري باشا: قانون العدل والإنصاف: 425/1.

الواقف وإلا فإنه يصرف لطلبة العلم الفقراء بقدر كفايتهم، حيث يعطى الفقير قدر كفايته في المطعم والملبس والمسكن وغير ذلك مما لا بد منه لأن المقصود بذلك تحصيل العلم والذي تتحقق به مصلحة عموم الناس..⁽¹⁾

وهذه بعض من أقوال الفقهاء:

قال الحنفية: الوقف يتبع شرط الواقف حتى لو كان غنيا، فيصح للواقف أن يشترط في الوقف على جهة معينة والصرف على إمام مسجد كذا، ويصرف إليه إن كان فقيرا أو غنيا، وكذا الوقف على المؤذنين والفقهاء ويتبع ذلك حكم الطلبة في المدارس.⁽²⁾

وقال المالكية: لا بد في الوقف أن تكون وقفته مخصصة، فإذا وجدت وقفته لطلبة العلم أو لمدرسة كذا فإنه يثبت لهم، ويتبع في ذلك شرط الواقف في النفقة وأجرة من اشتغل بالمدرسة.⁽³⁾ وقال الشافعية: ولو وقف على الفقراء أو على العلماء وصار منهم فله الانتفاع بالوقف لأنه لم يقصد نفسه.⁽⁴⁾

وعند الحنابلة: إن عين مصرف الوقف على غنيهم وفقيرهم جاز ذلك، فإذا وقف على أولاده وعلى الفقراء صح ذلك.⁽⁵⁾

المطلب الثالث:

إشراف الأوقاف على المدارس الشرعية ومناهجها والنهوض بها:

أولا: إشراف الأوقاف على المدارس الشرعية:

تشرف الأوقاف على عدد كبير من المدارس الشرعية في فلسطين ابتداء من مدرسة الأقصى الشرعية وهي أقدم مدرسة، إضافة إلى جميع المدارس في مختلف المحافظات، حيث تقوم الأوقاف بالبناء أو الاستئجار لهذه المدارس والنفقة عليه وعلى كل متطلباتها، ودفع أجور معلميهما ذكورا وإناثا، ثم النفقة على كل ما يحتاجه الطلبة، حيث تم تطوير هذه المدارس والمعاهد ومنها معهد قليلية الشرعي أصبح كلية جامعية معترف بها.

1- الرملي: نهاية المحتاج: 369/5، الكاساني: بدائع الصنائع: 221/6، الشرواني وابن قاسم العبادي: الحواشي: 85، 86/8، الشيرازي: المهذب: 658/3، قاضخان وابن البراز: فتاوى قاضخان والفتاوى البزازية بهامش الفتاوى الهندية: 271، 272/6، ابن عابدين: حاشية رد المحتار: 658/1، الزحيلي: المعتمد: 106/2.

2- قاضي خان وابن البراز: الفتاوى: 271، 272/6.

3- الصاوي: بلغة السالك: 455/5، الذخيرة: 14/4.

4- الزحيلي: المعتمد: 610/3.

5- البهوتي: كشاف القناع: 308/4.

ثانيا: تشرف الأوقاف على المنهاج الشرعي وتعمل على تطويره بما يلائم المصلحة، وهناك دائرة مختصة في وزارة الأوقاف تسمى دائرة التعليم الشرعي، مسؤولة عن المدارس والكليات وتشرف على المناهج والكتب وطرق التدريس والامتحانات، كما تشرف على التعيينات واختيار المدرسين.

ثالثا: مثال ذلك: مدرسة ثانوية جنين الشرعية، من حيث البناء والمدرسين والطلبة والمناهج، وأهميتها في دعم التعليم اشرعي وتخرج طلبة العلم.

تأسست ثانوية جنين الشرعية عام 1975 من قبل جمعية بيت المسنين الخيرية، في بناء مستأجر، حيث تم انتداب مدير المدرسة وبعض المعلمين من حملة العلم الشرعي على حساب الأوقاف، وكانت تحوي الصفوف الثانوية فقط، وفي عام 1985 انتقلت إلى البناء الجديد الذي بنته الجمعية على نفقة أهل الخير على أرض وقفية، وقد انضمت المدرسة لوزارة الأوقاف عام 1996 حيث تولت الأوقاف الإشراف عليها بالكامل، إضافة إلى ضم جميع الموظفين على حساب الأوقاف، والآن يدرس فيها من الصف الأول حتى التوجيهي، ويدرس فيها الآن قرابة ثلاثمائة طالب وطالبة وقد تم الاعتراف بالتوجيهي الشرعي عام 2009، وهي في طور التقدم المستمر لخدمة أبناء محافظة جنين وليست مقصورة على المدينة.(1)

المنهاج الشرعي:

يدرس المنهاج الشرعي من الصف السابع حتى العاشر وذلك حسب المنهاج القديم أيام الإدارة العامة للأوقاف الإسلامية في القدس، ويشمل تدريس كل من: الفقه والحديث والسيرة وعلوم القرآن، والآن يدرس منهاج شرعي مستقل للصف الحادي عشر والثاني عشر، حيث تم تأليف هذا المنهاج من قبل طاقم خبراء من وزارة التربية والتعليم، قسم المناهج بالتعاون مع وزارة الأوقاف، وبعد الاعتراف بالتوجيهي الشرعي من قبل وزارة التربية عام 2009م فهي الآن مسؤولة عن هذا المنهاج وعن الامتحانات والنتائج كبقية الفروع المعترف بها كالتجاري والزراعي وغيرها، وهو أول منهاج شرعي فلسطيني يتم تدريسه في جميع المدارس الشرعية، وهذه المدارس تخضع لوزارة التربية والتعليم من حيث الأنظمة والقوانين المعمول بها، وتقوم الأوقاف بالإشراف والتعيينات والمتابعة وكل ما يلزم لسير العملية التعليمية.(2)

الخلاصة والتقييم:

1- أرشيف ثانوية جنين الشرعية.

2- الأرشيف السابق..

المنهاج الشرعي الذي يدرس من السابع إلى العاشر هو منهاج قديم رغم تجديد طباعته إلا أنه بحاجة إلى تجديد وتنقيح واختيار ما هو لازم لتأهيل الطلبة وتحسينهم بالعلوم الشرعية اللازمة في الحياة اليومية، للوقوف أمام الفساد المستشري والتحديات المعاصرة، وكذا إعداد من يريد إكمال تحصيل العلوم الشرعية في كليات الشريعة المختلفة، نأمل متابعة هذه المناهج من قبل أهل الاختصاص لإحراز وتحقيق المصلحة المرجوة.

المبحث الثاني:

الزكاة والتعليم الشرعية:

ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: ويشمل فرعين:

الفرع الأول: تعريف الزكاة لغة واصطلاحاً:

الزكاة لغة: الطهارة والنماء والبركة والزيادة، والمدح كله، والزكاة ما أخرجته من مالك لتطهر به، والزكاة صفوة الشيء وتزكيهم بها تطهرهم. (1) قال تعالى (وتزكيهم بها) (2).

الزكاة اصطلاحاً: اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة، وقيل هي حق يجب في المال. (3).

خلاصة التعريفات:

أن الزكاة فرضها الشارع الحكيم تزكية للمال والنفوس، وتطهير لنفوس المذكي ولماله، وأنها تخرج من المال الذي بلغ النصاب وتصرف لطائفة مخصوصة وهم الأصناف الثمانية أصحاب الزكاة المفروضة.

الفرع الثاني: النفقة من الزكاة على التعليم الشرعي:

أجاز الفقهاء النفقة من الزكاة على طلبة العلم الشرعي فمنهم من أجاز ذلك مطلقاً، ومنهم من قيده بعدم الأخذ من بيت المال، وفريق ثالث قيده بالنفقة على الفقراء والمساكين منهم، وهذا تفصيل لأقوالهم:

1- ابن منظور: لسان العرب: باب زكا 358/14، الجرجاني: التعريفات ص14، مختار الصحاح ص 273.

2- سورة التوبة: آية 103.

3- ابن قدامة: المغني: 572/2، الموصل الحنفي: الاختيار: 99/1، موسوعة نضرة النعيم: 2196/6.

الفريق الأول: ذهب فريق كبير من العلماء إلى القول بجواز النفقة من مال الزكاة على طلبية العلوم الشرعية لأن من أصناف الزكاة الفقراء والمساكين، وأغلب هؤلاء الطلبة هم من الفقراء والمساكين، والتصدق على الفقير العالم أفضل من التصديق على الجاهل، لأن الأمة بحاجة إلى علمهم وهذا من أكبر أبواب المصلحة العامة والتي يعود فيه النفع على كل الناس، وقالوا: من شروط الزكاة الفقر ومنه العاجز عن الكسب، وطالب العلم فقير لعجزه عن الكسب والذي يعجز عن أداء حاجته بما يليق بمروءته ولو قدر على الكسب لكنه اشتغل بتحصيل العلوم الشرعية، وإذا أقبل على الكسب انقطع عن تحصيل العلوم هنا حلت له الزكاة، لأن تحصيل هذا العلم فرض كفاية (1).

وذهب العلامة القرضاوي: إلى جواز إعطاء الزكاة لطالب العلم المتفرغ، والذي يتعذر عليه الجمع بين الكسب وطلب العلم فإنه يعطى من الزكاة قدر ما يعينه على قضاء حوائجه ومنها معاشه وكتبه التي لا بد منها لمصلحة دينه ودينه، وإنما أعطي لطالب العلم لأنه يقوم بفرض الكفاية، ولأن فائدة علمه ليست محصورة عليه بل هي لمجموع الأمة المسلمة فمن حقه أن يعان من الزكاة لأحد أمرين إما لأنه محتاج أولن يحتاج إلى علمه، وطالب العلم جمع بين الأمرين (2).

الفريق الثاني: اعتبر أن من جملة مصارف الزكاة في سبيل الله، والصرف للعلماء الذين يقومون بمصالح المسلمين الدينية لهم في مال الله نصيبا سواء كانوا أغنياء أو فقراء، بل الصرف على طلبية العلم الشرعي ومدارسهم وحوائجهم من أهم الأمور وأفضلها، لأن العلماء ورثة الأنبياء وحملة الدين وهم الذين يحملون لواء الدعوة إلى الله، وبهم تحفظ بيضة الإسلام، وبهم ينتشر الإسلام في العالمين، وقد كان علماء الصحابة يأخذون من العطاء ما يقوم بما يحتاجون إليه من قضاء حوائجهم ومن يرد مجالسهم من الفقراء وغيرهم، والأمر في ذلك مشهور، ومنهم من كان يأخذ زيادة على مئة ألف درهم، ومن جملة هذه الأموال التي كانت بين المسلمين على هذه الصفة الزكاة (3).

الفريق الثالث: ذهب هذا الفريق إلى القول بأن الزكاة تعطى إلى العالم والمفتي والقاضي وطلبة العلم إذا لم يأخذوا حقهم من بيت المال، فإذا منعوا من بيت المال جاز لهم الأخذ من الزكاة

1- الشيخ نظام: الفتاوى الهندية: 187/1، ابن عابدين: حشية رد المحتار: 658/1، الإمام النووي: روضة الطالبين 171/2، النووي: المجموع شرح المهذب: 317/7.

2- القرضاوي: فقه الزكاة: 560، 561/2.

3- الفتاوى: الروضة الندية: 203، 204/1، صديق خان: التعليقات الرضية: 533/1.

مطلقا سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهم أولى من غيرهم.(1).

الجمع والترجيح بين هذه الأقوال:

بعد الاطلاع على الآراء والأقوال السابقة يتبين للباحث أن جميع أصحاب هذه الأقوال متفقون على جواز النفقة من الزكاة على طلبة العلم الشرعي وعلى مدارس العلم، إلا أن بعضهم أطلق الأمر وقال إن غالبهم فقراء ومساكين، والبعض الآخر قيده بالعجز عن الكسب وطالب العلم عاجز عن ذلك لانشغاله بتحصيل العلم فهو فقير، وفريق اعتبرهم من صنف في سبيل الله وأجاز الزكاة لهم دون قيد، والذي يرجحه الباحث أن الزكاة تصرف لطلبة العلم الفقراء والمساكين، وطالب العلم المشغل بتحصيل علمه إذا عجز عن الكسب فهو فقير يعطى من الزكاة قدر كفايته. ويؤيد ذلك ما جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية:

يجوز جمع أموال الزكاة لتأسيس مدرسة إسلامية نموذجية على أن تقتصر على أبناء الفقراء والمساكين والمستحقين للزكاة مجاناً أو بأجور رمزية، على أن تسجل أعيان هذه المدرسة باسم الزكاة بجميع مرافقها، بحيث إذا استغني عنها تصرف في مصارف الزكاة، ولا مانع من قبول أولاد الأغنياء في هذه المدرسة بأجر لا ينقص عن أجر المثل في المدارس الخاصة، وتعامل جميع الأجور التي يحصل عليه من الطلبة معاملة الزكاة، ولا مانع من إعطاء القائمين على المدرسة من إداريين ومدرسين ونحوهم أجور مثلهم.(2)... والله أعلم

المطلب الثاني:

إشراف الزكاة على المدارس الشرعية ورعايتها والنفقة عليها وتطويرها:

تقوم لجان الزكاة المركزية في جميع محافظات الوطن بالإشراف على رياض الأطفال والمدارس الشرعية التابعة لها، وقامت هذه اللجان ببناء المدارس من أموال الصدقات من داخل البلاد وخارجها، وعملت على تجهيزها بجميع ما يلزمها من الوسائل العلمية والمكتبات وكل ما فيه راحة الطلبة، ومعظم هذه المدارس مبنية على أرض الوقف أو على أراض مسجلة باسم هذه اللجان، وتعمل هذه اللجان تحت مظلة الأوقاف من حيث الإشراف، وتعتبر هذه المدارس المختلفة من أهم المدارس المتقدمة على مستوى الوطن تعليمياً وتربوياً وأخلاقياً، وتعمل على تحصين طلبتها بثقافة دينية تظهر جليا في سلوك طلبتها ووقوفهم أمام التيارات الجارفة والمنحرفة في هذا الزمان،

1- الدسوقي: حاشية الدسوقي: 497،498/1.

2- الموسوعة الكويتية: فتوى رقم 50/3ع/88/4/334.335.

حيث تخرج هذه المدارس للمجتمع جيلا يحمل الإسلام عقيدة وشريعة ونظاما للحياة، يتمتع بأخلاق الإسلام وثقافته العالية التي تنقل الصورة الحقيقية لهذا الدين الحنيف وهي الرحمة والسماحة والعدل وحفظ حقوق الإنسان، في ظل هذه الهجمة الشرسة على الإسلام كدين وعلى المسلمين في العالم أجمع.

مثال ذلك: روضة ومدرسة الإيمان في مدينة جنين:

أسست لجنة زكاة جنين روضة ومدرسة الإيمان عام 1992م بترخيص من وزارة التربية والتعليم، حيث أقامت لجنة الزكاة البناء على أرض وقفية مساحتها أحد عشر دونما، ومساحة البناء أربعة آلاف مترمربع، بدعم من أهل الخير في دول الخليج، حيث تم تجهيز المباني وكل مرافقها لتكون صالحة لطلبة العلم وتوفير جميع وسائل الراحة اللازمة لهذا الغرض.

الأهداف: إقامة صرح علمي نموذجي متميز علميا وتربويا يحتضن أبناء المدينة والقرى المجاورة لها، والأيتام خاصة.

المنهاج: إضافة لمنهاج وزارة التربية والتعليم الرسمي فإن المدرسة تدرس مادة الكمبيوتر وذلك قبل وصوله إلى المدارس الحكومية بفترة طويلة، ومادة الثقافة الإسلامية بما يلائم أعمار الطلبة، وتركز أيضا على اللغة الإنجليزية والتي تمثل ضعفا عند معظم طلبة المدارس.

المستويات: في الروضة مستوى بستان وتمهيدي.

وفي المدرسة من الصف الأول حتى التاسع الأساسي وتطمح أن يصل إلى التوجيهي.

أعداد الطلاب: وصل عدد طلاب الروضة والمدرسة عام 2016، 2017م حوالي ثمانماية طالب وطالبة، وتتحمل لجنة الزكاة النفقة على الأيتام منهم، كما تملك المدرسة والروضة ثمانية باصات متوسطة الحجم لنقل الطلبة ذهابا وإيابا. (1)

الخلاصة:

هذه الروضة والمدرسة التي تشرف عليه لجنة زكاة جنين المركزية تبذل جهودا جبارة في ظل ظروف قاهرة ماليا خصوصا بعد شح الموارد وانقطاع الدعم الخارجي للمحافظة على المسيرة التعليمية حسب الخطة المرسومة لها، وهدفه الأساس إخراج جيل متمسك بدين الله يدرس كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة الكرام ومحصن بثقافة الإسلام ليخرج إلى المجتمع بثوب الإسلام الحقيقي سلوكا وأخلاقا يمثل القدوة الحسنة أينما وجد.

1- أرشيف مدرسة الإيمان/ جنين.

الخاتمة ونتائج البحث:

1. إن للأوقاف دور عظيم في المحافظة على العلم الشرعي وطلبته بتأسيسها للمدارس الشرعية ورعايتها.
 2. دور الأوقاف في النفقة على المدارس الشرعية ودفع رواتب المدرسين ولوازم المدارس.
 3. معظم المدارس الشرعية مبنية على أرض الوقف.
 4. للجان الزكاة دور كبير في دعم العلوم الشرعية وطلبها.
 5. تقوم اللجان ببناء المدارس والإشراف عليها والنفقة على جميع مستلزماتها ودفع رواتب العاملين فيها.
 6. على المجتمع المحلي دعم هذه المؤسسات الخيرية حتى تؤدي رسالتها العظيمة.
 7. على الأوقاف ولجان الزكاة التابعة لها العمل على النهوض بهذه المسيرة العلمية.
 8. ينقص هذا العمل الإعلام الذي ينبغي أن يبين للناس فضل هذه المدارس وتشجيع الطلبة للالتحاق بها.
 9. لا بد من متابعة المنهاج الشرعي والعمل على تجديده بما يتلائم وقدرات الطلبة وتمشيا مع التحديات.
 10. تشجيع الناس أولادهم لدراسة العلم الشرعي ذكورا وإناثا ففي ذلك تحصين لهم، وحفاظا على العلوم الشرعية ونشرها في العالمين لما تقتضيه مصلحة الأمة.
- وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

المراجع الخاصة

11. القرضاوي: يوسف: فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة، ط5، 1981.
12. القرافي: أحمد: 2008 ، الذخيرة في فروع المالكية، بيروت - دار الكتب العلمية، ط2، ج1 ، لبنان.
13. ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر: مفتاح السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت.
14. القنوجي: صديق بن حسن: الروضة الندية، شرح الدرر البهية، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط1، 1984.
15. الكاساني: علاء الدين: 1982: بدائع الصنائع، بيروت، دار الكتب العلمية، ، ط2، ج1، لبنان.
16. الماوردي: علي بن محمد بن حبيب: أدب الدين والدنيا، البشير للتوزيع، القاهرة.
17. الموصلي: عبد الله:، الاختيار لتعليل المختار، القاهرة، مكتبة مصطفى الباني الحلبي ط2،، 1951، ج1، مصر.
18. الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند: الفتاوى الهندية: المطبعة الأميرية بولاق، مصر.
19. النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: روضة الطالبين: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1992.
20. النووي: المجموع شرح المهذب: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002.
21. يعقوب: محمد حسن: منطلقات طالب العلم،



تطوير مناهج التعليم الشرعي لكليات الشرعية في فلسطين



إعداد
معتصم يوسف عمر كميل*

*حاصل على شهادة الثانوية العامة سنة 2012، ومتخرج من الجامعة العربية الأمريكية سنة 2016 بتخصص "الفقه والقانون"، وحاليا أدرس في جامعة النجاح الوطنية دراسات عليا ماجستير في تخصص "الفقه والتشريع"، ومتدرب في المحاماة الشرعية.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المعلم المبعوث رحمة للعالمين محمد، وبعد: فإن التنظيم والشمول والدقة في خلق الله يدل على اعجازه، فيكون بمثابة الدلالة على وجود أحسن الخالقين، وبداية العلم به سبحانه، وهذا شأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سار بداية على طريق "المجال المعرفي" فكان يذهب إلى غار حراء فيتدبر الكون والمخلوقات، فيؤكد على وجود الله وهذا التدبر موجود في الفطرة، حتى نزل الوحي وقال له: "اقرأ" ثم علمه أمور الدين وكيفيةاته، وهذا تحول إلى "المجال المهاري" كما يسمى في العلم الحديث وهذا رسوخ "المجال العاطفي" للرسول من حب لله وقوة إيمان وحسن خلق وغيرها... وبهذه المجالات سار بها النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم أصحابه، وبقراءة سيرة الرسول نجد أن باقي المناهج التعليمية التي اتبعها الرسول مع أصحابه هي للوصول إلى تعليم الشريعة بأهداف عظيمة حتى وصل إلى الهدف والختام من الرسول بأن "أكملت لكم دينكم ورضيت لكم الإسلام ديناً".

مما لا شك فيه أن أهداف التعليم الشرعي واضحة وهو تحقق العبودية الحققة لله تبارك وتعالى وتكوين البناء الديني والبناء الإجتماعي والبناء المادي والبناء العلمي، كما أن غاية مناهج التعليم الشرعي هي إحداث تغيير في سلوك طلاب العلم من استدعاء الحقائق الفطرية كالإيمان بالله، وعبادته حق العبادة، وتعليم الأخلاق وتعليم التفسير وتعليم الفقه وغيرها من أقسام العلوم الشرعية، وتعليم المهارات العقلية والمهارات الاجتماعية والمهارات النفسية الحركية.

ولعظم التعليم الشرعي كان لابد من تطوير مناهجه للوصول إلى تعليم يفي بمحاجات المسلمين في هذه الأيام ولفهم واقعهم، وخاصة مع تطور التكنولوجيا، والتي يصعب إصدار الأحكام الشرعية بخصوصها دون فهمها، وكما أن هناك زيادة في المؤلفات والأحكام الشرعية فكان لابد من تنظيم هذه المحتويات، ومع زيادة الخبرات في علم الإجتماع كان لابد من الإستفادة من هذا العلم للتعامل مع طلاب العلم وتطوير أنشطة التعلم، ولا يعرف حصول هذا التطور إلا بوجود عملية تقويم دقيقة تحتاج خبرة عالية وتحكيم ذوي الكفاءة للوصول إلى حلول لمشاكل التعليم الشرعي.

خطة الدراسة: قمت بتقسيم بحثي إلى ثلاثة فصول

الفصل الأول: المحتوى التعليمي في كليات الشريعة وسبل تطويره.

الفصل الثاني: أنشطة التعلم في كليات الشريعة وسبل تطويرها.

الفصل الثالث: دور تقويم المنهج في تطوير التعليم الشرعي.

الفصل الأول: المحتوى التعليمي في كليات الشريعة وسبل تطويره

يعد المحتوى المضمون الذي تتحقق بسببه الأهداف التعليمية، وحتى نستطيع أن نحقق الأهداف كان لا بد من وجود محتوى مرتبط بها، ومحتوى صادق وشامل وحديث ومنظم.¹ فلا بد لأي محتوى تعليمي أن يتصف بمعايير محددة لكي تكون عجلة التعليم قد أخذت قوة الدفع مما يجعلها تزداد تسارعا وتطورا، وأي إخلال بهذه المعايير من شأنه أن يشكل حاجزا يوقف هذه الحركة، مما سيؤدي إلى ضعف المناهج وبالتالي تراجع التعليم وعدم تطوره.

وكذلك الأمر إذا كان يتعلق بمحتوى التعليم الشرعي، فهو وإن كان يختلف عن باقي العلوم في مقرراته الدراسية إلا أنه يشبهها بتحقيق مجموعة من المعايير.

والمستقرئ لحال أغلب كليات الشريعة في فلسطين يجد بوضوح فقد بعض المحتويات ونقص في بعض المقررات التعليمية، مما يفقد عنصر المحتوى معيار الشمولية

وتكمن المشكلة في نقص المقررات التعليمية فالناظر إلى معظم الكليات الشرعية وخاصة في فلسطين يجد هذا الضعف، فأغلب كليات الشريعة لا تعني بتدريس فقه الجهاد، وفقه السياسة الشرعية، كما وإن كانت هذه الكليات تدرس فقه الدعوة إلا أن أغلب تدريس هذا المجال يكون من الكتب الدعوية العاطفية التي تخاطب القلب، والتي ليس فيها الأسلوب العلمي، وهذا يعود لعدة أسباب منها "وجود الاحتلال العسكري"²، وخاصة الاحتلال الصهيوني في فلسطين، والغزو الفكري المتطرف.

ويكون تطويره بوقفة جدية في محاربة هذا الغزو والنظر إلى هذه العلوم بأنها علوم إسلامية ويجب أن تعلم للطلاب وأنه لا يتحقق شمول العلوم الإسلامية إلا بإعطاء كل المادة التي تتعلق بالعلوم الشرعية، فمثلا بالنسبة إلى فقه الجهاد، فقد نكون مأمورين بعدم اعلان الجهاد في هذه الأيام لعدم الكفاءة العسكرية والتهيئة النفسية، لكن لا يعذر لنا بأن نخبأ هذا العلم، بل علينا أن نطلقه بين طلاب العلم، وهذا أيضا بالنسبة لفقه السياسة الشرعية وخاصة أن هناك أصبح تغيير جذري في هذا العصر ويجب أن يقابله تغيير في تطوير هذه المحتويات وتنقيحها.

ونقص هذه العلوم يعطي انطباع لدى الطالب بعدم أخذه ما يكفي من العلم فيصبح لديه نظرة من العلوم الشرعية، لعدم استيفاء الحق منها وملئ عقله وقلبه منها، ويتكون في نفسه

1- رياض هاتف عبيد، المناهج التربوية وطرائق التدريس في العلوم الإسلامية، دار الأيام، عمان_الأردن، 2016، ص44.

2- عباس محبوب، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007، ص56.

بعدم جمع المفاهيم والحقائق والقوانين التي تتعلق بالشريعة، فطالب الفقه والتشريع على سبيل المثال يجد نفسه محتاج إلى أكثر كي يصبح فقيها وهذا ما سيزيد من ثقته بنفسه فيزداد إقباله على التعلم.

كما ان هناك من يضع محتويات فيها الشعور بالدونية أمام الغرب، ويكون شغله الشاغل هو محاولة الإثبات لهم بأن ديننا دين يسر. وتقليدهم للإثبات لهم بأننا نمشي على الطريق الصحيح، كالطفل الصغير الذي يركب خلف مقود سيارة والده ليقنع الناس أن هذه السيارة له وهو من يقودها، ومن هذا محاولة إقناع الغرب بأننا رضينا بالديموقراطية وأن الإسلام ما جاء أبعد من هذا، وأنها الخيار الأوحده للناس، كما فعل سابقا غيرهم بأن أرادوا أن يثبتوا أن العلمانية هي الخيار الأول للناس، بل كان يجب علينا أن نملك أنفسنا الإسلام، ونقود أفكارنا فعلا، وهم سيكتشفون قوة قيادتنا دون أن نحاول إقناعهم.

كما أن من أكثر المشاكل التي تواجه التطور التعليمي، ظهور الفرق التي تخلط بين البدعة والتكفير والمصلحة¹، فما تكاد أن ترى أمر فيه مصلحة للتعليم الشرعي إلا وكان فيه تكفير أو اتهام بالبدعة.

الاعتناء بتفاصيل المسائل العلمية وفروعها على حساب إدراك الأصول، والانهماك في التفاصيل والجزئيات على حساب الكليات يخل في محتوى التعليم الشرعي.²

كما أن الهدف هو تحقيق العبودية لله فيجب أن يكون المحتوى التعليمي والمتطلبات الجامعية شاملة لكل التخصص الشرعي ويحتوى على جميع موضوعات الفقه اذا كان التخصص فقهي، وكذلك أن يشمل كل موضوعات التفسير إذا كان التخصص الجامعي تخصص تفسير القرآن مثلا.

كما أن وجود المحتويات التي تعزز جانبا من المعلومات على الآخر بدون دليل واضح يفقد المحتوى الصدق في صحة المعلومات ودقتها، كإثبات بعض المحتويات لبعض المعلومات لوجود النعرة التعصبية للمذهب³، وهذا حال كثير من كليات الشريعة في العالم، حتى لو حاولت الكلية الالتزام بمنهج عدم التعصب المذهب إلا أننا نلاحظ تأثرها ببعض المذاهب، وإن لم يكن مذاهب

1- القرضاوي، يوسف، (2016/5/17-15) المؤتمر العالمي للتعليم الشرعي وسبل ترقبته، قطر.

2- موقع اسلام ويب، المنهجية في التعليم الشرعي، 2017/8/16، http://library.islamweb.net/Newlibrary/display_umma.php?lang=، &BabId=1&ChapterId=4&BookId=2080&CatId=201&startno=0

3- محمد عبد الغفار الشريف، تطوير المناهج التعليمية في كليات الدراسات الشرعية، 2010/9/16، <http://www.dralsharif.net/Book.aspx?RefID=472>، أنظر: محمد بن عبد الله الدويش، (1434هـ)، كتاب الأمة، تطوير مناهج التعليم حاجة أم ضرورة، ادارة البحوث والدراسات الإسلامية، عدد: 158، قطر، 1434، ص 91.

ترى التأثير بأحزاب أو بأشخاص وهذا يفقد المنهج التعليمي الشرعي أسلوب الأخذ بالدليل والتعليم الدقيق.

كما ان هناك مشاكل في أن أكثر المحتويات الحديثة تستند في معلوماتها على القياس من أقوال العلماء المتقدمون, مع أنهم لم يبدو أي رأي مباشر فيها, بدلا من أن يقيسوا من القرآن والسنة النبوية, لأن نفوس المشرفون على المناهج التعليمية لا يقبلون مؤلفات وأبحاث في الشريعة لا تستند إلى قول العلماء القدماء!.

من هنا أصبح حاجز خوف لدى الكتاب والباحثين من تأليف الجديد والخوف أيضا من كتابة مؤلفات جديدة في العلوم الشرعية¹, فقليل ما تجد المؤلفات الشرعية الحديثة التي تتكلم في احكام فقهية غير تقليدية ومذهبية, وقلما تجد اليوم من يكتب في تفسير القرآن الكريم وشرح السنة النبوية وهذا ما أدى إلى عدم حداثة المحتوى.

بينما العلوم الأخرى تجد أنها قد أخذت حقها في الكتابة, فلو قارنا المؤلفات التي تحدثت عن القضية الفلسطينية ستجدها أكثر بكثير من المؤلفات التي تكلمت عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.²

وأرى أن هناك علم جليل لم يستوف حقه من الكتابة والشرح وهو "علم المقاصد الشرعية", والذي إلى حد الآن يتطور تطورا بطيئا, والسبب أن هذا العلم يحتاج إلى اجتهاد عظيم ومعايشة التطور الحاصل في أيامنا, لكن لسوء وضع الأمة اليوم, وعدم فهم ما هو حاصل اليوم من تكنولوجيا عالية فيصعب الربط بين هذا العلم وما هو حاصل, بسبب الجهل الكبير بهذه التطورات.

سبل تطوير المحتوى التعليمي في كليات الشريعة:

1. ربط المحتوى التعليمي بأهداف التعليم الشرعي.³
2. شمول المواد التعليمية لأي تخصص شرعي.
3. الابتعاد عن الكتب الشرعية التي تحتوى على التعصب المذهبي.
4. اختيار المحتويات الشرعية بما يلازم فقه الأولويات والنوازل وفقه الموازنات.
5. العلم بالتكنولوجيا الحديثة, حتى يستطيع العالم أن يربط هذه التكنولوجيا بما هو

1- محمد بن عبد الله الدويش, (1434هـ), كتاب الأمة, تطوير مناهج التعليم حاجة أم ضرورة, ادارة البحوث والدراسات الإسلامية, عدد: 158, قطر, ص41.

2- طارق سويدان, (2017) فن التأليف, حلقة يوتيوب, <https://www.youtube.com/watch?v=A-5qc5QDtug>.

3- رياض هاتف عبيد, المناهج التربوية وطرائق التدريس في العلوم الإسلامية, دار الأيام, عمان_الأردن, 2016, ص44.

موافق للقرآن والسنة، لأن تكون أمور صعبة ويوصلها البعض إلى أنها سحر، أو أن هذا التقدم قاصر على العقل ولا يحل التكلم به!.

الفصل الثاني: أنشطة التعلم في كليات الشريعة وسبل تطويرها

حتى تتجسد أهداف محتوى التعليم الشرعي ويتطور. يجب أن تكون هناك تنوع في مستوى الأنشطة المعرفية والعاطفية والمهارية، فلا يمكن أن يتطور التعليم الشرعي في ظل تغليب الجانب العاطفي على باقي المستويات كما هو حاصل اليوم في بلادنا.

بل كان يجب الموازنة بين هذه الأنشطة، فإذا جمعت لن تكون الأنشطة العاطفية مجرد مقدمات هزلية، ولن تكون الأنشطة المعرفية مجرد كلام، ولن تكون الأنشطة المهارية مجرد أفعال بلا فائدة.

أسباب ركود أنشطة التعلم في كليات الشريعة:

”لا بد من تنوع مستوى الأنشطة (العاطفي والمعرفي والمهاري)“¹، والمشكلة هي أن المستوى الأول (العاطفي) قد غلب على باقي المستويات في كلياتنا، فما أكثر الأحكام المبنية على العواطف والابتعاد عن الدليل، وحقيقة المستوى الثالث (المهاري) أنه شبه مفقود في العلوم الشرعية، وكأن طالب الشريعة عبارة عن قالب على كرسي يستمع ويمتحن على ورق!، ”وهلا كان هناك زيارات ميدانية“² تعرف طالب الشريعة على ثقافة المجتمع وحضارته؟، حتى يعلم السياسة الشرعية التي يجب عليه أن يتبعها، أو معرفة فقه الأولويات والتي لا تعرف إلا بمعرفة ما هو محيط، كما ومعرفة ما يدور من حوله³ حتى يقارن بين أحوال زمانه وربطها بعلم المقاصد الشرعية، وكل هذا يكسبه المهارة والخبرة في إكسابه فقه دعوة ليكون مثال الداعية المحرك والمغير.

سبل تطوير أنشطة التعلم:

1. استخدام كل الوسائل التعليمية الحديثة في تطبيق مناهج التعليم من تكنولوجيا وطرق تدريس⁴.
2. تنوع مستوى أنشطة التعلم.
3. دخول طالب الشريعة إلى الميادين والساحات، لأن علمه يتعلق بأمور الناس.

1- رياض هاتف عبيد، المناهج التربوية وطرائق التدريس في العلوم الإسلامية، دار الأيام، عمان_الأردن، 2016، ص47.
2- محمد عبد الغفار الشريف، تطوير المناهج التعليمية في كليات الدراسات الشرعية، 2010/9/16، <http://www.dralsherif.net/Book.aspx?RefID=472>
3- محمد بن عبد الله الدويش، (1434هـ)، كتاب الأمة، تطوير مناهج التعليم حاجة أم ضرورة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، عدد: 158، قطر، 1434، ص91.
4- عباس محجوب، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، عالم الكتب الحديث، الأردن، 207، ص35.

الفصل الثالث: دور تقويم المنهج في تطوير التعليم الشرعي

للتقويم دور كبير في تطوير مناهج التعليم الشرعي وتحديثها، فلا بد من تحديد المشكلات ونواحي القصور: عدم تحديث المناهج التعليمية، وهذا يكون بعمليات تقويم شاملة، في ظل التطور المشهود. كما إن عملية التقويم تعمل على تحليل العوامل التي تؤثر في سير التعليم الشرعي وتقديمه، وبذلك يستطيع الشعب ان يطمئن على حسن سير التعليم من جهة، ويشارك في تحسينه ورفع مستواه من جهة أخرى، لأن أمر التعليم الشرعي لا يهم فئة معينة فقط بل كل المسلمين، وتعتمد الدراسات الحديثة في بناء المناهج وتنفيذها وتطويرها على مشاركة جميع المؤسسات الاجتماعية.

سبل تطوير التقويم:

1. الإستفادة من القديم، فلا نهمل المناهج القديمة بل نرسخها ونبني عليها، لكن هذا لا يعني أن نبقي خاضعين للقديم إنما نستفيد منه لمعرفة الإخطاء السابقة، فتسهل عملية التقويم.
2. "مشاركة المجتمع المسلم والمؤسسات الاجتماعية في عملية التقويم"¹، لأن معرفة المجتمع بسير العملية المناهج التعليمية يعطي دافعية للإسهام في بناء منهاج متطور قوي، فلا ضير لو عرضت كليات الشريعة عناصر منهاج تعليمها على المجتمع والنظر والإستفتاء فيه، فهذا سيحببهم ويقربهم إلى علم الشريعة مما سيعزز حب إعطائهم الآراء وتغيير الأخطاء الموجودة في المحتويات وأشطة التعلم الموجودة في كليات الشريعة في الجامعات الفلسطينية.

خاتمة

إن لعملية تطوير مناهج التعليم الشرعي أهميته العظمى لتلقي العلوم الشرعية وزيادة فهمها وحفظها وإدراكها وتطبيقها، فكان لا بد من الإهتمام بها، فيها ترتقي الأمة

ونلعم أن هذا التطور لا يكون إلا بتغيير وإصلاح الأنفس، يقول سبحانه: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"، فلنزل التبعية للغرب، ومرض التكفير من دون أدلة، والفتوى دون علم، والتعلم دون إخلاص لله وصرفه لغايات أخرى، "وأن لا يكون بمفهومنا أن تطور التعليم الشرعي من شأنه أن يصعب عملية التعليم بل بالعكس فإن تطويره يزيد من قوة تنظيم وسهولة دخول المعلومة بين طلاب العلم، والعلوم الشرعية بطبيعتها سهلة لمن أراد أن يتذكر، يقول سبحانه: ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر"².

1- فؤاد محمد موسى، علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي، المنصورة، 2004، ص328.

2- اسحاق فرحان (1980)، نحو صياغة إسلامية لمناهج التعليم، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ط2، عمان_الأردن، ص80.

والتطوير لا يكون فقط بوضع المصطلحات الحديثة, ولا بتقليد ثقافات الدول المتطورة, إنما يكون التطوير ببذل ما يمكن من طاقات لوضع مناهج تعليمية شرعية ترضي الله سبحانه.

النتائج:

1. إن في تطوير مناهج التعليم الدور الأساسي لتطوير التعليم الشرعي.
2. من مشاكل ضعف تطوير التعليم الشرعي في فلسطين هو فقد المحتوى التعليمي للشمول والحدثة.
3. إن للتعبص المذهب والفكر المنحرف دوره في بطئ عجلة تطوير المناهج التعليمية في كليات الشريعة.
4. التمسك بالقديم والخوف من الجديد سبب لعدم تطوير التعليم الشرعي.
5. يجب الإهتمام بعلم المقاصد الشرعية وعلم فقه الأولويات والموازنات, وفقه الواقع, حتى نزيد من عجلة تطوير التعليم الشرعي, وهذه العلوم شبه مفقودة.
6. من الضروري استخدام كل الوسائل التعليمية الحديثة في تطبيق مناهج التعليم من تكنولوجيا وطرق تدريس.
7. لعنصر التقويم دور كبير في تطوير مناهج التعليم الشرعي وتحديثها.
8. مشاركة المجتمع المسلم والمؤسسات الإجتماعية في عملية التقويم يزيد من تطوره.

المراجع الخاصة

1. اسحاق فرحان, (1980), نحو صياغة إسلامية لمناهج التعليم, جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية, ط2, عمان_الأردن.
1. اسلام ويب, المكتبة الإسلامية.
1. رياض هاتف عبيد, (2016), المناهج التربوية وطرائق التدريس في العلوم الإسلامية, دار الأيام, عمان_الأردن.
1. طارق سويدان, (2017) فن التأليف, حلقة يوتيوب, -<https://www.youtube.com/watch?v=A-5qc5QDtug>
1. عباس محبوب, (2007), نحو منهج اسلامي في التربية والتعليم, عالم الكتب الحديث, الأردن.
1. فؤاد محمد موسى, (2004), علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي, المنصورة.
1. القرضاوي, يوسف, (15-17/5/2016) المؤتمر العالمي للتعليم الشرعي وسبل تربيته, قطر.
1. محمد بن عبد الله الدويش, (1434هـ), تطوير مناهج التعليم حاجة أم ضرورة, ادارة البحوث والدراسات الإسلامية, عدد: 158, قطر.
1. محمد عبد الغفار الشريف, تطوير المناهج التعليمية في كليات الدراسات الشرعية, موقع الشيخ محمد عبد الغفار الشريف, 16, 47, <http://www.dralsherif.net/Book.aspx?RefID=47>, 2010/9.



نشر المقالات العلمية المحكمة من قبل طلبة
كليات الشريعة في فلسطين الواقع وآليات
التطوير؛ جامعة النجاح الوطنية نموذجاً



د. يوسف عطية حسن كليبين*
د. يمان مؤيد طليح**

*دكتوراه في الفقه ومقاصد الشريعة، حاصل على الزمالة البحثية في الجامعة الوطنية

الماليزية. 2014-2016

**دكتوراه في التربية وأساليب التدريس من جامعة العلوم الإسلامية الماليزية USIM.

1. النشر العلمي في المجالات المحكمة وأهميته

لقد تطور التعليم الأكاديمي الجامعي تطوراً ملحوظاً على مستوى العالم، وشمل هذا التطور جميع التخصصات التعليمية، فلم يعد مجرد طرح المادة التعليمية للطلبة واكتسابهم للمعرفة هي الأولوية الوحيدة المنوطة بالمؤسسة الجامعية، وأحد أشكال هذا التطور الحاصل في المنظومة التعليمية الجامعية هو الاهتمام بالبحث العلمي بشتى جوانبه، حيث أضحى الاهتمام بالبحث العلمي ومخرجاته ركيزة أساسية لتقييم الجامعة. انطلاقاً من هذا الأمر فقد أولت الجامعات الاهتمام بالبحث العلمي ودعمه وتعزيزه سواء للكادر التعليمي أم للطلبة المنتسبين إليها، ووفرت لهم كل السبل نحو إنتاجٍ بحثي متقدم في ظل هذه المنافسة الحاصلة بين المؤسسات التعليمية الجامعية.

إن كليات الشريعة ليست بمعزل عن هذا الأمر، بل مطلوب منها أن تثبت ذاتها في ظل هذه المنافسة الشريفة التي لم تقتصر بين الجامعات فحسب، بل بين الكليات في الجامعة الواحدة، وحامل العلم الشرعي من المفترض أن يكون مميزاً في المجال البحثي أسوة بغيره.

قد يعزى ضعف الإنتاج البحثي المنشور لطلبة الدراسات الإسلامية إلى عدم إدراكهم أهمية وفوائد النشر والمشاركة البحثية العلمية، لذلك يستعرض هذا المقال أهمية النشر والمشاركة البحثية العلمية العائدة على طلبة العلم الشرعي.

ويمكن إجمال الأهمية المتحصلة من هذا الأمر بالنقاط الآتية:

أولاً: الشعور بالذات؛ يعتبر نشر الطالب الجامعي - وخاصة طالب الدراسات العليا - للمقالات العلمية المحكمة ومشاركته بالمؤتمرات العلمية أحد أهم عوامل شعوره بذاته وإكسابه الثقة بالنفس، وشعوره هذا متولد من الإضافة العلمية التي قدمها للعلوم الشرعية، والتي من الممكن أن يستفيد منها غيره في دراسته، واعتبار دراسته إضافة علمية يمكن البناء عليها، فيشعر حينها أنه قادر على العطاء في الساحة العلمية، وهذا كله نتيجة استثماره للمهارات التي اكتسبها أثناء فترة دراسته الجامعية، حينها يشعر بالفعل أنه قادر على العطاء والتجديد والإثراء، والانتقال من مرحلة التلقي والسماع إلى مرحلة الإبداع والعطاء.

إضافةً إلى ذلك فإن ولوج ساحة النشر العلمي هو محاولة مهمة لكي يصنع الباحث لنفسه سمعة علمية، ويترك بصمة له في المجال البحثي الذي اختاره¹، وبالتسمية المعاصرة يُطلق على

1- حفيظي، نور الدين، وتبينه، راوية، 2015م، النشر بين الأهمية العلمية والصعوبات الواقعية، أعمال مؤتمر تمثين أدبيات البحث العلمي، لبنان: مركز حيل البحث العلمي، ص161.

هذا الأمر: صناعة الماركة الشخصية للباحث (Building Researcher Brand Name)،
وتعقد دورات متخصصة لتنمية هذا الأمر للباحثين 1.

ثانياً: تحسين الفرصة في الحصول على عمل مناسب؛ لقد تغيرت ظروف المنافسة للحصول على عمل، فلم يعد اجتياز مرحلة علمية جامعية بنجاح هو الكفيل للحصول على وظيفة جيدة، فقد أضحي اليوم العديد من المحددات والعوامل التي تزيد الفرصة للحصول عليه، خصوصاً في ظل المنافسة الحاصلة في مجتمعاتنا، ومما لا شك فيه أن الناجح البحثي والعلمي هو أحد ميزات هذه المنافسة الوظيفية، خصوصاً الأكاديمية منها، بالإضافة إلى عدد المؤتمرات الدولية المشارك فيها، والدورات التدريبية، فالبحث والنشر العلمي يعود على طالب العلم الشرعي الجامعي في المستقبل، ويعزز فرصته في الحصول على مركز تعليمي مناسب؛ كون النشر العلمي هو أحد علامات الكفاءة الوظيفية، خصوصاً إذا ما كانت أكاديمية 2.

ثالثاً: استمرارية النبض العلمي لدى طالب العلم الشرعي وضمان استمرارية الإبداع؛ يعاني الكثير من طلبة العلم الشرعي من انقطاع سبل الإبداع بعد تخرجهم من الجامعة، خصوصاً إذا لم يوفقوا في الحصول على وظيفة توافق تخصصهم، وإذا ما امتدت فترة الانقطاع، فإن هذا سيبعدهم عن معنى العطاء العلمي والاستفادة مما تعلموه، من هنا فإن النشر العلمي والمشاركة العلمية في المؤتمرات يُبقى جذوة العلم والعطاء مشتعلة لديهم، فمجال النشر العلمي ليس حكراً على أحد، أو صاحب رتبة علمية معينة، إنما هو متاح لكل من ملك أصول البحث العلمي وسار عليها وأتقنها، وقيامه بالنشر العلمي بين الفترة والأخرى يُبقي اتصاله بما تعلمه خلال فترة دراسته، وقد يقوده حوضه هذا المضمار إلى اكتشاف الذات والإبداع في مجال تخصص شرعي معين يميل إليه الطالب، ويرى نفسه فيه مبدعاً، أخيراً فإن الاكتفاء بالدراسة الأكاديمية وحدها دون أن يكون للشخص إثراء للمكتبة الشرعية، فهذا فيه هدر لطاقت الشباب .

رابعاً: المساهمة في رفع تقييم الجامعة 3 محلياً ودولياً؛ 4 يجب أن يكون لدى طالب العلم

- 1- أنظر: منصة الباحثين العرب، تاريخ المشاهدة: 2017/5/30م، <http://arid.my/anniversary.aspx>
- 2- هذا ملاحظ في جميع طلبات التوظيف للعمل الأكاديمي، فقد أفردوا خانة لرصد المقالات المنشورة في المجالات المحكمة، إضافة للدورات والمؤتمرات المشارك بها. ومن الأمثلة على ذلك، جامعة النجاح الوطنية - offices/ <https://www.najah.edu/ar/about/nnu-> /human-resources/forms-hr
- 3- يعد النشر في المجالات العلمية أحد أهم عوامل تقييم المؤسسة التعليمية، ويخصص له رصيد جيد من التقييم، وهناك تصنيفات عالمية معتبرة، مثل: (Academic Ranking of World Universities (ARWU)، وQS World University <http://www.topuniversities.com> . <http://www.shanghai ranking.com/index.html>
- 4- رضا، سعيد مقبل، 2009م، النشر الجامعي في العصر الرقمي، ورقة بحثية قدمت في مؤتمر حركة نشر الكتب في مصر، ماي 2009، ص9.

الشرعي انتماء لكليته وجامعته، وهذا الانتماء بحاجة إلى ترجمة فعلية، وينطوي تحت هذا الانتماء المساهمة في رفع سمعة الجامعة والكلية التي ينتمي إليها، ومعلوم أن النشر العلمي الذي يكون تحت مظلة ومسمى الجامعة له أسهم في هذا التقييم، إضافة إلى أن سمعة الكلية الشرعية التي تخرج منها طالب العلم الشرعي، لها أثر واضح في مسيرة حياته، وتمنحه الأفضلية عند التوظيف أو الانتساب إلى جامعة عالمية لإكمال دراسته العليا.

خامساً: تدارك الفجوة بين طلبة العلم الشرعي في فلسطين وطلبة الدراسات الإسلامية في الجامعات العالمية؛ يعاني أغلب خريجي الشريعة من الجامعات الفلسطينية من فجوة كبيرة عند اتخاذ قرار الالتحاق بالجامعات العالمية خارج حدود الوطن العربي لإكمال دراسة الدكتوراه، فمعظمهم لم يسمع بالمقال العلمي، أو المجلة العلمية، وليس لديه خبرة في التصنيفات العالمية للمجلات العلمية مثل (ISI)، أو (Scopus)، ويصدم عند إعلامه بأن شرط مناقشة رسالته، نشر عدد من المقالات العلمية في مجلات محددة التصنيف، بينما يكون الطالب المحلي ملماً بكل هذه الأمور، ولم ينهي مرحلة الماجستير إلا وله رصيد من المقالات العلمية المنشورة التي اشترطتها عليه الجامعة أثناء دراسته،¹ إن هذا الأمر يعاني منه أغلب الطلاب المغتربين من الوطن العربي الملتحقين بالدراسة في خارج القطر العربي، وتجده عند طلبة العلوم الشرعية أكثر من غيرهم، وعند طلبة التخصصات الإنسانية أكثر من طلبة التخصصات العلمية، لأجل ذلك كله من الأجدر لطالب العلم الشرعي في الجامعات الفلسطينية أن يكون له إلمام ومعرفة بالنشر العلمي، وأن يكون قد نشر بحثاً علمياً سواء بمفرده أم بالاشتراك مع الأساتذة الجامعيين.

استعرضت النقاط السابقة أهمية وفوائد النشر العلمي العائدة على طالب الدراسات الإسلامية، وهي محاولة لاستعراض أهمها بالجملة، إلا أن الإحاطة بأهمية وفوائد النشر العلمي لا تنحصر بما سبق بيانه، إنما هي محاولة لتسليط الضوء على هذا الأمر الذي يغفل عنه كثير من طلبة العلم الشرعي.

2. مقترحات للنهوض بواقع النشر العلمي في كليات الشريعة الفلسطينية.

أولاً: مساق أصول البحث العلمي؛ يعد مساق منهج البحث (Research Methodology)، من أهم المساقات التي يجب أن تعنى ببالغ الأهمية، فهو الذي يؤهل الطالب لامتلاك أساسيات البحث العلمي، ويجعله يخطط مسيره نحو الإبداع العلمي وفق الأصول العلمية المتبعة، ولا يجب أن يكون هذا المساق التعليمي مجرد مساق يعرّف الطالب آلية كتابة مشروع التخرج أو رسالة

1- هذا الأمر حصل مع معدي هذه الدراسة شخصياً حين قدومهم لدراسة الدكتوراه في ماليزيا.

الماجستير؛ إنما يجب أن يشتمل على تحفيز الطالب نحو المشاركة العلمية، سواء بالنشر العلمي أو المشاركة بأوراق علمية في المؤتمرات، ومحاولة إخراج الطاقة الإيجابية نحو الإبداع في هذا المجال، وإشعارهم أنهم قادرون على ذلك، وإغفال هذا الأمر هدر لطاقاتهم المكنونة.

كما ينبغي أن يفرّد مساحة في هذا المساق لتعريف الطلبة بالنشر العلمي، والمجلات المحكمة وتصنيفاتها العالمية، والفرق بين هذه التصنيفات، وآلية النشر فيها، وميزات المقال القابل للنشر.

إنّ هذا الأمر كفيّل إلى حد ما بتخريج طلبة يمتلكون من المعرفة البحثية الشيء الكثير، تساعد على اكتشاف ذاتهم، وإخراج الطاقات المتوقّدة في أحشائهم، إضافة إلى ضمان عدم حدوث صدمة علمية لمن أراد إكمال مسيرته التعليمية العليا في الجامعات خارج القطر العربي.

ثانياً: إنشاء مجلة علمية محكمة خاصة بالعلوم الشرعية؛ إنّ أغلب الجامعات المهتمة بالبحث العلمي وتطويره تقوم على دعم فكرة إنشاء مجلات علمية لكل كلية. إن إيجاد مثل هذه المجلة المختصة بمجال العلوم الشرعية مدعاةً لتحفيز الكادر الأكاديمي والطلبة على حد سواء نحو المسارعة في عمل المقالات العلمية والنشر فيها، خاصة في ظل ما يرافق المجلات العلمية الأخرى من الروتين القاتل، وصعوبة التواصل أحياناً، فما المانع أن تقوم كليات الشريعة في الجامعات الفلسطينية على إنشاء مجلات علمية وفق معايير دولية؟ تدار من قبل أكفاء من الكادر الأكاديمي، وتصدر بشكل نصف سنوي، ومع مرور الوقت يتم العمل على إدخالها ضمن أحد التصنيفات العالمية، قد يكون هذا الأمر صعباً وبحاجة إلى إجراءات وموافقات إدارية ليست بالسهلة، ولكنه أمر ليس بالمستحيل، وعلى سبيل المثال في ماليزيا، فإن أكاديمية الدراسات الإسلامية في جامعة ملايا ينطوي تحت كل قسم فيها مجلة علمية دورية، إضافة للمجلة المركزية للأكاديمية، حتى بلغ عدد المجلات التابعة لها 11 مجلة محكمة¹، وهذا الأمر لا يقتصر على هذه الجامعة، بل هو موجود في جميع كليات الشريعة في ماليزيا، وقد عملت بعض هذه المجلات مجد حتى أضحي بعضها داخل ضمن التصنيف العالمي SCOUPS². أن تدخل مجلة للعلوم الشرعية ضمن هذا التصنيف هو مجد ذاته إنجاز.

ثالثاً: إلزام طالب الدراسات العليا بالنشر العلمي كمتطلب إجباري للتخرج؛ قد لا يكون التحفيز وبيان أهمية النشر العلمي أداة فعالة لحث طالب الدراسات العليا على خوض هذا

1- الصفحة الرسمية لأكاديمية الدراسات الإسلامية- جامعة ملايا، تاريخ المشاهدة: 2017/6/2م.

<http://apium.um.edu.my/research/type-of-journals/journal-published-by-apium>

2- ومنها مجلة البيان الصادرة عن أكاديمية الدراسات الإسلامية في جامعة ملايا، وهي مدرجة تحت تصنيف SCOUPS، <http://www.brill.com/products/journal/al-bayan-journal-quran-and-hadith-studies>

المضمار، ولكن هو من ارتضى أن يلتحق ببرنامج الدراسات العليا، بمعنى أنه سيحمل لقب باحث؛ فالواجب البحث عن آليات مضبوطة ليكون حامل هذا اللقب على قدر المسؤولية، وبناء على التجربة التي تخوضها أغلب الجامعات المهتمة بالبحث العلمي خارج الوطن العربي، فإنها تجعل إلزام طالب الماجستير بنشر مقال علمي في مجال تخصصه، والمشاركة بورقة بحثية في مؤتمر علمي هو أحد الشروط الأساسية التي لا يمكن تجاوزها للتخرج، فقد بات عليه التفكير مجبراً بالعمل على إتمام هذا المتطلب للتخرج منذ بداية التحاقه بالجامعة، هذه تجربة خلاقة، وأعتقد أن بالإمكان استنساخها لطلبة الدراسات الإسلامية في مرحلة الماجستير، ويمكن التدرج في تطبيق هذا الأمر بأن يشترط نشر مقال علمي، أو المشاركة بورقة بحثية في مؤتمر علمي، أما ما يخص مرحلة الدكتوراه لطلبة الدراسات الإسلامية - والتي أضحت قاب قوسين لإيجادها في فلسطين - فإن من الممكن اشتراط مقالين محكمين، أو مقال محكم والمشاركة بورقة بحثية في مؤتمر علمي¹.

إن اشتراط مثل هذا الأمر يجعل طالب العلم الشرعي في مرحلة الدراسات العليا يستشعر أهمية ما هو مقدم عليه، وأنه ليس بالنزهة العابرة، إنما هو أمر بحاجة إلى جد ومثابرة واجتهاد، وأن ما قبل هذه المرحلة يختلف عما بعدها، فهو الآن يحمل لقب باحث؛ فيجب أن يكون على قدر هذا اللقب، ولو كان هذا الأمر موجوداً بالفعل؛ لما كانت نسبة المشاركة في المؤتمر الذي عقده كلية الدراسات العليا بتاريخ 20/4/2017م، من قبل طلبة التخصصات الشرعية هي مشاركة واحدة،² فمن لم يدفعه التحفيز واستشعار الأهمية في المشاركة، فالإلزام القانوني يدفعه لذلك، وقد تكون هذه المشاركة ممهدة لمشاركات لاحقة بمحض الإرادة.

رابعاً: تعزيز الشراكة البحثية بين الطالب والمحاضر؛ يتسم الإنتاج البحثي في الوطن العربي بالعمل الفردي، بحيث يسعى الباحث - خاصة الأكاديمي - لإنتاج عمله البحثي بمفرده، وأن يسجل وينشر على أنه جهد وعمل فردي، ظاناً أنه بهذه الحال سيكون أقوى، ولكن الحقيقة العالمية الآن والتي أضحت واضحة، أن معظم المجالات العلمية العالمية ذات التصنيفات العالمية، تنظر إلى العمل العلمي المنتج من خلال مجموعة بحثية هو أقوى وأجدر بالنشر، على عكس ما

1- تشترط معظم الجامعات البحثية على طلبة الدراسات العليا نشر عدد من المقالات العلمية، والمشاركة بأوراق بحثية في مؤتمرات علمية، وعلى سبيل المثال تشترط كلية القرآن والسنة في جامعة العلوم الإسلامية الماليزية على طالب الماجستير نشر مقال علمي والمشاركة بورقتين بحثيتين في مؤتمر علمي. أنظر الصفحة الرسمية لجامعة العلوم الإسلامية الماليزية تاريخ المشاهدة: 2017/6/3م.

<http://www.usim.edu.my/study-at-usim/academic-programmes/program-details/?pid=56>

2- عقدت كلية الدراسات العليا بهذا التاريخ مؤتمراً تحت عنوان: "المؤتمر الفلسطيني الدولي الثاني للدراسات العليا في مجالات العلوم الطبيعية، العلوم الصحية والطبية، والعلوم الإنسانية" وحين تفحص أوراق المؤتمر، فقد تبين وجود مشاركة واحدة فقط، وهي للطالبة هديل دعباس ماجستير أصول الدين. الصفحة الرسمية لجامعة النجاح الوطنية، تاريخ المشاهدة: 2017/6/3م. https://www.9edd94c1a7b0/program_conference.pdf-4b8e-9e15-cdn.najah.edu/media/filer_public/8f/cc/8fccc9c-3c73

يتوهم بعض الباحثين، وذلك كون الناتج البحثي الجمعي تتظافر فيه الجهود، وتُصقل مجموع الخبرات في هذا الإنتاج العلمي، إضافة إلى أن مصداقية النتائج أقوى. من هذا المنطلق فمن الممكن أن يقوم المحاضر في كلية الشريعة باستشراف الإبداع من بعض الطلبة، فيتبنون مشروعاً بحثياً محدداً يعملون عليه بإشراف وعمل الجميع دون استثناء، وينشر باسمهم جميعاً، فيعود النفع على الجميع، وتكون هذه الخطوة الأولى للطلبة نحو ولوج هذا المعترك، فتزداد ثقتهم بأنفسهم، خصوصاً أن اسمهم اقترن بأستاذهم في عمل علمي أضحى مرجعاً علمياً لمن بعدهم، إضافة إلى امتلاكهم رصيماً من الخبرة المؤهلة لهم للتنافس الوظيفي مستقبلاً.

خامساً: عقد ندوة داخلية بشكل سنوي (Colloquium)؛ إن عقد ندوة داخلية بشكل دوري لطلبة الدراسات العليا لهو أمر يعود بالنفع على الطلبة بشكل كبير، ولقد دأبت الجامعات المتقدمة على عقد ندوة داخلية لطلبتها يطلق عليها Colloquium، تعقد بشكل سنوي يستعرض فيها الطالب آخر ما أنجزه في دراسته البحثية، ويتم مناقشة ما تم إنجازه مع المحاضرين الأكاديميين، فيعززون إيجابيات بحثه، وينبهونه إلى النقاط التي غفل عنها، أو من شأنها أن تحسن رسالته البحثية، إضافة إلى ذلك يمكن للطلبة عرض مقالات علمية لترحها في هذه الندوة، وتكون وظيفة اللجنة العلمية ترشيح بعض هذه المقالات -المستوفية لأصول البحث العلمي وتحتوي على ما هو جديد- للنشر.

إن فكرة إقامة مؤتمر داخلي لطلبة الشريعة يعد أمراً ممهداً لتعريف الطالب بأهمية المشاركة البحثية، وكسراً للحواجز النفسية التي تنتاب الطالب من المشاركة بالمحافل العلمية الدولية، وفرصة لفتح المجال لجميع الطلبة لاكتشاف طاقاتهم البحثية وتفجيرها.

إن ما سبق اقتراحه من خطوات عملية للمساهمة بتطوير البحث العمي لدى طلبة الشريعة الإسلامية في فلسطين، ليست حصراً على ما سبق ذكره، إنما يمكن ابتكار خطوات تلائم واقع الحال والإمكانيات المتاحة. إن أغلب ما تم ذكره هي أمور مطبقة فعلاً في جامعات بحثية متقدمة، وليس هناك ما يضر من استنساخ وتحوير بعض هذه المقترحات في كليات الشريعة الفلسطينية، فهي ليست حكرًا على مؤسسة بعينها، وكل ما هو كفيل للنهوض بالواقع البحثي يجب أن يتم النظر إليه بجدية والعمل على تحقيقه، خصوصاً مع التقدم والتطور الهائل في مسألة البحث والنشر العلمي.

3. دراسة استطلاعية لواقع المعرفة البحثية وآليات النشر لطلبة الدراسات الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية

لقد عمدت هذه الدراسة لتصميم استبيان موجه لطلبة الدراسات العليا من طلبة الدراسات الإسلامية - الفقه والتشريع، وأصول الدين - في جامعة النجاح الوطنية، يتم من خلاله استطلاع واقع حال المعرفة البحثية فيما يخص نشر المقالات في المجالات المحكمة، والوقوف على الإشكاليات التي تواجههم في هذا الصدد، واستطلاع دافعيّتهم نحو ولوج هذا الباب العلمي.

4. مجتمع الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من طلبة كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، تخصص: الفقه والتشريع، وأصول الدين.

5. عينة الدراسة

استخدم الباحث العينة القصدية المتمثلة بالمتنمين لكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، والمنتسبين إلى تخصص الفقه والتشريع وأصول الدين، كما شملت العينة بعض الطلبة الذين أتموا دراستهم العليا من نفس التخصص والجامعة خلال الفترة القصيرة الماضية، وعمدت الدراسة إلى وجود تنوع في عينة الدراسة من حيث التخصص الدراسي، والجنس، والسنة الدراسية، وتم إعداد الاستبانة إلكترونياً وتوجيهها قصدياً للفئة المستهدفة، وبلغ عدد الاستجابات (40)، وحين تم فحص هذه الردود، تبين أن هناك استبانات يجب استثنائها، وبلغ عدد الاستبانات التي تم التعامل معها فعلياً من أجل التحليل الوصفي هو (38) استبانة، وهذا العدد من الاستبانات يحقق الهدف الذي وضعت من أجله - كونها دراسة وصفية بسيطة.

6. بناء الاستبانة وتحكيمها

تم صياغة هذه الاستبانة كأداة لجمع البيانات حول واقع المعرفة البحثية وآليات النشر لطلبة الدراسات الإسلامية - الدراسات العليا - في جامعة النجاح الوطنية، وتم تحكيمها من قبل اثنين من المحكمين الأكاديميين¹، وتكونت الاستبانة من قسمين: فالأول يحوي السمات الشخصية لأفراد العينة، والقسم الثاني يحوي فقرات الاستبانة، وضم ثلاثة محاور.

المحور الأول: واقع الحال المعرفية للطلبة فيما يخص إعداد المقال العلمي وآليات نشره، ومدى الإحاطة بجوانب المجالات العلمية وتصنيفاتها، وضم هذا المحور 7 فقرات.

1- قام بتحكيم هذه الاستبانة: د. سامر ناجح سمارة، أستاذ الحديث الشريف جامعة العلوم الإسلامية الماليزية - ماليزيا. و د. عبدالله عدوي، أستاذ الإعلام في جامعة التجديد العالمية - تركيا.

المحور الثاني: تقييم مساق أصول البحث العلمي، ومدى تغطيته لجانب إعداد المقال العلمي ونشره في المجلات المحكمة، وضم هذا المحور 4 فقرات.

المحور الثالث: دافعية الطلبة نحو النشر العلمي في المجلات المحكمة، واشتمل هذا المحور على 4 فقرات.

7. ثبات الاستبانة

يقصد بثبات الاستبانة أن تعطي نفس النتيجة لو تم توزيعها أكثر من مرة تحت نفس الظروف والشروط، واستخدمت الدراسة لقياس ثبات الاستبانة معامل كرونباخ ألفا (Cronbach's Alpha)، وقد بلغ عامل الثبات بطريقة ألفا (0.85)، وتعد هذه القيمة جيدة لأغراض الدراسة حسب ما حدده الإحصائيون².

8. نتائج الدراسة الاستطلاعية ومناقشتها

نتائج المحور الأول:

أظهرت نتائج المحور الأول والذي تناول واقع الحال المعرفية للطلبة، فيما يختص بآليات إعداد مقال علمي ونشره، ومدى الإحاطة المعرفية فيما يخص المجلات العلمية وتصنيفاتها، أن أغلب المستطلعة آراؤهم يرون أنهم يمتلكون المعرفة الكافية بالمقصود بالمجلات العلمية المحكمة؛ حيث بلغت نسبتهم 76% من مجمل العينة، فيما عارض ذلك ما نسبته 16%، وعبر ما نسبته 8% عن الحياد، وقد أظهرت النتائج أن المستطلعة آراؤهم لديهم معرفه تامة بالمقصود بالمقال العلمي المنشور بالمجلات العلمية، فبلغت نسبة من أبدى موافقته على هذا الأمر 62% من أفراد العينة، فيما بلغت نسبة من عارض ذلك 24.5%، وعبر بالحياد ما نسبته 13.5%، كما أظهرت النتائج أن أغلب المستطلعة آراؤهم يمتلكون مهارة إعداد مقال علمي وفق الأسس العلمية، حيث عبر ما نسبته 70.2% بالموافقة، فيما عارض ذلك ما نسبته 16.3%، وأبدى ما نسبته 13.5% عن حيادهم، وفيما يتعلق بإدراكهم لأهمية النشر العلمي والفوائد العائدة على الباحث، فقد أظهرت النتائج موافقة الأغلبية على هذا الأمر، فبلغت نسبة الموافقين 67.5%، فيما عارض ذلك ما نسبته 19%، وعبر 13.5% عن حيادهم، في مقابل ذلك فقد أظهر هذا المحور جانباً سلبياً من النتائج، فعند سؤالهم حول ما إذا كانوا يعرفون معرفة تامة المقصود بالمجلات العلمية وآليات

1- الدافعية: هي قوة تستثير سلوك الفرد وتدفعه للقيام بسلوك معين من أجل إشباع حاجة أو تحقيق هدف معين، وهذه القوة قد تكون داخلية أو خارجية. عقيل، إبراهيم إبراهيم، 2012م، أثر أبعاد التعلم عند مارزانو على تحصيل طلبة الصف السابع الأساسي ودافعتهم نحو مادة الرياضيات، مجلة الأزهر، غزة: جامعة الأزهر، مح14: العدد2، ص121-150.

2- العاني، نزار محمد سعيد، 2009م، القياس والتقويم المدرسي المفاهيم الأساسية والتطبيقات الثانوية، ط1، عمان: دار حنين.

النشر فيها، فقد أظهرت النتائج أن نسبة من عبر بالرفض قد بلغت %51.4، فيما عبر ما نسبته %24.3 بالإيجاب، وعبر %24.3 عن حيادهم، كما تبين من النتائج أن نسبة المشاركة في المحافل العلمية سواء بالمؤتمرات أو النشر العلمي كانت قليلة جداً، ففي حين بلغت نسبة من سبق له المشاركة في مؤتمر علمي %13.5، في مقابل %86.5، وكذلك الأمر بالنسبة لمن سبق له نشر مقال علمي، فبلغت نسبة من سبق له المشاركة %21.5، في مقابل %78.5.

مناقشة نتائج المحور الأول:

يتبين من نتائج هذا المحور امتلاك أغلب طلبة الدراسات الإسلامية في مرحلة الماجستير من طلبة جامعة النجاح الوطنية للمعرفة والمهارات المتعلقة بآليات إعداد المقال العلمي، كما أنهم على معرفة بالمقصود بالمجلات العلمية المحكمة، وأظهرت النتائج إدراكهم أهمية وفوائد النشر العلمي في المجلات المحكمة، وهذا أمر إيجابي، وهو مطلوب فعلياً من طالب وصل إلى مرحلة الدراسات العليا، وينبئ هذا الأمر بوجود جو إيجابي حيال المعرفة البحثية لدى الطلبة، مع الإشارة إلى أن هذه النتائج تقيس ما يعتقد الطالب في نفسه، ولا تقيس الحالة المعرفية الحقيقية للطلاب، ومن أجل هذا الأمر يتوجب تصميم آداه لقياس معرفتهم الحقيقية، ويكون ذلك من خلال اختبار مثلاً.

ومع هذا الجو الإيجابي الذي أبداه الطلبة من اعتقادهم بامتلاك المعرفة والمهارة بإعداد المقال العلمي، والمقصود بالمجلات المحكمة، إلا أن النتائج أظهرت وجود قصور معرفي في آليات النشر في هذه المجلات وتصنيفاتها، إضافة إلى أن هذه المعرفة لم يتم توظيفها فعلياً من قبل الطالب؛ فقد أظهرت النتائج زهداً كبيراً جداً لدى الطلبة في إعداد الأوراق البحثية، سواء في المؤتمرات أو المجلات العلمية، ومما يؤكد وجود حالة من العزوف، هو حجم المشاركة في آخر مؤتمر عقدته كلية الدراسات العليا لطلبتها، حيث بلغ حجم المشاركة من طلبة قسم الفقه والتشريع وأصول الدين، مشاركة واحدة.

يرجع الباحث وجود هذه الحالة من العزوف عن المشاركة البحثية إلى قلة التحفيز من قبل القائمين على المسيرة الأكاديمية، ويدعم ذلك أن نتائج الدراسة أظهرت إدراك أغلب الطلبة لأهمية النشر، كما أنها أظهرت امتلاكهم دافعية جيدة نحو ولوج هذا الباب العلمي. كما يمكن إرجاع هذا العزوف إلى انشغال الطالب - وجعل جل همهم - بإتمام دراسته الأكاديمية، وإنجاز رسالته، طناً أن انشغاله في إعداد ورقة بحثية سيعيقه عن إنجاز هذا الأمر.

وأخيراً يمكن تلخيص ما سبق بأن الطلبة يعتقدون بتمتعهم بمعرفة عالية بالمقصود بالمجلات العلمية، وآلية إعداد مقال علمي، ويدكون أهمية المشاركة في هذا الأمر، ولكن لا توجد ترجمة فعلية لهذه المعرفة على أرض الواقع، وهنا تكمن المشكلة التي يجب أن يبحث المختصون عن حلول لها، ولعل فيما اقترحه هذه الورقة سابقاً من اشتراط نشر مقال علمي، أو المشاركة بورقة بحثية في مؤتمر علمي، واعتباره شرطاً للتخرج سبيلاً لحل هذه المشكلة.

نتائج المحور الثاني:

أظهرت نتائج هذا المحور والذي تناول تقييم مساق أصول البحث العلمي، ومدى تغطيته لجانب إعداد مقال علمي ونشره في المجلات المحكمة، أن أغلب أفراد العينة قد عبروا عن رضاهم حيال مساق أصول البحث العلمي، وأنه قد منحهم الخبرة الكافية لكتابة المقال العلمي وفق الأسس العلمية، فقد أبدى 59,4% من أفراد العينة عن موافقتهم حيال تناول مساق أصول البحث العلمي آلية إعداد المقال العلمي ونشره، فيما عارض 24,3% من أفراد العينة، وعبر 16,2% عن حيادهم، وفيما إذا ما تعرف الطالب من خلال المساق على أساسيات إعداد ونشر المقال العلمي، فقد تطابقت النسب مع ما سبق، وحول ما إذا كان يرى المستطلعة آراؤهم بوجوب الاهتمام أكثر بهذا المساق لتنمية المهارات البحثية للطالب، فقد أبدى معظم المستطلعة آراؤهم إيجاباً حيال ذلك، حيث بلغت نسبتهم 97%، وعبر بالحياد ما نسبته 3%، ولم يعارض أحد على هذا الأمر، وعبر 76% من أفراد العينة عن موافقتهم على أن مساق أصول البحث العلمي أكسبهم المهارات والخبرات الكافية لإعداد مقال علمي وفق الأصول العلمية، فيما عارض ذلك 10,5%، وعبر ما يقارب 13,5% عن حيادهم.

مناقشة نتائج المحور الثاني:

يتضح من نتائج هذا المحور أن مساق أصول البحث العلمي كان له دور في إكسابهم المهارة البحثية في إعداد المقالات العلمية وفق الأصول العلمية، وعبر أغلبية الطلبة عن رضاهم حيال هذا المساق، وعن طريقة عرضة، والموضوعات التي تناولها، كما أظهرت النتائج مطالبة أغلبية الطلاب بوجوب الاهتمام أكثر بهذا المساق، بغية تنمية مهاراتهم البحثية بشكل أفضل.

إن هذه النتائج الإيجابية حيال أهم مساق لطالب الدراسات العليا تشعر بالارتياح، وتنبئ بوجود أرضية بحثية سليمة يمكن البناء عليها وتطويرها. إن مساق أصول البحث العلمي من المساقات المهمة جداً للطالب في مرحلة الدراسات العليا، حيث يرسم له الطريق، ويذل له الصعاب، وفي حال كان الطالب ممتلكاً للأصول العلمية الصحيحة لإعداد البحث العلمي؛ فإن

هذه نقطة الانطلاقة الصحيحة نحو تفعيل وتطوير الحالة البحثية في بلادنا.

نتائج المحور الثالث:

أظهرت نتائج هذا المحور والذي تناول دافعية الطلبة نحو النشر العلمي في المجالات المحكمة، أن أغلبية المستطلعة آراؤهم يتمتعون بدافعية عالية نحو ولوج باب النشر العلمي في المجالات المحكمة، فقد أبدى 83,8% من المستطلعة آراؤهم الرغبة في إعداد مقال علمي ونشره، فيما عبر بالرفض 5,4%، وأبدى 10,8% عن حيادهم، كما أبدى 94,5% من العينة المستطلعة آراؤهم عن رغبتهم في تطوير معرفتهم بآليات إعداد المقال العلمي، وعبر بالحياد 5,5%، فيما لم يعارض أحد، وحول إذا ما كانوا يرون بوجوب إيلاء الهيئة الأكاديمية تشجيع الطلبة على النشر في المجالات العلمية، فقد تطابقت النتائج مع النتائج السابقة، وقد أبدى أغلبية المستطلعة آراؤهم عن موافقتهم لاشتراط الجامعة على طلبة الدراسات العليا نشر مقال علمي، أو المشاركة بمؤتمر علمي، واعتباره شرطاً للتخرج، حيث بلغت نسبتهم 67,5%، فيما عارض ذلك 11%، وعبر 21,5% عن حيادهم.

مناقشة نتائج المحور الثالث:

إن وجود الدافعية يعد أحد أعمدة الإنجاز والإبداع، فهي حافز أساسي يدفع للعمل والمثابرة¹ وهذا الأمر يظهر جلياً من نتائج هذا المحور؛ فالغالبية العظمى من الطلبة لديهم دافعية عالية نحو المشاركة البحثية من خلال نشر المقالات العلمية، حيث أبدوا الرغبة العالية في إعداد المقال البحثي ونشره، إضافة إلى إبداء رغبتهم الكبيرة في تطوير معرفتهم بآليات إعداد المقال العلمي، وتظهر دافعتهم العالية من خلال دعوتهم للهيئة الأكاديمية إلى تشجيعهم وحثهم على النشر في المجالات العلمية، وأخيراً تظهر دافعتهم جلياً في موافقة الأغلبية على اشتراط الجامعة على طالب الدراسات العليا نشر مقال علمي، أو المشاركة بورقة بحثية في مؤتمر علمي، واعتبار هذا الأمر شرطاً للتخرج.

إن وجود هذا الكم من المعرفة البحثية في إعداد الورقة البحثية، إضافة إلى وجود دافعية عالية نحو تعزيز انتاجهم البحثي وولوج هذا الباب لهو أمر إيجابي، ويؤسس لمرحلة بحثية مهمة، ولكن يجب العمل على استغلال هذه القدرات على أرض الواقع؛ لتخريج طالب علم شرعي قادر على العطاء، بحيث يتعدى مرحلة الحفظ والتلقين التقليدية، إلى مرحلة البحث والمساهمة البحثية في القضايا المستجدة التي تتطلب بحث ودراسة، وهذا كله يحتاج إلى جهد جمعي، يتوجب على القائمين على المسيرة التعليمية الجزء الأكبر في تحقيقه.

1- صليح، مان مؤيد، 2017م، استخدام استراتيجية التعلم التعاوني المحوسب وأثرها على تحصيل الطلاب ودافعتهم نحو مادة الرياضيات: دراسة تجريبية ميدانية في فلسطين، رسالة دكتوراه في التربية، ماليزيا: جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ص99.

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذه الدراسة والتي حملت عنوان "نشر المقالات العلمية المحكمة من قبل طلبة كليات الشريعة في فلسطين الواقع وآليات التطوير؛ جامعة النجاح الوطنية نموذجاً"، فإنه يمكن عرض أهم ما توصلت إليه بالآتي:

- للنشر العلمي فوائد وأهمية بالغة تعود على الجامعة وسمعتها، وعلى الناشر في الآجل والعاجل.
 - هناك تجارب رائدة اعتمدها بعض كليات الشريعة في الجامعات الحاصلة على تقييمات متقدمة عالمياً لتطوير البحث العلمي والنشر، ومن الممكن استنساخها وتحويرها في كليات الشريعة الفلسطينية.
 - وفيما يخص نتائج الدراسة الاستطلاعية لطلبة الدراسات العليا - تخصص الفقه والتشريع وأصول الدين - في جامعة النجاح الوطنية، فإن أهم النتائج تكمن بالآتي:
 - يعتقد الطلبة أنهم على معرفة كافية بالمقصود بالمجلات العلمية والمقال العلمي، مع قصور معرفي في آليات النشر وتصنيف المجالات.
 - يرى الطلبة أن مساق أصول البحث العلمي جيد من حيث الطرح وشمول الموضوعات، وأنه أكسبهم المهارات اللازمة لإعداد الورقة البحثية وفق الأصول العلمية، مع الدعوة إلى وجوب تطويره.
 - يمتلك الطلبة دافعية عالية نحو ولوج باب النشر العلمي في المجالات العلمية المحكمة.
 - يعاني طلبة الدراسات الشرعية في فلسطين بكافة مراحلها - بكالوريوس وماجستير - من ضعف شديد في المشاركة البحثية والنشر العلمي.
9. توصيات الدراسة
1. اشتراط الجامعات الفلسطينية على طالب الدراسات العليا نشر مقال علمي، أو المشاركة بورقة بحثية، واعتباره شرطاً إجبارياً للتخرج.
 2. عقد ندوة محلية (Colloquium) لطلبة الدراسات الإسلامية، يعرض الطالب خلالها آخر ما توصل إليه في رسالته، أو أي موضوع آخر خارج إطار موضوع رسالته، وتكون ندوة داخلية بسيطة لا تحتاج إلى تكاليف باهظة، ويتم مناقشة الأوراق المقدمة من قبل الكادر الداخلي للكلية، وترصد مكافأة تشجيعيه للأوراق المميزة.
 3. العمل على إصدار مجلة خاصة بالعلوم الشرعية، تكون تابعة لكلية الشريعة، وتشرف عليها، وتصدر بشكل دوري نصف سنوي.

